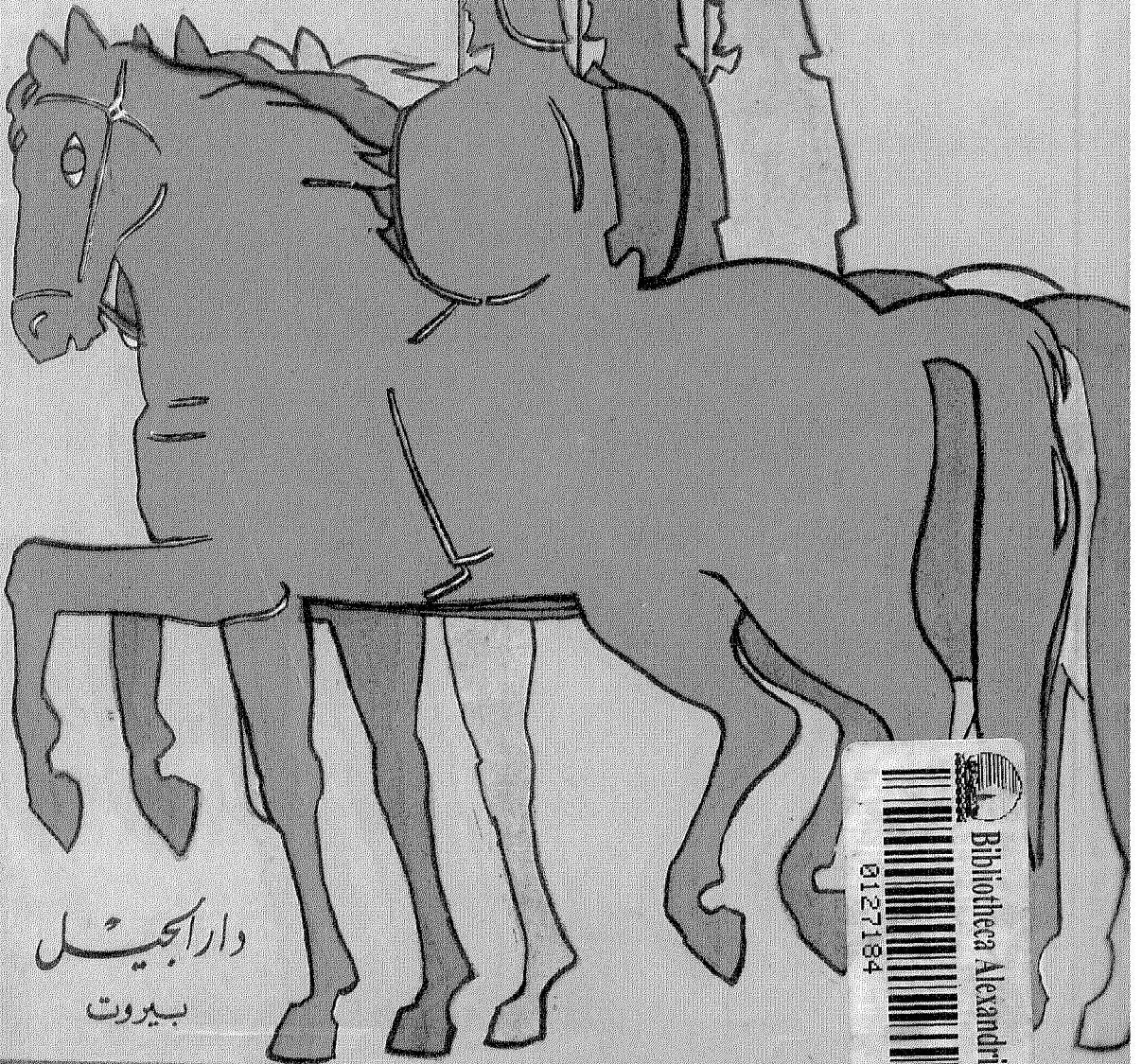


كتاب الشيلة

الدكتور سميرة فخر الليثي



دار الجمل
بيروت



جهاد الشيعة
في العصر العباسي الأول

جماد الشيعية

في العصر العباسي الأول

تأليف

الدكتور هـ سميرة فخر الدين

أستاذة آداب توراتية وناشطة
وأستاذة في التاريخ الإسلامي في جامعة عين شمس

دار الجيل

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية والفكرية

بيروت - لبنان

الفهرست

٩ تصدير	—
١٣ مقدمة	—
١٥ خريطة توضیح ثورات الشيعة	—
١٧ البيت العلوي	—
١٨ خلفاء العصر العباسي الأول	—
١٩ البيت العباسي	—

الباب الاول

موقف الشيعة من قيام الدولة العباسية

٢٣ ١ - ظهور جماعة الشيعة وجهادها في القرن الأول الهجري	—
٣٨ ٢ - أثر جهاد الشيعة في سقوط الدولة الأموية	—
٦٣ ٣ - تطور العلاقات بين البيت العلوي والعباسي	—
٧٤ ٤ - فرق الشيعة وموقفها من قيام الدولة العباسية	—
٩٩ ٥ - محاولات أبي سلمة الخلال لتحويل الخلافة إلى العلويين	—

الباب الثاني

جهاد الشيعة الزيدية والإمامية في عصر الخليفة العباسي المنصور

- ١ - ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز ١١١
- ٢ - ثورة إبراهيم بن عبد الله في البصرة ١٤٧
- ٣ - موقف الإمام جعفر الصادق والشيعة الإمامية من الخليفة المنصور .. ١٨٨
- ٤ - الصراع الفكري بين الشيعة والعباسيين وموقف الإمامين مالك وأبي حنيفة ٢٠٧

الباب الثالث

جهاد الشيعة في عصري الخليفين المهدي والهادي

- ١ - تطور فرقة الشيعة الإمامية وظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية ٢٥٨
- ٢ - موقف الشيعة الزيدية والإمامية من خلافة المهدي ٢٥٢
- ٣ - تشجيع الوزير العباسي يعقوب بن داود ومحاولته تحويل الخلافة إلى العلويين ٢٤٣
- ٤ - ثورة الحسين بن علي في عهد الخليفة الهادي ٢٣١

الباب الرابع

جهاد الشيعة في عهد هارون الرشيد

- ٢٧٩ - ١ - حركة يحيى وإدريس بن عبدالله في عهد الخليفة هارون الرشيد ...
- ٢٩٧ - ٢ - سياسة الرشيد نحو الشيعة والإمام موسى الكاظم
- ٣٠٧ - ٣ - موقف البرامكة من العلويين والشيعة

الباب الخامس

ثورات الشيعة في عهدي المأمون والمعتصم

- ٣١٥ تمهيد : الشيعة في عهد الأمين
- ٣١٨ - ١ - ثورة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا
- ٣٣٦ - ٢ - ثورة محمد الديباج بن جعفر الصادق
- ٣٤٤ - ٣ - موقف الشيعة من بيعة المأمون للإمام علي الرضا بولاية العهد
- ٣٦٤ - ٤ - ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق وأبي عبدالله أخي أبي السرايا ✓
- ٣٧١ - ٥ - ثورات الشيعة في بلاد اليمن
- ٣٨٠ - ٦ - ثورة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم ✓
- ٣٩٣ خاتمة : عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور

المصادر والمراجع :

- ١ - المخطوطات ٤٠١
- ٢ - المصادر والمراجع العربية المطبوعة ٤٠٤
- ٣ - المصادر الافرنجية المترجمة إلى اللغة العربية ٤٢٠
- ٤ - المصادر الإفرنجية ٤٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بقائه الدكتور أحمد الشرباصي

الأستاذ بجامعة الأزهر
الريادة لاسم بعثيات الشبان المسلمين

التاريخ الإسلامي كالمحيط الواسع ، أو كالجحز الزخار ، الذي تتلاطم فيه الأمواج ، وتتعدد فيه اللجج ، وتنوع فيه الاتجاهات .

وليس ذلك بغريب ، فإن هذا التاريخ العظيم الجليل ، الخطير الضخم ، قد اتسعت رقعته ، وانقسمت آفاقه ، وتكاثرت اتجاهاته ، وتمازجت طوائفه وشعوبه ، وليس عمره بالقصير .

وحيثما شغلت نفسي - مثلاً - بتتبع « بطولات الفداء والوفاء » في عباب هذا التاريخ الإسلامي - على امتداد عرضه وطوله - وجدت في بطون الأسفار والمصادر ، مئات من الأبطال وعظماء الرجال ، الذين دفعهم دينهم وإيمانهم إلى الجهر بكلمة الحق ، ودعوة الصدق ؛ وإلى اقتحام ميادين الجهاد هنا وهناك ، لينالوا شرف الانتصار لعقيدهم ويقينهم ، أو ليفوزوا بنعمة الشهادة المؤدية إلى ما يوقنون به من نعيم مقيم عند رحمن الدنيا والآخرة .

ولقد تعرفت إلى مئات ومئات من هؤلاء الأبطال المجاهدين حينما شرعت في « موسوعة الفداء والوفاء » ، التي تدور - في أجزاءها المتوالية حول بطولات

رائعة مطوية ، وأبطال عظماء مجهولين ، وإذا كان قد صدر من هذه الموسوعة خمسة كتب (١) ، فكيف لم امتدت السبيل أمام هذه المسيرة التاريخية أكثر وأكثر مني ؟ وكيف إذا تعددت المسيرات من غيري على هذا الدرب الطويل الفسيح الواسع ؟!

* * *

وطائفة الشيعة من الطوائف الإسلامية ذات الأثر الكبير في المجتمع الإسلامي . وإذا كان التشيع قد بدأ بحب آل البيت النبوي الطهور : بيت سيدنا ورائدنا وقائدنا : رسول الله ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، فقد اتخذ بعد ذلك مسيرة متميزة خلال عصور التاريخ . وقد جعلت هذه المسيرة المتميزة تنفسح وتوسع ، حتى صار للتشيع أعلامه وأبطاله ورجاله ، ومفكروه وزعماءه والداعون إليه ، والمدافعون عنه : بالكلمة تارة ، وبجد الحسام تارة أخرى . ومرّ الشيعة خلال مسيرتهم التاريخية بمراحل صراع وجهاد ، تعرضوا فيها لألوان من الأذى والعدوان ، وقد أصيبوا وأصابوا ، والحرب سجل كما يقال ، ولكنهم احتملوا أكثر من غيرهم .

وكان للشيعة خلال تاريخهم مواقف مشهودة ، وبطولات مرصودة ، تشعبت وتفرقت ، وانتشرت يمينا وشمالا ، في مصادر التاريخ المختلفة .

ولا يستطيع القارئ أن يجمع - ببسر أو سهولة - شتات هذه المواقف وتلك الأحداث ، وأن ينظمها في عقد واحد ، يتمكن من التطلع إليه بمجموعه ، أو الإحاطة به جملة واحدة ، وإنما يصير على ذلك أهل الاختصاص والتخصص ، وأهل الصبر والجلد على متاعب البحث ومشاق التنقيب ، وأهل

(١) هذه الكتب هي : «الفداء في الإسلام» ، و«فدائيرن في تاريخ الإسلام» ، و«أبطال عقيدة وإسلام» ، و«بين الوفاء والفداء» ، و«رجال صدقوا» .

الاقتدار على المقارنة والنقد والتمحيص ، حتى يتحقق ذلك التمييز المنصف المحايد ، الذي يقول ما للموقف وما عليه .

ونحن هنا نتذكر كلمة الإمام مالك - رضي الله عنه - التي يقول فيها :
« ما منّا من أحد إلا يُؤخذ منه ، ويُردّ عليه ، ما عدا صاحب هسده
الروضة » ! . وأشار الإمام إلى روضة المصطفى سيدنا رسول الله ، صلى الله
عليه وآله وسلّم .

* * *

والدكتورة سميرة مختار الليثي حين تقدم بحثها عن « جهاد الشيعة » تريد
- فيما أتصور - أن تخوض عباب هذا الخضم المتلاطم ، وأن تصبر على
متاعب أمواجه ، ومصاعب لججّاته ، لتلتقط من سبوحها الطويل ما تسعه من
لآلئه وفرائده : لتقدم في النهاية صورةً واسعة - قدر طاقتها - عن جهاد
الشيعة الذين كافحوا ونافحوا عن عقيدتهم وفكرتهم ، وأفكارهم وآرائهم .

وأنت قد تتفق والشيعة في هذا الرأي أو ذلك ، وقد تختلف معهم في هذا
الرأي أو ذلك ، وليس ذلك بضائر ، وإنما المهم أن نكون منصفين : نعرف
عن علم ، وندرك بفهم ، ونقتنع بدليل ، ونوافق ببرهان ؛ ورحم الله شاعر
العربية الأكبر : « أحمد شوقي » حين قال :

« اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية » !

نحن أمة ربانية إسلامية ، علّمها ربّها لطف الحوار ، وحسن الإدراك ،
وتلمّس أفضل الوسائل إلى معرفة الحق ، فهو القائل : « ادعُ إلى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن
ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

نحن أمة علمتها آدابها هذه الحكمة : رأبي صواب يحتمل الخطأ ، ورأبي معارضي خطأ يحتمل الصواب ، فليكن كل منا صاحب حق في عرض ما لديه من رأي ، مع حسن الإصغاء إلى الرأي الآخر .

وعندي أنه كلما صبرنا على الدرس والمطالعة و« تفصي الحقائق » كان ذلك معواناً على الالتقاء أمام نور الحق الذي لا يتعدد ، وعلى الاقتراب من معصم تلك الوحدة التي يريدنا لنا خالقنا : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون » .

وعلى الله قصد السبيل .

أحمد الشرباصي

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

ينتشر في العالم الإسلامي المعاصر ملايين من الشيعة ، ويقومون بدورهم البارز الملموس نحو إعزاز الإسلام ، والنهضة بحضارته ، وهم يساهمون إيجابياً ، بجامعاتهم ومعاهدهم ومؤلفاتهم ، في التقدم الفكري الإسلامي . والشيعة دائماً تعتبر (الجهاد) ركناً من أركان الإسلام ، والجهاد لا يكون بالسيف وحده ، فقد يكون بتهديب النفوس وصقل العقول ، وبتكوين المؤمن القوي الذي يكون خير مواطن صالح في عالمنا الإسلامي .

ويسعدني أن أقدم إلى قراء اللغة العربية في عالمنا الإسلامي ، كتابي (جهاد الشيعة) ، وهو يدرس جهاد هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة ، منذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى نهاية العصر العباسي الأول سنة ٢٣٢ هـ . والقارئ اللبيب يدرك أنه من العسير على أي مؤلف أن يجمع جوانب جهاد الشيعة في كتاب واحد ، فهو جهاد طويل ، متشعب الأطراف ، متعدد الألوان . ولكن الصور التاريخية المجيدة ، التي نقدمها في هذا الكتاب ، لجهاد الشيعة ، تعبر تعبيراً صادقاً عن روح الشيعة التي بدت في أطوار جهادها المستمر ، الثوري ، والديني ، والفكري ، والاجتماعي . وهكذا اقتطفنا من بستان الشيعة ، الواسع الزاهر ، زهوراً كثيرة ، عطرة نضرة ، تجذب الأنظار ، وتشرح الصدور ، ويظل عبقها الجميل ، أبد الدهر ، وعلى مر العصور .

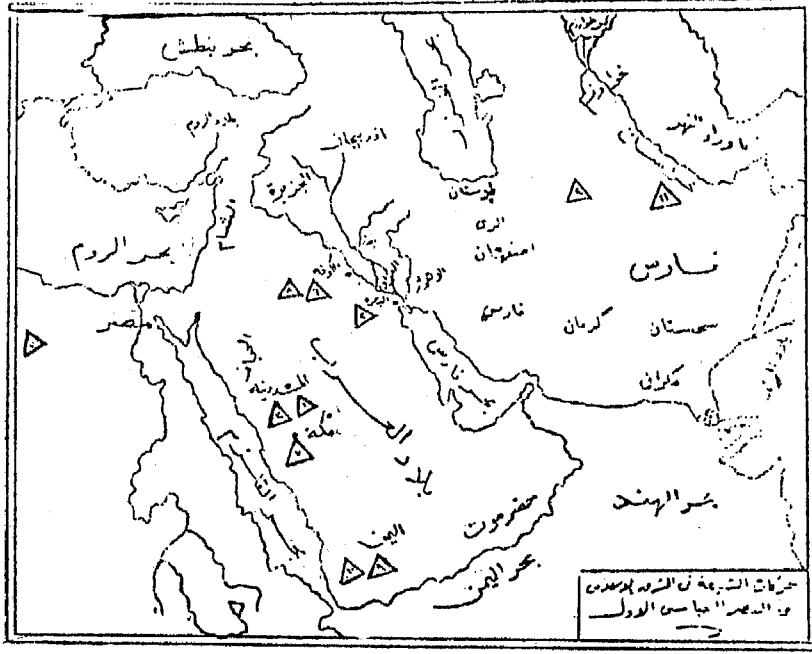
شاركت جماعات الشيعة في جميع الأحداث السياسية في التاريخ الإسلامي ، وكان لها شأنها وتأثيرها في المجالات الحضارية ، وخاصة الدينية والفكرية . وظلت الشيعة طوال العصور تتصدر سائر الفرق والجماعات الإسلامية . وكان من نتائج التشيع دولة إسلامية عظمى هي الدولة الفاطمية التي يفخر كل مسلم بحضارتها وبدورها العالمي ، ولا زالت القاهرة الخالدة ، وجامعة الأزهر العريقة ، تشهدان على أمجاد الفاطميين .

وكتابنا هذا بحث علمي ، يتبع المنهج العلمي في البحث التاريخي ، ومن أبرز أركان هذا المنهج إلزام الحياد التام ، وهو حياد إيجابي ، يوصلنا إلى النتائج العلمية التي تفيد مكتبتنا العربية الإسلامية . وقد اهتمنا بفلسفة التاريخ إلى جانب الحرص على ذكر تفاصيل الأحداث التاريخية ، كما ربطنا بين جهاد الشيعة وبين جوانب الحياة السياسية والدينية والفكرية في العالم الإسلامي .

واتخذ جهاد الشيعة أحياناً شكل الثورة من أجل وضع المبادئ والتعاليم ، موضع التنفيذ العملي الإيجابي . وقد اعتاد المسلمون دائماً أن يحيا حياة ديمقراطية وتمسكوا أبداً بحرية الرأي والتعبير ، مما كفلته تعاليم الإسلام الرشيدة . وهذا الجهاد وإن أدى أحياناً إلى صراع بين فريقين من المسلمين ، فهو في الحقيقة تعبير عن حيوية الأمة الإسلامية ، وعن رغبتها في التطور وحرصها على التجديد ، وعن تمسكها بآرائها وتعاليمها من أجل حياة رغدة ، وحضارة راقية . وإن حدث خلاف ، فهو يمس المسائل الثانوية ، دون المساس بعقيدتنا الإسلامية السامية ، وهي اختلافات في الآراء والوسائل ، وقد يكون في الاختلاف في الرأي فضيلة .

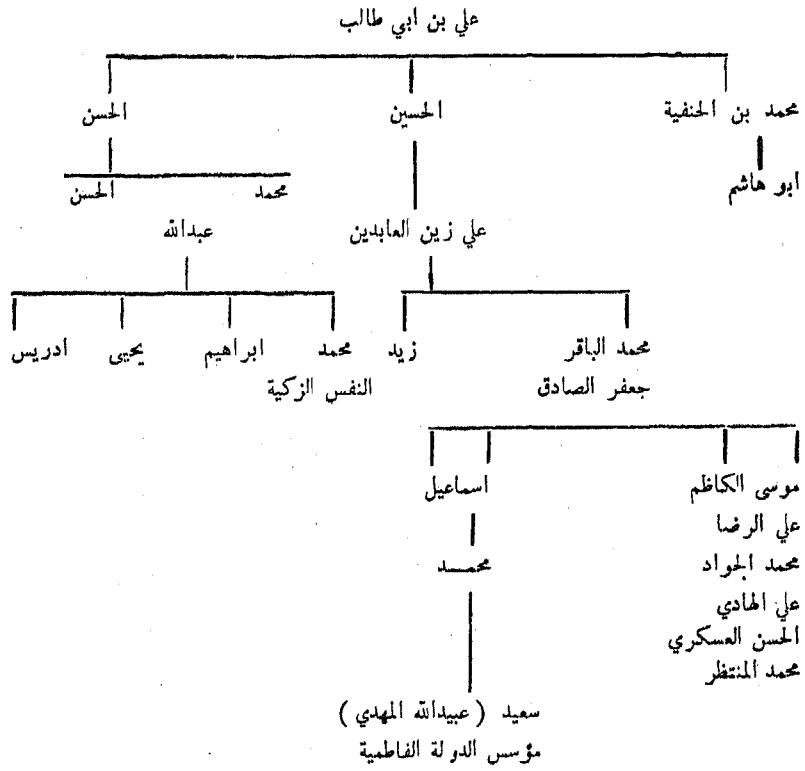
ونحن المسلمين ، على اختلاف مذاهبنا ، أمة إسلامية واحدة ، تظلمنا الأخوة الإسلامية الوثيقة ، نؤمن بالخالق العظيم ، وبرسوله الأمين ، ونتشبع بحسب آل البيت النبوي الطاهر ، ودستورنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ونحن المسلمين جميعاً على طريق واحد ، رسمه الإسلام لنا ، طريق الإخاء من أجل تحقيق السلام والرخاء . والله عز وجل ولي التوفيق والنصر .

دكتورة سميرة مختار اللبني



- (١) حركة محمد النفس الزكية في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد الخليفة المنصور (٢) حركة ابراهيم أخي النفس الزكية في البصرة سنة ١٤٥ هـ في عهد المنصور (٣) حركة الحسين بن علي في المدينة سنة ١٦٩ هـ في عهد الخليفة الهادي (٤) حركة يحيى بن عبدالله في بلاد الديلم سنة ١٧٥ هـ في عهد هارون الرشيد (٥) حركة ادريس بن عبدالله في بلاد المغرب سنة ١٧٢ هـ في عهد الرشيد (٦) حركة محمد ابن ابراهيم وأبي السرايا في الكوفة سنة ١٩٩ هـ في عهد المأمون (٧) حركة محمد بن جعفر الصادق في مكة سنة ٢٠٠ هـ في عهد المأمون (٨) حركة ابي عبدالله (أخي ابي السرايا) في الكوفة سنة ٢٠٢ هـ في عهد المأمون (٩) حركة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب في اليمن سنة ٢٠٠ هـ في عهد المأمون (١٠) حركة عبد الرحمن بن احمد بن عبدالله بن محمد بن عمر ابن علي بن ابي طالب في اليمن سنة ٢٠٧ هـ في عهد المأمون (١١) حركة محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في خراسان سنة ٢١٩ هـ في عهد المعتصم .

البيت العائلي

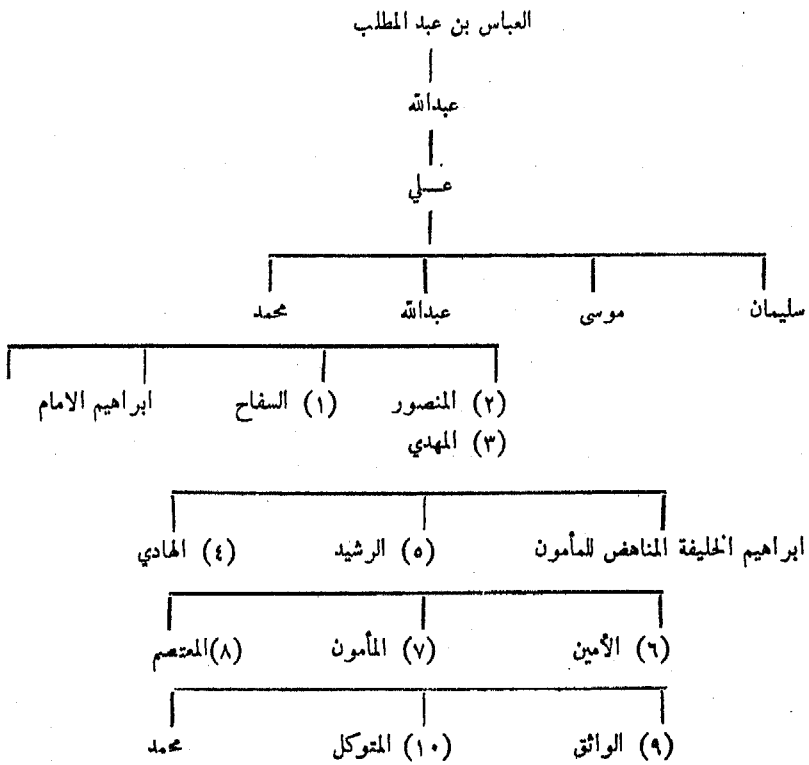


خلفاء العصر العباسي الأول
وسنوات توليتهم الخلافة

- | | | | |
|----------------|---|-------------------|-----|
| ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م | : | أبو العباس السفاح | (١) |
| ١٣٦ هـ - ٧٥٤ م | : | أبو جعفر المنصور | (٢) |
| ١٥٨ هـ - ٧٧٥ م | : | محمد المهدي | (٣) |
| ١٦٩ هـ - ٧٨٥ م | : | موسى الهادي | (٤) |
| ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م | : | هارون الرشيد | (٥) |
| ١٩٣ هـ - ٨٠٩ م | : | محمد الأمين | (٦) |
| ١٩٨ هـ - ٨١٣ م | : | عبد الله المأمون | (٧) |
| ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م | : | محمد المعتصم | (٨) |
| ٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م | : | هارون الواثق | (٩) |

* * *

شجرة نسب خلفاء العصر العباسي الأول



الباب الأول

موقف الشيعة من قيام الدولة العباسية

- ١ - ظهور جماعة الشيعة وجهادها في القرن الأول الهجري .
- ٢ - أثر جهاد الشيعة في سقوط الدولة الأموية .
- ٣ - تطور العلاقات بين البيت العلوي والعباسي .
- ٤ - فرق الشيعة وموقفها من قيام الدولة العباسية .
- ٥ - محاولات أبي سلمة الخلال لتحويل الخلافة إلى العلويين .

١- ظهور جماعة الشيعة وجهادها في القرن الأول الهجري

الشيعة في اللغة :

الشيعة في اللغة هم الاتباع والانصار ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وهو من المشاع والمتابعة، وهذا المعنى اللغوي مطابق لما اختلف به هذا اللفظ من تشيع لعلي بن ابي طالب وأولاده وأقرب بامامتهم وأصبح هذا المعنى هو المتبادر للذهن من اسم الشيعة عند اطلاقه (١) .

فسر ابن خلدون (٢) لفظ (الشيعة) لغوياً وفقهياً فقال :

«اعلم ان الشيعة لغة هم الصاحب والاتباع ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم» .

ويحدد الشهرستاني (٣) مفهوم لفظ الشيعة فيقول : « الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصية ، اما جلياً ، واما خفياً واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، او بتقية من عنده» .

(١) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ٩ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ١٣٨ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٦ .

مفاهيم التشيع :

وتاريخ الشيعة تاريخ طويل ، فهو يبدأ منذ تاريخ صدر الاسلام ، ولا يزال الشيعة يمثلون ملاييناً من سكان العالم الاسلامي . وفي الحقيقة — كما يقول الدكتور النشار — لم يكن هناك تشيعاً واحداً خلال التاريخ ، وما أشد الخلاف بين حبا جماعة من الصحابة لعلي بن ابي طالب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الخليفين ابي بكر وعمر ، وبين حب أنصار علي بن ابي طالب الملتفين حوله في الكوفة والبصرة وبين جراءة الترابيين من أصحاب حجر بن عدي ، وفداء التوابيين من أصحاب سليمان بن صرد. ويختلف كل هؤلاء الشيعة عن الشيعة في عهد جعفر الصادق ، حين نشأ المذهب الكلامي للشيعة ، وعن الشيعة الذين يؤمنون بعقيدة الاثني عشرية ، وعن الشيعة الزيدية الذين يقتر بول من أهل السنة ، وعن الاسماعيلية الذين يبتعدون عن أهل السنة وعن الاثني عشرية . وهذه الاختلافات كلها تجعل التشيع « ظاهرة مركبة معقدة » (١) .

تاريخ بدء التشيع :

اختلف الفقهاء والمؤرخون والكتاب حول تاريخ بدء التشيع لعلي بن ابي طالب فيرى البعض ان هذا التشيع قد بدأ في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام (٢) :

- (١) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١ - ٢ .
- (٢) يرى الكاتب الشيعي محمد الحسين كاشف الغطاء (اصل الشيعة وأصولها) ص ٨٧ أن بذور التشيع وضعت مع بذور الاسلام . ويرى الكاتب الشيعي محمد الحسين المظفري (تاريخ الشيعة ص ٨ - ٩) أن الدعوة الى التشيع بدأت منذ دعا الرسول الى أنه « لا اله إلا الله » ويعتمد على قول الرسول لبني هاشم عن علي بن ابي طالب : « هذا أخي ووارثي ووزير ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا » . ويرى الكاتب الشيعي محمد حسين الزين العمالي (الشيعة في التاريخ ص ٢٥) انه كان من بين صحابة الرسول أربعة من الشيعة علي وهم أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر . وذكر ان عدد من بايع علياً في يوم غدِير خم كان أربعين ألفاً وهم شيعته . ويرى محمد كرد علي ، وهو ليس شيعياً (مخطوط الشام ج ٥ صفحة ٢٥١) انه كان من بين صحابة الرسول من هم شيعة علي ، وهم : سلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفاري ، وحذيفة بن اليمان ، وخديجة بن ثابت ، وأبو أيوب الانصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وقيس بن سعد بن عبادة .

ويرى فريق آخر انه ظهر بعد وفاة الرسول (١) ، وبأذهب فريق ثالث الى ان التشيع قد ظهر في خلافة عثمان بن عفان نتيجة انتشار آراء عبد الله بن سبأ (٢) ، ويرجع فريق رابع التشيع الى ما بعد التحكيم ثم مقتل علي بن ابي طالب (٣) بينما يربط فريق خامس بين التشيع ومقتل الحسين بن علي في كربلاء (٤) .

ولا نجد هذا الاختلاف الواضح في تاريخ الفرق الأخرى ، لأن عمائد الفرق ظهرت وثيقة الاتصال بالاحداث التاريخية ، فقد ارتبطت عقيدة الخوارج — مثلاً — بمحادثة التحكيم ، أما بالنسبة للتشيع ، فقد كانت هناك عدة احداث تاريخية لها أثرها في المذهب الشيعي ، فاختلف الباحثون في مدى أهمية كل منها وعدها. نقطة البداية في نشأة المذهب ، ومن هذه الأحداث وفاة النبي وتختلف علي عن اجتماع السقيفة وفتنة عثمان ، والتحكيم ومقتل عسلي ، ومصرع الحسين (٥) .

(١) ذكر يعقوبي في تاريخه (ص ١٣١) انه امتنع بعض كبار المهاجرين عن البيعة لأبي بكر ورأوا ان علياً كان أحق بالخلافة من الصديق . ويرى الدكتور احمد أمين (ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٠٩) ان موقف هؤلاء الصحابة (ومنهم سلمان وأبو ذر والمقداد) كان بداية التشيع ويذكر المستشرق جولد تسيهر (العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٧٤) انه ظهر حزب من كبار الصحابة لم يوافق على اختيار ابي بكر وعمر وعثمان للخلافة وفضل اختيار علي بن أبي طالب .

(٢) يربط الملطي (التنبيه والرد ص ٢٥) بين تعاليم ابن سبأ وبداية التشيع .

(٣) أدى مقتل علي بن أبي طالب الى تبلور تعاليم الشيعة البيئية وانشارها ، فزعم ابن سبأ ان المقتول لم يكن علياً ، وانما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي ، وان علياً صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم (البندادي : الفرق بين الفرق ص ١٣٤) وزعت السبئية أن علياً في السحاب (الملطي : التنبيه والرد ص ٢٥) ، ونادت السبئية بالرجعة وذهبت الى ان علياً قد صعد الى السماء وانه سينزل الى الدنيا وينتقم من اعدائه (البندادي : الفرق بين الفرق ص ١٤٣) .

(٤) يرى المستشرق برنارد لويس (أصول الاسماعيلية ص ٨٦) ان مصرع علي ثم أسامة كربلاء كان لها أثرها في ظهور (التشيع الثوري ذي الصبغة المهدوية) .

(٥) دكتور احمد محمود صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٢٨ .

كانت جماعة الشيعة عند أول ظهورها جماعة سياسية ، تدعو الى احقية علي ابن ابي طالب بالخلافة . ولم تكن هذه الجماعة حزباً نظامياً او رابطة موحدة بل كانوا افراداً كثيرين ، متفرقين في مختلف الامصار الاسلامية يدفعهم الى تأييد علي بن ابي طالب حبهم وولاؤهم للرسول صلى الله عليه وسلم وآله رضي الله عنهم . وكان من بينهم عدد من كبار الصحابة ، وعدد من الانصار (١) .

حتى اذا اصبح علي بن ابي طالب الخليفة الرابع ، اعتبره شيعته الامام والوصي . فقد خطب مالك الاشر الناس فقال :

« أيها الناس ، هذا وصي الاوصياء ، ووارث علم الانبياء » (٢) .

وفي رواية لابن النديم (٣) نرى ان علي بن ابي طالب يطلق على انصاره « شيعتي » ، ولكننا نرى ان مفهوم « الشيعة » لم يزد عن مفهوم الفاظه « انصار » أو « مؤيدين » او « اصحاب » لأن علياً اطلق على شيعته اسماء اخرى منها « الاصفياء » و « الاولياء » و « الاصحاب » وخاصة ان معاوية بن ابي سفيان قد اطلق ايضاً لفظ « الشيعة » على انصاره (٤) . كما تحدثت صحيفة التحكيم عن شيعة علي ، وعن شيعة معاوية (٥) .

ويرى الدكتور طه حسين (٦) ان التشيع بالمفهوم المتداول بين الفقهاء ومؤرخي

(١) قام الكاتب الشيعي محسن الأمين العاملي باحصائية لمن انضم الى علي بن ابي طالب في موقعة صفين ، فذكر انه كان من بينهم ٨٧ انصارياً ، و ٩٠٠ من شهدوا بيعة الرضوان ، بلغ عدد الصحابة ٢٨٠٠ صحابي (أعيان الشيعة ص ٣٧) .

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٥١ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٩ .

(٤) قال معاوية لسر بن أرطاة حين بعثه الى بلاد اليمن : « امعن حتى تأتي صنعا فان لنا بها شيعة » .

(٥) ابن قتبية : الامامة والسياسة ج ١ ص ١٤٠ .

(٦) طه حسين : علي وبنوه ص ٩٠ .

يؤيد الدكتور النشار هذا الرأي فيقول :
« لم يظهر مصطلح الشيعة حتى ذلك الوقت دلالة على اتباع علي بالذات » (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٩) .

الفرق المتكلمين لم يظهر في عهد علي بن ابي طالب ، وأن مفهوم الشيعة في حياته هو نفس المعنى اللغوي القديم ، كما جاء في القرآن الكريم (فاستنائه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وفي قوله عز وجل (وان من شيعته لابراهيم) وان الشيعة هنا تعني الاتباع والانصار . لذا يرى الدكتور طه حسين انه لم تكن لعلي شيعة بالمعنى المفهوم لهذا اللفظ ، وانما كان له انصار واتباع .

أثر جهاد الإمام الحسين في تبلور التشيع :

كان مصرع الحسين بن علي في كربلاء هو الحدث التاريخي الكبير الذي أدى الى بلورة جماعة الشيعة ، وظهورها كفرقة متميزة ذات مبادئ سياسية وصبغة دينية وفي الحقيقة ، لا يمكن تفسير دعوة شيعة الكوفة للحسين ثم خذلانهم له الا بضعف العقيدة في نفوسهم في ذلك الوقت (١) . وكان لمأساة كربلاء اثرها في نمو روح الشيعة وازدياد انصارها ، حتى انه يمكن القول ان الحركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم (٢) .

وظهرت جماعة الشيعة بعد مقتل الحسين كجماعة منظمة ، تربطها روابط سياسية وآراء دينية ، لها اجتماعاتها وزعمائها ثم لها قواتها العسكرية ، وكانت جماعة « التوابين » (٣) اول مظهر لذلك كله ، فيقول المسعودي (٤) :

« وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة ، وتلاقوا بالتلاوم والنادام حين قتل الحسين فلم يغيثوه ، ورأوا انهم قد اخطأوا خطأ كبيراً بدعاء الحسين

(١) الخربوطلي : تاريخ العراق ص ١٢٣ .

(٢) فيليب جتي : تاريخ العرب ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٣) كان التوابون يستشهدون دائماً بقوله سبحانه وتعالى :
(فتوبوا الى بارئكم . فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٠-١٠١ .

ايهم ولم يجيبوه ولقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك
البحرم الا قتل من قتله او القتل فيه ، ففزعوا الى خمسة نفر منهم : سليمان بن
صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبد الله بن سعد بن نفيل
الازدي . وعبدالله بن وال التميمي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، فمكروا
بالنخبة .»

ويصف الطبري (١) تباور جماعة الشيعة بعد مصرع الحسين في جماعة
التوابين فيقول : « فلم يزل القوم في جمع آله الحرب والاستعداد للقتال ودعاء
الناس في السر من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم
بعد القوم والثغر بعد الثغر ، فلم يزالوا كذلك حتى مات يزيد بن معاوية .

كما بدأت عملية تنظيمية لجماعات الشيعة في بعض المدن فقد كتب سليمان
ابن صرد زعيم التوابين الى شيعة المدائن ، والى شيعة البصرة ، يحثهم جميعاً
على الانضمام الى حركة التوابين ، فاستجابوا الى دعوته (٢) .

وبدأت جماعة الشيعة تأخذ طابعاً دينياً حتى غلب الجانب الديني فسي
التشيع الجانب السياسي (٣) وبينما كانت الشيعة بعد وفاة الرسول صلى الله
عليه وسلم لا تتعدى طائفة قليلة من الناس يرون علي بن ابي طالب - لصفات
فيه - أحق الناس بالامامة ، وبينما ناصر كثير من المسلمين علياً حينما آل
اليه الامر بعد مقتل عثمان لأنه امام المسلمين ، او لأسباب أخرى ، فان دماء
الحسين التي اريقت - وهي دماء حفيد الرسول - قد ركزت الانتباه الى مدى
ما لاقاه آل بيت النبي من اضطهاد وقتل ، ومن ثم اصبح التشيع مقروناً
بأحقية آل البيت (٤) .

(١) تاريخ الطبري : ج ٧ ص ٤٦ .

(٢) البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٠٦ .

(٣) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٧٦ .

(٤) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٤٨ .

ونجح عن مقتل الحسين - كما يقول ستانلي لينبول - تشيع كثير من الموالي فقد اعتبروا الحسين مثلاً أعلى للتضحية وتحمل العذاب والشدائد من أجل البشرية وكانت طبيعة الفرس تميل نحو انكار الذات ، ولذا كانت تضحية الحسين تسابير الاستعداد الطبيعي للفرس (١) .

افتقدت الشيعة بمصرع الحسين الزعيم الذي يكون محوراً لجماعتهم وتنظيمهم والذي يقودهم الى تحقيق تعاليمهم ومبادئهم . وانصرف الامام علي زين العابدين عن السياسة الى الدين وعبادة الله عز وجل (٢) ، وأصبح للشيعة زعيماً روحياً . ولكنه لم يكن الثائر السياسي الذي يتزعم جماعة الشيعة حتى انه اثر البقاء في المدينة المنورة طوال حياته (٣) . وحاول المختار بن ابي عبيد الثقفي ان ينتزع علياً من حياة التعبيد والاشتغال بالعلم الى ميادين السياسة دون جدوى ، فقد « كتب المختار كتاباً الى علي بن الحسين السجاد ، يريد به علي ان يبايع له ، ويقول بامامته ، ويظهر دعوته ، وأنفذ اليه مالا كثيراً ، فأبى علي ان يقبل ذلك منه او يجيبه عن كتابه وسبه على رموس الملائني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب ، فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريد به على مثل ذلك ، فأشار عليه علي بن الحسين ان لا يجيبه الى شيء من ذلك » (٤) .

وكان عبدالله بن الزبير يطمع في الخلافة ، ولذا انتهز فرصة مصرع الحسين

(١) S. Lane Poole : Studies in a mosque P. 218.

(٢) ذكر الساعدي (حياة الامام علي بن الحسين ص ٣٢٠) ان علياً كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان من رواة الاحاديث ، واشتهر باسم السجاد وزين العابدين وذوي الثننات .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٤ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٨٣ .

ابن علي (١) ، وركون ابنه علي زين العابدين الى الهدوء ، فأعلن بيعته بالخلافة في بلاد الحجاز (٢) ، وامتد نفوذه الى معظم الامصار الاسلامية . وانضم المختار في أول الأمر الى ابن الزبير ، حتى اذا لم يحقق ابن الزبير اطماعه في السلطة والنفوذ رأى ان يكون التشيع وسيلة لتحقيق تلك الاطماع العريضة ، فحاول كما رأينا - الاتصال بعلي بن الحسين ، حتى اذا أخفق تحول الى محمد بن علي ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية . وقد قدر ابن الزبير موقف علي بن الحسين فلم يكن ضمن قائمة من اضطهدهم ابن الزبير من بني هاشم (٣) .

امتد نفوذ ابن الزبير الى بلاد العراق ، حيث يعتنق كثير من أهلها مذهب التشيع ، وكانت الشيعة لا تزال تعاني من احزانها وآلامها بعد فاجعة كربلاء ومصراع الحسين ، وأملت الشيعة ان يثار ابن الزبير لزعيمها أبي الشهداء ، وخاصة ان الشيعة وابن الزبير يجتمعان على عداء الدولة الاموية ، ولكن ابن الزبير لم يحقق للشيعة آمالها (٤) ، ولذلك رأت الشيعة ان تثار بنفسها لنفسها من قتلة الحسين ، فكانت حركة التوابين ، وتكررت اخطاء ابن الزبير ، فقد امتنع عن ان يقدم الى التوابين من المعاونات المادية والعسكرية ما يحقق لهم الانتصار ، فانتهت حركتهم بالاختفاق (٥) .

- (١) انظر نص الخطبة التي القاها ابن الزبير في مكة بعد مقتل الحسين في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٤ .
- (٢) روى الطبري « فثار اليه - أي ابن الزبير - اصحابه فقالوا له : أيها الرجل اظهر بيعتك فانه لم يبق احد اذ هلك الحسين ينازعك هذا الامر . وقد كان يبايع الناس سرا ، ويظهر انه عاثر بالبيت » . الطبري ج ٤ ص ٣٦٤ .
- (٣) اضطهد ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٠ ، المسمودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧ .
- (٤) اخطأ ابن الزبير في اختياره لابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، ضمن عماله في الكوفة ، وكانت الشيعة تبغض أباه ، كما اضطهد أيضاً واليه عبدالله بن مطيع شيعة الكوفة « فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم » (اليعقوبي ج ٣ ص ٥) .
- (٥) لقي التوابون الهزيمة في موقعة عين الوردة على يد الجيش الاموي بقيادة عبيد الله بن زياد سنة ٦٤ هـ . وكانت حركتهم قد بدأت سنة ٦١ هـ . (الطبري ج ٧ ص ٤٦ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٨ وما بعدها ، البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٠ وما بعدها) .

جهاد الشيعة في العراق :

أصبحت بلاد العراق بعد مصرع الحسين ، مركزاً لنشاط الشيعة ، وقد بدأت حركة التوابين سنة ٦١ هـ بعد فاجعة كربلاء مباشرة ، وكانت نهايتها سنة ٦٤ هـ (١) لتبدأ حركة شيعية أخرى هي حركة المختار الثقفي ، وكان المختار من عوامل اخفاق حركة التوابين ايضاً ، فقد رأى ان يتولى قيادة هذا التنظيم الشيعي الذي أصبح يحمل اسم التوابين (٢) .

وقام المختار الثقفي بدور كبير في تاريخ الشيعة في العصر الاموي ، وامتد تأثيره الى مطلع العصر العباسي . وكان المختار قد توجه بولائه في أول الامر الى ابن الزبير - كما شهدنا - ثم حاول تحويل ولائه الى علي بن الحسين فأخفق ، فرأى أخيراً ان يتجه بولائه الى محمد بن الحنفية ، فهو محتاج الى هذا الولاء بلحذب قلوب الشيعة وتأييدهم له . وكان المختار قد عرض علي ابن الحنفية ان يتولى الثأر للحسين من قتلته فقال « اني لأحب ان ينصرنا ربنا ويهلك من سفك دماءنا ، ولست أمر بحرب ولا اراقة دم » (٣) .

واستفاد المختار من هذا اللقاء ، ومن هذه العبارة العامة المشروطة ، فرحل الى العراق حيث أعلن لأهلها أنه « وزير » و« أمير » ابن الحنفية وانه فوضه في الثأر لآخيه الحسين . وشكت الشيعة في أمر المختار ، فبعثت بمندوبين

(١) اتخذت حركة التوابين في اول امرها طابعاً سرياً ، وكانوا قد اتفقوا على اعلان الثورة في آخر ربيع الثاني سنة ٦٥ هـ . ولكنهم رأوا التعجيل بالثورة في شهر ربيع الأول من سنة ٦٤ هـ حينما تنهى الى اسماعهم موت الخليفة الأموي يزيد بن معاوية (البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٠٦) .

(٢) روى المسعودي (مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩) : « فكان المختار اذا دعا الشيعة الى نفسه والى الطلب بدم الحسين قالوا : هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها . فيقول : ان سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال فلم يزل حتى انشعبت اليه طائفة منهم » .

(٣) البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٣ .

عنها الى الحجاز للوقوف على رأي ابن الحنفية ، فقال لهم : « ما أحب الينا من طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا » (١) .

ونجح المختار فيما اخفق فيه التوابون ، فقد قتل كثيراً من قتلة الحسين (٢) ، كما بعث جيشاً نجح في قتل عبيد الله بن زياد الذي وجه الجيش لقتال الحسين (٣) . وأبدى علي بن الحسين ، رغم موقفه السابق ، من المختار سروره لمصرع ابن زياد (٤) . ونجح المختار في ان يتزعم الشيعة ، ويطور آراءهم ، ويقودهم لمناهضة ولادة ابن الزبير بالعراق (٥) معتمداً على التأييد الذي ابداه ابن الحنفية له في أول الأمر .

مرت العلاقات بين المختار وابن الحنفية بعدة مراحل ، وقد شهدنا المرحلة الأولى منها ، وخلالها استمال المختار الشيعة خاصة وسائر الناس عامة : بالتقرب الى بني هاشم ، فكانت هداياه تصل الى ابن الحنفية وعبدالله بن العباس وغيرهما من الهاشميين (٦) وبذلك أصبح المختار نصير آل البيت النبوي ، في وقت يضطهدهم فيه الخلفاء الامويون وولاتهم ، وعبد الله بن الزبير ، على السواء .

ظهور جماعة الشيعة الكيسانية :

ثم بدأت مرحلة جديدة ، حين أراد المختار تطوير آراء الشيعة ، مما يحقق

-
- (١) اليعقوبي : ج ٣ ص ٥ .
 - (٢) ابن قتيبة : الامام والسياسة ج ٢ ص ٢٣ .
 - (٣) بعث المختار بجيشين بقيادة يزيد بن انس و ابراهيم بن الاشر فنجحا في قتل ابن زياد(الطبري ج ٧ ص ١٤٤) .
 - (٤) روى اليعقوبي في تاريخه ج ٣ ص ٦ ان علياً (لم ير ضاحكاً قط منذ قتل أبوه الا في ذلك اليوم) .
 - (٥) نجح المختار في الاستيلاء على قصر امارة الكوفة وبيت مالها واستمال الناس بالاموال (ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٩٥) .
 - (٦) الهاذري : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٢٧٠ .

له السلطة والنفوذ ، ومما يرضي اتباعه وانصاره من الموالي الفرس . أما الهدف الأول ، فيبدو في دعوة المختار الى ان الدين طاعة رجل ، حتى حملهم ذلك تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وغير ذلك على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل : وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ، ولا يجوز ان يموت حتى يرجع . ومن يعتقد حقيقة الامامة الى غيره ، ثم منحسر عليه ، متحير فيه ، ومن مدع حكم الامامة وليس من الشجرة (١) .

كما ذهب المختار الى انه يجوز البداء على الله تعالى (٢) ، ولذا كان المختار « اذا وعد أصحابه بكون شيء وحلوث حادثة فان وافق كونه جعله دليلاً على صدق دعواه ، وان لم يوافق قال بدا لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداءة » (٣) . وروى ابن الاثير (٤) ان المختار اشترى كرسياً قديماً من بائع زيت ، وأزال منه ما علق به من زيت ، وقال لأتباعه : انه لم يكن في الامم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وان كان في بني اسرائيل التابوت ، فان هذا - أي الكرسي - فيما مثل التابوت .

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٦ . ويقول الشهرستاني في آخر هذا النص عن المختار واتباعه « وكلهم حيارى متقطعون ، ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ... »

(٢) فسر الشهرستاني معاني البداء فقال : « البداء في العلم وهو ان يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . والبداء في الامر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بغيره بخلاف ذلك ، ومن لم يجوز النسخ ظن ان الاوامر المختلفة في الاوقات المختلفة متناسخة » . (الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٠٨ .

ويرى المستشرق بروكلمان (١) ان المختار حين نادى بهذه الآراء الغربية كان يريد تعويض ما كان يشعر به من نقص ، حيث لم يكن له حق في الخلافة ، بينما يرى الدكتور الحروبوطلي(٢) ان تعاليم المختار هي التعاليم التي كانت تناسب تماماً موالي العراق من الفرس(٣) .

وساءت العلاقات بين المختار وابن الحنفية « فخاف من جهة الفتنة في الدين فأراد قدوم العراق ليصير اليه الذين اعتقدوا امامته(٤) » . وكان هذا التحول في موقف ابن الحنفية من عوامل ضعف حركة المختار في بلاد العراق ، والتعجيل بنهايتها على يد مصعب بن الزبير (٥) .

ترتب على حركة المختار الشيعية ظهور فرقة(الكيسانية)(٦)، وربط الشهرستاني تعاليمها بتعاليم المختار ، وهي ان الدين طاعة رجل ، وانه يجوز البدء على الله تعالى ، في العالم والارادة والأمر ، مع عدم التفريق بين النسخ والبداء(٧). كما اعتقدت الكيسانية برجعة محمد بن الحنفية ، فهو مقيم بجبل رضوى : وانه حي لم يموت ، وانه في انتظار اذن الله له بالخروج ، لينشر العدل في الأرض(٨) ويرى البغدادي(٩) ان الكيسانية قد تأثرت بتعاليم السبئية الغلاة(١٠)

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٥٩ .

(٢) تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ص ١٤٩ .

(٣) كان معظم انصار المختار من الموالي الفرس ، الذين يسمون « الجند الحمراء » (الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٩٦) .

(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣١ .

(٥) التقى جيش مصعب بجيش المختار عند « حروراء » وانتهى القتال بمصرعه (الطبري ج ٧ ص ١٥٧) .

(٦) بحث الدكتور الحروبوطلي شخصية كيسان ، وذكر آراء مؤرخي الفرق ، وانتهى الى ترجيح ان يكون المختار هو كيسان (تاريخ العراق ص ١٥١) .

(٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٨) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤ وابن نشوان : الحور العين ص ١٧١ .

(٩) الفرق بين الفرق ص ٣١ .

(١٠) وهم غلاة الشيعة انصار عبد الله بن سبأ، وهو رجل يهودي تظاهر باعترافه الاسلام وتشيع لعلي بن ابي طالب ودعا الى تعاليم تخالف الاسلام ، ولكنها لاقت نجاحاً في بعض الامصار ، وكانت من عوامل الثورة ضد عثمان ، فتنادى السبئية بحلول الجزء الالهي في الامام وتجعل له نصيباً في الالهية نفسها ، ويعتبرون الامام شخصاً مقدساً وينادون برجعة الامام من مقره بالسما .

ومنها قولهم بتناسخ روح الاله في الانبياء ، وانها انتقلت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى علي بن ابي طالب ثم إلى الأئمة من ابنائه .

ورأت الشيعة الكيسانية ان الأئمة اربعة ، وهم علي بن أبي طالب وبنوه الثلاثة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، ويتضح هذا الرأي في هذه الابيات من الشعر (١) :

الا ان الأئمة من قريش	ولاة الحسق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيهم	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى	يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب فلا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده عسل وماء

فرقة الشيعة الإمامية :

والى جانب فرقتي السبئية والكيسانية ، كانت هناك فرقة الشيعة الامامية ، التي ترى ان محمد بن الحنفية ليس من أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان الحسين أوصى بالامامة الى ابنه علي (٢) . وان شروط الامامة وان نصت نظرياً على وجوب تعيين الامام لمن يخلفه ، فحين قتل علي الاكبر ابن الحسين انتقلت الامامة الى ابن الحسين الآخر وهو علي الاصغر الذي لقب بعدئذ بزین العابدين ، وكان أحد الخمسة الذين نجوا من القتل في كربلاء (٣) . وتذكر مصادر الشيعة الامامية ان امامة علي زين العابدين

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٥

(٢) الكليني : أصول الكافي ص ١١٠ ، الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) رونلدسن : عقيدة الشيعة . أما الاربعة الآخرون الذين نجوا من القتل عدا علي زين العابدين ، فهم عمته وأخوه عمر ، وأختاه .

قد نص عليها جده علي بن أبي طالب ، وأبوه الحسين بن علي ، وتذكر بعض الروايات أن الحسين أودع وصية أم سلمة زوجة النبي وفيها عهده الى الامام زين العابدين(١) .

اختار علي زين العابدين الامامة الروحية التي تقربه من أقطاب الصوفية وتبعده عن رئاسة الاحزاب السياسية او زعامة الفرق الدينية : ونتج ذلك اتجاه شيعة العراق الى محمد بن الحنفية ، نتيجة رغبتها في الاستمرار في الكفاح ، وهكذا تأرجحت الشيعة بين هؤلاء ابن الحنفية وبين موالاته علي زين العابدين ، فكان الانقسام بين الكيسانية والامامية ولكن وان رجحت كفة ابن الحنفية لظروف سياسية أو حربية مؤقتة ، فقد كان قادراً محتملاً ان يبقى التشيع في ذرية من ينتسب الى فاطمة ، ولذا بقيت الامامية وانتهى امر الكيسانية (٢) .

وسار الامام محمد الباقر(٣) علي سياسة أبيه علي زين العابدين ، في التمسك بالامامة الروحية ، والابتعاد عن خوض ميادين السياسة ، ولذا لم يكن له دور في تاريخ الشيعة السياسي ، وان كان له دوره في رواية الاحاديث النبوية : وفي تطوير علم الكلام(٤) ، كما هاجم محمد الباقر غلاة الشيعة وتبرأ منهم وطالب الشيعة بأن يقفوا موقفاً وسطاً(٥) .

(١) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٣٤ .

(٢) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٣٥٥ .

(٣) كان مولد محمد الباقر سنة ٥٧ هـ ، وكان في الرابعة من عمره حين قتل جده الحسين في كربلاء ، وترجع تسميته بالباقر الى حديث للرسول لجابر بن عبدالله الانصاري : يا جابر انك ستعيش حتى تدرك رجلاً من اولادي اسمه اسمي يبقّر العلم بقراً فاذا رأيته فاقرئنه مني السلام . (تاريخ البعقوبي ج ٣ ص ٦١ ، ابن الصباغ الفصول المهمة ص ١٩٢ ، الديار بكرزي تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٦) .

(٤) الكليني : اصول الكافي ص ٩٠٤ وما بعدها .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٤ . قال الباقر : شيعة آل محمد ، كونوا النمرقة (الوسادة) الوسطى .

وان كنا نطلق تعبير (الشيعة الامامية) على اللتفين حول علي زين العابدين ثم محمد الباقر ، الا انه في الحقيقة لم تظهر كلمة (الامامية) في عهد الباقر ، انما كان اتباعه هم المقتصدين من الشيعة . ويبدو انهم كانوا في عهد زين العابدين والباقر قلة في المدينة وفي الكوفة . أما بقية الشيعة فقد تقاسمتهم الكيسانية بفرقها المختلفة ، والغلاة بحركاتهم القاسية ، بينما كانت العباسية او الرافدية تثبت اقدمها في خراسان(١) .

بعد اختفاء محمد بن الحنفية ، تولى امامة الشيعة الكيسانية ابنه ابو هاشم فدخل تاريخ هذه الفرقة في دور جديد . وهو الذي عهد بوصيته وعهده الى محمد بن علي العباسي ، مما أدى الى ظهور الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ . وخلال فترة انتشار هذه الدعوة العباسية (١٠٠ - ١٣٢ هـ) قامت ثورات شيعية عنيفة ، أبرزها ثورة زيد بن علي زين العابدين (٢) وابنه يحيى ، وثورة عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب . وظهر العباسيون جنباً الى جنب مع الشيعة على مسرح الاحداث ، وتغيرت صور العلاقات بين الفريقين ، وبين التعاون او الصدام ، وكانت هذه العلاقات هي التي حددت موقف الشيعة من الدولة العباسية عند قيامها ، مما سيكون موضع دراستنا في الباب الأول من هذا البحث .

-
- (١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٣٦ .
(٢) كان مولد زيد بن علي سنة ٨٠ هـ وقد مات أبوه علي زين العابدين وهو في الرابعة عشرة من عمره فكفله أخوه الأكبر محمد الباقر الذي كان له ابن في عمر زيد وهو جعفر الصادق .

٢- أثر جهاد

الشيعة في سقوط الدولة الاموية

يدرس هذا الفصل دور الشيعة في سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية وقد كان هذا الدور هو الذي حدد موقف الشيعة من خلفاء العصر العباسي الأول .

وقد درسنا في الفصل السابق نشأة التشيع وتطوره ، ووصلنا بدراستنا الى تولي ابي هاشم امامة الشيعة الكيسانية . كما شهدنا انصراف كل من الامام علي زين العابدين ومحمد الباقر الى الامامة الروحية دون الخوض في مسائل السياسة . ثم شهدنا ظهور الامام زيد بن علي الذي أعلن ثورة عنيفة ضد الدولة الاموية .

استفادة الدعوة العباسية من جهاد الشيعة في العصر الأموي :

بدأت الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ (١) ، بعد ان عهد ابو هاشم بن محمد بن الخنفية زعيم الشيعة الكيسانية بوصيته وعهده الى محمد بن علي العباسي . وقد استفاد العباسيون من جهود الشيعة التي بذلوها طوال العصر الاموي ، وقد كان كفاح الشيعة وثوراتهم من معاول هدم الدولة الاموية . واستمرت الدعوة العباسية وراء الدعوة للرضا من آل محمد ، فكسبت بذلك ولاء كثير من المسلمين الذين يريدون تحويل الخلافة الى البيت الهاشمي ، أي بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخاصة من الموالي الفرس (٢) .

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٤ .

(٢) الفخري : ص ١١٥ وما بعدها .

وقامت خلال فترة انتشار الدعوة العباسية (١٠٠ - ١٣٢ هـ) ثورات شيعية عنيفة ، قام بها زيد بن علي وابنه يحيى ، وعبد الله بن معاوية ، وقد شغلت هذه الثورات الخلفاء الامويين عن التفرغ لمواجهة الدعوة العباسية الآخذة في الاتساع والانتشار كما استنفذت هذه الثورات كثيراً من جهود الدولة الاموية ، مما دعم الدعوة العباسية وأفسح لها الطريق .

واختلفت مواقف العباسيين من هذه الثورات العلوية ، وكانت الفترة بين ١٠٠ - ١٣٢ هـ فترة حاسمة حددت شكل العلاقات بين العلويين وشيعتهم من جانب ، والبيت العباسي من جانب آخر ، وأصبح الوقوف على أحداث تلك الفترة التي ازدحمت بالاحداث يفسر للباحثين عوامل قيام حركات الشيعة في العصر العباسي الأول ، فقد كانت فترة اتصال واحتكاك ، اختلفت الاحوال فيها بين التعاون والصدام ، وكان الجميع يشتركون في نضال وكفاح الدولة الاموية ، مما شغلهم عن وضع أبعاد وحدود ثابتة لمناهجهم وأهدافهم الحقيقية .

وتطورت الأمور ، وأثمر النضال والكفاح وسقطت الدولة الأموية ، واتضح الحقيقة وتبلورت الأوضاع وقامت خلافة عباسية ، واثارت اشجان العلويين ، وظهر السخط بين الشيعة على العباسيين ، وادركت الشيعة ان العباسيين قد استفادوا من جهودهم وأنهم خدعواهم باستئثارهم بالخلافة والحكم دون العلويين ، مما أدى الى قيام حركات الشيعة الثورية التي شهدها العصر العباسي الأول .

أصبح أبو هاشم امام الشيعة الكيسانية بعد أبيه محمد بن الحنفية(١) . وقد بدأ نشاطاً واسعاً أثار قلق وخوف الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك(٢) ،

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢) اشتهر ابو هاشم بالعلم والبلاغة وطلاقة اللسان ، واعتبره أهل خراسان الامام بعد وفاة أبيه ابن الحنفية (الاصفهانى : مقاتل الطالبين ص ٩١) .

ولذا رأى الخلاص منه ، فدعاه الى القدوم الى العاصمة دمشق حيث رحب به ثم دس له من سمه وهو في طريقه الى الحجاز سنة ٩٨ هـ .

أدرك أبو هاشم قرب منيته ، فاتجه الى الحميمة ، حيث كان يقيم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وقال له : « يا ابن عم أنا ميت ، وقد صرت اليك ، وهذه وصية أبي الي وفيها ان الأمر صائر اليك والى ولدك ، والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به » ثم قال : « وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً ، وهؤلاء دعائك وانصارك فاستبطنهم ، فاني قد بلوتهم بمحبة ومودة لأهل بيتك » (١) .

وتذكر المصادر التاريخية القديمة ان أبا هاشم أفضى الى محمد بن علي بأسرار الدعوة الهاشمية التي حمل لواءها نحو خمس عشرة سنة ، وأرشده الى وسائل الاستمرار في الدعوة ، وأمهه بأسماء داعي دعائه في الكوفة ، ومن يليه من الدعاة ، كما سلمه رسائل كتبها الى شيعته وأعوانه في العراق وخراسان ، يخبرهم فيها بدنو أجله ، وبأنه أوكل أمر الدعوة الى محمد بن علي العباسي ، والى ولده من بعده ، ويطلب منهم القصد اليه والتعرف به ، والامثال لأوامره « فصارت الوصية في بني العباس من تلك الجهة » (٢) .

قضية ميراث الكيسانية في ميزان التاريخ :

هذه هي خلاصة لما روته المصادر التاريخية القديمة ، وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تعليقاتهم على هذه الحادثة التاريخية الهامة . فيرى فلهوزن (٣) في

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٠ .

(٢) الاصفهاني مقاتل الطالبين ص ١٢٦ - انظر ايضاً : (طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٤٠ - ٢٤١) ، (اليعقوبي ج ٣ ص ٤٠) ، (المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٩٢) ، (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧) . (ابن قتيبة : المعارف ص ٩٥) .

(٣) الحوارج والشيعة ص ٢٤٨ .

كتابه « الخوارج والشيعة » ان العباسيين بنوا شرعية حقهم في الخلافة علي أساس الادعاء ان ابن محمد بن الحنفية ووريثه ، وهو أبو هاشم ، قد تنازل عن حقه للعباسيين . ويذكر (فلهوزن) أيضاً في كتابه «الدولة العربية» ان رواية التنازل على الارجح مخترعة ، ولكن اختراعها كان منذ زمن مبكر ، لأن لها شواهد قوية ، ولولا ذلك لحدّر العباسيون فيما بعد من أن يقيموا حقهم على مثل هذا الاساس . وهذه الرواية تتضمن أيضاً قدراً من الحق ، فقد كان أبو هاشم ، في الواقع سلفاً لمحمد بن علي العباسي ، وان كان يجوز انه لم يعينه خليفة له تعييناً حقيقياً . وقد كان لأبي هاشم حزبه الخاص ، وكان اتباعه يسمون الهاشمية ، وهم بعد ان مات ابو هاشم قد صاروا الى محمد بن علي . وبحسب ما جاء في الطبري كان علي رأسهم خداهش ، وهو من أكبر دعاة الشيعة نجاحاً ، وكان في أول الأمر يدعو الى محمد بن علي . وعلى هذا ففي خبر تلك الوصية شيء من الحق ، فالعباسيون والواأبا هاشم لكي يضموا الهاشمية الى دعوتهم (١) .

ويرى المستشرق (رونلدسن) (٢) ايضاً ان أبا هاشم قد تنازل عن حقه في الخلافة الى محمد بن علي العباسي بحضور شهود من الكيسانية . أما (فان فلوتن) (٣) فهو يؤكد قصة هذا التنازل ، وان كان التنازل قد أصبح حقيقة واقعة ، فيقول : ان تاريخ استخلاف ابي هاشم لابناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد يجمله من له بعض الامام بالتاريخ الاسلامي . ويقال ان أبا هاشم لما شعر بدنو أجله أوصى الى ولد العباس بحقه في الامامة ، وأمدهم بأسماء داعي دعائه في الكوفة ومن يليه من الدعوة ، كما سلمهم كتباً يقدمونها الى هؤلاء الدعوة ، ومهما يكن من شيء ، فقد رأينا الامام محمد بن علي العباسي يضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبي هاشم .

(١) الدولة العربية ص ٤٧٦ .

(٢) عقيدة الشيعة ص ١٢٣ .

(٣) السيادة العربية ص ٩٢ - ٩٣ .

وينفي المؤرخ (K. V. Zattereeen) الذي كتب مادة (أبو هاشم) في دائرة المعارف قصة تنازل العلويين عن حقهم للعباسيين ، فيذكر ان هذه الرواية وان وردت في أقدم تواريخ العرب ، فان المحققين الآخرين يشكون في صحتها شكاً كبيراً ، ويزوونها الى اختراع شيعة العباسيين الذين أرادوا ان يبرهنوا بهذه الصورة علي حق العباسيين في الخلافة . وقد رد (رونلدسن)(١) على هذا الرأي فقال : ان قوة الشك تخف عندما نعلم ان أبا هاشم قدم مات بالحميمة ، وليس من المستبعد ان يكون لهذا الاتفاق علاقة بتوحيد الجهود بين الكيسانية والعباسيين ضد بني أمية .

ويرى المرحوم الدكتور حسن إبراهيم(٢) ان حق الامامة قد انتقل من البيت العلوي الى البيت العباسي ، ويطلق على ذلك اسم « ميراث الكيسانية » ، ويرى ان أبا هاشم قد تنازل عن هذا الحق لمحمد بن علي العباسي ، ويعلل ذلك بأن أبا هاشم لم يجد بين أفراد البيت العلوي من يستطيع النهوض بأعباء امامة المسلمين ، الى جانب اختلاف اعتقاد الشيعة الامامية انصار اولاد فاطمة .

وفي رأينا ان هذا التنازل ، لم يكن بترتيب سابق او حسب خطة موضوعة بل هو وليد الاحداث ، ونتيجة حتمية للظروف السياسية حينئذ ، فقد خرج أبو هاشم من دمشق عائداً الى موطنه ، ولم يعرج على الحميمة الا بعد ان شعر أن السم الذي دسه له أحد اتباع الخليفة سليمان بن عبد الملك قد سرى في جسده وانه موشك على الموت ، وأدرك حقيقة تلك المؤامرة التي دبرها له الخليفة الأموي ، ورأى ان تستمر الدعوة التي حمل لواءها زهاء خمس عشرة سنة ، وأن يثار من هذا الخليفة الأموي الذي اغتاله بالسم ، وكان قريباً حينئذ من (الحميمة) مركز العباسيين ، فرأى أن يعهد بالدعوة إلى محمد بن علي العباس . ونحن نعتقد انه لو لم تحدث هذه المؤامرة ، ولو طالبت الحياة بأبي هاشم لما كان قد عهد بدعوته الى الامام العباسي ، كما كان هناك تنافس شديد بين

(١) عقيدة الشيعة ص ١٢٣ .

(٢) تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١١ - ١٢ .

فريقي العلويين ، وهما الفريق الحنفي الذي ينتسب أبو هاشم إليه ، والفريق الحسيني الذي ينتسب الى الحسين بن علي .

وكانت ظروف أبي هاشم الشخصية تؤدي الى ما أقدم عليه ، فقد عاش من غير ولد يوصي له بالأمر ، كما كان معظم احفاد جده الامام علي بن أبي طالب صغاراً في السن ، ولم يجد في كبارهم -آنذاك- من يطمح لها ويقبل حمل مسؤولياتها الخطيرة على حين كانت الكثرة والعدد في شباب بني العباس . الذين عاشوا في الأوس مسالمين فأصبحوا شبه عشيرة كاملة ، وهم اليوم على استعداد لمناوأة الامويين وقد ظهر نشاطهم وتكتلهم ، الى حد لفت أنظار خلفاء بني أمية فصاروا يحتاطون له (١) .

ويبدو أن العباسيين أنفسهم رأوا الا يقتصروا على الاعتماد على هذا التنازل الذي أقدم أبو هاشم عليه ، ورأوا انه لا بد لهم من التذرع ببعض الاسانيد الشرعية قبل ان يقدموا على العمل لنقل الخلافة اليهم ، فأذاعوا بين المسلمين انهم من سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبي ، كما ادعوا ان الخلافة تصير الى العم اذا لم يكن هناك وارث ذكر . وهكذا نظروا الى الخلافة على انها تركة تركها النبي تورث وينطبق عليها أحكام الميراث (٢) .

وخير ما يصور رأي الزعماء العلويين ، من غير فرع محمد بن الحنفية ، تلك الرسالة التي بعثها محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، المعروف بالنفس الزكية ، الى الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ، فقد جاء فيها : « ... فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلتنا ، وان أبانا علياً كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده ؟ أحياء ؟ ... » (٣)

(١) الجومرد : أبو جعفر المنصور ص ٤٦ .

(٢) جمال سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ص ١٧٢ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٩٥ - ص ١٩٦ .

وكتب المنصور رداً مطولاً على رسالة محمد النفس الزكية ، فلم يشر الى تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي ، وإنما استند في الحجج التي ساقها لتفضيل العباسيين على العلويين على ان العباس هو وارث النبي ، وليس علي بن أبي طالب ، فكتب المنصور : « ... وأما قولك أنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى يقول في كتابه «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم» (١) ولكنكم بنو ابنته ، وأنها لقراة قريبة ، ولكنها لا تجوز الميراث ، ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الامامة ، فكيف تورث بها ... ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، ان الجلد أبا الأم والحلال والحالة لا يرثون (٢) » .

شيعة العلويين أساس الدعوة العباسية :

أدت حادثة تنازل أبي هاشم للامام العباسي محمد بن علي ، الى نتائج كثيرة هامة ، فقد بدأ كل من العلويين والعباسيين يختطون طريقهم الخاص الذي يوصلهم الى الهدف الذي يطمح الفريقان اليه ، وهو الخلافة ، فقد بدأ العباسيون يسعون من أجل تولي الخلافة ، كما استمر العلويون من أحفاد فاطمة ، يواصلون كفاحهم ضد الدولة الاموية . ورغم ان كلا من الفريقين كان له وسائله ، الا انهما لم ينفصل احدهما عن الآخر تمام الانفصال ، فقد أصبح شيعة العلويين أساساً للدعوة العباسية ، كما أصبح بعض العباسيين أنصاراً لبعض الثورات العلوية (٣) ، التي قامت في اواخر العصر الأموي ولم يقتصر الاتصال بين الفريقين على التعاون بينهما احياناً ، بل كثيراً ما اصطدمت الحركات العلوية بالدعوة العباسية .

(١) سورة الاحزاب رقم ٣٣ آية ٤٠ .

(٢) انظر نص الكتابين في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٥ - ١٩٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٣) انضم ابو العباس وابو جعفر المنصور وعماه عيسى وداود بن علي الى ثورة عبد الله بن معاوية (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٧) .

تسلم محمد بن علي قيادة الدعوة ، وكان عمره حينئذ ثمانية وثلاثون عاماً ،
فجمع أعوانه والرؤساء الدعاة من صحابة سلفه ابي هاشم وخطب فيهم ،
ووزع عليهم الأموال كل في منطقته وأمرهم بحماية خمس الأموال من الشيعة ،
وإعطائها الى صاحب الكوفة ليحملها اليه في الحميمية ، فان لم يستطع ففي مكة
عند كل موسم حج ، ليتصرف في أنفاقها على بث الدعوة واشتروا ان يبقى
اسمه مجهولاً الا عند خاصته ، وان تبقى الدعوة باسم رجل من آل البيت ،
لتكون أكثر قبولاً عند الناس . فكان في عمله هذا أشبه برئيس جمعية سرية ،
تهيء أسباب الثورة (١) .

وجد محمد بن علي العباسي ان كلا من الكوفة وخراسان تصلح لتكون مركزاً
لنشر الدعوة ، لأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ زمن طويل ، ولأن
خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة ، ويعتقدون في نظرية الحق الملكي المقدس
التي كانت سائدة في بلاد الفرس منذ أيام آل ساسان ، هذا الى ما كان يقاسيه
الفرس من الحكم الأموي مما يبسر على العباسيين نشر دعوتهم (٢) .

تحدث صاحب الفخري عن اتجاهات وميول أهل الأمصار ، فقال « أما
أهل الحجاز فقليلون ، وأما أهل الكوفة والبصرة فكان أهل البيت مذعورين
منهم لما جرى منهم على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما
السلام من الخذلان والغدر وسفك الدماء ، وأما أهل الشام ومصر فهو أهم
في بني أمية ، وحب بني أمية قد رسخ في قلوبهم ، فلم يبق لهم - أي للعباسيين -
من يسكنون اليه من أهل الأمصار الا أهل خراسان (٣) .

(١) الجومرد : أبو جعفر المنصور ص ٤٧ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٢ .

(٣) الفخري : ص ١٢٨ .

وصف الامام محمد بن علي العباسي لدعاته احوال العالم الاسلامي حينئذ وميوان وانجاهات أهالي الامصار ، فقال : « أما الكوفة وسوادها (١) فشيعة على ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف ، وأما الجزيرة فحرورية (٢) مارقة وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل منراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يفتح فيها فساد ، وهم حسد لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهامات ولحي وشوارب ، للإسبوات هائلة ، ولغات فخمة تخرج من أجسام منكورة . وبعد فاني اتفائل الى الخراسان راني مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق (٣) .

أخذ العباسيون خراسان مركزاً للدعوة العباسية ، دون بلاد العراق ، لأن العراق كانت قريبة من مركز الخلافة بالشام ، الى جانب تعدد احزاب العراق من شيعة الى خوارج الى معتزلة الى مرجئة وغير ذلك ، فضلا عن وجود جيوش الشام اورجالات بني أمية ووجوه العرب في حواضر العراق ، وكان الولاية الامويون في العراق يتتبعون دائماً الدعاة العباسيين بالحبس والتعذيب والأبداء (٤) ، بينما خراسان تقع في الاطراف البعيدة ، واغلب سكانها من الموالي الساخطين على الحكم الأموي ، وبها أقلية من العرب فرقت العصبية القبلية شملهم .

(١) سواد الكوفة : الارض السوداء الحصبة المحيطة بالكوفة .

(٢) حرورية : وهم الخوارج وقد نزلوا مدينة حروراء قبل اشتباكهم في القتال مع علي بن أبي طالب في موقعة النهروان .

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ج ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٤) الطبري ج ٨ ص ٢٨٣ .

وشاءت المقادير ان تخدم الدعوة العباسية ، فقد تولى الخلافة الاموية عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ) ، وتميز بالعدل والتقوى وحب السلام ، فمنع سب علي ابن ابي طالب من فوق المنابر (١) ، واطلق حرية التنقل للهاشميين ، علويين وعباسيين ، ومنع المظالم والاضطهادات التي كانت تلحق بهم طوال العصر الأموي (٢) . مما أتاح الفرصة للامام العباسي محمد بن علي العباسي في أن يمارس نشاطه ، ويجمع بدعائه في حرية تامة ، ووفر للدعوة العباسية ، وهي ما زالت وليدة ، فرصة هدوء تنمو وتزدهر فيها .

ولذا يعتبر المؤرخون ان سنة ١٠٠ هـ هي نقطة انطلاق الدعوة العباسية السرية. وكان كثير من المسلمين يعتقدون ان نهاية قرن ، وبداية قرن آخر سيكون بشيراً بتغير الاحوال ، وان القرن الحديدي سيشهد خذلان بني أمية وانتصار بني هاشم ، ولذا تفاعل الكثير من حلول سنة ١٠٠ هـ (٣) ، ومن تولى خليفة أكثر عدلاً هو عمر بن عبد العزيز ، وظنوا ان عهد هذا الخليفة سيكون مرحلة انتقال بين حكم أموي وحكم هاشمي . ولكن هذه الآمال العريضة لم تتحقق سريعاً ، فما لبث هذا الخليفة الأموي العادل ان لقي حتفه ، بعد سنتين وخمسة أشهر من حكمه ، ويذكر بعض المؤرخين انه مات مسموماً على أيدي بعض الامويين الذين لم يرضوا عن تساهله مع العلويين ، وخلفه يزيد بن عبد الملك الذي انتشرت الاضطرابات في عهده الذي استمر أربع سنوات ، ثم خلفه هشام ابن عبد الملك ، وهو من أقوى شخصيات البيت الأموي فواجهت الدعوة العباسية وهي لا زالت في المهد ، خصماً عنيفاً ، وعدواً لدوداً ، وخاصة ان فترة حكمه طالت الى عشرين عاماً .

-
- (١) الفخري ص ٩٤ - بدأ معاوية بن أبي سفيان سياسة سب علي بن ابي طالب من فوق المنابر واستمرت في عصور سائر الخلفاء الامويين .
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٦ .
(٣) قال محمد بن علي العباسي لأنصاره في الحميمة سنة ١٠٠ هـ : « هذا أوران ما نؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ » . (الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٤) .

انطلقت الدعوة العباسية السرية سنة ١٠٠ هـ من الحميمة ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقد توافدت في هذه السنة شيعة العراق على محمد بن علي بالحميمة فأرادوه على البيعة ، فقال لهم : « هذا أو ان ما نؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ (١) » . فوجه الامام دعواته الى العراق وخراسان ، فأقبلت الشيعة على البيعة لمحمد بن علي ، وعاد الدعاة بكتب من استجاب لهم (٢) ، وكان من دعواته الذين وجههم ميسرة النبال الذي وجهه الى العراق ، كما وجه ثلاثة من الدعاة ، احداهم أبو عكرمة السراج ، لنشر الدعوة في خراسان . وقد اختار أبو عكرمة من الدعاة سبعين داعية من بينهم اثنا عشر نقيباً (٣) ، وأمر الامام العباسي دعواته ان تكون الدعوة للرضا من آل محمد ، دون أن يخصصوا علوياً او عباسياً ، اذ ان تعيين الشخص المدعو اليه يثير عدااء العلويين فضلاً عن الامويين على الدعوة العباسية (٤) .

تولى الخلافة الاموية هشام بن عبد الملك (١٠٥) هـ ، ويتضح في خلافته مدى الاتفاق والافتراق ، بين العباسيين والعلويين . فقد اتفقوا جميعاً في تعرضهم للاضطهاد والتنكيل ، وافترقوا في الطريق السياسي الذي اختطه لنفسه كل فريق .

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٤ .

(٢) الطبري : ج ٨ ص ١٣٦ .

(٣) يذكر المستشرقون عند حديثهم عن هذا التنظيم العباسي ان الدعوة المسيحية كانت في بداية أمرها تقوم على نظام يشمل سبعين رسولاً ، واثني عشر نقيباً ويذهب فان فلوتن (السيادة العربية ص ٩٥) ان سليمان بن كثير الخزاعي وشبيب بن قحطبة الطائي ، وهما من كبار الدعاة العباسيين ، قد أسسا مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رياسة داعي الدعوة ، ثم اتخذ كل منهم لقب (نقيب) على نحو ما كان يفعله الاسرائيليون في مجلس شورايم الذي كان يتكون من اثني عشر جوراًياً . ويذهب (فان فلوتن) أيضاً ان العباسيين تأثروا بمجلس الشورى في عهد الرسول فاتخذوا سبعين داعياً .

(٤) Nicholson : Lit. Hist. of the Arabs ; P. 250

وكان هشام حينما تولى الخلافة قد ولي خالد القسري حكم بلاد العراق ، فاحسن معاملة بني هاشم وشيعتهم . ولكن يوسف بن عمر الثقفي (١) لفت أنظار الخليفة الى خطورة هذه السياسة ، فكتب اليه « أن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الأموال فقروا بها حتى تاقت أنفسهم الى طلب الخلافة (٢) » . وعزل هشام خالد القسري ، وولى يوسف بن عمر الذي بدأ سياسة اضطهاد وتنكيل بشيعة بني هاشم فكان « لا يدع أحداً يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله ، الا بعث اليه فحبسه عنده بواسطة » (٣).

تساوى العباسيون والعلويون فيما نالهم من اضطهاد وايداء يوسف بن عمر ، والي هشام على العراق . واختلف الفريقان في طريق مواجهة هذا الاضطهاد ، فقد رأى العباسيون ان ينكمشوا وان يزداد استتارهم وان يمعنوا في اخفاء دعوتهم ، متتهجين سبل التريث والاناة . اما العلويون فرأوا ان يواجهوا الاضطهاد بالثورة العلنية المسلحة ، فكانت ثورة زيد بن علي .

ثورة زيد بن علي بالعراق :

وشهدت الاطراف الشرقية من الدولة الاموية في عهد هشام حركتين ، إحداهما حركة عباسية سرية تقوم على الدعوة وتتحسس الخطى وتمضي في روية متعجبة المسالك الوعرة والاخرى حركة علوية اتخذت شكلاً ثورياً علنياً، تحشد الجيوش وتواجه القوات الاموية في ساحات القتال . فقد قدم أهل العراق على زيد بن علي يستحثونه على البقاء في الكوفة ، وكان الخليفة قد أمر واليه بابعاد زيد. من الكوفة الى المدينة ، فقالوا له : « أين تخرج — رحمك الله —

(١) اشتهر الثقفيون (عدا المختار الثقفي) بولائهم للبيت الأموي .

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٦ .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٩ .

ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان ويضربون بني أمية بها دونك ، وليس قبلنا من أهل الشام الا عدة (١) .

ويهمنا في الحديث عن ثورة زيد بن علي ، بيان موقف العباسيين منها ومدى التشابه او الاختلاف بين اهداف وتعاليم كل من الثورة العلوية والدعوة العباسية .

وضع زيد بن علي لحركته ثلاثة مبادئ : أولها ان الامامة في اولاد فاطمة دون غيرهم ، وثانيها طاعة كل فاطمي زاهد شجاع يطلب الامامة سواء من اولاد الحسن أو الحسين ، وثالثها جواز خروج امامين في قطرين يشتركان في الخصال الحسية فتصبح طاعتهما واجبة (٢) .

ويمكن وصف هذه المبادئ الزيدية بالاعتدال ، فقد أصبح هناك دعوتان ، احدهما علوية ، والاخرى عباسية ، تتنافس على كسب تأييد المسلمين ، وكما وقفت الدعوة العباسية موقفاً وسطاً حين دعت الى الرضا من آل محمد ، فقد اتصفت آراء زيد أيضاً بالاعتدال ، حتى يمكن وصفها بأنها أقرب الى مبادئ السنة منها الى مبادئ الشيعة (٣) .

ويبدو هذا الاعتدال واضحاً في شروط البيعة التي أخذها زيد من اهالي العراق فقد قال زيد : « انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفياء بين أهله سواء ، ورد المظالم ، واقفال المجرم ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقينا » (٤) .

ويرى الشيخ أبو زهرة ان آراء زيد بن علي قد استمدتها من آراء الامام علي

(١) الطبري ج ٨ ص ٢٦١ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٣٤٩ - البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ .

(٣) Shorter Encycl. Of Islam ; P. 535.

(٤) الطبري ج ٨ ص ٢٦٧ .

ابن أبي طالب التي ذاعت بين الناس جميعاً ، كما يرى ان زيداً أراد ان يرد المذهب الشيعي الى أصوله في عهد علي بن أبي طالب (١) .

والمذهب الزيدي هو رد فعل عنيف للتشيع الاثني عشري على صورته أيام الباقر ، ولا تقبل الزيدية الامامة الروحية باعتبارها اتجاهاً سلبياً في حل المشاكل السياسية ، ولذا اشترطوا الخروج لتصح الامامة ، وانكرت الزيدية القول بالنص او الوصية ، كما انكرت عقيدة العصمة والقول بالرجعة وانتظار الامام الغائب ، ويرون ان الامامة بالاختيار كما جوزوا امامة المفضول مع وجود الافضل . وهكذا تبدو عقائد الزيدية في الامامة محاولة جريئة لتحطيم ذلك الحاجز القوي الذي أرادت الشيعة زمن الباقر ان يقيموه بينهم وبين سائر الفرق الاسلامية لا سيما أهل السنة (٢) .

كان زيد من « عظماء اهل البيت علماً وزهداً وورعاً وشجاعة ودينياً وكرماً » (٣) .

ولذا أدرك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك خطورة آرائه وحركته ، ورأى مواجهته بحزم وفي حسم (٤) .

وآثرت ثورة زيد بن علي في الدعوة العباسية ، فقد شدد الأمويون قبضتهم على العباسيين ودعاتهم ، حتى أصبح محمد بن علي العباسي سجيناً في بيته ، فانقطعت عنه أخبار الدعاة ، ولم يستطع لقاء النقباء الا في مكة عند موسم الحج ، وفي سرية تامة .

-
- (١) الشيخ أبو زهرة : الامام زيد ص ١١٨ .
 - (٢) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٦١ - ٣٦٢ .
 - (٣) الفخري ص ٩٥ .
 - (٤) كتب هشام الى واليه يوسف بن عمر والي العراق يقول له : « ... ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة ، فاني رأيت رجلاً حلوا اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام وأهل العراق أسرع شيء الى مثله » . (اليحقوبي ج ٣ ص ٦٥) .

وأدرك العباسيون خطورة ثورة زيد على دعوتهم العباسية ، فقد أقبل داود ابن علي على زيد يذكره بموقف أهل الكوفة من علي والحسن والحسين وينصحه بالآلا يستسلم الى وعودهم الخلابة التي سرعان ما تتبخر . ولكن زيداً أصر على المضي في طريق الثورة ، فقال لداود : ان علياً كان يقاتله معاوية بدعائه ونكرائه بأهل الشام ، وان الحسين قاتله يزيد بن معاوية والامر عليهم مقبل (١) . ويثس داود من اقناع زيد ، فقال له : اني لخائف ان رجعت معهم ان يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم (٢) .

أنتهت ثورة زيد بن علي بالاخفاق ، واستشهد في صفر سنة ١٢٢ هـ (٣) .

فهل كانت الدعوة العباسية من عوامل اخفاقها ؟

في الحقيقة لم تشر المصادر التاريخية القديمة الى أن الدعوة العباسية قامت بدور رئيسي في اخفاق حركة زيد ، بل ينسب المؤرخون الاقدمون هذا الاخفاق الى عوامل أخرى . فيرى ابن خلدون (٤) ان السبب هو عدم خروج علي زين العابدين وينسب ابن قتيبة (٥) الاخفاق الى قوة الدولة الاموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، بينما ينسبه كل من المسعودي (٦) والاصفهاني (٧) الى تخاذل أهل الكوفة .

- (١) ظن زيد ان ظروف الدولة الاموية تسمح بالثورة في عهد هشام بن عبد الملك ، ولكن في الحقيقة وكما يقول ابن قتيبة « لم يكن في بني أمية ملك اعظم من هشام ولا اعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه ، دانت له البلاد وسلك جميع البلاد » - (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٠) .
- (٢) الطبري ج ٨ ص ٢٦٥ .
- (٣) الديثورى : الاخبار الطوال ص ٣٤٥ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٣٧ .
- (٤) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٩ - ويرى ابن خلدون ان علي زين العابدين ليس اماماً لأنه لم يخرج ولا تعرض للخروج - فقد كان زيد بن علي يشترط ايجابية الامام وخروجه ، حتى انه قال واصل بن عطاء لزيد : علي قضية مذهبك والدلك ليس بامام ، فانه لم يخرج ولا تعرض للخروج . (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٢) .
- (٥) الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٠ .
- (٦) مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٠ .
- (٧) مقاتل الطالبين ص ١٣٧ - أحصى ديوان زيد بالكوفة انصاره فبلغوا خمسة عشر ألفاً (الفخري ص ٩٦) ، ولم ينضم الى زيد خلال المعركة سوى ٢١٨ رجلاً (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٣٧) .

ومهما كانت أسباب اخفاق حركة زيد بن علي (١)، فلا شك ان الدعوة العباسية قد استفادت من اخفاقها ، فقد جمعت الحركة الزيدية كثيراً من الانصار والمؤيدين الذين كان العباسيون يتمنون انضمامهم اليهم .

ثورة يحيى بن زيد :

وثار يحيى بن زيد مطالباً بثورته من الامويين ، وقامت ثورته في خراسان اذ أدرك نخاذل أهل الكوفة عن نصرة أبيه . ولا شك ان العباسيين لم يرتاحوا لقيام هذه الحركة العلوية الجديدة في خراسان التي أصبحت مسرحاً لنشاط الدعوة العباسية ، ولا شك أيضاً ان العباسيين قد تنفسوا الصعداء حينما نجح الامويون في القضاء على ثورة يحيى في سنة ١٢٥ هـ (٢) .

وفي الحقيقة لم تكن الدعوة العباسية هي السبب في اخفاق ثورة يحيى بن زيد ، وان كان العباسيون لم يرتاحوا كثيراً لقيامها ، اذ يريدون أن تخلو خراسان لهم ليثبثوا دعوتهم فيها . ونرى أن العامل الأول في اخفاق حركة يحيى ، رغبته في الاستعانة بجماعة من المحكمة ، احدى فرق الخوارج ، في كفاحه للدولة الاموية ، ولذا أبدت الشيعة تعجبها من رغبته في الاستعانة بقوم يبرأون من علي بن أبي طالب وأهل بيته (٣) .

(١) يذكر المستشرق سيديو (تاريخ العرب العام ص ١٤٦) ان السبب انقسام الشيعة على نفسها بينما ينسب بعض المؤرخين الاخفاق الى صلة زيد بواصل بن عطاء رأس المعتزلة الذي كان يجوز الخطأ على جده علي بن أبي طالب في قتال الناكثين والقاسطين ، كما يتكلم على القدر بأراء تخالف آراء أهل البيت ، كما ينسبها البعض الى اعتراف زيد بصحة خلافة ابي بكر وعمر بن الخطاب مما يخالف آراء كثير من الشيعة مما أدى الى رفض بعضهم هذه الآراء وأصبح اسمهم (الرافضة) - (البغدي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ - الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٢) .

(٢) البكري ج ٨ ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١١٣ .

استمرت الدعوة العباسية تشق طريقها في خطوات وثيدة . وما لبث أن مات الامام محمد بن علي العباسي بعد مرض شديد ، سنة ١٢٤ هـ ، في الحميمة بعد أن أوصى برئاسة الدعوة الى أكبر أولاده ابراهيم الذي تلقب بالامام . وما لبث أن مات الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ ، مما أتاح الفرصة للدعوة العباسية في الانطلاق فقد تولى الحكم خلفاء أمويون ضعاف ، وسادت الاضطرابات في عهدهم في أرجاء الدولة الاموية ، وأصبح الاتصال بين الامام ابراهيم ودعائه في خراسان سهلاً ميسوراً .

توقفت حركات الشيعة في عهد الخليفين الامويين الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويزيد بن الوليد . ثم ظهرت حركة علوية جديدة في عهد الخليفة ابراهيم بن الوليد مستفيدة من صراع الخليفة مع منافسه مروان بن محمد (١).

ثورة الشيعة بزعامة عبدالله بن معاوية :

قاد الحركة الشيعية الجديدة ، عبدالله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب (٢) . وقد وصفه الاصفهاني بأنه كان جواداً فارساً شاعراً ، ولكنه في نفس الوقت يصفه بأنه كان سيء السيرة رديء المذهب وانه جمع حوله بطانة سوء ، بل ان الاصفهاني يتهمه بالزندقة(٣) أما النوبختي (٤) فيذكر ان عبدالله بن معاوية ذهب الى ان الامامة قد انتقلت اليه من الامام أبي هاشم

(١) الطبري ج ٩ ص ٤٩ .

(٢) كان جعفر بن أبي طالب من السابقين الى الاسلام ، وقد كان في مقدمة المهاجرين الى الحبشة ، وتولى شرح عقائد الاسلام لنجاشي الحبشة حين أوفدت قريش وقدأ برئاسة عمرو بن العاص لرد المهاجرين ، وجاهد جعفر في سبيل الاسلام واستشهد في موقعة مؤتة وبكاء الرسول كثيراً (ابن حزم الفصل في الملل ج ٢ ص ٨٥) ، (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥ ، ٣٥٨ - وما بعدها) .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٥ الاغاني ج ١١ ص ٧١ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٧ .

بناء على وصية له عهد بها الى صالح بن مدرك ، ليحتفظ بها حتى يشب عبدالله ابن معاوية الذي كان حدثاً حين مات أبوهاشم .

ويهمنا في الحديث عن حركة عبدالله بن معاوية توضيح العلاقات بينها وبين الدعوة العباسية ، وكان عبدالله يدعو عند أول قيامه بحركته الى « الرضا من آل محمد » وهي نفس الدعوة التي دعا اليها العباسيون (١) . ولا شك ان العباسيين ادركوا خطورة هذه الحركة العلوية الجديدة التي أصبحت منافساً خطيراً لدعوتهم العباسية ، وقد كانت هذه الدعوة قد بدأت تنتعش بعد موت هشام ابن عبد الملك وانتشار الفوضى السياسية في أرجاء الدولة الاموية .

وشعر العباسيون بالخرج ، اذ اتسع نطاق دعوة ابن معاوية ، فامتدت الى معظم مدن العراق ، والى المدائن والمهين وهمدان وقومس وأصبهان والري وفارس (٢) ، وفي سنة ١٢٨ هـ اتخذ ابن معاوية من أصبهان مركزاً لدعوته وحركته ولمناطق نفوذه ، وبعث الى الهاشميين ، علويين وعباسيين يدعوهم اليه ليساهموا معه في ادارة البلاد التي سيطر عليها ، فقدم عليه عدد كبير منهم .

ولم يجد العباسيون بدأ من مخالفة هذه الحركة العلوية الشيعية ، او مهادنتها ولو مؤقتاً ، انتظاراً لما تخبئه الأيام ، فكان ممن قدم على ابن معاوية من العباسيين أبو جعفر المنصور ، وأخوه عبد الله بن الحارثة ، وعمهما عيسى بن علي ، وولي عبدالله بن معاوية أبا جعفر المنصور على كورة بين خوزستان واصبهان ، تدعى (ايزج) وفوضه أمر جباية أموالها (٣) .

وكانت الدولة الاموية تعاني من الاضطرابات الداخلية نتيجة انقسام البيت الاموي على نفسه ، مما أتاح الفرصة لعبد الله بن معاوية للنهوض بحركته ويبدو

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٧ .

(٢) الطبري ج ٩ ص ٤٩ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٧ .

أنه اعتز بقرته واتساع نفوذه فتحول عن الدعوة الى الرضا من آل محمد ،
ودعا الى نفسه (١) .

نجح مروان بن محمد (٢) في الوصول الى الخلافة ، وتفرغ لمواجهة الحركة
العلوية فبعث بجيش أموي لقتال عبدالله بن معاوية الذي رأى ازاء تحاذل
اصحابه ان ينسحب الى خراسان (٣) .

وأصبح الموقف حرجاً بين عبدالله بن معاوية وشيعته وبين العباسيين ، فقد
أصبحت خراسان موطن الدعوة العباسية . وأصبحت هناك حركتان مختلفتان
في تعاليمهما وتنظيماتهما وزعمائهما . ولم يفتن عبدالله بن معاوية الى
هذه الاختلافات الجوهرية حتى انه لجأ الى أبي مسلم الخراساني ، داعية
العباسيين ، يطلب منه النصرة والمعونة ، ولكن أبا مسلم خيب ظنه ، فقد أدرك
خطورة ابن معاوية على الدعوة العباسية اذ نجح في استمالة عدد كبير من أهل
خراسان الذين يرى أبو مسلم قصر ولائهم على دعوته العباسية ، ولذا أقدم
أبو مسلم على القبض على ابن معاوية وسجنه ، ثم قتله (٤) .

ولنا أن نتساءل :

هل كانت الدعوة العباسية هي السبب المباشر لاختراق حركة ابن معاوية ؟

لا شك انه كانت هناك عوامل عديدة (٥) تكاثفت على اضعاف هذه الحركة

-
- (١) المصدر السابق ص ١٦٥ .
 - (٢) الطبري ج ٩ ص ٥٠ .
 - (٣) الطبري ج ٩ ص ٥٠ ، الفخري ص ٩٩ .
 - (٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٨ .
 - (٥) نذكر منها تحاذل الشيعة ، وتخلي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الكوفة عن مناصرته ،
وسوء معاملة ابن معاوية لانصاره ، واتهامه بالزندقة ، فضلا عن انتساب ابن معاوية لجعفر بن
أبي طالب وعدم انتسابه لعلي بن أبي طالب أو للحسن أو الحسين (انظر تاريخ الطبري ج ٩
ص ٥٠ وما بعدها - الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٦٥ وما بعدها) ويصنف النوبختي (فرق
الشيعة ص ٣٥) انصار ابن معاوية بانهم «شذاذ صنوف الشيعة» .

العلوية ، أبرزها المؤرخون ، مما لا يدخل في نطاق بحثنا ، ولكن كان الصدام بين الدعوة العباسية والحركة العلوية ، على مسرح خراسان ، من أبرز هذه العوامل ، فقد سكت العباسيون أول الأمر ، وها دنوا الحركة العلوية ، نتيجة عاملين :

أولهما ان الحركة العلوية قد اتخذت في أول الأمر نفس شعار العباسيين أي الدعوة الى الرضا من آل محمد .

أما العامل الثاني فهو ان الحركة العلوية بدأت بعيدة عن خراسان ، حتى اذا اختفى هذان العاملان ، انقلب العباسيون على عبد الله بن معاوية ، فقد بدأ يدعو لنفسه ، كما نقل نشاطه الى خراسان حيث بذر العباسيون بذور دعوتهم وتعهدها حتى نمت وترعرعت .

علق المستشرق (فلهوزن) (١) على مصرع ابن معاوية على يد أبي مسلم الخراساني ، بقوله : كان أبو مسلم قد ظهر بمظهر المطالب بثأر يحيى بن زيد ، لما يعلمه من تأثير ذلك في النفوس ، ولذلك كان ابن معاوية يعتقد انه اذا خرج الى خراسان فهو مصيب مكاناً أميناً ، ولكنه أخطأ ظنه في أبي مسلم لأن أبا مسلم لم يكن عنده مكان لعلوي حي أكثر مما كان عنده لعلوي ميت ، فدرس على ابن معاوية من قضي عليه شراً .

أدت حركة عبدالله بن معاوية الى ظهور فرقتين من فرق الشيعة وهما الجناحية والحارثية . أما الجناحية (٢) فهي نسبة الى جعفر بن أبي طالب الذي

(١) فلهوزن : الدولة العربية ص ٤٧٤ .

(٢) يرى الشهرستاني ان آراء الجناحية كانت هي السبب في ظهور تعاليم الزندقة في العراق في العصر العباسي الأول وخاصة تعاليم الحرمية والمزدكية (الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٠ وما بعدها) .

اشتهر باسم ذي الجناحين . أما الحارثية (١) فهي نسبة الى عبد الله بن الحارث ،
أبرز دعاة ابن معاوية .

شهدنا أبا جعفر المنصور ، ابن الامام محمد بن علي العباسي ، وقد أصبح
من ولاة عبدالله بن معاوية ، ولكننا نراه بعد قتل ابن معاوية يجمع الاموال
التي في يده ، ويرسلها الى البصرة ، ثم يغادر (ايذج) عن طريق الاهواز ،
وقبض عايه الوالي الأموي سليمان بن حبيب وضربه أربعين سوطاً حتى يسلم
اليه الاموال التي جمعها ، وكاد يقتله لولا تدخل كاتبه أبي أيوب المورياني
الذي قال للوالي : « أيها الأمير لا تقتله فان الخلافة ان بقيت أموية فلا يسوغ
لك قتل رجل من بني عبد مناف ، وان صار الملك الى بني هاشم ، فلن تكون
بلاد الاسلام لك بلداً ان قتلته (٢) » ، وعدل الوالي عن قتل المنصور واكتفى
بسجنه وما لبث ان اطلقت سراحه جماعة من العرب من المضربة ، فخرج
الى البصرة حيث حاز أمواله ، ثم خرج الى الحميمة ليشارك أخاه الامام
ابراهيم جهوده في هذه المرحلة الحاسمة التي تمر بها الدعوة العباسية بعد
اخفاق الحركة الشيعية .

أدى اخفاق حركة ابن معاوية الى ان الدعوة العباسية قد بدأت تسلك
طريقاً مستقلاً عن طريق العلويين وشيعتهم ، وقد خلا الميدان لها اذ ركن
الزعماء العلويون الى الهدوء والتقية والكتمان ، وانصرفت شيعتهم تداوي
جروحها التي اصابتها خلال نضال الامويين لحركات زيد بن علي ، وابنه
يحيى ، وعبدالله بن معاوية .

(١) كان أبو الحارث زنديقاً ، وذهب الحارث الى تناسخ الارواح وقال ان الله نور وقد انتقل
الى ابن معاوية ودعا الى الاباحية وأباح الخمر والميتة والزنا وغيرها من المحرمات وأسقط
العبادات (انظر تماثيل هذه الفرقة في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٥٠ وما بعدها) .

(٢) الجهمياري : الوزراء والكتاب ص ٩٨ .

أبو مسلم الخراساني ونجاح الدعوة العباسية :

ورأى العباسيون ان يبلوروا دعوتهم بعهد أن نمت وترعرعت ، وأن يدفعوها الى الامام فتتخذ شكلا ايجابياً فعلا وقد من نذ اسان على الامام ابراهيم في الحميمة وتدارسوا معه ومع حاشيته أمر اعلان الثورة . وأرادوا اختيار قائد يقود هذه الثورة الى طريق النصر ، على ان يبقى الامام ابراهيم مستتراً في الحميمة . وعرض الامام ابراهيم القيادة على سليمان بن كثير ، وكان شيخاً مسناً ، فاعتذر عن قبولها وقال : « لا آلي على اثنين من الناس » ، ثم عرضها على ابراهيم بن سلمة ، فاعتذر أيضاً وقال انه هناك من هو أكثر جدارة منه (١) . وانتهى الأمر باختيار أبي مسلم الخراساني قائداً للثورة العباسية .

وقد اختلف المؤرخون في أصل أبي مسلم الخراساني (٢) وفي الدوافع التي دفعت بالامام ابراهيم لاختياره زعيماً للثورة العباسية ، وقد كان حينئذ في التاسعة عشرة من عمره ، ليس له خبرات وتجارب أو ماض سياسي يزكيه لهذه المهمة الخطيرة الكبيرة ، وخاصة ان هذا الاختيار قد لقي معارضة شديدة من أبي جعفر المنصور ومن بعض النقباء والدعاة بالكوفة وخراسان . ونستطيع ان نبرر سر اختياره بانه كان صنيعاً العباسيين ، كما لم يكن له ميول علوية

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٢) اختلفت الروايات حول أصل أبي مسلم فقيل انه غلام فارسي اشتراه النقيب بكير بن ماهان وأهداه الى محمد بن علي العباسي أو الى الامام ابراهيم . وقيل انه من نسل احد ملوك الفرس من بني ساسان هو (بزرجمهر) وهناك رواية تقول انه فارسي يدعى ابراهيم بن عثمان بن يسار ولد قرب اصبهان سنة ١٠٨ هـ ، وانه اتصل وهو في الخامسة عشرة من عمره بالدعاة العباسيين وانضم لهم مدفوعاً بروح شعبية ضد العرب وان ابراهيم الامام ابدى اعجاباً به وسماه عبد الرحمن بن مسلم واشتهر باسم أبي مسلم الخراساني ، ونرجح الرواية الاخيرة على سائر الروايات .

او شيعة قد تضر بالدعوة العباسية ، هذا بينما كان أبو سلمة الخلال او سليمان بن كثير قد اشتهر بمثل هذه الميول ، وكان أبو سلمة نفسه حينئذ ، « وزير آل محمد » وخير دليل على افتقاد أبي مسلم لهذه الميول الشيعية اقدمه على قتل عبد الله بن معاوية وقد اثبت أبو مسلم دائماً إخلاصه للدعوة العباسية وتفانيه من أجلها .

رسم الامام ابراهيم الطريق لأبي مسلم الخراساني ، فقال له : « يا أبا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت(١) ، فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحي من اليمن فآكرهم ، فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم . وانظر هذا الحي من ربيعة فآتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ، وان استطعت الا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل... (٢) .

أبدى ابو مسلم روحاً شعوبية متطرفة وأنزل سخطه على العرب ، وبالغ في تنكيله بهم ، حتى انه قتل ستمائة ألف عربي صبراً بالسيف ، عدا من قتل في الحرب (٣) .

مضت الثورة العباسية من نصر الى نصر ، مما يخرج تفصيل احداثها عن نطاق هذا البحث ، فنحن نركز الدراسة على أبعاد العلاقات بين الشيعة والحركة العباسية ودور جماعة الشيعة في سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية .

(١) قد تدعو عبارة « إنك رجل منا أهل البيت » الى التساؤل ولتوضيح ذلك نقول أن أبا مسلم ادعى انه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس . وكانت لسليط هذا جارية ادعى ابنها انه من ولد عبد الله بن العباس . ولما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه . وخرج بنو أمية بذلك للحط من شأن علي بن عبد الله بن العباس فأعانوه ، وقضى له القاضي في دمشق بالميراث فادعى ابو مسلم انه من ولد سليط هذا (الفخري ص ١٢٣) .

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٣٤- ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٩٥- ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢١٨ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٠٨ .

أحكم العباسيون ستر حركاتهم ونشاطهم ، حتى انكشف أمرهم حين وقع خطاب كتبه الامام ابراهيم الى أبي مسلم ، في ايديهم . نأمر الخليفة الاموي مروان بن محمد بالقبض على ابراهيم في الحميمة . فأوصى ابراهيم بالامامة بعده الى أخيه أبي العباس ، وما لبث ابراهيم ان مات في سجنه بجران (١) .

يرى صاحب الفخري ان الاقدار كانت هي التي تنكرت لبني أمية ، وحالفت بني العباس ، وينسب نجاح الدعوة العباسية الى جهود جيش خراسان وليس الى جهود الامام ابراهيم فيقول : « لما قدر ، الله عز وجل انتقال الملك الى بني العباس هياً لهم جميع الاسباب ، فكان ابراهيم الامام بن محمد ابن علي بن عبدالله العباسي في الحجاز او بالشام جالساً على مصلاه مشغولاً بنفسه وعبادته ومصالح عياله ، ليس عنده من الدنيا طائل . وأهل خراسان يقاتلون عنه ويبدلون نفوسهم وأمواهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ... ولما قرر الله تعالى خذلان مروان وانقراض ملك بني أمية فكان مروان خليفة مباحياً ، ومعه الجنود والأموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده ، والناس يتفرقون عنه ، وأمره يضعف وحبله يضطرب ، فما زال يضمحل حتى هزم وقتل ، فتعالى الله » (٢) .

استمرت الحركة العباسية في مراكزها الثلاثة : الحميمة (٣) ، والكوفة ، وخراسان ، وكان يتولى أمر المركز الأول بعض زعماء العباسيين مثل أبي جعفر المنصور وأخيه عبدالله بن الحارث وأعمامهما . أما المركز الثاني ، أي الكوفة فكان يتولاه ابو سلمة الخلال حائقاً على اختيار أبي مسلم الخراساني

(١) الطبري ج ٦ ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) الفخري ص ١٢٩ .

(٣) تقع الحميمة في أرض الشراة ، وقال ياقوت الحموي ان الشراة تقع بالشام بين دمشق والمدينة (معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٧) .

لقيادة الثورة العباسية الى جانب اضطهاد أبي مسلم للعرب . أما أبو مسلم فقد تولى المركز الرئيسي في خراسان ، ونجح في اعداد جيش عباسي كثيف ما لبث ان هزم به جيش الخليفة الأموي الاخير مروان بن محمد عند نهر الزاب (١) ، وانتهى الامر بمقتل مروان . وما لبث ان ظهر السواد شعار العباسيين في الكوفة في العاشر من المحرم سنة ١٣٢ ، فكان هذا اعلاناً عن سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية (٢) .

* * *

(١) نهر الزاب فرع من فروع نهر الفرات .
(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٠٤ - ١٠٥ .

٣- تطور العلاقات

بين البيتين العلوي والعباسي

شهد العصر العباسي الأول حركات شيعية عديدة ، ترمي الى دفع زعماء البيت العلوي الى الخلافة ، ورأت الشيعة ان البيت العباسي قد اغتصب من العلويين حقهم المشروع . وبدأ منذ مطلع العصر العباسي الأول صراع عنيف بين البيتين العلوي والعباسي منذ قيام الدولة الاموية سنة ٤٠ هـ الى سقوطها سنة ١٣٢ هـ . وحتى نستطيع ان نفهم أبعاد العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول ، نرى ان نعود الى الوراء لندرس تطور العلاقات بين البيت العلوي والبيت العباسي والوقوف على الفترات التي شهدت تحالف البيتين ، ثم فتور العلاقات ، ثم قيام العداء السافر بين البيتين .

العباس بن عبد المطلب :

ينتسب البيت العباسي الى العباس بن عبد المطلب ، عم الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان مولده قبل الهجرة بنحو خمسين سنة (٢٠٥٠ م) ونشأ في مكة ، وأصبح من وجوهها ، ومن سادة قريش ، واشتهر بسداد الرأي ، والكرم ، والعطف على الفقراء وتولى في الجاهلية منصب السقاية ، أي توفير المياه للحجاج (١) كما تولى عمارة المسجد الحرام (٢) .

(١) كانت المناصب في قبيلة قريش خمسة عشر منصباً وزعها القرشيون بالعدل فيما بينهم ليرضوا كل بطون قريش . وفي مقدمة هذه المناصب السدانة او الحجابة اي الاشراف على الكعبة ، والسقاية اي توفير الماء للحجاج ، والرفادة أي توفير الطعام للحجاج (ابن عبد ربه) المقدم الفرید ج ١ ص ٣٨) .

(٢) العمارة : أي منع الكلام بصوت عال في الكعبة .

وبعد وفاة عبدالمطلب آلت كفالة محمد صلى الله عليه وسلم ، الى أبي طالب (١) وان لم يكن أكبرهم سناً ، فقد كان الحارث اسنهم ، كما لم يكن أبو طالب أكثر اعمام محمد مالا ، فقد كان العباس أكثر يساراً ، ولكنه كان على ماله حريصاً ، لذلك احتفظ بالسقاية وحدها دون الرفادة (٢) .

أصاب قريش ازمة اقتصادية ، وكان ابو طالب كثير العيال ، ورأى محمد عليه الصلاة والسلام ، ان يخفف من اعباء عمه ابي طالب ، فتوجه الى عمه العباس ، وكان ذا مال ، فقال له :

« ان أهلك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ رجلاً فنكفلهما عنه » . وكفل العباس جعفرأ ، وكفل محمد علياً . وكان علي اول من آمن من الصبيان بعد ظهور الاسلام (٣) .

وقام العباس بن عبد المطلب بدور في بيعة العقبة ، فقد خرج مع الرسول عليه الصلاة والسلام ليأخذ المواثيق من مسلمي الخزرج (٤) . ووقع العباس في الاسر في غزوة بدر فأطاق الرسول سراحه فعاد الى مكة (٥) . وقدر العباس هذا الكرم من الرسول فكان يكتب الى الرسول من مكة باخبار قريش ، وبعث برسالة اليه عليه الصلاة والسلام قبيل غزوة احد ينبئه بعزم قريش على

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) علل الطبري (ج ٢ ص ٣٢) اختيار عبد المطلب لابنه أبي طالب دون ابنائه الآخرين بقوله : « وكان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه وسلم ابا طالب ، وذلك ان ابا طالب وعبدالله ابا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا لام واحدة فكان ابو طالب هو الذي يلي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده وكان دائماً معه » .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٣ ، الطبري ج ٢ ص ٥٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨ ، ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٦ .

(٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩ ، الطبري ج ٢ ص ١٥٩ .

غزو المدينة (١) وقبيل فتح مكة خرج العباس الى المدينة للقاء الرسول الكريم، حيث اعلن اسلامه ، واقتدى به كثير من بني هاشم .

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام اشترك العباس مع علي بن أبي طالب والفضل وقثم بن العباس واسامة بن زيد في تجهيز الرسول ودفنه ، ولذا لم يشتركوا في اجتماع سقيفة بني ساعدة الذي انتهى بالبيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة (٢) . وكان العباس مثله مثل معظم آل بيت الرسول ، يعتقد ان علي بن أبي طالب أحق الصحابة بالخلافة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام. فقد ظهر جميع بني هاشم بمظهر الاتحاد، وبرز ذلك خلال التنافس الذي قام بين علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان حول تولي الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب ، فقد كان العباس في مقدمة انصار علي (٣) .

كان للعباس مكانة بارزة في عهد الخلفاء الراشدين ، فكان اذا مر بالخليفة عمر بن الخطاب ترجل عمر اجلالا له . وقد أراد عمر ان يشتري دار العباس ليدخلها في المسجد ، فوهبها العباس لله وللمسلمين . كما كان العباس موضع تقدير عثمان ، رغم تأييد العباس لعلي بن أبي طالب .

عاش العباس نحو تسعين عاماً ، وتوفي بالمدينة ، عن تسعة أولاد من الذكور في مقدمتهم عبدالله بن عباس ، الذي اشتهر باسم (حبر الامة) .

عبد الله بن العباس :

كان مولد عبدالله بن العباس قبل الهجرة بثلاث سنوات (٦١٩م) (٤). وكان

(١) روى ابن هشام في سيرته (ج ٤ ص ٤٢) أن العباس كان قبل فتح مكة «مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض» .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٠٦ - ٣١١ .

(٣) الطبري ج ٣ ص ٣٠٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٨ .

مقرباً من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وموضع عطفه ورعايته (١) ، ولذا أصبح عبدالله في مقدمة رواة الاحاديث النبوية الشريفة ، وشارك عبدالله في كثير من الاحداث في عهد الخلفاء الراشدين ، فقد اشترك في الجيش الاسلامي الذي فتح طبرستان في عهد خلافة عثمان بن عفان .

وحيثما تولى علي بن أبي طالب الخلافة ، عهد الى اولاد العباس بن عبد المطلب بحكم بعض الولايات الاسلامية ، فقد ولى عبدالله بن عباس على البصرة ، وعبيد الله على اليمن ، ومعبداً على مكة ، وقم على البحرين (٢) .

اشترك عبدالله بن العباس في موقعي الحمل وصفين الى جانب علي بن أبي طالب ، وحيثما انتهت موقعة صفين بالتحكيم ، اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً ، وأراد علي ان يختار عبدالله بن عباس ، ولكن كثيراً من جنده من أهل العراق اصرروا على اختيار أبي موسى الاشعري ، فذكروهم علي بعضيان أبي موسى له وخذلانه ومفارقته إياه ، وامتحدهم عبدالله بن عباس ، ولكنهم أبوا اختياره لقرابته من علي ، اذ انه من بني هاشم (٣) .

العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر الأموي :

واستمرت العلاقات طيبة ودية بين البيتين العلوي والعباسي في مطلع العصر الأموي ، فقد كان قيام الدولة الأموية هو في الحقيقة انتصاراً للامويين على الهاشميين ، مما يحتم وحدة بني هاشم لاستعادة الخلافة من البيت الأموي بعد ان اصبحت واثية يتعاقبها ابناء هذا البيت . وحمل الحسين بن علي بن أبي طالب

(١) روى المسعودي (مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٩) ان الرسول دعا له فقال : « اللهم فقته في الدين وعلمه التأويل » .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٠٦ ، أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٧ ص

لواء المعارضة للدولة الأموية ، بينما آثر عبدالله بن العباس اعتزال الحياة السياسية ، فاستقر في المدينة وانصرف الى العلم ورواية الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما اشتهر بتفسير القرآن الكريم ، حتى قال ابن مسعود عنه :

« نعم ترجمان القرآن ابن عباس » .

أبدى بنو هاشم ، علويون وعباسيون المهم لتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان (١) وبنات الهاشميون يترقبون نهاية عهد معاوية حتى تصبح الخلافة شورى ، فيتولاها هاشمي ، وكان الحسين بن علي هو المرشح الأول للخلافة ، فقد كان الحسين يقول للناس اذا حثوه على الخروج :

« ليكن كل رجل فيكم حلساً من احلاس بيته ما دام معاوية حياً فانها بيعة كنت والله لها كارهاً ، فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ، ورأينا ورأيتم » (٢) .

وحينما أراد معاوية أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ، تعاون العلويون والعباسيون في معارضة هذا المشروع ، وساندهم أبناء الصحابة ، مثل عبدالله ابن عمر ، وعبدالله بن الزبير (٣) ، ولم يقم الحسين معارضته على أساس انه وارث لعلي او زعيم البيت العلوي ، ولكن كواحد من أبناء المهاجرين الذين اعتبروا انفسهم « ولاة الأمر » ، وكان الموقف يقتضي الاتحاد لاحباط مشروع معاوية (٤) .

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ١٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ١١ .

(٣) قال عبد الله بن الزبير لمعاوية : « فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك ، فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله وهذا عبدالله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبدالله بن الزبير ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي خلف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم من هما وما هما ، فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك » ، (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ١٧٥) .

(٤) الخربوطلي : الدولة العربية الاسلامية ص ١٩٠ .

وكان عبدالله بن العباس ممن توجهوا بالنصيحة للحسين بن علي ، فنصحته بالبقاء في الحجاز وبألا يخرج الى الكوفة ، وذكره بموقف أهلها من أبيه علي وأخيه الحسن ، وتخاضهم عن مناصرتهم ، فقال : « أقم في هذا البلد - أي الحجاز - حتى ينفي أهل العراق عدوهم ، ثم أقدم عليهم ، وكن عن الناس في معزل واكتب اليهم وبت دعواتك فيهم فاني أرجو اذا فعلت ان يكون ما تحب » ، ثم أشار ابن عباس على الحسين بأن يخرج الى اليمن ، ورسم له طريق النجاح ، فقال : فان أبيت الا ان تخرج ، فسر الى اليمن فان بها حصوناً وشعباً ، وهي أرض عريضة طويلة لآبيك بها شيعه وانت عند الناس في عزلة ، فتكتب الى الناس وترسل وبت دعواتك (١) .

كانت مأساة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية ، حيث استشهد الحسين بن علي وبعض العلويين ، ضربة عنيفة أصابت البيت الهاشمي ، فقد فقد هذا البيت زعيمه وقائده ، ولذا آثر وجوه بني هاشم مثل عبدالله بن العباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن علي بن أبي طالب ، الركون الى الهدوء ، مما أتاح الفرصة لعبدالله بن الزبير لينشر دعوته في كثير من الأمصار الاسلامية (٢) .

ادرك الخليفة يزيد بن معاوية خطورة ما أقدم عليه من قتل الحسين بن علي ، كما فطن الى خطورة دعوة عبدالله بن الزبير ، ولذا رأى يزيد ان يهادن البيت الهاشمي ويحاول استمالتهم ، ويعرضهم عن خسارتهم الفادحة ، حتى يهدىء من ثورتهم وثوراة المسلمين في كل مكان ، فقد سخطوا على يزيد واعتبروه مسؤولاً عن مصرع الحسين (٣) .

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ١٦ - ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦٠ .

(٢) قال عبدالله بن العباس للحسين بن علي : « لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك اياه والحجاز والخروج منها ، وهو يوم لا ينظر اليه احد معك ، (الطبري ج ٣ ص ٣٨٨) .

(٣) الخربوطي : عبدالله بن الزبير ص ١٥٦ .

نفذ يزيد هذه السياسة الجديدة فتهرباً من قتل الحسين وألقى بكل
المسؤولية على واليه بالعراق عبيد الله بن زياد ، وزعم ان ما حدث للحسين
كان بغير علمه وبدون رغبته ، ثم رأى يزيد ان يستميل اليه احد زعماء بني
هاشم ، وهو محمد بن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الخنيفة ، فكتب اليه
رسالة ودية دعاه فيها الى القدوم الى دمشق بالشام(١) . وهناك أحاط يزيد ابن
الخنيفة بالتكريم والترحيب ، فبايعه بالخلافة ، مما أثار العداوة بين ابن الخنيفة
وابن الزبير .

أما عبد الله بن العباس ، فقد وقف من دعوة ابن الزبير موقفاً سلبياً ، فلم
يعلن تأييده لها . وحاول ابن الزبير عبثاً ان يفوز بتأييد ابن عباس ، وحمد
الخليفة يزيد بن معاوية لابن عباس موقفه ، فبعث اليه كتاباً يشكره فيه على موقفه
من ابن الزبير ، وقد ظن ان ذلك طاعة له ، ودعا يزيد ابن عباس وبني هاشم
الى التمسك ببيعتهم له ، ومناه في ختام رسالته بالاماني والوعود .

وفي الحقيقة لم يكن موقف ابن عباس من ابن الزبير ولاء منه ليزيد ، فقد
كان ابن عباس لا يفتن بغير حقيقة بني هاشم ، دون غيرهم بالخلافة ، ولذا
كتب ابن عباس رده على رسالة يزيد فأخبره انه في غنى عن حمده له وثنائه
وان ما يمينه به من مال وصلات انما هو حق لهم ، وهو قليل من كثير كانوا
يستحقونه ، ثم ذكره في ختام رسالته انه لا ينسى انه قتل الحسين بن علي(٢) .

ويشس يزيد بن معاوية من عبد الله بن العباس فرأى التركيز على الاعتماد
على محمد بن الخنيفة في استمالة قلوب بني هاشم حتى يقفوا الى جانبه ، او يمتنعوا
عن تأييد عبد الله بن الزبير الذي انتشر نفوذه في بلاد الحجاز بعد وفاة يزيد بن
معاوية سنة ٦٤ هـ ، أعلن ابن الزبير نفسه خليفة وبايعه كثير من أهالي الامصار

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٥٠ ، الطبري ج ٤ ص ٣٦٨ .

(٢) تاريخ البعقوبي : ج ٢ ص ٢٢٠ .

الاسلامية . وطلب ابن الزبير البيعة من ابن عباس وابن الحنفية فقالا له : حتى تجتمع لك البلاد ويتسق لك الأمر وما عندنا خلاف (١) .

أدى موقف ابن الحنفية وابن عباس من ابن الزبير ، الى عداة وخصام ، ورأى ابن الزبير ان يبعد الزعيمين العلوي والعباسي عن مكة ، مركز خلافته ، حتى لا يتأثر أهلها بأرأهما ، فخرج ابن الحنفية الى ناحية رضوى ، كما خرج ابن عباس الى الطائف ، وما لبث ان مات سنة ٦٨ هـ (٢) .

أنجب عبد الله بن عباس ستة أبناء ، كان أشهرهم هو علي ، الذي اشتهر باسم « السجاد » لثقواه وكثرة صلواته ، وقد كان اصغر اخوته سناً . وكان مولده في سنة ٤٠ هـ ، وهي السنة التي قامت فيها الدولة الاموية ، واشتهر بالثقوى والورع والبلاغة ، وحاز مكانة عظيمة في بلاد الحجاز ، حتى انه « كان اذا قدم مكة حاجاً او معتمراً ، عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام ، اعظاماً له وتبجيلاً ، فان قعد قعدوا معه ، وان مشى مشوا جميعاً حوله ، ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم (٣) » وقد أثر علي بن عبد الله الابتعاد عن الاضطرابات السياسية التي بدأت في عهد يزيد ، واستمرت في عهد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك .

واجه الخليفة عبد الملك بن مروان كثيراً من المشاكل السياسية فقد ثار الشيعة الثوابون في بلاد العراق مطالبين بثار الحسين بن علي ، ثم ثار المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق أيضاً ، ونادى بأذنه وزير محمد بن الحنفية (٤) ، وانه يثار لآل البيت ، كما كان عبد الله بن الزبير ، خليفة الحجاز ، لا يزال مسيطراً

(١) ابن عساكر : التاريخ الكبير ج ٧ ص ٤٠٨ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧ - تقع الطائف على مقربة من مكة وكان للعباس بها عقارات وبساتين .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٣٧ .

(٤) اي محمد بن علي بن أبي طالب .

على بعض الامصار الاسلامية ، ولذا رأى عبد الملك استمالة البيت العباسي ، باعتباره الفرع الهاشمي الذي آثر الهدوء، بينما ظل العلويون معلنين ثورتهم وسخطهم على الدولة الاموية . ولذا استمال علي بن عبدالله ، وأغدق عليه الهدايا والصلوات ، ثم اقطعه قرية « الحميمة » في أرض الشراة من ناحية البلقاء ، في شرق الاردن ، ومنحه قدراً كبيراً من المال ليني له فيها قصراً ، وبنى بعض العباسيين دورهم حول القصر ، وأصبحت (الحميمة) مركزاً للبيت العباسي بدلا من الطائف التي كان عبدالله بن العباس قد انتقل اليها(١) .

توتر العلاقات بين العباسيين والأمويين :

ولكن العلاقات توترت بين علي بن عبدالله والخليفة الوليد بن عبد الملك ، فقد ارادت احدي نساء عبد الملك ، وهي لبابة بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، ان تغادر بلاد الشام بعد وفاة عبد الملك ، لعدم وجود محرم لها هناك ، فتزوجها علي بن عبدالله ليكون لها محرماً ، وخاصة أنها من نساء بني هاشم . وغضب الوليد لهذا الزواج ، لأنها كانت بمنزلة أمه ، واستدعى علياً اليه ، وعنفه ووبخه ، ثم أمر بضربه سبعين سوطاً ، ونفاه من الشام الى قرية الحميمة ، حيث حدد اقامته فيها ، فلا يغادرها الا لتأدية الحج(٢) .

كانت هذه الأزمة التي وقعت بين الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك والزعيم العباسي علي بن عبدالله ، هي بداية العداء السافر بين البيت العباسي والدولة الاموية ، وكان علي بن عبدالله قد غضب غضباً شديداً بجلده على ذلك النحو ، حتى أصبح يهاجم الخليفة والدولة الاموية ويطالب بالخلافة للعباسيين . وترامت أقوال علي الى الوليد فغضب لذلك ، وأمر بالقبض على الزعيم العباسي ، ثم أمر بجلده مرة أخرى ، والطواف به على ظهر جمل في الطرقات للتشهير به ،

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٣٨ .

والمناذي يصيح « هذا علي بن عبدالله الكذاب » ثم حدد اقامته في قرية الحميمة ، حيث ظل مقيماً عشر سنوات حتى توفي الوليد، فعاد علي الى تجوله في مدن الشام(١). تطورت قرية الحميمة حتى اصبحت مدينة مثل سائر مدن الشام ، وقصد اصطبغت بالصبغة العباسية ، اذ توافد عليها معظم ابناء البيت العباسي ، حيث تناسلوا وتكاثروا ، حتى ان علي بن عبدالله قد انجب اثنين وعشرين ولداً ، غير البنات ، وكان اشهرهم محمد بن علي ، الذي كان دائماً ملازماً لأبيه ، واشتهر بين الناس بالتقوى والورع والعام والكرم . وأنجب محمد أكبر اولاده وهو ابراهيم من جارية بربرية تدعى سلمى ، ثم أنجب من هذه الجارية أيضاً ابنه موسى ، كما أنجب سنة ٩٥ هـ من جارية بربرية أخرى ، هي سلامة ، ابنه عبدالله ، وهو أبو جعفر المنصور ، ثم أنجب بعد تسعة أعوام ابناً رابعاً من زوجة عربية من بني الحارث ، سماه «عبدالله» أيضاً ، وهو أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين(٢) ، كما أنجب محمد ابنين آخرين ، هما يحيى والعباس .

وهكذا أصبح العباسيون مهيبين نفسياً للثورة على الدولة الاموية ، اذ امتلأت قلوبهم حنقاً وسخطاً على الخلفاء الأمويين ، لاضطهادهم لهم ، ولحصرهم في «الحميمة» ومراقبتهم لحركاتهم وتنقلاتهم ، ولكن العباسيين لم يوحّدوا جهودهم مع جهود العلويين او شيعتهم . وكان معظم زعماء البيت العلوي ، وخاصة الامام زين العابدين(٣) والامام محمد الباقر(٤) ، قد آثروا الهدوء ، كما لجأت الشيعة الى النشاط السري او ما يسمونه «التقية والكتمان» ، بعد ان تواترت الضربات العنيفة عليهم .

- (١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣٩ .
- (٢) تولى ابو العباس الخلافة قبل أخيه المنصور رغم انه اصغر منه سناً لأن امه عربية بينما أم المنصور جارية بربرية - البعقوبي ج ٢ ص ٤٣٦ .
- (٣) وهو الامام علي زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ ويلقب بالسجاد (الساعدي : حياة الامام علي بن الحسين ص ٣٢٥ وما بعدها) .
- (٤) توفي سنة ١١٤ هـ . وقد مال الى العلم والزهد والتصوف ورواية الأحاديث النبوية . (طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٣٦) .

يشير المؤرخ (رونلدسن) الى أثر اقامة العباسيين في الحميمة فيقول : وقد ادرك بنو العباس في الحميمة ، لقربهم من دمشق ، ان الامويين فقدوا قوتهم الحربية بسماحهم للقبائل العربية بالتوطن في المدن ، ففقدت الجيوش نشاطها بالاختلاط وكانت عجزفتهم سبباً لجعل اسم العرب مكروها (١) .

افتراق الطريق :

وكانت سنة ٩٨هـ . هي السنة الفاصلة في تاريخ العلاقات بين البيتين العلوي والعباسي . فقد استدعى الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك اليه زعيم الشيعة الكيسانية أبا هاشم بن محمد بن الحنفية ، لزيارته في دمشق ، حيث بالغ في الترحيب به وتكريمه ثم دبر مؤامرة لقتله ، حتى يحول بينه وبين الدعوة لنفسه ، ففس له من سمه وهو في طريقه الى الحميمة ، حيث كان يقيم محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس (٢) .

ولما شعر أبو هاشم بقرب منيته ، عهد بوصيته للامام العباسي ، وكانت هذه الوصية هي نقطة التحول كما سيتضح لنا في هذا البحث ، فقد بدأ كل من البيتين العباسي والعلوي يشق طريقه للوصول الى الخلافة . فقد استفاد العباسيون من هذه الوصية وبدأوا دعوتهم السرية سنة ١٠٠هـ على أسس وطيدة منظمة بينما استمر بعض الزعماء العلويين في ثوراتهم ، ولم يوفروا لها سبل النجاح ، مما أدى الى اخفاقها مثل ثورات زيد بن علي وابنه يحيى ، وثورة عبدالله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب .

* * *

(١) عقيدة الشيعة ص ١٢٣ .

(٢) اليعقوبي ج ٣ ص ٤٠ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٢٦ .

٤ - فرق الشيعة

وموقفها من قيام الدولة العباسية

أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين :

مات الامام العباسي ابراهيم في سجن الخليفة الاموي الاخير مروان بن محمد بمدينة حران . وخشي اخواه ابو العباس وأبو جعفر المنصور ان يلقيوا نفس المصير فخرجا في جماعة من بني العباس الى الكوفة « وكان لهم بها شيعة منهم ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، وكان من كبار الشيعة بالكوفة» (١) .

تمت البيعة لأبي العباس ، كأول خلفاء الدولة العباسية في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ، وظهر السواد شعار العباسيين فيه بالخلافة فماذا كان موقف شيعة العلويين من أبي العباس ؟ وماذا كان موقف الخليفة منهم ؟

بدأ أبو العباس عهده بأن ألقى خطبة من فوق منبر الكوفة . ثم أعقبه عمه داود بن علي بالقاء خطبة أخرى . وسنحلل هاتين الخطبتين وسنشير الى بعض العبارات التي وردت بهما ، والتي توضح سياسة العباسيين نحو الشيعة العلويين .

بدأ أبو العباس خطبته بأن وصف بني العباس بأنهم حماة الاسلام ، و«أهله وكهفه وحصنه ، والقوام به والذابين عنه والناصرين له » . ثم أشار الى قرابة العباسيين من الرسول ، وان الله خصهم « برحم رسول الله وقرابته » ، ثم تلا

(١) الفخري ص ١٣٠ - وصف الدينوري أيضاً (الاخبار الطوال ص ٣٣٦) أبا سلمة بأنه من كبار الشيعة..

أبو العباس عادة آيات قرآنية كريمة (١) تشيد بدوي القربى من الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم دخل أبو العباس في صميم الموضوع ، فأشار الى ما ذهب اليه غلاة الشيعة من السبئية من ان العلويين أحق بالخلافة من العباسيين ، وان لم يذكر أبو العباس العلويين صراحة فقال « وزعمت السبئية الضلال ان غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، فشاهات وجوههم ، ثم تساءل أبو العباس عن سبب أحقية بني العباس بالخلافة ، وأجاب على تساؤله فقال : « وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم ، وانقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ، وحصن بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ، ورفع بنا الحسياسة ، وتم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبرٍّ ومواساة ، في دينهم ودنياهم» . ثم أشار أبو العباس الى اغتصاب بني أمية الخلافة حتى استرد العباسيون حقهم فقال : « ورد علينا حقنا ، وتدارك بنا امتنا ... » .

وكان أبو العباس متوعكاً ، فلم يطل الحديث ، وختم خطبته بمديح أهل الكوفة والتودد اليهم ، ونحن نعلم كيف كانت الكوفة مركز شيعة العلويين منذ عهد علي بن أبي طالب ، وطوال العصر الأموي ، ولكن أبا العباس اعتبر ولاعهم موجهاً نحو آل البيت النبوي ، وليس الى البيت العلوي فحسب ، فقال أبو العباس : يا أهل الكوفة ، انتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم ذلك تحامل أهل الجور عليكم ، حتى ادركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد

(١) هذه الآيات الكريمة هي : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ، (قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) (وأندر عشيرتك الاقربين) (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى) (اعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى) .

ردتكم في اعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا ، فانا السفاح(١) المبيح ، والثائر المبير . وبذلك ختم أبو العباس خطبته بالعودة والوعيد(٢) .

صعد داود بن علي ، عم الخليفة أبي العباس ، الى المنبر ، فخطب خطبة طويلة ، بدأها بحمد الله ان أعاد الى بني العباس ميراثهم عن الرسول ، فقال : الحمد لله ، شكراً شكرياً شكرياً ، الذي أهلك عدونا ، وأصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم(٣) . وبذلك استند العباسيون في توليهم الخلافة على ميراث العباس عم الرسول ، ولم يستندوا الى تلك الوصية التي أفضى بها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية ، والى الامام العباس محمد بن علي ، فقد كانت الشيعة الامامية تنكر وتستنكر هذا العهد .

واصل داود بن علي خطبته ، فحمد الله ان « رجع الحق الى نصابه في أهل بيت نبيكم » . وقال ان العباسيين لم يخرجوا طلباً للدنيا ، ولكن لأن بني أمية قد اغتصبوا الخلافة ، وغضباً لما لحق بني عمهم ، أي العلويين ، فقال : « ... وانما اخرجنا الانفة من ابتزازهم - أي بني أمية - حقنا ، والغضب لبني عمنا » ، ثم عدد داود مساويء الحكم الاموي ، ثم أعلن ان المسلمين قد أصبحوا بعد قيام الدولة العباسية ، في ذمة الله ورسوله والعباس ، وأن العباسيين سيحكمون وفقاً لكتاب الله وسيرة الرسول .

وبعد ان امتدح داود بن علي ابن أخيه أبا العباس ، ودعا له بالعافية والشفاء من وعكته ، ختم خطبته بقوله : « الا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمير

(١) يذكر نيلكسون في كتابه Lit. Hist. Of the Arabs; P. 253.

ان لفظ السفاح معناه الرجل المتاح الكثير العطايا ، وقد أطلق اللفظ على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية .

(٢) انظر نص الخطبة في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨١ - ٨٣ .

(٣) المصدر السابق .

المؤمنين عبدالله بن محمد ، فاعلموا ان هذا الأمر فينا ليس بخارج منا ، حتى
نسلمه الى عيسى بن مريم (١) ... »

حرج موقف أبي العباس في الكوفة مركز الشيعة :

دخل أبو العباس وعمه داود بن علي قصر الامارة بالكوفة ، وجلس أبو
جعفر المنصور في المسجد يأخذ البيعة من سائر الناس . ورغم هذه البيعة ، فقد
كان موقف الخليفة العباسي الجديد حرجاً للغاية ، فهو مضطر الى التودد الى
شيعة الكوفة ، فهو يقيم بين ظهرانيهم ، وقد بدا من زعيمهم أبي سلمة الخلال
ميول واضحة نحو العلويين ستحدث عنها بعد قليل ، ولم يكن مع العباسيين
حبتد غير أهل خراسان ، بينما الخليفة الأموي مروان بن محمد لا يزال معسكراً
على نهر الزاب في جيش كثيف يتألف من أكثر من مائة ألف مقاتل ، ولم تكن
البصرة وواسط قد دانتا للعباسيين بعد .

ولم يطل أبو العباس اقامته في قصر الامارة بالكوفة ، بل غادره حيث أقام
في معسكر وزيره أبي سلمة الخلال في حمام أعين ، أو في موضع قريب منه
يدعى التخيلات ، وكان لا يزال مرتاباً في أمر هذا الوزير لميله الى العلويين ،
فاتخذ له حرساً خاصاً خوفاً من غدر وزيره به ، ورأى التفرغ لصراعه مع
الخليفة الأموي . وانتهى الأمر بانتصار جيوش العباسيين ومصرع مروان بن
محمد ، فتنفس أبو العباس الصعداء (٢) .

كان أمد الفترة بين بيعة أبي العباس بالخلافة وبين مصرع الخليفة الأموي
مروان نحواً من تسعة أشهر ، انصرفت كلها في سنة ١٣٢ هـ . وأصبحت هذه
السنة تؤثر في تاريخ الامويين والعباسيين والعلويين على السواء .

(١) انظر نص الخطبة في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨٣ - ٨٤ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص
٣١٨ .

(٢) انظر تفاصيل هذه الاحداث في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨٨ - ٩٥ .

لم يكن أبو العباس يستطيع الحياة طويلاً في الكوفة ، مركز شيعة العلويين ، ولذا تحول إلى الأنبار على نهر الفرات (١) ، وقد أسسها سابق بن هرمز أحد أكاسرة الفرس فجددها أبو العباس ، وأقام بها قصرًا فخماً سماه (الهاشمية) (٢) نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف (٣) . وجدير بالملاحظة أن أبا العباس لم يطلق على هذا القصر اسم «العباسية» نسبة إلى جدهم الأكبر العباس بن عبد المطلب ، بل سماه الهاشمية ، كما ذكرنا ، حتى يبرز نسبة العباسيين إلى البيت الهاشمي بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه التسمية في رأينا استمرار لما كان العباسيون يدعون إليه ، قبل قيام دولتهم ، ومن الدعوة للرضا من آل محمد .

الانجازات الدينية في الخلافة العباسية الجديدة :

كان العباسيون يستندون في قيام دولتهم على أنهم وارثون للرسول عليه الصلاة والسلام ، يتضح ذلك في نص للمسعودي (٤) ، اذ يقول : « ذكرت الراوندية ، وهم شيعة ولد العباس - عبد المطلب ، من أهل خراسان وغيرهم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ، وان أحق الناس بالامامة بعده العباس ابن عبد المطلب ، لأنه عمه ووارثه وعصمته ، لقول الله عز وجل (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وان الناس اغتصبوه حقه ، وظلموه أمره ، الى ان رده الله اليهم ، وتبرعوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، واجازوا بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه باجازة العباس لها ، وذلك لقوله : « يا بن أخي ، هلم الي ان ابايعك فلا يختلف عليك اثنان . » ولقول داود بن علي على منبر الكوفة يوم بويع لأبي العباس : يا أهل الكوفة ، لم يقم

(١) بين الأنبار وبغداد عشرة فراسخ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٢٣٧ .

(٣) وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب (انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٠ وما بعدها ، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣ وما بعدها) .

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٢ - الراوندية فرقة من فرق الزنادقة .

فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب ، وهذا القائم فيكم ، يعني ابا العباس السفاح .

وحرص أبو العباس في يوم البيعة له على احياء سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فخطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فضج الناس وقالوا :

أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

رحب كثير من المسلمين بانتصار العباسيين على اعتبار أنهم كانوا يمثلون النظرية الحقيقية في الخلافة ، او فكرة الحكومة الدينية ، على عكس اسلافهم الامويين الذين كانوا يمثلون الحكومة الزمنية . وقد حرص الخلفاء العباسيون على اضفاء الصفة الدينية على دولتهم ، حتى أنهم أشاعوا ان السلطان سيظل الى الابد في ايدي العباسيين حتى يسلموه في آخر الأمر الى المسيح(٢) .

والواقع ان هذا التغيير الديني انما كان في الظاهر اكثر منه في الحقيقة ولو ان العباسيين كانوا يختلفون عن الأمويين بتظاهرهم بالتقوى والورع ، فان الخليفة في بغداد قد أثبت انه لا يقل اتساعاً في الأفق وعالمية في التفكير عن الخليفة الأموي في دمشق . ولكنه يختلف عنه أساسياً من ناحية واحدة ، ذلك أن الدولة الاموية كانت عربية على حين ان الدولة العباسية كانت أكثر دولية ، اذ كانت تضم عناصر المسلمين الجدد ، ولم يكن العرب فيها الا عنصراً واحداً بين عناصر أخرى متعددة(٣) .

دخل أحد الشعراء على أبي العباس مهتماً بالخلافة ، وأنشد قصيدته ، فاعتبر الخلافة العباسية هي استرداد لحق بني هاشم المعتصب ، فانشد(٤) :

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٦ - كان معاوية أول من استن القعود عند الخطبة .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٣١٨ .

(٣) حتي : تاريخ العرب ص ٣٥٦ .

(٤) الفخري ص ١٣٤- كان الشعر سلاحاً ماضياً ظهر خلال الصراع بين الشيعة والخلفاء العباسيين ، وكان للشيعة شعراء عبروا عن آرائهم ودعوا الى مناصرة الحركات العلوية .

اصبح الملك ثابت الاساس بالبهايل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
وأراد هذا الشاعر ان يجرّض أبا العباس على التنكيل بالأمويين فذكره بقتلي
بني هاشم ، علويين وعباسيين ، فأنشد :

واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحي ثاويآ بين غربة وتناس

كان العباسيون أكثر نشاطاً وإيجابية من أبناء عمومتهم ، العلويين ، فقد
وضعوا برنامجاً دينياً وسياسياً واجتماعياً يسرون بمقتضاه في حكمهم بينما اكتفى
العلويون بالدعوة الى أنفسهم اعتماداً على حب المسلمين للرسول ولعلي بن
أبي طالب وأولاده . ولذلك تحقق النصر للعباسيين فيما اخفق فيه العلويون
وشيعتهم (١) .

موقف الخليفة العباسي من زعماء العلويين :

كافح العلويون كثيراً من أجل الوصول الى الخلافة ، وانتزاعها من الخلفاء
الأمويين (٤٠ - ١٣٢ هـ) ، وناهضهم الأمويون وتبعوهم بالقتل والتنكيل ،
حتى لجأوا الى الكتمان والتقية ، وركنوا في أواخر العصر الأموي الى الهدوء
والاشتغال بالتجارة او الانصراف الى الدين بدلا من الاشتغال بالسياسة والحرب (٢)
وتولى أبناء عمومتهم العباسيون الكفاح والنضال ونجحوا في القضاء على الدولة
الأموية ، وأقاموا الدولة العباسية وبدأت حركة المعارضة ضد قيام الدولة العباسية
وحملت الشيعة الزيدية لواء المقاومة الايجابية ، وأصبح بيت عبدالله بن الحسن
ابن الحسن مركزاً للثورة ضد العباسيين .

(١) الخربوطي : تاريخ العراق ص ٢٢٩ .

(٢) مال علي زين العابدين ومحمد الباقر الى الهدوء والسلام والانصراف الى الدين والعلم (الساعدي :
حياة الامام علي بن الحسين ص ٣٣٠ - الكليني : الطائي ص ٩٦) .

وبعد مقتل أبي سلمة الخلال ، نتيجة اتهامه بميوله الى العلويين - كما سي
في الفصل القادم - قدم وفد علوي من الحجاز ، برئاسة عبدالله بن الحسن وأخيه
الحسن الى الأنبار ، فاستقبل أبو العباس وأبو جعفر المنصور الوفد بالحفاوة
والتكريم ، وانزلاه في دار رحبة (١) .

خص أبو العباس عبدالله بن الحسن بالتكريم والترحيب ، فكان يدعوهُ الى
السمر معه في كل ليلة ، فكان يسأله دائماً عن ابنه محمد و ابراهيم ويقول له :
ما خلفهما ومنعهما ان يفدا الى أمير المؤمنين مع أهل بيتهما ؟ فيجيب عبدالله :
ما كان تخلفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين . وألح أبو العباس على عبدالله في
السؤال ، وهدده وتوعده وأصبح موقفه حرجاً أمام الخليفة ، وأفضى بذلك
الى أخيه الحسن ، فأشار عليه ان ينسب أبا العباس ان عمهما الحسن هو الذي
يعلم وحده مكان اختفائهما (٢) .

وتوجه أبو العباس الى الحسن بالسؤال عن مكان محمد النفس الزكية و ابراهيم
فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، اكلمك على هيبة الخلافة ، او كما يكلم الرجل
ابن عمه ؟ فأجاب أبو العباس : بل كما يكلم الرجل ابن عمه ، فانك وأخاك
عندي بكل منزلة . فقال الحسن : ان قدر الله لمحمد و ابراهيم ان يليا من هذا
الأمر شيئاً فجهدت وجهد أهل الأرض معك ان يردوا ما قدر لهما أتردونه ؟
فأجاب العباس بالنفي . فقال الحسن فانشدك الله ان كان لم يقدر لهما ان يليا هذا
الأمر شيئاً فاجتمعا واجتمع أهل الارض معهما على أن ينالا ما لم يقدر لهما ،
ايئالانه ، فأجاب أبو العباس ايضاً بالنفي (٣) .

وابدى ابو العباس اقتناعه بمقالة الحسن ، او تظاهر بالاعتناع ، فقال الحسن :

(١) قدم هذا الوفد في صحبته الوالي العباسي داود بن علي (الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩٣) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٩٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٧٤ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٩٤ .

يا أمير المؤمنين فقيم تنغيصك على هذا الشيخ - أي عبدالله - نعمتك التي أوليته
وايانا معه ؟ فقال أبو العباس : فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسي هذا
ما بقيت ، الا ان يهبجني شيء فاذكره (١) .

وكان الخليفة أبو العباس قد بنى قصره الجديد في الهاشمية ، وأراد الخروج
اليه لتفقدته ورؤيته بعد الفراغ من بنائه ، ودعا الوفد العلوي الى مرافقته ،
وتجول أبو العباس مع العلويين في حجرات القصر ، ثم سأل عبدالله بن الحسن
عن رأيه في القصر الجديد ، فتمثل عبدالله ببيتين من الشعر هما (٢) :

الم تر حوشب قد صار يبني قصوراً نفعها لبني نفيله
يؤمل ان يعمر عمر نوح فأمر الله يحدث كل ليله

وثار غضب أبي العباس ، وكم غيظه ، وسأل عبدالله : ما أردت بهذا ؟
فاستدرك عبدالله وحاول التخفيف من تائرة الخليفة ، فأجاب : ازهدك في
القليل الذي بنيته (٣) .

وفي ليلة ، كان عبدالله بن الحسن يسمر مع أبي العباس ، حتى اذا انفض
المجلس ، طلب أبو العباس الانفراد بالزعيم العلوي ، وأدخل يده تحت فراشه ،
فأخرج كتاباً أعطاه لعبدالله ليطلعه عليه ، فاذا هو كتاب من ابنه محمد النفس
الزكية الى هشام بن عمرو بن البسطام التغلبي يدعوه فيه الى نفسه . وقرأ عبدالله
الكتاب ثم قال لأبي العباس : يا أمير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه الا ترى منهما
شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا (٤) .

وحان أوان عودة الوفد العلوي الى الحجاز فقبال أبو العباس لعبدالله : احتكم

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٧٤ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٧٤ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٧٥ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٧٧ .

علي . فقال : ألف ألف درهم فاني لم أرها قط . ولم يكن لدى أبي العباس هذا القدر الكبير من المال ، فاقترضها من أحد الصيارفة . كما منحه مبلغاً آخر من المال ليفرقه في العلويين بالحجاز (١) . وحانت لحظة الوداع ، فذكر أبو العباس عبدالله بأن ابنه لم يبايعا بعد له بالخلافة ، وأنه أصبح يشك في أمرهما ويتوجس منهما خيفة ، فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين ، ما عليك من ابني شيء تكره . فقال أبو العباس : وبك أثق وعلى الله أتكل (٢) .

عاد الوفد العالوي الى المدينة ، ففرق عبدالله بن الحسن الأموال التي أعطاها له الخليفة أبو العباس بين العلويين ، فأبدوا سرورهم وفرحهم وأستنكر عبدالله هذا السرور فسألهم : أفرحتم ؟ فأجابوا : وما لنا لا نفرح بما كان محجوباً عنا بأيدي بني مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبني عمنا ، فأصاروه لنا ؟ فغضب عبدالله وقال : افرضيتم ان تناولوا هذا من تحت أيدي قوم آخرين؟ (٣) .

وانتقلت هذه العبارات من المدينة الى مسامع أبي العباس وأبي جعفر المنصور في العراق ، فثار غضبهما ، اذ لم تجد سياسة المهادنة واغداق الصلوات على العلويين في كسب ولاهم . ولكن الاخوين العباسيين لم يجدا بداً من السكوت وارجاء أمر العلويين الى حين ، فقد كانت الدولة العباسية الوليدة تواجه كثيراً من المشكلات .

غير أن أبا جعفر المنصور حين تولى الخلافة كان أبعد نظراً ، واحزم أمراً من أخيه وهو يعلم ان التخاذل في مثل هذا الموقف ، يؤدي حتماً الى نتيجة لا تحمد عقباها ، وليس من الحكمة في رأيه ان يترك هذا النشاط على عواهنه (٤) .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤ ، هذا الصيرفي هو (ابن مقرن) .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٧٥ .

(٤) الجومرد : ابو جعفر المنصور ص ١٨١ .

في سنة ١٤١ هـ أحدث المنصور تغييراً في النظام الإداري في الحجاز ، فقد كانت الحجاز في العصر الأموي وعصر أبي العباس ولاية واحدة فجعلها المنصور ولايتين : الأولى مركزها مكة ، والثانية مركزها المدينة ، وجعل على كل منهما والياً مستقلاً (١) .

فرق الشيعة في مطلع العصر العباسي الأول :

بدأ التشيع فكرة بسيطة ، فكان كل « من وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالامامة وولده من بعده ، فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف عليه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً » (٢) .

تفرقت الشيعة في العصر الأموي إلى عدة فرق ، أشهرها السبئية ، والامامية والكيسانية والزيدية ، فقال الشهرستاني : « ويجمعهم - أي الشيعة - القول بوجود التعيين والتنصيب ، وثبوت عصمة الانبياء والأئمة وجوباً عن الكبار والصغار والقول بالتولي والتبري قولاً ، وفعلاً ، وعقداً ، إلا في حالة التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ، ولهم في تعدية الامام كلام وخلاف كثير . وعند كل تعدية وتوقف : مقالة ، ومذهب ، وخبط ، وهم خمس فرق : كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسماعيلية وبعضهم يميل في الاصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه (٣) .

وقد اختلفت فرق الشيعة في التفاصيل ، ولكنها اتفقت جميعها على ان علياً أحق المسلمين بالامامة والقيام بالأمر في أمته (٤) . وكانت فرقنا الامامية

-
- (١) ابن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ٢٠٢ .
 - (٢) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ١١٣ .
 - (٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ .
 - (٤) ابن نشوان : الحور العين ص ١٠٣ .

والزيدية أبرز فرق الشيعة وأكثرها انصاراً في العصر العباسي الأول ، وهما الفرقتان الشيعيتان اللتان قامتا بدور واضح في التاريخ السياسي لهذا العصر . ولحلت فرقة الشيعة الزيدية الى القيام بحركات ثورية مسلحة ، بدت بوادرها وطلائعها في عصر الخليفة أبي العباس ، أول الخلفاء العباسيين ، ثم تبلورت وظهرت على مسرح الاحداث واتخذت شكل الصدام العسكري في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ، فكانت حركتنا محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، أما فرقة الشيعة الامامية فقد التفت حول زعيمها الامام جعفر الصادق الذي اكتفى بالامامة الروحية ، واكتفى بالمعارضة السياسية السلمية دون اعلان الثورة وسرى موقف الامام جعفر من المنصور ، وسندرس تعاليم فرقة الامامية في الباب الثاني من هذا البحث .

وسنركز الحديث في هذا الفصل على فرقة الشيعة الزيدية التي كان لها موقفها الواضح من قيام الدولة العباسية ، ومن خليفتها الأول أبي العباس . وقبل دراستنا للزيدية نتحدث عن فرقتي السبئية والكيسانية .

فرقة السبئية :

أما فرقة السبئية ، فقد ورد ذكرها في المصادر العربية باسم « الغلاة » وهم أصحاب عبدالله بن سبأ (١) ، وقد غالوا فيما خلعهوه على علي بن أبي طالب من الصفات (٢) ، وقد انقسمت السبئية الى أربعة فرق بعد مصرع علي بن أبي

(١) وهو رجل يمني يهودي اعتنق الاسلام للكيد له (البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ ، الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٨٥) .

(٢) الملطي : التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع ص ١٨ - ١٩ قالت السبئية لعل : انت الخالق البارئ .. فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم . وقد قسمهم الملطي الى أربعة فرق : فرقة ترى ان علياً لم يمت وانه حي . والفرقة الثانية تقول ان علياً لم يمت وانه مستقر في السحاب . والفرقة الثالثة تقول ان علياً مات ولكنه يبعث قبل القيامة ليقاتل الرجال وينشر العدل وهم لا يظنون علياً ولكنهم يقولون بالرجعة . والفرقة الرابعة تقول بامانة محمد بن علي (ابن الحنفية) وانه اختفى في جبال رضوى وانه حي ولم يمت وانه صاحب الزمان الذي يعود ويهدي الناس ويصلح الارض ، ويقتل الرجال .

طالب ، وتتفق هذه الفرق كلها في أنهم « يقولون بالبداة » ويصنفهم الملطي (١) بانهم « احزاب الكفر ، و فرق الجهل » ويرفض المستشرقان (برنارد لويس) و (كايتاني) ما ذكره المؤرخون العرب من أن بداية التشيع الثوري يرجع الى عبدالله بن سبأ وجماعته ، ويرى كايتاني ان مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن ان يتصورها العالم العربي سنة ٣٥هـ بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة وانها تعكس احوال العصر العباسي الأول بجلاء (٢) ويثير بعض الكتاب المحدثين كثيراً من الشكوك حول السبئية الأوائل بعد مصرع علي بن أبي طالب (٣) وقد تحدثنا عن فرقة السبئية في تمهيدنا لبحثنا هذا حينما درسنا تاريخ الشيعة قبل العصر العباسي .

فرقة الكيسانية :

أما فرقة الكيسانية : وقد سبق الاشارة اليها ايضاً - فقد ظهرت خلال حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي دعا الى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ونادى المختار بأن الدين طاعة رجل ، مما أدى الى تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها ، مما حمل البعض على « ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر عليه واحد معتقد انه لا يموت ، ولا يجوز ان يموت حتى يرجع ، ومن معتقد حقيقة الامامة الى غيره ، ثم متحسر عليه ،

(١) التنبيه والرد ص ١٩ .

(٢) برنارد لويس : أصول الاسماعيلية ص ٨٦ .

(٣) يرى الدكتور علي سامي النشار (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٣١) ان آراء السبئية لا تمثل في اول الامر فرقة ، ولكن هي الآراء الفولكرية التي تنتشر حول قداة الاشخاص حين يموتون ويشعر اتباعهم بالحسرة ويؤيد الدكتور جابر الحيني (حركات الشيعة المتطرفين ص ٢٨) في المستشرقين وجود فكرة تأليه علي بن ابي طالب في ايامه .

متحير فيه ، ومن مدح حكم الامامة ، وليس من الشجرة وكلهم حيارى متقطعون(١) « ونادت الكيسانية ان محمد بن الحنفية بعد ان اختفى في جبال رضوى(٢) سيعث هو وشيعته فيملاً الأرض عدلاً(٣) .

فرقة الهاشمية :

وتفرعت فرقة الهاشمية عن الكيسانية ، فقد قالوا « بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه ، وانتقال الامامة الى ابنه ابي هاشم(٤) » واهتم ابو هاشم بتنظيم دعوته وتوحيد صفوف الشيعة ، سواء اكانوا غلاة أم معتدلين ما داموا يتفقون في مناهضتهم للدولة الاموية ، وحاول التوفيق بين الاسلام والعقائد غير الاسلامية ، وخاصة هذه العقائد المنتشرة في خراسان التي اعتبره اهلها « الامام » اذ ورث الامامة عن وصية لأبيه ابن الحنفية(٥) .

استخدم أبو هاشم الدعاة والحجج ، وأصبح مصطلح الداعي والحجة من أهم مصطلحات الشيعة ، وأصبح الدعاة والحجج أعمدة هذه العقيدة ، سواء لدى العباسيين ثم الاثني عشرية ، ثم الاسماعيلية . وهو الذي استخدم النقباء ومن أشار باستخدامهم وهو الذي نادى بفكرة « العلم السري » المتوارث عن أبيه عن الامام علي ، واخيراً كان أبو هاشم أول من اخرج الوصية فعلاً من البيت الفاطمي ، ولم يكن هو نفسه فاطمياً ، وأخرجها أيضاً من البيت العلوي الى بني عبدالمطلب عامة(٦) .

- (١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (٢) جبال في الحجاز شمال ينبع مطلة على البحر الاحمر .
- (٣) ابن نشوان : الحور العين ص ١٨١ ، المجلسي : بحار الانوار ج ٩ ص ١٧٣ .
- (٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٠ ، ابن نشوان : الحور العين ص ١٥٩ ، أبو خلف القمي : المقالات والفرق ص ٢٥ .
- (٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٩١ .
- (٦) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٦٣ .

وانقسمت الفرقة الهاشمية بعد أبي هاشم الى عدة فرق ، أشهرها فرقة المنتظرين التي زعمت ان أبا هاشم أوصى الى ابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية ، فهو الامام بعده ، وان الحسن بن علي اوصى الى ابنه علي بن الحسن ولكن هذا الأخير قد مات دون ان يعقب ولدا ، فهم ينتظرون رجعة ابن الحنفية والفرقة الثانية العباسية وترى ان الامام بعد أبي هاشم هو محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الذي تنازل له أبو هاشم عن الامامة (١) . وفرقة ثالثة قالت ان أبا هاشم أوصى الى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي ، وان الامامة خرجت من أبي هاشم الى عبدالله ، وتحولت روح أبي هاشم اليه ، ولكن هذا الرجل لم يكن على دين او علم فاتهموه بالكذب والخيانة واعرضوا عنه ، وقالوا بامامة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (٢) .

وهناك فرقة البيانية اتباع بيان بن سميعان التميمي ، وقالوا بانتقال الامامة من أبي هاشم اليه ، وهو من الغلاة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب . وفرقة الرزامية اتباع رزام بن رزم ، وساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد ثم الى ابنه أبو هاشم ، ثم منه الى علي بن عبدالله بن العباس بالوصية ، ثم ساقوها الى محمد بن علي ، وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام (٣) .

ويذكر الشهرستاني (٤) ان أبا مسلم الخراساني كان في أول أمره على مذهب الكيسانية ، واقتبس من دعواتهم العلوم التي اقتصوا بها ثم ارسل الى الامام جعفر الصادق امام الشيعة الامامية ، يقول له : اني قد اظهرت الكلمة ودعوت

-
- (١) ابن نشوان : الحور العين ص ١٥٩ - ١٦٠ .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥١ ، أبو خلف القمي : المقالات والفرق ص ٣٤ - ٣٦ .
(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٤ ، الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركون ص ٦٣ وما بعدها ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٣ - ١٥٥ .
(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٤ .

الناس عن موالاته بني امية الى موالاته أهل البيت ، فان رغبته فيه ، فلا مزيد عليك . فكتب اليه الصادق « ما أنت من رجالي ، ولا الزمان زماني » فحاد أبو مسلم الى أبي العباس السفاح وقلده الخلافة .

الشيعة الزيدية :

ثم نصل الى فرقة الشيعة الزيدية ، وهي الفرقة التي حملت لواء المعارضة الايجابية للدولة العباسية منذ قيامها ، وطوال العصر العباسي الأول ، واستمرت هذه المعارضة في العصور التالية .

وتنسب فرقة الزيدية الى زيد بن علي الذي أعلن الثورة على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١) ، وقد تحدثنا عن ثورته في التمهيد الذي درس تاريخ الشيعة قبل العصر العباسي (٢) . ونشأ زيد في المدينة التي اختارها العلويون مقاماً لهم ، وأخذ العلم عن أبيه زين العابدين ، ثم عن أخيه محمد الباقر بعد وفاة أبيه ، ولكن لم تطمئن نفس الفتى العلوي الشغوف الطلعة الى حياة المدينة الرتيبة ولا الى طريقة الحياة التي عاشها أبوه بعد محنة كربلاء وعاشها أخوه الباقر أيضاً متبعاً سنة أبيه علي زين العابدين . وبدأ الفتى رحلاته الى الكوفة ثم زارها مراراً ثم مضى الى البصرة يقابل علماءها ومفكريها ، وفي البصرة التقى بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة وتأثر بكثير من آرائه (٣) .

أصبحت فرقة الزيدية أكثر فرق الشيعة اعتدالاً (٤) . وركز الشهرستاني (٥) آراء الزيدية في قوله : « ساقوا الامامة في اولاد فاطمة رضي الله عنها ، ولم

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢) وهو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان مولده سنة ٨٠ هـ ، ومصرعه سنة ١٢٢ هـ (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٢٨ وما بعدها) .

(٣) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤٦٦ .

(٥) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم ، الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالامامة ان يكون اماماً واجب الطاعة ، سواء كان من اولاد الحسن أم من اولاد الحسين رضي الله عنهما . وعن هذا جوز قوم منهم امامة محمد و ابراهيم الامامين ابني عبدالله الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا ذلك وجوزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة . . ويذهب الشهرستاني أيضاً ان زيدا تأثر بآراء واصل بن عطاء رأس المعتزلة فكان مذهبه « جواز امامة المفضل مع قيام الأفضل » (١) .

واختلفت الزيدية مع الامامية في نظرتيها وتقديرهما لشرعية خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وبينما لا تعترف الامامية بصحة خلافتيها وتعتبرهما مغتصبين لحق علي بن أبي طالب ، نجد الزيدية لا تتبرأ من أبي بكر وعمر ولا تسيء اليهما ، بل تعترف بصحة خلافتيها ، وان كان علي أفضل منهما ، فالزيدية ترى ان الامام قد عينه الرسول بالوصف لا بالشخص ، كما ترى الزيدية ان الامامة « في ولد فاطمة كائناً من كان بعد ان يكون عنده شروط الامامة » (٢) .

وترى الزيدية أيضاً ان الامامة مسألة عملية ايجابية وليست سلبية فيجب على الامام ان يقود الشيعة في طريق الجهاد والنضال ، دون اللجوء الى كتمان

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ - ينكر الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (الامام زيد ص ٣٨ - ٤١) تلمذة زيد على واصل بن عطاء وتأثره به فيقول ان الرجلين كانا في سن واحدة اذ ولدا سنة ٨٠ هـ ، وان التقاءهما كان « التقاء مذاكرة علمية » بل ان واصل هو الذي أخذ آراءه عن آل البيت بل ان آراء المعتزلة هي آراء الزيدية وآراء الاثني عشرية بصفة عامة . ويرى محمد الحسين آل كاشف الغطاء (اصل الشيعة وأصولها ص ٧١) ان المعتزلة اقتبسوا كثيراً من تعاليمهم من الشيعة وعن علي بن أبي طالب وتلمذ شيوخ المعتزلة على أبي هاشم بن محمد بن الحنفية .

(٢) ابن التديم : الفهرست ج ٢ ص ٤٥٦ .

أو ثقية ، كما ان الزيدية تختلف مع الامامية في الصفات التي اضافتها الامامية على الامام مما جعل له صفات الهية (١) . وترفض الزيدية ما ذهبت الامامية اليه من عصمة الأئمة (٢) .

أيدت فرقة الشيعة الكيسانية فرقة الزيدية عند أول ظهورها ، فقد كانت الشيعة أنصار ابن الحنفية تتطلع الى حركة شيعية ايجابية ضد الدولة الاموية (٣) . ولكن غلاة الشيعة أبدوا سخطهم الشديد على آراء زيد المعتدلة التي تعترف بشرعية خلافة أبي بكر وعمر ، ورفضوا هذه الآراء ، ولذا أطلق عليهم اسم «الرافضة» (٤) .

وقد ظهرت آراء زيد بمظهر الاعتدال نتيجة سيادة آراء الغلو التي سادت في العصر الأموي نتيجة التضييق الفكري الذي عانت منه الشيعة ، فظهرت آراء متطرفة منحرفة وسط ظلام الكتمان ، فكانت مزاعم الوهية علي ، ورجعة النبي ، وعدم موت علي وغيرها ، وظهرت آراء زيد وسط آراء ثلاثة ، وأنها ان الخلافة تثبت بالوراثة لا بالاختيار ، وثانيهما الاعتقاد باغتصاب أبي بكر وعن علي حق في الخلافة ، وثالثها عصمة الأئمة ، ورابعها فكرة المهدي المنتظر التي ذهب اليها المختار الثقفي بعد اختفاء ابن الحنفية ، ولذا كانت آراء زيد هي تصحيحاً لهذه الآراء الشيعية كلها (٥) .

ويرى الدكتور النشار ان فكرة « تجويز خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة (٦) » لم تصدر عن

(١) احمد أمين : فجر الاسلام ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٩ .

(٣) رونلدسن : عقيدة الشيعة ص ١٣٠ ، ولكن الكيسانية كانت تدعو الى امام علوي لا فاطمي .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ ، الملطي : التنبيه والرد ص ١٨ .

(٥) أبو زهرة : الامام زيد ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٦) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ .

الامام زيد ، بل وضعته الزيدية اتباع الامام بن محمد النفس الزكية وابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، في ثورتها ضد الخليفة المنصور (١) ، ويشك الشيخ أبو زهرة أيضاً في نسبة هذا الرأي لزيد ، ويقول اننا لا نجد في المصادر ما يبرر نداء زيد بهذا الرأي ، ويتساءل هل اعتمد زيد على المهادنة بين علي ومعاوية ؟ ثم يجيب على تساؤله فيقول ان علياً لم يعترف بأن معاوية امام ، ولكنها كانت مهادنة لمصلحة المسلمين ولاداء فرائض الحج ، ثم ينسب الشيخ أبو زهرة هذا الرأي الى اتساع الدولة الاسلامية شرقاً وغرباً ، بحيث تكون المصلحة في تجزئة الحكم على ان يكون الولاء بينهما كاملاً والتعاون شاملاً (٢) .

استفاد الخلفاء العباسيون من الخلاف الذي نشب طوال العصر العباسي الأول بين الشيعة الامامية والشيعة الزيدية ، فقد رأت الشيعة الزيدية ان الامامة في اولاد فاطمة يتولاها كل عالم زاهد شجاع خرج بالسيف ، سواء من اولاد الحسن او الحسين (٣) ، ولذا أيدت الزيدية محمد النفس الزكية الذي أعلن الثورة في عهد الخليفة المنصور . كما ترى الزيدية ان الامامة تجوز لشخصين في عصر واحد اذا خرجا في قطرين وجمعا شروط الامامة (٤) .

تطور فرقة الشيعة الزيدية :

وتطورت فرقة الزيدية في العصر العباسي الأول ، فتنفر منها فرقة الجارودية

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) أبو زهرة : الامام زيد ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) قال النوبختي (فرق الشيعة ص ٤٨) : « وفرقة قالت ان الامامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين . فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب ، وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا الى نفسه فهو الامام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة امامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم » . من اتبعه على ذلك وكل من قال بادامته وهم الذين بسوا السرحوية » .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ .

وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد(١) . وتحدث الشهرستاني (٢) عن آراء الجارودية فقال : « زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية وهو الامام بعده . والناس قصرُوا حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف ، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك . وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة امامه زيد بن علي ، فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد . واختلفت الجارودية في التوقف والسوق . فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ، ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين زين العابدين ، ثم الى ابنه زيد بن علي ، ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقالوا بامامته » . كما ذكر الشهرستاني أيضاً ان الامام أبا حنيفة كان من الجارودية(٣) .

ويطلق الذوبختي(٤) على الجارودية اسم السرحوبية ، فقد كان أبو الجارود يسمى أيضاً (سرحوب) ، ويذكر الشهرستاني(٥) ان الامام محمد الباقر قد اطلق عليه هذا الاسم ، فقد تلقى أبو الجارود علومه عن هذا الامام ثم خالفه وفارقه .

ولم ترض الجارودية عن سياسة كل من الامام محمد الباقر ثم الامام جعفر الصادق في الاكتفاء بالامامة الروحية ، دون اعلان الثورة ومواجهة اغتصاب الامويين ثم العباسيين للخلافة من آل علي بن أبي طالب . فقالت الجارودية : « ومن ادعى منهم الامامة وهو قاعد في بيته مرخي عليه ستره فهو كافر مشرك ،

(١) ويكنى بابي النجم الهمداني الخراساني العبدي والنهدي والتتفي الكوفي وتوفي بين سنة ١٥٠ وسنة ١٦٠ هـ . ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الذوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٦٩ . فسر الامام محمد الباقر لفظ سرحوب فقال : شيطان اعمى يسكن البحر .

وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بامامته» (١) .

هذه هي آراء الجارودية السياسية ، وهي التي تمهنا في بحثنا هذا ، وكان للجارودية آراء فلسفية ومشاركة في علم الكلام مما يخرج عن نطاق بحثنا (٢) . ثم تطرفت فرقة الجارودية فاختلقت في سوق الامامة ، وأمنت بالمهدية وخلود الامام ، وشاركت في حركة محمد النفس الزكية ، واختلفت بعد مقتله ، فمنهم من قال : انه لم يقتل وهو حي وسيخرج ويملا الأرض عدلا . ومنهم من أقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين صاحب الطالقان (٣) ، ومنهم من قال بامامة يحيى بن عمر ، وقد تشتت الجارودية بعد ذلك في الامامية والزيدية ولم يظفر أبو الجارود بمحبة أي من طوائف الشيعة المختلفة ، وان كان هو يمثلها جميعها (٤) .

ومن الفرق التي تفرعت عن الشيعة الزيدية فرقة السليمانية ، وهم أصحاب سليمان بن جرير ، وقد ظهر في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ، وكان في أول امره من الشيعة الامامية اتباع الامام جعفر الصادق ، ثم فارقه وكون فرقة شيعية مستقلة (٥) ، وتحدث الشهرستاني (٦) عن آراء سليمان

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) من هذه الآراء ما ذكرها النوبختي (فرق الشيعة ص ٤٩ وما بعدها) اذ قالوا « الخلال حلال آل محمد صلى الله عليه وآله ، والحرام حرامهم ، والاحكام احكامهم ، وعندهم جميع ما جاء به النبي ... » وذكر الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩) ان بعضهم يزعم ان علم الحسن والحسين كعلم النبي فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة ، وبعضهم يزعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم ، وجائز ان يؤخذ عنهم ، وعن غيرهم من العامة .

(٣) وهو الذي سيمثل الثورة في عهد الخليفة العباسي الثامن المعتصم كما سنشهد في هذا البحث .

(٤) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٩٢ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٥ وما بعدها - يرجع السبب في فراق سليمان بن جرير للامام جعفر الصادق الى قول جعفر بعد موت ابنه وولي عهده اسماعيل : ان الله عز وجل بدأ له في امامة اسماعيل ، وأنكر سليمان هذا « البداء » وكان المختار الثقفي - كما ذكرنا آنفاً - يدعو الى البداء ، أي ان الله يغير مشيئته في بعض الامور .

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

السياسية فقال : « وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق ، ويصح ان
تعتقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصح في المفضول ، مع وجود
الافضل . واثبت امامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حقاً باختيار الامة
حقاً اجتهادياً . وربما كان يقول : ان الامة اخطأت في البيعة لهما مع وجود
علي رضي الله عنه خطأ لا يبلغ درجة الفسق ، وذلك الخطأ خطأ اجتهادي ،
غير انه طعن في عثمان رضي الله عنه للاحداث التي احدثها ، وأكفره بذلك ،
وأكفر عائشة وألزبير وطلحة رضي الله عنهم اقدامهم على قتال علي رضي الله
عنه . » كما عارض سليمان بن جرير مما ذهب اليه الرافضة حول البداء والتقية .
وانضم الى سليمان جماعة من المعتزلة (١) وجماعة من أهل السنة (٢) . وكان
لحركة سليمان بن جرير اثر كبير في الشيعة ، فقد أدت آراؤه الى انصراف
كثير من شيعة الامام جعفر الصادق عنه (٣) .

ومن فرق الزيدية التي كان لها شأنها في العصر العباسي الأول فرقة الصالحية
أتباع الحسن بن صالح بن حي (٤) . وهي أقرب فرق الشيعة الى أهل السنة (٥) ،
ومن هذه الفرق فرقة البيرية اصحاب كثير النوى الملقب بالابتر (٦) ، ويذكر
الشهرستاني ان الفرقتين تتفقان مع فرقة السليمانية في آرائهم حول الامامية ،

-
- (١) ومنهم جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من أصحاب الحديث .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٠ . يتحدث الشهرستاني عن معارضة سليمان المذهب
التقية : « فكل ما أرادوا تكلموا به ، فاذا قيل لهم في ذلك انه ليس بحق وظهر لهم
البطالان قالوا : انما قلناه تقية ، وقلناه تقية » .
(٣) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ١ ص ١٩٩ .
(٤) وهو كوفي ، ومن كبار العلماء ، وأخرج له مسلم والبخاري كان مولده سنة ١٠٠ هـ
وتوفي سنة ١٦٩ هـ ، وهو فقيه متكلم ، وكان يعاونه أخواه علي وصالح (ابن التميم :
الفهرست ص ١٢٧) .
(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٤ .
(٦) كان كثير من علماء الحديث ، واسمه الكامل ابو اسماعيل كثير بن اسماعيل بن نافع النواء
(الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٨ وما بعدها) .

ولكن الفرقتين تختلفان عن السليمانية في رأيها حول تكفير عثمان ، وترك الحكم عنه الى الله عز وجل فهو « احكم الحاكمين » ، ثم تقول الفرقتان ان علياً هو افضل الناس بعد الرسول وأولاهم بالامامة ، ولكنه سلم الى الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل الأمر لهم راضياً وترك حقه راغباً « فنحن راضون بما رضي ، مسلمون لما سلم » ، وترى الفرقتان « امامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل اذا كان الفاضل راضياً بذلك » ، ثم تقول الفرقتان : « من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان عالماً زاهداً شجاعاً ، فهو الامام » وشرط بعضهم صباحة الوجه ، ولهم خبط عظيم في امامين وجدت فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفيهما ينظر الى الافضل والازهر وان تساويا ينظر الى الامن رأياً والاحزم أمراً ، وان تساويا تقابلا فينقلب الأمر عليهم كلا ويعود الطلب جذعاً ، والامام مأموماً ، والامير مأموراً» (١) .

وترى الفرقتان انه في حالة ظهور اماميين في قطرين « انفرد كل واحد منهما بقطره ، ويكون واجب الطاعة في قومه ولو أفتى احدهما بخلاف ما ما يفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيباً ، وان أفتى باستحلال دم الامام الآخر » (٢) .

يصف النوبختي آراء فرقتي الصالحية والبترية بالاعتدال ، واقترابها من آراء أهل السنة وعامة الناس فهم وان فضلوا علياً وجعلوا الامامة من حقه ، الا انهم لا يطعنون في أبي بكر وعمر (٣) .

يصف الدكتور النشار (٤) الحسن بن صالح بأنه كان أخطر رجال الحركة الزيدية على الاطلاق ، فقد اعلن ولاءه لابناء زيد وأخلص لهم دون أولاد

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٥ وما بعدها .

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٩٤ .

فاطمة الآخرين . وكان الحسن بن صالح قد شارك هو وأهل بيته في ثورة زيد بن علي ، ولكنه لا يبدو انه شارك في خروج ابراهيم بن عبد الله حتى اذا قتل ابراهيم ، وتوارى عيسى بن زيد عن أنظار العباسيين ، التجأ الى دور بني صالح ، وأصبح صالح الساعد الايمن لعيسى بن زيد ، ورافقه في أدائه الحج ، ثم نظم له الدعوة ، وحاول حثه على الخروج ولكن عيسى رفض هذه الدعوة ، ومات الحسن بن صالح بعد موت عيسى بشهرين (١) .

هذه هي فرق الشيعة الاربع التي شهدها العصر العباسي الأول (٢) وقد قامت الزيدية بالغالبية العظمى من الحركات الثورية التي شهدها العصر العباسي الأول ، فقد أصبح المذهب الزيدي أكثر مذاهب الشيعة نمواً واتساعاً في ذلك العصر . ويفسر الشيخ أبو زهرة (٣) هذا الاتساع فيجعل له أربعة أسباب : أولاً فتح باب الاجتهاد ، فكان الاجتهاد من غير الأئمة اجتهاد منتسبين ولم يكن اجتهاد مستقلين ، وثانيها فتح باب الاختيار من المذاهب الاخرى فقد صار المذهب الزيدي حديقة غناء تلتقي فيها أشكال الفقه الاسلامي المختلفة ، وقد اختار الزيديون باجتهادهم من المذاهب الأخرى ما يتفق مع منطق المذهب أو أصوله . وثالث هذه العوامل وجود المذهب في عدة أماكن مختلفة متباعدة وكل اقليم يختلف في بيئته عن الاقاليم الاخرى فأصبح المذهب الزيدي يعتبر

(١) كان موت عيسى والحسن في عهد الخليفة العباسي الثالث المهدي ، كما سنرى في الباب الثالث من هذا البحث ، وقد أبدى المهدي سروره لموت الحسن (الاصفهاني : مقاتل الطالبين. ص ٤١٧) .

(٢) اقتصر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل على ذكر هذه الفرق الاربع بينما يضيف المسعودي في كتابه مروج الذهب فرقاً أخرى ثانوية .

(٣) أبو زهرة : الامام زيد ص ٤٨٨ .

من أهل كل بلد عرفه وعاداته وتقاليده وأفكاره مما أدى الى تجديد دماء هذا المذهب . أما العامل الرابع فهو وجود أئمة مجتهدين متبعين في كل عصر من العصور الأولى وحتى القرن الثامن الهجري .

ومما أفسح المجال أمام الشيعة الزيدية لتقوم بحركاتها الثورية التي استمرت طوال العصر العباسي الأول ، ركون الشيعة الامامية غالباً الى الهدوء والسلام ، واكتفاء الزعماء العلويين بالامامة الروحية .

* * *

٥ - محاولات أبي سلمة الخلال

لتحويل الخلافة الى العلويين

اعتقد العلويون ان العباسيين قد خدعوهم حين كانوا ينادون بتولية (الرضا من آل محمد) دون تحديد ، اذ انفرد العباسيون بالخلافة دونهم ، وخاصة ان العباسيين قد استفادوا من شيعة العلويين واعتمدوا عليهم في دعوتهم ، كما اتخذوا من وصية أبي هاشم للامام العباسي محمد بن علي طريقاً أوصلهم الى الخلافة ، ولذا بدأ العلويون يناضلون الخلفاء العباسيين كما كانوا يناهضون الخلفاء الامويين بالأمس . واضطر الخلفاء العباسيون الى الدفاع عن أنفسهم وعن دولتهم وبدأت مرحلة طويلة حفلت بمظاهر مختلفة للعداء بين العباسيين والعلويين .

أبو سلمة الخلال :

وكان أول هذه المظاهر ، مصرع أبي سلمة الخلال (١) . وهو حفص بن سليمان ، وكان مولى لبني الحارث بن كعب وهو من وجوه الكوفة ، وقد اشتهر بالعلم والفصاحة والكرم ، وقد اتصل بالعباسيين عن طريق صهره بكير بن ماهان كاتب ابراهيم الامام ، وحينما أدرك بكير قرب منيته ، أوصى الامام بأن يعهد الى أبي سلمة بالقيام بأمر الدعوة العباسية بدله . وقد بذل أبو سلمه كثيراً من الجهود من أجل هذه الدعوة .

(١) ذكر صاحب الفخري (ص ١٣٦) ثلاثة تفسيرات لتسميته بالخلال فقال : « قيل في تلقيبه بالخلال ثلاثة أوجه : احدها ان منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب اليهم .. وثانيها انه كان له حوائث يعمل فيها الخل فنسب الى ذلك وثالثها انها نسبة الى خلل السيوف وهي اغمارها » .

بعد بيعته أبي العباس بالخلافة ، استوزر أبو سلمة ، ولقبه (وزير آل محمد)(١) ولم يكن أبو العباس محباً له ، فقد كان «في النفس أشياء»(٢) ، ولكنه اضطر الى توليته ، ونرى ان ذلك كان بدافعين : اولهما مكانته بين أهالي خراسان وهم عصب الدولة العباسية وأنصارها ، وثانيهما منزلته من شيعة العلويين وكأن أبا العباس قد أراد تسكين خواطرهم وقد بدا هذا في تسمية أبي سلمة بوزير آل محمد دون تسميته بوزير بني العباس (٣) .

يجمع المؤرخون على ميل أبي سلمة الى تحويل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، مما أدى الى مصرعه بأمر من الخليفة أبي العباس . فيقول الطبري(٤) : « لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد ابراهيم الذي كان يقال له الامام بدا له الدعاء الى اولاد العباس ، واضمر الدعاء لغيرهم » . ويقول اليعقوبي(٥) أن أبا سلمة « دبر أن يصير الأمر الى بني علي » .

ويقول المسعودي (٦) : « وقد كان أبو سلمة ، حفص بن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام ، أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب » . ويقول صاحب الفخري (٧) : « وقام أبو سلمة بأمر دعوتهم ، أي العباسيين ، قياماً عظيماً ، فلما سير أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم الى بني علي عليه السلام » .

(١) منحه لقباء الدعوة العباسية هذا اللقب وسلموا اليه الرياسة (الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٤) .

(٢) الفخري ص ١٣٨ .

(٣) في الحقيقة كانت مهام أبي سلمة تشبه مهام الكاتب الأموي ، فيقول المسعودي « استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً » (التنبيه والاشراف ص ٢٩٤) .

(٤) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨٥ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٨١ .

(٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٧) الفخري ص ١٣٧ .

كما أشار ابن عساكر (١) والمقدسي (٢) الى محاولة أبي سلمة لتحويل الخلافة الى العلويين ويصف الدينوري (٣) أبا سلمة بأنه كان من كبار الشيعة .

أسباب ولاء أبي سلمة للعلويين :

وقد نتساءل : ما الذي جعل أبا سلمة يتحول عن ولائه من العباسيين الى العلويين ؟ ولا نستطيع ان نقول ان أبا سلمة كان مخلوعاً في الدعوة العباسية حينما دعت الى (الرضا من آل محمد) كما خدع كثير من شيعة العلويين ، فقد كان أبو سلمة في مقدمة الدعاة العباسيين وهو صهر بكير بن ماهان من أوائل وأكابر الدعاة ، وقد كانا يدعوان للامام محمد بن علي العباس ، ويقفان على كل اسرار الدعوة العباسية وأبعادها ووسائلها . ولكننا نستطيع ان نقول ان اختيار أبي مسلم الخراساني لقيادة الثورة في خراسان كان العامل الأول في هذا التحول في ولاء أبي سلمة ، فقد استطاع أبو مسلم ان يتقدم الصفوف ، ويحجب جميع الدعاة العباسيين وكان صاحب اليد الطولى في اسقاط الدولة الاموية واقامة الدولة العباسية الى جانب شعوبيته وقسوته ، وما أقدم عليه من اضطهاد للعناصر العربية . وتنكيل بأنصار الامويين مما حفلت به المصادر العربية القديمة (٤) .

وخير ما يبرز ما كان من عدااء بين أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني ، ما رواه المسعودي ، فقد كتب أبو مسلم الى أبي العباس يشير عليه بقتل أبي سلمة ، وجاء في كتابه : « قد أحل الله لك دمه ، لانه قد نكث وغير وبدل » . ولكن أبا العباس رفض ذلك وقال : « ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من

(١) ابن عساكر : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٧٧ .

(٢) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٦ ص ٦٧ .

(٣) الاخبار الطوال ص ٣٣٦ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٧٠ → ٧٥ ، الفخري ص ١٣٥ - ١٣٦ .

شيعي ، لا سيما مثل أبي سلمة وهو صاحب الدعوة وقد عرض نفسه ، وبذل مهجته وانفق ماله ، وناصح إمامه وجاهد عدوه . وأشار أبو جعفر المنصور وداود بن علي على أبي العباس بقتل أبي سلمة ، فرفض ذلك فنصحته بأن يحتس منه ، فأجاب أبو العباس « كلا اني لآمنه في ليلى ونهاري وسري وجهري ووحدتي وجماعتي (١) » .

اتخذ تحول ميول أبي سلمة عن العباسيين الى العلويين ، صورا كثيرة ، سلبية وإيجابية . أما الصور السلبية فبدأت في موقفه من أبي العباس وأبي جعفر المنصور بعد قدومهما الى الكوفة ، بعد القبض على الامام ابراهيم وموته في سجن الخليفة الأموي مروان بجران ، فروى الطبري (٢) والمسعودي (٣) ان أبا سلمة أخفى أبا العباس والمنصور وكنم أمرهما أربعين يوماً عن جميع القواد والشيعية وكان كلما سألوه عن الامام قال : ليس هذا وقت خروجه . وقد رفض أبو سلمة أن يمنح أبا العباس مائة دينار كان قد طلبها منه ليمنحها لصاحب الابل التي حملت العباسيين من الحميمة الى الكوفة (٤) . وكان أبو العباس يتوقع امتناع أبي سلمة عن البيعة له ، ولذا حينما خرج أبو سلمة للقائه عند أول قدومه الى الكوفة ، طلب أبو العباس من أنصاره ان يكونوا على حذر ، وان يقدموا على قتل أبي سلمة ان هو امتنع عن البيعة ، ولكن أبا سلمة خيب ظنون أبي العباس ، وسلم عليه بالخلافة (٥) ، ويروي الطبري ان احد رجال أبي العباس ، وهو أبو حميد ، قال لأبي سلمة حينما بايع أبا العباس : على رغم

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٨٤ ، انظر أيضاً تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٨٩ والاعخبار الطوال للدينوري ص ٣٦٨ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٨٠ .

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٨٦ .

(٥) الطبري ج ٦ ص ٨٧ .

أنفك(١) . وكان أبو سلمة يمين على أبي العباس بأفضاله على وصوله الى الخلافة فيقول ابن قتيبة(٢) : « وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين » .

كان أبو العباس واقفاً على ميول أبي سلمة نحو العلويين ، ولكنه آثر السكوت عليها ، اذ كان يمر بفترة قلقه حرجة فلا تزال الدولة الاموية قائمة وخليفتها مروان بن محمد على قيد الحياة . وبعد البيعة لأبي العباس ، رأى ان يرحل عن معسكره بظاهر الكوفة الى الهاشمية بعد أن تأكد من اتجاهات أبي سلمة ، فروى الطبري : « وأقام أبو العباس في المعسكر أشهراً ، ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الكوفة وقد كان تنكر لأبي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك » .

رسائل أبي سلمة إلى زعماء العلويين :

ثم بدأت المرحلة الايجابية ، فقد رأى أبو سلمة ان تتخذ ميوله نحو العلويين صورة فعالة . فكتب ثلاث رسائل الى ثلاثة من زعماء العلويين حينئذ ، وهم جعفر بن محمد الصادق(٣) ، وعبدالله المحض بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٤) ، وعمر الاشرف بن زين العابدين(٥) . والثلاث رسائل من نسخة واحدة ، وفي كل رسالة « يدعو كل واحد الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجهتد في بيعة أهل خراسان له(٦) » .

(١) الطبري ج ٦ ص ٨١ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٣١ .

(٣) سنتحدث عن موقف الامام جعفر الصادق من الخلافة العباسية في فصل خاص من هذا البحث .

(٤) وهو الذي سيثور ابنه محمد النفس الزكية وابراهيم في عهد الخليفة المنصور كما سنرى في الباب القادم من هذا البحث .

(٥) الفخري ص ١٣٧ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .

أعطى أبو سلمة رسائله الثلاث الى رسول أمين من شيعة العلويين المخلصين وأمره بأن يقصد اولاً جعفر بن محمد الصادق فان أجاب ابطل الكتابين الآخرين وان لم يجب قصد عبدالله المحض فان أجاب هذا أبطل الرسالة الثالثة ، وان لم يجب قصد عمر (١) . فقد كان جعفر اعظم شخصيات البيت العلوي ، فهو من أحفاد الحسين بل يصفه ابن عماد (٢) بانه سيد بني هاشم جميعاً في عصره .

رحل الرسول ، وهو محمد بن عبد الرحمن الى المدينة حيث التقى بجعفر بن محمد الصادق ، ودفع اليه بكتاب أبي سلمة ، فقال جعفر : وما أنا وأبو سلمة ؟ وأبو سلمة شيعة لغيري . ووضع جعفر الكتاب على سراج حتى احترق ، وقال للرسول : عرف صاحبك بما رأيت . ثم تمثل بيت شعر للكميث بن زيد هو (٣) :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

وخرج الرسول بالكتاب الثاني الى عبدالله المحض فأبدى هذا سروره بما حوته الرسالة وخرج من فوره الى دار جعفر بن محمد الصادق واطلعه على الكتاب وقال له : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ، فقال جعفر : يا أبا محمد ، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك ؟ انت بعثت أبا مسلم الى خراسان ، وأنت أمرته بلبس السواد ؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم او وجهت فيهم ؟ وهل تعرف منهم أحداً ؟ ولم يقتنع عبدالله المحض بمقالة جعفر وقال : انما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة . فقال جعفر : والله ما هو مهدي هذه الأمة ولئن شهر سيفه ليقنتان . وغضب عبدالله المحض ، وصاح في جعفر : والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد . فقال جعفر : والله ما هذا الا نصيح مني لك ، ولقد كتب الي أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك ، فلم يجد رسوله

(١) الفخري ص ١٣٧ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٩ والجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٦ .

عندي ما وجد عندك ، ولقد احترقت كتابه من قبل ان أقرأه . وغادر عبدالله دار جعفر غاضباً (١) .

وقصد الرسول الزعيم العلوي الثالث عمر بن زين العابدين ، فرد الكتاب وقال : أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه (٢) .

مصرع أبي سلمة الخلال :

ورأى الخليفة أبو العباس أن يقف من أبي سلمة موقفاً حازماً ، فجمع خاصته وحاشيته ليشاورهم في أمره وذكرهم بما فعله أبو سلمة مع العباسيين عند قدومهم الى الكوفة ، وحجبهم عن أنصارهم أربعين يوماً ، ونقل اليهم نبأ مكاتبة أبي سلمة لزعماء العلويين . فقال أحد خاصة العباسيين : ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم . فقال أبو العباس : لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم أنا لبعض بلاء إلا ان يدفعه الله عنا (٣) .

لم يشأ أبو العباس أن تكون نهاية أبي سلمة الخلال على يديه ، حتى لا يثير مشاعر الشيعة ضده ، ورأى ان يعهد بذلك الى خصمه اللدود أبي مسلم الخراساني فبعث اليه بكتاب « يعلمه فيه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عنهم ، ويقول له : انني قد وهبت جرمه لك » . وباطن الكتاب يقتضي تصويب الرأي في قتل أبي سلمة (٤) ، وبعث أبو العباس هذا الكتاب مع أخيه أبي جعفر المنصور

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٩ - روى اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ ص ٣٤٩) ان عبد الله بن الحسن قال لرسول أبي سلمة : أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الامر . ثم أرسل الى جماعة من بني أمية وقال : بايعوا لابني محمد ، فان هذا كتاب أبي سلمة حنص بن سليمان الي . فقال جعفر بن محمد : أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك .

(٢) الفخري ص ١٣٨ - وكان عمر بن زين العابدين قد انصرف عن مشاكل السياسة الى الدين والعلم .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٠٢ ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٣٣٦ .

(٤) الفخري ص ١٣٨ .

وبعث أبو مسلم ، بجماعة من أهل خراسان قتلوا أبا سلمة ، وزعم ان الخوارج هي التي قتلته (١) .

ومن هذا كله نرى ان العلويين لم يكن لهم من القوة وكثرة الانصار ما يعيد لهم سبيل الوصول الى الخلافة ، فلم يروا بدأً من الاستكانة حتى تنهياً لهم الاحوال فيمتشقون الحسام ويقومون بطلبها . ومن هذا لا نعجب اذا رفض العلويون عروض أبي سلمة عليهم في عضده ، مما أدى الى قتله على يد السفاح بعد ان وقف على رغبته في تحويل الخلافة الى العلويين (٢) .

علق الدكتور الجومرد على محاولة أبي سلمة الخلال تحويل الخلافة الى العلويين فقال : والواقع ان محاولة أبي سلمة هذه كانت أشبه باللعب بالنار ، ولا ندرى على ماذا كان اعتماده في هذه المحاولة ، بعد أن تكلمت الثورة العباسية بنصر كبير ، وسيوف زعيمها أبي مسلم الخراساني من بني العباس ؟ والظاهر ، انه كان يريد ان يخلق جبهة ثالثة علوية ، تقوم بعد ان تضعف الجبهتان المتصارعتان ، الاموية ، والعباسية ، فتكون النتيجة لها . ولكنه أخطأ تقدير الزمن اذ كانت الثورة العباسية تتقدم نحو نهاية النصر باسرع مما كان يتصور (٣) .

أهمل أبو مسلم الخراساني أبا جعفر المنصور حين كان لديه في خراسان ، مما اثار غضبه ، فعاد الى أبي العباس يقول : « لست نخلين ولا أمرك بشيء ان

(١) الطبري ج ٦ ص ١٠٣ - المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧٠-٢٧١ . وذكر الجهشيارى (الوزراء والكتاب ص ٨٤ - ٨٥) ان أبا مسلم الخراساني كلف مرار بن أنس الضبي بقتل أبي سلمة الخلال وروى ابن خلكان (وفيات الاعيان ج ١ ص ١٦٣) ان أبا العباس السفاح انشد حينما علم بمصرع أبي سلمة :

الى النار فليذهب ومن كان مثله
على أي شيء فاتنا منه نأسف

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٨٦ .

(٣) أبو جعفر المنصور ص ٩٩ يرى الدكتور الدوري (النظم الاسلامية ص ٢١٨) ان نكبة الخلال كانت مظهراً للموضع الوزارة ، وللتصادم بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير .

تركت ابا مسلم ولم تقتله » ، ولكن ابا العباس أدرك خطورة الاقتراح ، وراى
ارجاء تنفيذه (١) .

استوزر السفاح بعد مصرغ ابي سلمة ، ابا الجهم بن عطية ، وهو مولى
فارسي من صنائع ابي مسلم الخراساني ، ولذا أصبح عيناً على الخليفة ينقل
أخباره الى ابي مسلم (٢) .

وحدث بعد مصرغ ابي مسلم ، ان شهدت مدينة واسط قتالا عنيفاً بين
الجيش العباسي بقيادة الحسن بن قحطبة ، والجيش الاموي بقيادة يزيد بن
عمر بن هبيرة ، فقد رأى ابن هبيرة ، رغم مقتل الخليفة الاموي وسقوط دولته ،
الاستمرار في مقاومة العباسيين . ثم رأى ابن هبيرة ان يدعو لزعيم علوي .
فبعث برسالة الى محمد بن عبد الله بن الحسن ، ولكنه أبطأ عليه في الرد ، ولذا
اضطر ابن هبيرة الى قبول الامان الذي عرضه أبو جعفر المنصور نيابة عن
أخيه ابي العباس (٣) .

أبدى عبدالله بن الحسن العلوي سخطه على السياسة التي انتهجها الوالي
الأموي داود بن علي في التنكيل بأنصار بني أمية ، حيث أسرف في سفك
دمائهم ، فقال الزعيم العلوي له : « يا ابن اخي ، اذ قتلت هؤلاء كلهم فمن
تباهي بملك الله » ؟ ولكن داود بن علي رفض النصيحة واستمر في سياسته
الدموية (٤) .

(١) اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥١ ، الطبري ج ٦ ص ١٠٤ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٠٧ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٩٣ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٠٧ - واسط : هي المدينة التي انشأها بالعراق الحجاج الثقفي في العصر
الاموي (اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٢٢ وياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٣٧٩ -
٣٨٠) .

(٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٣٥ .

ويبدو ان ركون الشيعة الامامية الى الهدوء ، الى جانب انشغال أبي العباس في هدم بقايا آثار الدولة الاموية ، لم يدع مجالاً لقيام حركات شيعية ثورية : ولذا لم يلق أحد من العلويين حتفه على يد أبي العباس ، فيقول الاصفهاني(١) عنه : « ولا أعلمه قتل احداً منهم ولا أجرى الى جليس له مكروهاً » .

* * *

(١) مقاتل الطالبين ص ١٧٣ .

الباب الثاني

جهاد الشيعة الزيدية والإمامية
في عصر الخليفة العباسي المنصور

- ١ - ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز .
- ٢ - ثورة ابراهيم بن عبدالله في البصرة .
- ٣ - موقف الإمام جعفر الصادق والشيعة الإمامية من الخليفة المنصور .
- ٤ - الصراع الفكري بين الشيعة والعباسيين وموقف الإمامين مالك وأبي وأبي حنيفة .

١- ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز

شهد عصر أبي جعفر المنصور ، اول حركة ثورية تقوم بها جماعة الشيعة الزيدية ضد الدولة العباسية ، وقد حمل لواء هذه الثورة زعيمان اخوان ، هما محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم ، وهما ابنا عبدالله بن الحسن الذي أصبح ابناؤه واحفاده يحملون لواء الثورة ضد الدولة العباسية .

يتفق المؤرخون على ان ابا جعفر المنصور ، ثاني الخلفاء العباسيين ، هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، فقد قام بنصيب كبير في الدعوة العباسية وفي الخلاص من الدولة الاموية واقامة الدولة العباسية ، وكان الساعد الايمن لأخيه أبي العباس ، أول الخلفاء العباسيين ، حتى اذا تولى المنصور الخلافة سنة ١٣٦ هـ ارسى قواعد الدولة العباسية ، اذ قضى على اعدائها وخصومها ، وبنى العاصمة العباسية الكبيرة بغداد ، كما وضع أسس النظم الادارية والمالية .

محمد النفس الزكية :

كان أبرز زعماء الشيعة عند تولي أبي جعفر المنصور الخلافة ، جعفر الصادق ابن محمد الباقر امام الشيعة الامامية ومحمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية ، أما جعفر الصادق فقد آثر الركون الى الهدوء والامتناع عن المطالبة بالخلافة اذ رأى ان الظروف غير مؤاتية فقد كانت الدولة العباسية لا تزال في أول عهدها ، وفي أوج قوتها كما رأى بطش أبي العباس وأبي جعفر المنصور باعدائهما ، اذ لم يجد المنصور بأساً من الخلاص من أبي مسلم الخراساني الذي حمل لواء الدعوة العباسية وأرسى قواعد الدولة العباسية ، كما أقدم على

التنكيل بعمة عبدالله بن علي رغم بلائه من أجل قيام دولة بني العباس (١) :
وستحدث بالتفصيل عن موقف جعفر الصادق في فصل خاص من فصول
هذا البحث .

أما الزعيم الآخر ، وهو محمد النفس الزكية ، فكان أكثر العلويين تطلعاً الى
الخلافة ، وقد بدأ طموحه فيها منذ أواخر العصر الاموي ، حين بايعه كثير من
بني هاشم ومن بينهم أبو جعفر المنصور (٢) .

أطلق القوم على محمد بن عبد الله اسم (النفس الزكية) (٣) ويفسر
المسعودي(٤) هذه التسمية فيقول : وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده
ونسكه « كما اطلق عليه أيضاً اسم «المهدي» ، وفي ذلك يقول صاحب الفخري(٥)
كان النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجاهم فضلاً وشفراً ودينياً وعلماً
وشجاعة وفصاحة ورياسة وكرامة ونبلا ، وكان في ابتداء الأمر قد شيع بين
الناس انه المهدي الذي بشر به ، واثبت ابوه هذا في نفوس طوائف من الناس ،
وكان يروي ان الرسول صلوات الله عليه وسلامه قال (لو بقي من الدنيا يوم
لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهدياً او قائماً اسمه كاسمي واسم ابييه
كاسم أبي) .

كما أطلق على النفس الزكية ايضاً اسم « صريح قریش » ويفسر الاصفهاني
هذه التسمية فيقول « لانه لم يقم عنه ام ولد في جميع ابناءه وامهاته وجداته»(٦) .

-
- (١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٠ وما بعدها ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٤ وما بعدها .
 - (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٠٦ ، الفخري ص ١٤٧ .
 - (٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣١٤ .
 - (٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٦ .
 - (٥) الفخري : ص ١٤٨ .
 - (٦) مقاتل الطالبين ص ٢٣٣ ، الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢ وما بعدها .

ظل محمد النفس الزكية منذ اواخر العصر الاموي يعتقد انه صاحب الحق الشرعي في الخلافة دون أبي العباس وأبي جعفر المنصور ، بل اعتقد ان هذين الخليفين العباسيين قد اغتصبا حقه في الخلافة ، وان في عنقهما بيعة له ، ولذا امتنع محمد النفس الزكية عن البيعة للخليفين .

ويفسر الاصفهاني (١) حرص أبي العباس والمنصور على طلب البيعة من النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، بما كان في عنقهما من بيعة للنفس الزكية ، فيقول الاصفهاني « فلما ظهرت الدعوة لبني العباس وملكوا ، حرص السفاح ، والمنصور على الظفر بمحمد و ابراهيم ، لما في اعناقهم من البيعة لمحمد ، وتواريا فلم يزا الا يتقلان في الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية الى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا » .

وتحدث الاصفهاني (٢) عن بيعة المنصور لمحمد النفس الزكية في أواخر العصر الأموي ، فروى عن عبدالله بن سعد الجهني أنه قال : « بايع أبو جعفر محمداً مرتين (٣) انا حاضر احدهما بمكة في المسجد الحرام ، فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال : أما انه ان أفضن اليكما الأمر نسيت لي هذا الموقف .

شاع بين الناس أن النفس الزكية هو « المهدي » ، وقد اجتهد أبوه عبدالله ابن الحسن في نشر هذه العقيدة ، فكان يقول « ان ابنه محمد هو المهدي الذي بشر به الرسول عليه الصلاة والسلام » . ثم ألقى الله محبته على الناس ، فمالوا اليه كافة ثم عضد ذلك ان اشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للأمر ، فقدموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الأمر وزادت رغبة الناس فيه (٤) .

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٩ .

(٣) كانت البيعة الثانية في الابواء ، وهو مكان بأعلى المدينة ومثل البيت العباسي ابراهيم بن محمد ابن علي ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن علي . ومثل بيت الحسن بن علي عبدالله بن الحسن وابناه محمد النفس الزكية و ابراهيم ، كما حضر الاجتماع بعض بني عثمان (الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ٢٧) .

(٤) الفخري ص ١٤٨ ، الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ٢٧ .

وشاع بين الناس رواية تقول انه « يملك رجل اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله ، واسم امه على ثلاثة احرف اولها هاء وآخرها دال (١) » وكانت هذه الرواية تنطبق على النفس الزكية ، فاسمه محمد وأمه هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب (٢) وتشيع محمد النفس الزكية بهذه الرواية التي تناقلها الناس ، حتى انه كان يعد نفسه منذ صغره لتولي الامامة ، فيقول الاصفهاني (٣) « لم يزل محمد بن عبد الله بن الحسن ، منذ كان صبياً ، يتوارى ويراسل الناس بالدعوة الى نفسه ويسمى بالمهدي » ويذكر الاصفهاني (٤) ايضاً ان أبا جعفر المنصور أراد صرف عناطف الناس عن النفس الزكية ، فسمى ابنه محمداً كما لقبه بالمهدي ايضاً .

موقف النفس الزكية وأخيه ابراهيم من خلافة المنصور :

امتنع محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم عن البيعة لأبي العباس اول الخلفاء العباسيين . وقد سكت الخليفة عن ذلك ، فقد كانت الدولة العباسية في أول عهدها ، تواجه كثيراً من المشاكل والاضطرابات . فرأى ان يؤجل أمر الزعيمين العلويين الى حين تنهياً الظروف له .

وفي أواخر عهد أبي العباس ، رحل أخوه وولي عهده أبو جعفر المنصور الى الحجاز حاجاً سنة ١٣٦ هـ ، وفي المدينة ، خرج وجوه القوم اليه لتحيته والسلام عليه ، ولم يتخلف منهم غير محمد و ابراهيم ولدي عبد الله بن الحسن . فسأل المنصور عبد الله عن ولديه فانكر علمه بمكانهما واغلظ كل منهما القول للآخر ، مما أدى الى غضب المنصور فاقترح احد خاصته عليه قتل عبد الله ،

-
- (١) مقاتل الطالبين ص ٢٤٠ ، كان النفس الزكية يمتاز بأن اسمه محمد وبأن اسم أبيه هو عبد الله تشبيهاً بالرسول .
(٢) كان عبد الله المحض هاشمياً خالصاً فأبوه من سبط الحسن وأمه من سبط الحسين .
(٣) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠ .

ولكن والى المدينة زياد بن عبدالله الحارثي هداً من ثورة المنصور ، وتعهد بالبحث عن محمد و ابراهيم والقبض عليهما(١) ، واكتفى المنصور بهذا التعهد ، وأقر الوالي في ولايته ، وبدأ رحلته الى بلاد العراق (٢) .

وفي طريق المنصور الى العراق ، جاءه نبأ وفاة أخيه أبي العباس ، وعلم ان الخلافة قد آلت اليه ، فبعث برسول الى الحجاز ، ليأخذ البيعة له بالخلافة من أهل مكة والمدينة دون ان يتخلف احد عنها ، كما بعث المنصور مع رسوله رسالة الى زياد بن عبدالله يحثه فيها بالحد في البحث عن النفس الزكية و ابراهيم ، وأخذ البيعة منهما(٣) .

ثم توالى احداث خطيرة عاجلة ، شغلت الخليفة الجديد ، أبا جعفر المنصور فقد كان عليه الخلاص من أبي مسلم الخراساني ، ومن غمه عبدالله بن علي ، وكان عليه مواجهة حركات الزنادقة ، وثورات الخوارج . حتى اذا انتهى من مواجهة هذه الاخطار والتغلب عليها ، عاود الاهتمام بأمر الحجاز ، حتى تستقر لاوضاع في هذا القطر الاسلامي المقدس الذي شهد مشرق أنوار الاسلام اومهبط الوحي ، والذي تتجه اليه انظار المسلمين جميعاً في مشارق الارض ومغاربها . وكانت الانباء تتواتر الى المنصور باتساع الدعوة لمحمد النفس الزكية(٤) .

وفي خضم هذه الاحداث ، رأى المنصور ان يقف على أمر النفس الزكية ، ولذا نراه في موسم الحج سنة ١٣٨ هـ يعهد الى أمير الحج الفضل بن صالح بن علي العباسي بالوقوف على أمر النفس الزكية وأخيه ابراهيم دون ان يشير اضطراباً فقال المنصور له : « ان وقعت عينك على محمد ، و ابراهيم ابني عبد الله بن

(١) الطبري ج ٦ ص ١٥٦ الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢١٣ .

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٥٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٤) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧١ ، ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٢٧٠ .

حسن فلا يفارقك ، وان لم ترهما فلا تسأل عنهما » وقدم الفضل الى المدينة فتلقاه أهلها جميعاً ، عدا محمداً وابراهيم فتوجه لعبدالله بالسؤال عن ولديه ، فقال : ما منع ابنك ان يلقياي مع اهلها ؟ فأجاب عبدالله : ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء . ولكنهما مهومان بالصيد واتباعه لا يشهدان مع أهلهما خيراً ولا شراً . وسكت الفضل ، وما لبث ان عاد الى العراق بعد نهاية موسم الحج (١) .

وفي عام ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) خرج المنصور الى بلاد الحجاز حاجاً ورأى ان يولي أمر الدعوة العلوية الاهتمام . وجمع المنصور بني هاشم وفيهم العلويون فاغدى عليهم الصلات والاعطيات ، ثم اختلى بكل منهم على حدة ، فكان المنصور يسأل عن محمد النفس الزكية . فكان كل منهم يقول : « يا أمير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يجب لك معصية (٢) .

ولم يجد عن هذا القول من بني هاشم غير حسن بن زيد بن حسن بن علي الذي قال للمنصور : « والله ما آمن وثوبه عليك ، فانه للذي لا ينام عنك ، قر رأيتك » .

ورأى المنصور ان يعاود الكرة مع عبدالله بن الحسن ، ولعله يظفر منه بمكان ابنه محمد النفس الزكية وابراهيم . فدعا المنصور الى مائتته بني العباس وفيهم عبدالله بن الحسن . وتوجه المنصور اليه فقال : يا أبا محمد ، محمد وابراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي ، واني لأحب ان يأنسا بي ويأتياي ، فأصلهما وأزوجهما واخطهما بنفسي واطرق عبدالله طويلاً ثم قال : وحقك

(١) الطبري ج ٦ ص ١٥٨ - كان علماء آل أبي طالب يقولون عن النفس الزكية (المقتول باحجار الزيت) وهي احجار قرب المسجد عند السوق بالمدينة قرب الزوراء وهي ثلاثة احجار كان يضع الزياتون عليها زيتهم (الشمراني : مختصر تذكرة القرطبي ص ٢٣١ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٣٣) .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٥٦ .

يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، ولقد خرجا عن يدي (١) .

ورأى المنصور ان يتمالك نفسه ويصبر على عبدالله ، فروى الاصفهاني (٢) انه امتنع عن غذائه ذلك اليوم ليتفرغ للرحيب بعبدالله بن الحسن ومحادثته في أمر ابنه ، واستمر المنصور يلح على عبدالله في السؤال عن مكان اختفاء ابنه ، واستمر عبدالله يقسم بأنه لا يعرف موضعهما ، فيقول المنصور : لا تفعل يا أبا محمد لا تفعل يا أبا محمد .

وطلب عبدالله بن الحسن من المنصور امهاله ، ثم خرج سرا إلى سليمان ابن علي العباسي ، فقال له : يا أخي ، بيننا من الصهر والرحم ، فما قولك فيما نحن فيه مع أبي جعفر ؟ فقال سليمان : ان أخي عبدالله بن علي في محبسه لأنه ثار عليه والموت بيننا وبينه في كل ساعة ، ولو كان المنصور عافياً عن ابنك لعفونا عن عمه قبله (٣) .

والتقى عبدالله بالمنصور ثانية ، ثم كانت القشة التي قصمت ظهر البعير . فقد كان المنصور مع ابنه المهدي يطلعان على كتاب ورد عليهما ، وتكلم المهدي مع أبيه فلحن في الكلام . فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين الا تأمر بهذا من يعدل لسانه فانه يفعل كما تفعل الأمة ؟ وأبدى المنصور غضبه فصاح في عبدالله : أين ابنك ؟ فأجاب لا ادري فقال المنصور : لتأتيني به ، فقال عبدالله : لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه ، فأمر المنصور من فوره بالقبض على عبدالله وأسرته وسجنهم (٤) .

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦٠ . الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢١٤ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ١٦١ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ص ٢١٥ .

روى الطبري(١) ان انصار محمد النفس الزكية و ابراهيم أرادوا اغتيال أبي جعفر المنصور حينما حج في سنة ١٤٠ وتعهد الاشر عبد الله بن محمد بن عبد الله بالقيام بالاغتيال ، ولكن النفس الزكية رفض هذا المشروع ، وقال : والله لا أقتله أبداً غيلة حتى ادعوه وكان قد انضم الى هؤلاء المتآمرين قائد من قواد الخليفة يدعى خالد بن حسان ، وهو من أهالي خراسان . وعلم المنصور بأمر هذا القائد وحاول القبض عليه ولكنه اخفق في ذلك . ووجه النفس الزكية هذا القائد الى خراسان للدعوة اليه ، وانتقم المنصور من هذا القائد بأن قتل كثيراً من رجاله .

اضطهاد العلويين بالمدينة :

سجن عبد الله بن الحسن في دار مروان بالمدينة حيث ظل حبساً ثلاث سنوات(٢) و ابدى محمد النفس الزكية ألمه لما نال أباه واسرته من اضطهاد وما يعانونه في سجنهم ، فقدم مع أمه هند سرّاً ، وطلب منها ان تتوجه الى أبيه عبد الله في سجنه لتقول له : « يقول لك محمد بأنه يقتل رجل من آل محمد خير من أن يقتل بضعة عشر رجلاً » . ونقلت هند الى زوجها مقالة ابنها ، فقال عبد الله : « حفظ الله محمداً ، لا ولكن قولي له فليأخذ في الأرض مذهباً ، فوالله ما يحتاج عند الله غداً الا أنا خلقنا وفينا من يطلب هذا الأمر(٣) . وكانت هذه العبارات كافية ليمضي محمد النفس الزكية في طريقه وفي دعوته ساعياً الى تولي الخلافة ومواجهة الدولة العباسية وخليفتها المنصور .

و أدرك المنصور ان ارهاب العلويين وسجن عبد الله بن الحسن واسرته لم تجد نفعاً ، ورأى ان يتخذ طريق الحيلة والدهاء للكشف عن مكان اختفاء محمد النفس الزكية ، فكتب رسالة على لسان الشيعة موجهة الى محمد النفس الزكية ،

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٢) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧٢ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢١٥ - ٢١٦ .

يذكرون فيها طاعتهم له ويطالبونه بالمسارعة في اعلان ثورته . وارفق المنصور الرسالة بكثير من الاموال والهدايا وتوجه هذا الرجل الى عبدالله بن الحسن في سجنه فاطلعه على الرسالة . فقال عبدالله للرجل ان ابنه النفس الزكية مخنف في جبل جهينة وطلب منه ان يقصد علي بن حسن ليدله على مكان النفس الزكية . وكادت حيلة المنصور ان تنجح ، لولا ان كاتباً للمنصور كان يعتقد مذهب الشيعة ، كتب الى عبدالله بن الحسن يطلعه على خبر هذا الرسول المزيف الذي بعثه المنصور ، فبعث عبدالله ببعض رجاله يحذرون علي بن حسن ومحمداً النفس الزكية من رسول المنصور ، وعاد هذا الرسول الى المنصور خائباً (١) .

كان والي المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي قد تعهد للخليفة المنصور قبل رحيله الى العراق ، بالبحث عن مكان اختفاء محمد النفس الزكية . ولكنه تعاون في البحث عنه ، فقد كان يدرك ان المنصور يقتل محمداً اذا قبض عليه ولم يشأ هذا الوالي أن يلقي دمه على عاتقه . وتوالت كتب المنصور على واليه يستحثه على البحث عن مكان محمد . وحدث ان قدم محمد الى المدينة فاستقبله زياد مرحباً واعطاه الامان ، وتواعدا على مواجهة الناس في سوق المدينة (٢) . ووقف زياد يقول : أيها الناس ، هذا محمد النفس الزكية وتصايح أهل المدينة « المهدي المهدي » ثم وجه زياد الحديث الى محمد فقال له : الحق بأي بلاد الله شئت (٣) ، وتوجه محمد الى عدن ثم الى السند فالكوفة ، وعاد أخيراً الى المدينة .

علم أبو جعفر المنصور بموقف زياد من محمد النفس الزكية فغضب لذلك غضباً شديداً اذ عصا أوامر الخليفة ، وخرج علي ولأته للدولة العباسية ، فكتب الى قاضي المدينة عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله بالقبض على زياد ومصادرة

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) تقع هذه السوق عند الزوراء وعلى مقربة من المسجد (معجم البلدان ج ١ ص ١٣٣) .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ - ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

أمواله وعزل رجاله وانصاره . ونفذ القاضي أوامر الخليفة ، فقبض على ابن زياد وكبله بالاغلال ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار . وقال زياد : « والله ما أعرف لي عند أمير المؤمنين ذنباً ، غير أنني أحسبه وجد علي في ابني عبدالله ووجد دماء بني فاطمة علي عزيزة (١) » ثم انشد زياد :

أكلف ذنب قوم لست منهم وما جنت الشمال على اليمين

ولى الخليفة المنصور على المدينة والياً جديداً ، هو محمد بن خالد بن عبدالله القسري ، وأمره بالحد في طلب محمد النفس الزكية ، وبسط يده في النفقة ، فقدم الى المدينة في أول رجب سنة ١٤١ هـ . ومضت الايام دون ان ينجح محمد بن خالد في مهمته التي وكلها المنصور اليه واستبطأه الخليفة ، وكتب اليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها (٢) . ولكن الوالي الجديد كان كسلفه في امتناعه عن اراقة دماء بني الحسن ، فكتب الى المنصور يعلمه بأن النفس الزكية قد غادر المدينة قبل قدومه اليها ، وتنقل في كثير من الأمصار الاسلامية ، فعزله المنصور من ولاية المدينة .

استشار الخليفة المنصور أحد خاصته وهو أبو العلاء ، فيمن يوليه على المدينة ويوكل اليه أمر محمد النفس الزكية ، فأشار عليه الرجل بتولية رجل من آل الزبير بن العوام أو من آل طلحة بن عبيد الله ، فهم يعلمون جميعاً عداوتهم لعلي بن أبي طالب ، وانه قد وقف الزبير وطلحة من علي بن أبي طالب موقفاً عدائياً في حرب الجمل (٣) كما بايع عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٦٦ ، الشريف تاج الدين غاية الاختصار ص ١٥ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٧ -

واضطهد آل علي بن أبي طالب وخاصة ابنه محمد بن الحنفية (١) ، كما قضى على المختار الثقفي نصير آل علي (٢) .

رفض أبو جعفر المنصور هذا الاقتراح ، وقال : قاتلك الله ، ما أجود رأياً جئت به ، والله ما غيبي هذا علي ، ولكني أعاهد الله ان لا أثار من أهل بيتي بعدوي وعدوهم ، ولكني أبعث عليهم صعلوكاً من العرب فيفعل ما قلت .

ولى الخليفة المنصور على المدينة رباح بن عثمان بن حيان ، وهو ابن عم مسلم بن عقبة ، قائد الخليفة الاموي يزيد بن معاوية ، الذي حاصر المدينة ، وقاتل أهلها في موقعة الحرة ، وقتل كثيراً من أهلها وأباح المدينة لجنده أياماً أعملوا فيها القتل والسلب وانتهاك الاعراض (٣) .

استدعى المنصور رباح بن عثمان اليه ، وأخبره باختياره والياً على المدينة وأمره بأن يتكتم هذا الاختيار ، وشرح له مهمته وحدثه بأعمال زياد وابن القسري في البحث عن محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، وأمره بالاسراع في الرحيل الى المدينة .

قدم رباح الى المدينة في أواخر شهر رمضان سنة ١٤٤ هـ وقصد من فوره الى دار مروان ، وكان عبدالله بن الحسن محبوباً في قبة الدار منذ عهد زياد

(١) اضطهد ابن الزبير بعض الهاشميين لامتناعهم عن البيعة له بالخلافة ، ومنهم محمد بن الحنفية الذي غادر مكة الى ناحية رضوى ، ومنهم عبد الله بن العباس الذي خرج الى الطائف (المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤) .

(٢) قضى مصعب بن الزبير ، والي أخيه عبد الله بالعراق ، على حركة المختار في موقعة حروراء (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١١١ - المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣) .

(٣) أباح مسلم بن عقبة المدينة لجنده ثلاثة أيام ، احرقوا فيها معظم احياء المدينة وقتلوا النساء والأطفال ويذكر ابن قتيبة (الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٢) ان مسلم قتل ثمانية من صحابة الرسول ، وانه افنى البدرين وقتل من القرشيين والانصار سبعمائة فضلاً عن عشرة آلاف من سائر الناس - ثم زحف مسلم نحو مكة لقتال ابن الزبير ، ولكنه مات في الطريق (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥١) .

ابن عبید الله . وبعث رباح بأحد العلوين ، وهو الحسن بن زيد ، الى السجين يطلب منه الكشف عن مكان اختفاء ابنه محمد . فقال عبدالله : « يا بن أخي ، والله لبليتي أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، وان الله عز وجل أمر ابراهيم ان يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا هو البلاء المبين) وانكم جئتموني في ان آتي بابني هذا الرجل فيقتلها ، وهو لله جل وعز معصية » (١) .

ثم دخل رباح على عبدالله بن الحسن في سجنه ، فقال له : أيها الشيخ ان أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ، ولا يد سلفت اليه ، والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري ، والله لأزهقن نفسك ، أو لتأتيني بابنيك محمد و ابراهيم (٢) ، ولم يظفر رباح من السجين بجواب .

وبدأ رباح ينزل سخطه على سلفه محمد بن خالد القسري فقبض عليه وكبله بالاغلال وأمر بضربه بالسياط ضرباً مبرحاً .

وقف رباح على منبر المدينة ، فخطب في أهلها خطبة تذكرونا بالخطبة التي ألقاها الحجاج بن يوسف الثقفي في مسجد الكوفة (٣) وجاء في خطبة رباح :

« يا أهل المدينة ، أنا الافعى ابن الافعى ، عثمان بن حيان ، وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراكم ، المغني رجالكم ، والله لا دعنها بلقعا لا ينبح فيها كلب (٤) » .

زادت كلمات رباح أهل المدينة سخطاً ، فاستشاطوا غضباً ، فما زالت وقعة الحرة وما صحبتها من فظائع ماثلة في اذهان أهالي المدينة ، فصاحوا في وجه رباح : « يا ابن المجلود حدين ، لتكفن او لتكفنك عن أنفسنا » .

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢١٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٦٨ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٣١ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

وتناهى الى اسماع رباح ان محمد النفس الزكية مختف في شعب من شعاب
رضوى (١) ، فعهد الى عمرو بن عثمان بن مالك الجهمي ، وهو من بني جشم ،
بالخروج في خيل ورجال ، للبحث عن محمد النفس الزكية والقبض عليه .
وعلم محمد بقدوم رجال رباح فأسرع الى الفرار ، ولكن ولدأ من أولاده ،
هوى من فوق الجبل فلقي حتفه ، فأشده محمد (٢) :

منخرق السربال يشكو الوجسى تنكبه اطراف مور حداد
شرده الخوف فأزرى به كذلك من يكره حر الجلال
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

نجا محمد النفس الزكية بنفسه ، وظل ينتقل من مكان الى آخر ، ولم يجد
رباح من ينزل به سخطه غير أهل المدينة ، فصعد على المنبر يسب محمداً وأخاه
إبراهيم ووصفهما بالفاسقين الخالعين الطاعة ، ثم هجا أمهما هند ابنة أبي
عبيدة هجاء فاحشاً مما اثار سخط أهل المدينة ، فاحتجوا عليه ، فقال مهدداً :

« الصق الله بوجهكم الذل والهوان ، أما والله لا كتبن الى خليفتمكم فلأعلمنه
غشكم وقلة نصحككم » . فثار الناس عليه وصاحوا في وجهه « الناس لا تسمع
منك يا ابن المحدود » ورجموه بالحصى ، فأسرع بالفرار والالتجاء الى دار
مروان ، واحتشد الناس حول الدار يوجهون اليه اقدع الشتائم والسباب (٣) .

طلوع الثورة في المدينة :

كتب رباح الى الخليفة يشرح له عصيان أهل المدينة ويفوض له أمرهم ،

(١) ويسمى جبل جهينة وهو من عمل ينبع .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٧١ - ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٧١ - ١٧٢ .

فكتب المنصور رسالة وجهها الى أهالي المدينة ، وطلب من رباح ان يقرأها عليهم من فوق المنبر وجاء في هذه الرسالة :

« يا أهل المدينة ، فان واليكم كتب الي يذكركم غشكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين . وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا لبيدلتكم بعد أمنكم خوفاً ، وليقطعن البر والبحر عنكم ، وليبعثن عليكم رجالا غلاظ الأكباد بعاد الارحام (١) » .

وقد قصد المنصور بهؤلاء الرجال بعاد الارحام ان يبعث الى المدينة جيشاً من أهالي فارس وخراسان وهم شيعة العباسيين لانزال العقاب بأهل المدينة .

لم تفلح رسالة المنصور في تهدئة النفوس الثائرة في المدينة ، فلم ير المنصور بدأ من الرحيل الى الحجاز في موسم الحج سنة ١٤٤ هـ ورأى المنصور الا يدخل المدينة وهي تضطرم بنار السخط والثورة عليه ، فتزل موضعاً خارجها يسمى (الربذة) (٢) وقدم والي المدينة رباح على الخليفة ، يصف له ما عاناه من عصيان أهل المدينة وأمر الخليفة واليه باحضار المسجونين من بني الحسن ، لعله يظفر منهم بمكان اختفاء محمد النفس الزكية .

حمل رباح المسجونين الى الخليفة ، وهم مكبلون بالاغلال وألقوا بهم في الموضع الذي أقام المنصور فيه . وشعر عبدالله بن الحسن بالعطش الشديد فصاح يا معشر الناس ، من يسقي ابن رسول الله شربة ماء ، فلم يجد محبباً . ومثل المسجونون بين يدي المنصور ، فقلل عبدالله للخليفة : يا أبا جعفر والله ما هكذا فعلنا باسراكم يوم بدر ، كتفل المنصور عليه (٣) .

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

(٢) الربذة : من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال منها وبها قبر أبي ذر الغفاري (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٢) .

(٣) الطبري ج ٣ ص ١٧٦ - يذكره بقويع العباس بن عبد المطلب أسيراً يوم بدر .

سأل المنصور بني الحسن عن مكان محمد النفس الزكية فلم يظفر منهم بجواب فأخذ يعنفهم ونكل ببعضهم (١) . ثم أمر المنصور بانفاذهم الى الكوفة على ظهور ابل بدون وطاء (٢) . وهناك أنزلوا في سجن قصر ابن هبيرة . قرب الهاشمية وكان السجن سرداباً تحت الأرض ، حيث لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل (٣) . ولقي كثير من المسجونين حتفهم في هذا السجن المظلم ، فكان منهم محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، فاحتزوا رأسه وبعثوا بها مع جماعة من الشيعة الى خراسان فطافوا بالرأس في مدن خراسان ، وهم يزعمون انه رأس محمد النفس الزكية (٤) .

أفاض الجاحظ في وصف ما لحق ببني الحسن ، فقال : ومضى المنصور ببني حسن الى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة ، وأحضر محمد بن ابراهيم ابن حسن واقامه ، ثم نبى عليه اسطوانة وهو حي وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ثم قتل أكثر من معه من بني حسن . وكان ابراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب فيمن حمل مصفداً بالحديد من المدينة الى الأنبار ، وكان يقول لآخويه عبدالله والحسن : تمنينا ذهاب سلطان بني أمية ، واستبشرنا بسلطان بني العباس ، ولم يكن قد انتهت بنا الحال الى ما نحن عليه (٥) .

أدرك المنصور خطورة ما أقدم عليه من سجن كثير من آل علي بن أبي طالب وكان يعرف تشيع كثير من أهل فارس وخراسان ، وتقديرهم الكبير لعلي وآل بيته . ولذا كان عليه ان يبرر موقفه من هؤلاء العلويين فصعد على المنبر بالهاشمية وألقى خطبة طويلة (٦) بدأها بقوله :

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٠ .

(٢) اي بدون غطاء .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ص ٢٢٦ .

(٥) الجاحظ : النزاع والتخاصم ص ٧٤ .

(٦) انظر نص الخطبة في مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٣١١ .

« يا أهل خراسان ، انتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منا ، ان ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير » .

ثم استعرض المنصور تاريخ العلويين فتحدث عن موقف الحكمين من علي ابن أبي طالب وانقسام جنده ، وما كان من مصرعه . ثم تحدث المنصور عن تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم أشار الى خذلان أهل الكوفة للحسين بن علي مما أدى الى مصرعه . ثم تحدث المنصور عن ثورة زيد بن علي وتحذير محمد بن غلي العباسي ، والد المنصور ، وداود بن علي ، عمه ، لزيد من خذلان أهل الكوفة (١) ، ثم أشار المنصور الى ما لاقاه بنو العباس من اضطهاد الامويين لهم نتيجة ثورات العلويين (٢) ثم تحدث عن موقف العلويين من الدولة العباسية فقال : « فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا ، حسداً منهم لنا وبغياً عليهم ، بما فضلنا الله به عليهم ، واکرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه ، وجبناً من بني أمية وجرأة علينا . واني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر من جهالة ولا عن ظنة .

البيعة لمحمد النفس الزكية بالخلافة :

فطن المنصور الى انه قد اخفق تماماً في التوصل الى مكان محمد النفس الزكية . وكان عليه الانتظار حتى يقوم محمد بالثورة . وما لبث محمد حتى ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ وأخذ البيعة من الناس بالخلافة ، وتلقب بأمر المؤمنين . وقد نتساءل ما الذي دفع محمد النفس الزكية الى اعلان الثورة في هذه السنة ؟

(١) قال داود بن علي لزيد : « اني لخائف ان رجعت معهم - أي الشيعة - ان لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم » (الطبري ج ٨ ص ٢٦٥ ، المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤٠) .

(٢) بعد اخفاق ثورة زيد بن علي اضطهد الوالي الاموي يوسف بن عمر الثقفي بني هاشم عامة (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٠) .

ذكر المؤرخون روايات كثيرة تعدد أسباباً مختلفة دفعت محمداً الى المبادرة باعلان ثورته ، فيرى الطبري (١) ان ملاحقة رباح لمحمد وتبعه له دفعه الى الظهور ، فيقول : لما انحدر أبو جعفر ببني حسن ، رجع رباح الى المدينة ، فالحق في الطلب ، وأخرج محمداً ، حتى عزم على الظهور « أما المسعودي (٢) فيرى ان ما لحق ببني الحسن على يد المنصور كان هو الدافع الى ثورة محمد فقال : « كان أي محمد - مستخفياً من المنصور ، ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعلهم وعدتهم » ويرى ابن طباطبا مثل هذا الرأي فيقول « كان عبدالله المحض يقول للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي بشر به هذا محمد بن عبدالله ، ثم ألقى الله محبته على الناس فمالوا اليه كافة ، ثم عضد ذلك ان اشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للأمر ، فقدموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الأمر. وزادت رغبة الناس فيه ، وما زال متغرباً منذ أفضت الدولة الى بني العباس خوفاً منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده ، ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره » (٣).

أما الاصفهاني (٤) فيرى ان ما هدد موسى أخا محمد كان سبب التعجيل بثورته فيقول : « وكان سبب عجلته بالخروج قبل ان يتم أمر دعائه الذين انفذهم الى الآفاق (٥) ، انفاذ عبدالله بن الحسن اليه موسى أخاه ليصير الى أبي جعفر ، ويحول عما كان عليه فيما أظهر له ، وأسر الى موسى غير ذلك ، فصار الى المدينة فأقام بها حولاً يدافع رباح بن عثمان ، ثم استبطأه ، وكتب الى أبي جعفر

(١) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٤ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٣) الفخري ص ١٤٨ .

(٤) مقاتل- الطالبين ص ٢٦٠ .

(٥) بعث محمد ابنه الحسن الى اليمن واخاه موسى الى الجزيرة واخاه يحيى الى الري ثم الى طبرستان واخاه ادريس الى المغرب واخاه ابراهيم الى البصرة ، وابنه علياً الى مصر وسرى مصر هؤلاء الدعاء في هذا الفصل (المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ ، المقرئ : الخطط ج ٤ ص ١٥٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٠) .

في امره يعلمه بترصه ، فكتب اليه يامره بأن ينحدر الى العراق ففعل ذلك ، وقال للرسول : ان رأيتم احداً قد أقبل من المدينة في طلبكم فاضربوا عنق موسى ، وقد كان أحس بنجبر محمد وبلغ ذلك محمداً فظهر .

ولكننا نرى أن الحاح أنصار محمد النفس الزكية عليه في اظهار نفسه واعلان ثورته ، كان السبب في التعجيل بذلك ، قبل ان تتوفر لهذه الثورة كل مقومات النجاح .

فيروي الطبري (١) والمسعودي (٢) والاصفهاني (٣) ان جماعة من أنصار النفس الزكية (٤) ، دخلوا عليه فقالوا له : ما تنتظر الخروج ، والله ما تجد هذه الامة أحداً أشأم عليها منك ، ما يمنعك ان تخرج وحدك ؟

بدأ محمد النفس الزكية ثورته في المدينة في أول رجب سنة ١٤٥ هـ ، واقبل كثير من أهلها على البيعة له بالخلافة فقد كان محمد ، كما وصفه صاحب الفخري (٥) من سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وعلماً وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلا .

قام محمد النفس الزكية بثورته فجأة ، دون ان يكون رباح بن عثمان وإلي المدينة قد أخذ للأمر أهميته . . وقدم محمد في رفقة مائتين وخمسين رجلا الى سجن المدينة (٦) ، فاقتحموه وأطلقوا سراح المسجونين فيه . وطاف الجميع بطرقات المدينة يكبرون ويصيحون فتردد صيحاتهم في جنبات مدينة الرسول تعلن قيام احد احفاده بالثورة ضد بني العباس وحرص محمد النفس الزكية ان

(١) الطبري ج ٦ ص ١٨٤ .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٣٤٠ .

(٣) مقاتل الطالبين ص ٢٦١ .

(٤) وهم عبيد الله بن عمر ، وابن ذئب وعبد الحميد بن جعفر .

(٥) الفخري ص ١٤٨ .

(٦) كانت السجن في دار هشام .

تكون ثورته بيضاء ، فنهى أصحابه عن اراقة الدماء فكان يقول لأصحابه لا تقتلوا ، لا تقتلوا (١) .

فوجيء والي المدينة رباح بقيام الثورة ، فلم يستطع ان يحرك ساكناً ، ولم يجد مفرأ غير الاعتصام بدار مروان ، وهدم درج الدار حتى لا يصل الثوار اليه . ولم يجد رباح ما ينفس به عن حنقه وسخطه غير كلمات عنيفة وجهها الى مجالسيه ، حيث قال : يا أهل المدينة ، أمير المؤمنين يطلب بغيته في شرق الارض وغربها وهو ينتفق بين اظهركم ، اقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً الا ضربت عنقه (٢) . ولم يجد رباح من يؤيده من أهالي المدينة غير بني زهرة فقدم بعضهم بسلاحه الى دار الامارة لحماية الوالي العباسي . بينما آثر بنو سلمة الانضمام الى محمد النفس الزكية .

قدم زعيم الثورة مع انصاره الى دار الامارة فاقتحموها واستولوا على بيت المال وقبضوا على رباح وعلى أخيه عباس بن عثمان وحبسوهما في دار مروان (٣) .

وصعد محمد النفس الزكية منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فانه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ألم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ، وانما أخذ الله فرعون حين قال أنا ربكم الأعلى . وأن أحق الناس بالقيام بهذا الدين ابناء المهاجرين الاولين والانصار المواسين ، اللهم انهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من أخفت واخافوا من آمنت ، اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً ، أيها الناس ، اني والله ما خرجت من بين اظهركم ، وانتم عندي أهل قوة ، ولا شدة ، ولكنني

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٣ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٨٥ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢١٣ .

اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد أخذ لي فيه البيعة (١) .

وصف النفس الزكية الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور بالطغيان وشبهه بفرعون وغيره ببناء القبة الخضراء في عاصمته الجديدة بغداد ، وذكر محمد انه أحق أبناء المهاجرين في تولي الخلافة فلم يقصر الأمر على آل علي بن أبي طالب أو على بني هاشم ، كما انه كان يعرف ان المدينة هي موطن انصار الرسول ، ولذا لم تفته الإشارة اليهم . ثم أشار محمد الى ان جميع الامصار الاسلامية قد بايعت ، ولا نعلم اذا كان محمد قد ذكر ذلك لأهل المدينة تأييداً لحقه ولحثهم على البيعة له أم انه كان موقناً فعلا ان البيعة قد أخذت له في سائر الامصار وان كنا نرجح الرأي الأول .

يعلق الدكتور حسن ابراهيم (٢) على خطبة محمد النفس الزكية ، فيقول ان الناظر في هذه الخطبة ليقف على ان محمداً كان مدفوعاً في خروجه بعدة عوامل : فقد كان ينشد الخلافة ويرى انه احق الناس بها . كما كان يحقد على المنصور لاعتلائه عرش الخلافة وتعذيبه أهل بيته حتى مات أكثرهم في السجن . وساعد على ذلك موالة الناس له ، ولا سيما بعد ان افق مالك بجواز بيعته واعتقاده انه قد أصبح أقوى من المنصور .

قدم كثير من أهالي المدينة على الامام مالك بن أنس يستفتونه في الخروج مع محمد النفس الزكية ، وقالوا له : ان في اعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال مالك لهم : انما بايعتم مكرهين وليس على كل مكره يمين . وكان للامام قدر عظيم ومنزلة كبيرة في المدينة ، ولذا كانت لفتواه اثرها في اقبال أهالي المدينة على البيعة للنفس الزكية (٣) .

(١) الطبري ج ٦ ص ١٨٨ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١١٥ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١٩٠ ، ابن قتبية : الامامة والسياسة ج ٣ ص ٨١ .

بايع وجوه المدينة محمداً عدداً نفر قليل ، منهم أبو سلمة بن عبيد الله بسن
عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، وعبد
الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (١) . كما انضم الى محمد النفس
الزكية فقيه المدينة محمد بن عجلان ، وكان موضع تقدير أهالي المدينة ، فكان
له حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يفتي فيها الناس ويحدثهم حتى اذا
قامت الثورة شارك فيها (٢) ، وانضم اليه أيضاً عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن
ابن المسور بن مخزومة ، وكان من أبرز علماء المدينة في الفقه والحديث
والفتوى (٣) .

وأطلق محمد النفس الزكية سراح محمد بن خالد القسري (٤) ، والى المدينة
السابق الذي كان قد سجنه رباح بن عثمان بن حيان . وخطب القسري أهالي
المدينة قائلاً : «هذه دعوة حق والله لأبلىن الله فيها بلاء حسناً» ولكن القسري
لم يستمر على تأييده للنفس الزكية ، فكتب سرّاً الى الخليفة المنصور يعلمه
بقلة جند النفس الزكية وانصاره وعلم النفس الزكية بالأمر ، فسجنه . وظل
القسري حبساً ، حتى أطلق عيسى بن موسى سراجه بعد قتل النفس
الزكية (٥) .

الدعوة للنفس الزكية في الأوصار الإسلامية :

بدأ محمد النفس الزكية يمارس سلطاته كخليفة ، فاختار ولاته وعماله :
فولى الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر على مكة ، كما ولى القاسم بسن

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٠ ، ابن الاثير الكامل : ج ٥ ص ٢٥٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩١ .

(٤) كان أبوه خالد القسري والياً على العراق في عهد الخليفة الأوي هشام بن عبد الملك وقد
أحسن معاملة بني هاشم (الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٩) .

(٥) الطبري ج ٦ ص ١٩١ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٢٥٧ .

اسحق على اليمن وموسى بن عبدالله على الشام ، ولكن الوالدين لم يتسن لهما ممارسة الحكم ، فقد قتل محمد النفس الزكية قبل ان يصلوا الى ولايتهما (١) .

وجه محمد النفس الزكية بعض اخوته وأولاده الى الامصار الاسلامية يدعون اليه فوجه ابنه علياً الى مصر ، وبعث ابنه عبدالله الى خراسان فلاحقه العباسيون فهرب الى السند حيث لقي حتفه . كما بعث محمد ابنه الحسن الى اليمن ، حيث قبض عليه وسجن ، وما لبث ان مات في سجنه . وبعث محمد أيضاً أيضاً أخاه موسى الى الجزيرة (٢) ، كما وجه أخاه يحيى الى الري ثم الى طبرستان وسنرى في الفصول القادمة من هذا البحث ماذا يكون الموقف بين يحيى والخليفة هارون الرشيد . كما وجه محمد أخاه ادريس الى المغرب حيث التف حوله كثير من أهلها ، وكان رحيله نواة قيام دولة الادارسة في هذه البلاد ، كما بعث محمد النفس الزكية أيضاً أخاه ابراهيم الى البصرة ، فأخذ البيعة من أهالي فارس والاهواز وغيرهما من الامصار ، ثم أعلن الثورة في البصرة حيث لقي حتفه كما سنرى في الفصل التالي (٣) .

قدم علي بن محمد النفس الزكية الى مصر ، فكان أول علوي يقدم اليها (٤) وتحدد الاستاذة الدكتورة سيدة كلشف (٥) بداية الدعوة العلوية في مصر بقدم هذا العلوي ، في عهد المنصور ، وفي امارة حميد بن قحطبة (١٤٣-١٤٤ هـ) ، حيث دعا لأبيه وعمه . وقام بأمر الدعوة العلوية خالد بن محمد بن أبي طالب وشيعته . ولكن جهود هذا العلوي ما لبثت ان انتهت بنهاية حركتي النفس الزكية وأخيه ابراهيم . وركنت

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩١ .

(٢) لم يخبرنا المسعودي الذي نقل عنه هذا النص مصير موسى .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٤) محمد الحسين المظفري : تاريخ الشيعة ص ١٧٥ .

(٥) سيدة كلشف : مصر في عصر الولاة ص ٨٨ .

الشيعة في مصر الى الهدوء طوال العصر العباسي الأول ، حتى كان عهد الخليفة العباسي المتوكل ، الذي شن حرباً شعواء على آل علي بن أبي طالب ، فكتب الى واليه بمصر يأمره باخراج العلويين من مصر الى العراق سنة ٢٣٦هـ (١).

واختلفت الروايات حول مصير علي بن محمد النفس الزكية ، فقيل انه قبض عليه وأرسل الى الخليفة المنصور ، وتذكر روايات أخرى انه اختفى عن الانظار في مصر حتى ادركته منيته . وترجح الاستاذة الدكتورة سيدة كلشف (٢) الرأي الثاني .

ومما يلفت النظر ، ان بعض الامويين الذين كانوا يعيشون في مصر ، قد بايعوا علي بن محمد ، رغم ما نعرفه من عداء تقليدي قديم بين الامويين والعلويين ، ومن هؤلاء الامويين مصعب ومنصور وزيد أبناء الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان (٣) .

اختلف موقف القبائل في بلاد الحجاز من ثورة محمد النفس الزكية ، وكانت أولى القبائل التي والتت هي قبيلة جهينة التي آوتها وأخفتها وحمته ، كما أعلنت قبيلة مزينة ولاءها للنفس الزكية . ولكن موقف هاتين القبيلتين من الزعيم العلوي جر عليهما سخط الخليفة المنصور ، فقد أمر بالقبض على اربعمائة من ابناء القبيلتين وتعذيبهم في (الربذة) قرب المدينة في قيظ الشمس ، بعد أن قبض على آل عبد الله عبد الحسن (٤) .

ومن القبائل التي انضمت الى محمد النفس الزكية واصبح ابناءؤها عدة قواته العسكرية ، قبائل : بنو سليم وبنو بكر وأسلم وغفار . وقد اشتركت قوات

(١) المقرئزي : الخطط ج ٤ ص ١٥٣ .

(٢) سيدة كلشف : مصر في عصر الولاة ص ٨٨ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ١٩٠ .

من مهينة ومزينة في السيطرة على الطائف وانتزاعها من الوالي العباسي (١) وكان بنو شجاع من جبهة أكثر جنود النفس الزكية حماسة واستبسالا .

ولكن كانت هناك قبائل اعلنت ولاءها للخليفة العباسي ولم تنضم الى محمد النفس الزكية ، وهم بنو زهرة ، وبنو عمرو وبنو غفار . وقد ساعد بنو غفار العباسيين على طعن قوات محمد النفس الزكية من الخلف حين غزت القوات العسكرية العباسية المدينة (٢) .

جزع الخليفة المنصور ووسائله في مواجهة الثورة :

ولترك المدينة حيث أعلن محمد النفس الزكية ثورته ، وبايع لنفسه خليفة ، ولرحل الى بلاد العراق ، لرى موقف الخليفة أبي جعفر المنصور من هذه الثورة العلوية .

نخرج رسول من المدينة يدعى أوس العامري ، يسرع الرحال الى الخليفة المنصور لينبئه بأمر ثورة النفس الزكية ، فقطع المسافة في تسعة أيام فقط ، فوصل الى دار المنصور ليلا ، وكانت هذه الدار على شاطئ دجلة ، حيث كان يشرف على بناء عاصمته الجديدة بغداد (٣) والح الرسول في لقاء الخليفة الحاحاً شديداً ، حتى اذا ادخله الحاجب الربيع بن يونس على الخليفة انبأه بالثورة وأبدى المنصور سروره لوصول الرسول في أيام قليلة ومنحه تسعة آلاف درهم ، ألفاً عن كل ليلة قضاها في السفر (٤) .

كان المنصور قد بدأ بناء عاصمته الجديدة بغداد فبدأ بناءها بالقصب وبلغ

(١) الاصفهاني : الاغانى ج ١٠ ص ٣٠١ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٩٥ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٤) الفخري ص ١٤٨ - ١٤٩ .

ارتفاع السور عند قيام ثورة النفس الزكية قامة . ورأى المنصور ان يتوقف عن البناء حتى يتفرغ للقضاء على الثورة وخرج المنصور الى الكوفة(١) .

ويرجع سبب خروج المنصور الى الكوفة الى انه كان قد بعث بعض خاصته الى عمه عبدالله بن علي في سجنه يستشيرونه في هذا الامر الخطير ، وكان عبد الله قد اشتهر بين العباسيين بالرأي السديد فتوجه عبدالله الى المنصور بالنصيحة فقال : ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة ، فاجم على اكبادهم فانهم شيعة هذا البيت وانصارهم ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها الى وجه من الوجوه او اتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه وابعث الى سلم بن قتيبة ينحدر عليك(٢) واكتب الى اهل الشام فمرهم ان يحملوا اليك اهل البأس والنجدة ما يحمل البريد فاحسن جوائزهم ووجههم مع سلم (٣) .

وكان المنصور معروفاً بالشح والتقتير (٤) ، ولذا توجه عبدالله بن علي الى خاصة المنصور بنصيحة أخرى فقال : ان البخل قد قتله ، فمروه فليخرج الاموال فليعط الاجناد ، فان غلب فما اوشك ان يعود اليه ماله وان غلب لم يقدم صاحبه على درهم واحد(٥) .

استشار المنصور كثيراً من خاصته ومن بينهم منجمه الحارث(٦) الذي قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، ما يجزئك منه ، فوالله لو ملك الارض ما لبث الا تسعين يوماً(٧) .

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٢ .

(٢) كان سلم بن قتيبة حينئذ بالري .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ .

(٤) اشتهر المنصور باسم (الدوانيقي) لانه كان حريصاً على الدائق . وقيمته أقل من المليم .

(٥) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٦ .

(٦) كان المنصور يستعين بالمنجمين ، وقد اعتمد عليهم في تحديد اليوم الذي وضع فيه حجر الأساس لمدينته بغداد فقد استشار ابن نوبخت ، ابراهيم بن محمد الغزالي (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٨ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٨) .

(٧) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ .

تراسل المنصور والنفس الزكية :

رأى المنصور ان يكتب رسالة الى محمد النفس الزكية . ولم يذكر المؤرخون تعليلاً لذلك ، ولكننا نرى انه أراد ان يبذل آخر محاولة سلمية لاثناء النفس الزكية عن عزمه ، وحتى يبرر لعامة الناس ما هو مقدم عليه من انفاذ الجيوش ، وحتى يبدو محمد أمام الناس ككثير على الدولة العباسية اذا أبى الرجوع عما انتواه .

بدأ المنصور رسالته بآيات كريمة تحمل التحذير والوعيد(١) ، ثم تقدم بعروض كثيرة . اذا رأى محمد النفس الزكية العدول عن ثورته ، فكتب المنصور ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ان تبت ورجعت من قبل ان أقدر عليك ان أومنك وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ، ومن اتبعكم على دمائكم واموالكم وأسوغك ما أصبت من دم او مال واعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الخوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وان اطلق من في حبس من أهل بيتك وان أو من كل من جاءك وما بعدك واتبعك او دخل معك في شيء من امرك ، ثم لا أتبع احداً منهم بشيء كان منه أبداً، فان أردت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من أحببت يأخذ لك من الامان والعهد والميثاق ما تثق به « (٢) .

وبعث محمد النفس الزكية برد مسهب على رسالة المنصور ، فبدأها بآيات كريمة تتحدث عن طغيان فرعون(٣) ، ثم عرض محمد الإمان على المنصور

(١) هذه الآيات هي : (انما جزاء الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل) .

(٢) الطبري ج ٧ ص ١٩٥ .

(٣) وهذه الآيات القرآنية هي : (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابناهم ويستحيي نساءهم ، انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

ان دخل في طاعته ، حيث انه صاحب الحق في الخلافة ، فقال : « ... وأنا أعراض عليك من الامان مثل الذي عرضت علي ، فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا ، وان ابانا علينا كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ؟ ثم افتخر محمد علي المنصور بانتسابه الى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والى السيدة خديجة زوج الرسول والى الحسن والحسين ابني علي ، ثم عيّر المنصور لأنه ابن أمة (١) ثم سخر النفس الزكية من الامان الذي عرضه المنصور عليه ، لما اشتهر المنصور به من نكته لعهوده ، فكتب محمد : «... وأنا أولى بالأمر منه وأوفى بالعهد لأنك اعطيتني من العهد والامان ما اعطيته رجالا قبلي ، فأبي الامانات تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ، أم أمان أبي مسلم ؟ (٢) .

غضب المنصور غضباً شديداً ، حين قرأ رسالة النفس الزكية ، وأبى الا ان يجيب عليها بنفسه ، فقد عرض عليه وزيره أبو أيوب المورياتي ان يتولى عنه ذلك ، فأصر على رأيه فكتب رسالة طويلة كلها فخر بالانساب والآباء والامهات والاعمام ، ثم حاول ان يدفع عن نفسه ما عيره محمد به من ان أمه جارية (٣) ، فذكر له أسماء بعض زعماء العلويين الذين انحدروا من امهات اولاد (٤) . ونفى المنصور ما يذهب النفس الزكية اليه من انه ابن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فنفى ذلك بذكر الآية الكريمة (ما كان محمداً أباً احد من رجالكم) ثم ذكر ان النفس الزكية انما هو ابن بنت الرسول ، ولكنها « لا تجوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الامامة » . ثم ذكر المنصور ان المسلمين اختاروا أبابكر وعمر وعثمان خلفاء دون علي بن أبي طالب ، ثم عدد المنصور مواقف

-
- (١) كانت ام المنصور أم ولد وهي سلامة البربرية ، ولذا تقدم عليه أبو العباس في الخلافة ، رغم ان المنصور كان أكبر منه سنأ (تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٣٦) .
- (٢) انظر نص الكتاب في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٥ - ١٩٦ .
- (٣) أم المنصور هي سلامة البربرية كما ذكرنا آنفاً .
- (٤) ام ولد : هي الجارية التي تنجب لسيدها .

المسلمين من زعماء العلويين وكيف انتهى مصيرهم بالقتل ، وذكر المنصور النفس الزكية بأن العباسيين هم الذين طالبوا بئثار شهداء العلويين من الامويين ، ثم اشاد المنصور بجده الأكبر العباس بن عبد المطلب ، واجاده في الجاهلية والاسلام ، وانه هو وريث الرسول حيث لم يبق من بني عبدالمطلب بعده على قيد الحياة غيره . وذكر المنصور النفس الزكية بأن العباس(١) كان ينفق على علي بن أبي طالب وأولاده خلال الازمة التي اصابتهم ، وان العباس فدى عقيل بن أبي طالب يوم بدر(٢) . ثم ختم المنصور رسالته بقوله : « ... فكيف تفخر علينا ، وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الاسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الانبياء ، وطلبنا بئاركم ، فأدر كنا منه بما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لانفسكم (٣) .

المواجهة العسكرية :

بعث المنصور الى ولي عهده عيسى بن موسى فعهد اليه بقيادة الجيش الذي يوجهه للقضاء على ثورة محمد النفس الزكية ، وقال له : « امض ايها الرجل فوالله ما يراد غيري وغيرك ، وما هو الا ان تشخص او أشخص » ويرجع سبب اختيار المنصور لعيسى بن موسى ، دون غيره ، لقيادة الجيش ، الى انه كان كارهاً لتوليته ولاية العهد ، وكان المنصور يأمل ان تؤول الخلافة الى ابنه محمد المهدي ، ولذا قال لاصحابه حينما بعث عيسى لقتال النفس الزكية : « لا أبالي ايهما قتل صاحبه » (٤) ، وكانت سياسة المنصور هي رمي خصمين ببعضهما ، كما فعل بين عمه عبدالله بن علي وابي مسلم الخراساني .

(١) كان العباس ثرياً ويمتلك عقارات وبساتين في الطائف .

(٢) كان العباس ايضاً ممن وقعوا في الاسر يوم بدر .

(٣) انظر نص الرسالة في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٧ - ١٩٩ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ .

أعد المنصور جيشاً من أربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى ، ثم
أردفه بجيش آخر من خمسة آلاف جندي بقيادة حميد بن قحطبة الطائي .
وزود المنصور الجيش بالخيول والبغال والسلاح والمؤن (١) .

كان معظم جند الجيشين اللذين بعثهما المنصور للقضاء على ثورة محمد
النفس الزكية من الخراسانية ، وكانت هذه سياسة رسمها المنصور ، فلم يختر
الجند من بين العرب ، خوفاً من ان يتأثروا بجرمة المدينة ، ومكانة الثوار من
آل البيت العلوي ، فتخفق الحملة وتكون العاقبة وخيمة . وكانت هذه سياسة
المنصور منذ البداية ، يضرب المتمردين من العجم بالعرب ، حتى وطد أركان
دولته وجمع شتاتها (٢) .

وقبل رحيل عيسى بن موسى الى بلاد الحجاز ، اجتمع الخليفة المنصور به
وتحدث اليه ورسم له الطريق ، وأوصاه بأهل المدينة خيراً ، وذكره بما فعله
الخليفة الاموي يزيد بن معاوية بأهل المدينة ، فقال المنصور : « يا ابا موسى ،
إذا صرت الى المدينة فادع محمد بن عبدالله بن الحسن الى الطاعة ، والدخول
في الجماعة ، فان اجابك فاقبل منه ، وان هرب منك فلا تتبعه وان ابى الا
لحرب فناجزه ، واستعن بالله عليه . فان ظفرت به فلا تخيفن اهل المدينة
واشملهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار ، وجيران
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اياك لا كما أوصى يزيد بن معاوية
قائده مسلم بن عقبة (٣) ، حين وجهه الى المدينة ، وامره ان يقتل من ظهر له
الى ثنية الوداع ، وان يبيحها ثلاثة ايام ، ففعل » .

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ ، المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٧ .

(٢) الجويرد : أبو جعفر المنصور ص ١٨٨ .

(٣) ذكر ابن قتيبة وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة حين وجهه لقتال ابن الزبير الذي اعلن
الثورة في مكة (الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٢) قال يزيد لمسلم « ... فانهض باسم الله
الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً اليك ، فان صدوك او قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم ، وأمهها
ثلاثاً ، فاذا قدمت المدينة فمن عاقلك عن دخولها ان نصب لك الحرب فالسيف السيف ، اجهز
على جريحهم واقبل على مدبرهم ، واياك ان تبقي عليهم ... » .

وكان المنصور يعلم ان مكة يأتي دورها بعد المدينة ، فأوصى عيسى بن موسى بأهل مكة ، وذكره بما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، حينما حاصر عبدالله بن الزبير في الكعبة ، فقال : « ثم اكتب الى اهل مكة بالعفو عنهم والصفح ، فانهم آل الله وجيرانه ، وسكان حرمة وأمنه ، ومثبت القوم العشرة وعظم البيت والحرم ، لا تلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذي بعث منه نبيه صلى الله عليه وسلم ، وشرف به آباءنا لتشريف الله ايانا . فهذه وصيتي لا كما اوصى به الذي وجه الحجاج الى مكة ، فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة ، وان يلحد في الحرم بظلم ، ففعل ذلك (١) .

وحين ودع المنصور قائده عيسى بن موسى ، اوصاه أيضاً فكان مما قال : يا عيسى اني ابعثك الى ما بين هذين - وأشار الى جنبيه - فسان ظفرت بالرجل فشم سيفك وابذل الامان وان تغيب فضمنهم اياه حتى يأتوك به فانهم يعرفون مذاهبه (٢) . فقال عيسى : « اوصيت داعياً ، ثم أنشد :

إني أنا السيف الحسام الهندي
أكلت جفني وفريت غملي
فكل ما تطلب عندي (٣)

تقدم عيسى بن موسى على رأس جيشه نحو المدينة ، حتى اذا بلغ (فيد) كتب الى وجوه المدينة ورؤساء قريش رسائل على خرق الحرير ، يؤمنهم ويعددهم ان تحاوا عن محمد النفس الزكية فاستجاب كثير منهم الى دعوته ، وخرج بعضهم الى عيسى بن موسى ، وكان على مسيرة خمسة أيام من

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٨٦ .

المدينة ، واستطاع محمد النفس الزكية ان يقبض على بعضهم قبل مغادرتهم
المدينة وسجنهم(١) .

وبعث عيسى بن موسى برسالة الى محمد النفس الزكية ، يمنحه فيها الامان
وقد حمل محمد بن يزيد كتب عيسى الى النفس الزكية ووجوه المدينة .
ووقف محمد بن زيد في المدينة يخاطب أهلها ويقول : « يا أهل المدينة انا
محمد بن زيد ، والله لقد تركت أمير المؤمنين حياً ، وهذا عيسى بن موسى
قد أتاكم ، وهو يعرض عليكم الامان » ، فقال اهل المدينة له : « قد خلعنا
ابا الدوانيق » . وكتب محمد النفس الزكية رسالة الى عيسى بن موسى يدعوه
الى طاعته ، ويعطيه الامان(٢) .

اقرب عيسى بن موسى من المدينة ، وأدرك محمد النفس الزكية خطورة
الموقف ، فجمع اصحابه وقال لهم : أشيروا علي في الخروج والمقام . فاختلقت
الآراء ثم سأله أحد أصحابه وهو عبد الحميد بن جعفر : أأست تعلم انك في
أقل بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً وأضعفها رجالاً ؟ فأجاب محمد : بلى .
فتوجه ابن جعفر اليه بالنصيحة فقال : فالرأي ان تسير بمن معك حتى تأتي
مصر ، فالله لا يردك راد فتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله .
ولم يعجب هذا الرأي احد أصحاب النفس الزكية وهو حسنين بن عبدالله ،
فرأى ان يقيم محمد في المدينة ، وذكره بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام
يوم أحد : « رأيتني ادخلت يدي في درع حصينة فأولها بالمدينة » . ورأى محمد
النفس الزكية ان يستمر في اقامته بالمدينة دون ان يرحل الى غيرها من الامصار(٣) .
انضمت قبائل جهينة ، ومزينة ، وسليم ، وبنو بكر ، وأسلم ، وفقار ،

(١) الطبري ج ٥ ص ٢٠٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٧ - اشتهر المنصور باسم (ابو الدوانيق) او(الدوانيسي)
لشبهه وتقتيره .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ .

الى محمد النفس الزكية ، ولكنه كان يقدم جهينة مما أثار العصبية القبلية فغضبت لذلك قبائل قيس (١) .

رأى محمد النفس الزكية ان يلجأ الى الوسيلة التي لجأ اليها الرسول صلى عليه وسلم حينما غزت الاحزاب المدينة وهي حفر خندق حول المدينة يحميها من المغيرين. وبدأ النفس الزكية حفر الخندق، فأخرج لبنة من خندق الرسول ، فكبر وكبر الناس معه وقالوا : ابشر بالنصر ، هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

نهاية الثورة :

تقدم عيسى بن موسى حتى وصل الى (الجرف) فنزل قصر سليمان بن عبد الملك صبيحة يوم ١٢ رمضان سنة ١٤٥ هـ ، وأراد ان يؤخر القتال حتى ينتهي شهر رمضان ، ولكنه علم ان محمداً النفس الزكية قال : « ان اهل خراسان على بيعتي ، وحميد بن قحطبة قد بايعني ، ولو قدر ان ينفاست فلت » . فرأى عيسى بن موسى ان يعاجل محمداً بالقتال فتقدم نحو المدينة (٣) .

حاصر عيسى بن موسى المدينة من جميع جهاتها ، عدا جهة واحدة من ناحية مسجد أبي الجراح ، فقد تركها ليخرج منها من أراد مفارقة محمد النفس الزكية . وخاطب عيسى أهل المدينة يدعوهم الى التسليم ، فقال : « يا أهل المدينة ان الله قد حرم دماء بعضنا على بعض ، فهاموا الى الامان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، خلوا بيننا وبين صاحبنا ، فاما لنا ، أو له » . فوجه أهل المدينة اليه اقلع الشئام

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٨ كان صاحب فكرة حفر الخندق في عهد الرسول هو الصحابي سلمان الفارسي .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ .

والسباب ، فعاد من يومه ، ثم عاد في اليوم التالي ، فألقى مثل هذه الخطبة فواجهوه بنفس الشتائم ، فانصرف الى معسكره أيضاً ثم خرج في اليوم الثالث في اعداد كبيرة من الفرسان المزودين بالاسلحة وبدأت المعركة (١) .

رمى جند خراسان أهالي المدينة بالنشاب ، فقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً منهم ، مما أثار الرعب فأسرع بعضهم الى الفرار ، وأبلى محمد النفس الزكية ورجاله بلاء حسناً ، زاستبسوا في القتال . وصاح عيسى بن موسى يعاود عرض الامان على النفس الزكية وبذل له كثيراً من الوعود ، ولكن محمداً رفض دعوته وأصر على القتال وقال : « لا يثنيني عنكم فزع ، ولا يقربني منكم طمع » . وأبدى محمد شجاعة نادرة حتى انه قتل من اعدائه في ذلك اليوم سبعين رجلاً (٢) . وكان محمد متقلداً سيف الرسول (ذي الفقار) (٣) ، وكان شعاره « أحد ، أحد » ، وهو شعار الرسول عليه الصلاة والسلام يوم حنين (٤) .

هدم الجند العباسيون جدار الخندق كما ألقوا بقتائب (٥) الابل في الخندق فنجحت الخيل في اجتيازه ، وبدأ القتال في طرقات المدينة ، ودب الخوف في قلب كثير من أهلها ، ورأوا ان لا جدوى من القتال ، فكفوا عنه ، وغادر بعضهم المدينة الى اطرافها ، والى الجبال المحيطة بها . وأدرك محمد النفس الزكية حرج الموقف ، فخرج الى دار مروان ، فاغتسل وتحنط . وتقدم احد

(١) الطبري ج ٦ ص ٢١١ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢١١ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٧١ ، لما شمر النفس الزكية بقرب منيته ، اعطى سيفه الى رجل من التجار كان محمد مديناً له باربعمائة دينار فقال له : « خذ هذا السيف فانك لا تلقى به احداً من آل ابي طالب الا اخذه واعطاك حقه » . واستمر السيف عند هذا التاجر حتى اشتراه منه والي المدينة جعفر بن سليمان : ثم اخذه منه الخليفة المهدي . الطبري (ج ٦ ص ٢١٩) .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢١٣ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٤ .

(٥) وهي الاغطية والبراذع التي كانت على ظهور الابل .

خاصته وهو عبد الله بن جعفر ، ينصح به بالخروج الى مكة حيث الحسن بن معاوية ، فرفض محمد الفكرة ، وقال : « يا أبا جعفر والله لو خرجت لقتل أهل المدينة ، والله لا أرجع حتى أقتل ، كما تقدم ابن خضير اليه يشير عليه بالخروج الى البصرة فرفض محمد هذا الاقتراح ايضاً . ولكن محمداً سمح لاصحابه بالخروج من المدينة والنجاة بأنفسهم . واستمر محمد النفس الزكية يناضل ويقاتل ، حاملاً سيفه حتى لقي حتفه لاربع عشرة ليلة نخلت من رمضان ، بيد حميد بن قحطبة (١) .

ارتفعت الرايات السوداء على منارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، تعلن استيلاء العباسيين على المدينة واحتز حميد بن قحطبة رأس محمد وحملها الى عيسى بن موسى . ووضع القوم الرأس بين يدي عيسى ، فسألهم : ما تقولون في هذا ؟ فحاول بعضهم الاساءة الى محمد النفس الزكية ، فنهاهم عيسى عن ذلك وقال : كذبتم والله وقلم باطلا ، لما على هذا قاتلناه ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وانه كان لصواماً قواماً (٢) . وحملت الرأس الى الخليفة المنصور بالكوفة فأمر بأن يطاف بها في طوق أبيض . وتقدمت اخت محمد النفس الزكية ، زينب وابنته فاطمة الى عيسى بن عيسى تطلبان منه الاذن بدفن الشهيد ، فسمح لهما بذلك ، فدفن في البقيع ، وكان قبره في مواجهة زقاق دار علي بن أبي طالب . ونصب عيسى عدة الوية على ابواب دور بعض أنصار العباسيين بالمدينة ، وصاح مناديه في طريق المدينة : « من دخل تحت لواء منها او دخل داراً من هذه الدور فهو آمن (٣) » . وهدأت

(١) الطبري ج ٦ ص ٢١٦ ، كانت سن محمد النفس الزكية عند مصرعه ٦٣ سنة وقد توفي كل من الرسول عليه الصلاة والسلام وعلي بن ابي طالب وهما في نفس السن .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٢٠ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٢٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٧٥ .

الامور في المدينة وأسدل الستار على هذه الثورة بعد ان استمرت شهرين وسبعة عشر يوماً ، وغادر المنصور الكوفة الى بغداد ليتم بناءها .

أمن عيسى بن موسى أهل المدينة ، وصادر أموال بني الحسن ، وقتل كثيراً من أنصار النفس الزكية ، وصلبت جثثهم ما بين ثنية الوداع الى دار عمر بن عبد العزيز ، فاستمر ذلك ثلاثة أيام حتى ضج الناس بالشكوى ، حتى أمر عيسى بالقاء الجثث في مقبرة لليهود (١) . ثم استعد لمغادرة المدينة ، فولى عليها كثير بن حصين فاستمر حكمه شهراً حتى بعث الخليفة والياً آخر هو عبدالله بن الربيع الحارثي (٢) . وخرج عيسى الى مكة .

وكان قد انضم الى محمد النفس الزكية كثير من آل الزبير وولي بعضهم المناصب ، كما آزره بعض احفاد عمر بن الخطاب ، فعفا المنصور عن أحفاد عمر بينما عاقب آل الزبير عتقاً شديداً وقتل كثيراً منهم ، وقال : « أما والله لعن غير مودة بهما له - اي لمحمد - النفس الزكية - ولا محبة له ، ولا لاهل بيته » . ثم قال : « لو وجدت ألفاً من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسيء واحد لقتلتهم جميعاً ، ولو وجدت ألفاً من آل عمر كلهم مسيء وفيهم محسن واحد ، لأعفيتهم جميعاً (٣) » ، كما انضم الى النفس الزكية ابنا زيد بن علي وأبدى المنصور عجبه من اشتراكهما في الثورة ، فقال : « واعجباً لخروج ابني زيد بن علي ، وقد قتلنا قاتل أبيهما ، كما قتله وصلبناه كما صلبه وأحرقناه كما أحرقه » (٤) .

كان محمد النفس الزكية قد ولي على مكة الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وبعد مصرع النفس الزكية ، اختفى الحسن بن معاوية

- (١) الطبري ج ٦ ص ٢٢٣ ، كان لبني الحسن كثير من الضياع في المدينة وفي ضاحية الفرع القريبة منها .
- (٢) الطبري ج ٦ ص ٢٣٠ .
- (٣) الطبري ج ٦ ص ٢٢٧ - انضم الى النفس الزكية أيضاً بعض خاصة الباقر ومنهم عبدالله بن عطاء .
- (٤) الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٥٢ وابنا زيد هما الحسن وعيسى .

عن الانظار ، ثم حاول مع جماعة من آل أبي طالب ان يثوروا على والي مكة
العباسي جعفر بن سليمان ، ولكن جعفرأ قبض عليه ، وضربه ربعمائة سوطاً ،
وحبسه ، واستمر في سجنه حتى مات الخليفة المنصور ، وتولى المهدي الخلافة
فأطلق سراحه(١) .

وبعد اخماد ثورة محمد النفس الزكية ، رأى المنصور ان يزيد من الترابط
بين عاصمة الخلافة العباسية وبلاد الحجاز ، فأصبحت مدة حكم الولاة قصيرة
كما كان الولاة يكتبون الى الخليفة بكل الاخبار السياسية والاجراءات الادارية
مهما كانت كبيرة أو صغيرة(٢) ، كما عمل المنصور على عزل كل من يتهم
بالتشيع من المناصب الحكومية (٣) .

وسيطر الجيش العباسي على المدينة بعد القضاء على الثورة العلوية ، ولكن
الجند العباسيين أساءوا معاملة الاهالي ، مما أدى الى قلق واضطراب في المدينة
فقد أعلن العباسيون نوعاً من الاحكام العرفية او النظام العسكري ، كما سطا
بعض الجند العباسيين على الاسواق فأخذوا سلعاً من التجار دون اداء اثمانها(٤) ،
وتجمعت طائفة من الارقاء سود البشرة ، ويطلق عليهم(السودان) واعلنت
العصيان ، وهاجمت بعض الجند العباسيين وهم في طريقهم الى صلاة الجمعة
وقتلوا معظمهم وهجموا على دار الوالي ومخازن الطعام المخصصة للجيش
العباسي فنهبوها(٥) ، ثم اقتحموا السجن واطلقوا سراح من فيه من مسجونين
وخاصة من انصار العلويين ومنهم محمد بن أبي سيرة ، الذي عمل هو
وقاضي المدينة محمد بن عمران الطلحي على تهدئة ثورتهم ، وبدأ الولاة
العباسيون سياسة تحسين احوال هؤلاء الرقيق ، حتى اذا قامت حركة الحسين
ابن علي في الحجاز في عهد الخليفة الهادي انضم عبيد مكة اليه (٦) .

- (١) الطبري ج ٦ ص ٢٦٧ .
(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٩٧ ، ابن حبان : اخبار القضاة ج ١ ص ٢٥٦ .
(٣) القبرواني : زهر الآداب ج ١ ص ٨٨ - أمر المنصور الوالي زياد بن عبيد الله بعزل كاتبه
وكان متشيعاً . (٤) الطبري ج ٦ ص ٢٧٠ . (٥) مؤلف مجهول : العيون والحدائق
في معرفة الحقائق ص ٢٤٩ . (٦) الطبري ج ٦ ص ٢٧١ وما بعدها .

٢- ثورة إبراهيم بن عبد الله في البصرة

شهد عهد المنصور حركة شيعية كبرى، شغلت كثيراً من الامصار الاسلامية واتخذت الحركة مركزين ثوريين : أولهما في المدينة حيث ثار محمد النفس الزكية وبعث دعائه الى مدن الحجاز ، واليمن ومصر والشام وغيرها ، وثانيهما في البصرة ، حيث ثار أخوه إبراهيم بن عبد الله ، ونجح في السيطرة على الاهواز وفارس وانتشر نفوذه في واسط والمدائن وأرض السواد . وقد شهدنا نهاية ثورة النفس الزكية في بلاد الحجاز وسنشهد في نهاية هذا الفصل نهاية ثورة أخيه إبراهيم في البصرة .

إبراهيم بن عبد الله :

كان إبراهيم يكنى بأبي الحسن ، وقد تحدث الاصفهاني (١) عنه ، فقال « وكان إبراهيم بن عبد الله جارياً على شاكلة أخيه محمد في الدين والعلم والشجاعة والشدة وكان يقول شيئاً من الشعر .

بعد القبض على عبد الله بن الحسن غادر ابنه إبراهيم الحجاز ناجياً بنفسه ، وتنقل بين كثير من الامصار والمدن (٢) . فقد رحل الى عدن ، والسند والكوفة والموصل والأنبار وبغداد والمدائن وواسط . ثم استقر في البصرة مختمياً في أول سنة ١٤٣ هـ (٣) .

(١) مقاتل الطالبين ص ٣١٥ .

(٢) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧٢ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٤١ الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣١٧ .

وقد روى الطبري كثيراً من الروايات حول ما قام به ابراهيم من مغامرات خلال تنقله بين الأمصار ، ففي الموصل كان ابراهيم يرتاد الموائل التي كان الخليفة المنصور يمدّها لعامة الناس . وقد نزل ابراهيم في الموضع الذي كان المنصور يقيم فيه عاصمته الجديدة بغداد ، وكان المنصور يحتفل ببناء قنطرة الصراة العتيقة ، فوق نضره على ابراهيم وعرفه ، ولكن ابراهيم أسرع الى الاختفاء ، وبحث المنصور عنه طويلاً دون ان يصل اليه واختفى ابراهيم فترة على شاطئ دجيل في ناحية مدينة الأهواز وأخبر المنجمون الخليفة المنصور بوجود ابراهيم في الأهواز ، فبعث الى عماله يحثهم على البحث عنه ، ولكنه أسرع الى الفرار فلم يصلوا اليه (١) .

وروى اليعقوبي (٢) رواية طريفة حول طريقة وصول ابراهيم الى البصرة تدل على دهائه وذكائه . فقد بعث ابراهيم برجل من انصاره ، يدعى سفيان ابن يزيد الى الخليفة المنصور ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، تؤمنني وأدلك على ابراهيم بعد ان أدفعه اليك ، فقال المنصور : أنت آمن ، وأين هو ؟ فأجاب : بالبصرة ، فوجه معي برجل تثق به واحملي على دواب البريد ، واكتب الى عامل البصرة حتى أدله عليه ، فيقبض عليه ، ووجه المنصور معه أبا سويد . وخرج سفيان بن زيد ومعه غلام عليه جبة من الصوف ، وعلى عنقه سفرة فيها طعام ، فركبا مع أبي سويد على خيل البريد . حتى اذا وصلوا جميعاً الى البصرة ، قال أبو سفيان لأبي سويد : انتظرني حتى أعرف خبر الرجل . ثم مضى ولم يعد . وكان ذلك الغلام الذي عليه الجبة الصوف هو ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، ثم بدأ ابراهيم نشر دعوته لأخيه محمد النفس الزكية في البصرة .

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

عوامل اختيار البصرة مركزاً ثورياً :

نزل ابراهيم في البصرة في دار ، تدعى دار أبي فروة ، اتخذها مركزاً للدعوة وأقبل عليه كثير من وجوه البصرة يبائعون اخاه محمداً ، كما اجابسه « فتيان من العرب » واحصى ديوانه أربعة آلاف . ثم انتقل ابراهيم الى دار أخرى في وسط البصرة تدعى دار أبي مروان ، واستمر في دعوته لأخيه .

ثم فوجيء ابراهيم برسالة تقدم عليه تحمل اليه اعلان أخيه محمد النفس الزكية الثورة . ويبدو ان ابراهيم كان يشعر أن الدعوة لم تنضج بعد ، وان أخاه محمداً قام بالثورة قبل اوانها ، ولذا كانت الرسالة مفاجأة له ، فيروي كل من الطبري (١) والاصفهاني (٢) عن سفيان ، أحد انصار ابراهيم انه قال : أتينا ابراهيم يوماً وهو مرعوب ، فأخبرني ان كتاب أخيه محمد جاءه ، يخبره انه قد ظهر ويأمره بالخروج ، فوجم من ذلك ، واغم له فجعلت أسهل الأمر عليه . وقلت : قد اجتمع لك أمرك ، ومحلها المضاء والطبوى والمغيرة ، وانما ، وجماعة ، فنخرج بالليل فنقصد الحصن ففتحه ، فتصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس فطابست نفسه « (٣) .

لم يكن اختيار ابراهيم لمدينة البصرة ليقوم فيها الدعوة لأخيه محمد النفس الزكية اختياراً عفويماً ، بل نتيجة الظروف السياسية ، فكانت المدينة الوحيدة التي يمكن ان تصبح مركزاً للدعوة ، وان لم تكن المدينة المثلى او المركز الافضل لقيام الثورة ويتضح ذلك في رواية للمسعودي (٤) ، اذ قال : لما ظهر محمد بن عبدالله بالمدينة دعا المنصور اسحاق بن مسلم العقيلي ، وكان شيخاً ذا رأي وتجربة ، فقال له : أشر علي في خارجي خرج علي ، قال : صف لي الرجل . قال : رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو علم

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٦ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣١٩ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٤٦ .

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ .

وزهد وورع . قال : فمن تبعه ؟ قال : ولد علي وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير بن العوام وسائر قریش وأولاد الانصار . قال له : صف لي البلد الذي قام به . قال : بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ، ففكر ساعة ثم قال : اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال . فقال المنصور في نفسه : قد خرف الرجل ، أسأله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرجال . فقال له : انصرف يا شيخ ثم لم يكن الا يسير حتى ورد الخبر ان ابراهيم قد ظهر بالبصرة ، فقال المنصور : علي بالعقيلي . فلما دخل عليه ادناه ثم قال له : اني كنت قد شاورتك في أمر خارجي خرج بالمدينة فأشرت علي أن أشحن البصرة بالرجال ، او كان عندك من البصرة علم قال : لا ، ذكرت لي خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه احد ، ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه ، فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش ، فقلت : انه رجل سيطلب غير موضعه ، ففكرت في مصر فوجدتها مضبوطة ، والشام والكوفة كذلك ، وفكرت في البصرة فخفت عليها منه لخلوها ، فأشرت بشحنها ، فقال له المنصور احسنت ، وقد خرج بها أخوه . »

لم يكن أمام ابراهيم سوى مدينة البصرة يعلن فيها ثورته مما حتمته الاوضاع السياسية في الامصار الاسلامية ، وان كانت مدينة الكوفة هي أصلح المدن لهذه الدعوة الشيعية ، فهي موطن الشيعة منذ عصر الخلفاء الراشدين وهي المدينة التي اتخذها علي بن أبي طالب حاضرة للدولة الاسلامية(١) ، وشهدت الكوفة أنجاد علي ثم البيعة لابنه الحسن(٢) . ثم دعت الكوفة الحسين بن علي ليقدم اليها من الحجاز للقيام بثورة علوية شيعية ضد الدولة الاموية (٣) . وسارعت الكوفة الى تأييد المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أعلن انه وزير وداعية محمد بن علي ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية(٤) . ثم شهدت الكوفة كثيراً من ثورات

- (١) الطبري ج ٥ ص ١٧٢ - كان علي بن أبي طالب يقول : « الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم » . (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٩ .
(٤) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٠٠ ، البلاذري : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٨ .

الشيعة ، أشهرها ثورة زيد بن علي ، وساهمت الكوفة في أواخر العصر الأموي في الدعوة العباسية التي استمرت وراء الدعوة لتولية آل محمد الخلافة ، ثم كان إعلان قيام الخلافة العباسية في الكوفة (١) . ولكن إبراهيم ، رغم ادراكه لصلاحية الكوفة التامة لدعوته الشيعية ، إلا أنه لم يكن يستطيع اتخاذها مركزاً لهذه الدعوة ، فقد كان المنصور مقيماً في الهاشمية على مقربة من الكوفة (٢) . وقد اتخذ من الأمر عدته ، بحيث يستطيع القضاء على دعوة إبراهيم في مهدها . أما بلاد الشام ، فلم تكن تصلح بأي حال لتكون مركزاً لدعوة شيعية فأهلها رغم قيام الدولة العباسية ما زالوا على ولائهم لبني أمية ، فقد ارتبطت بلاد الشام بالأمويين ارتباطاً وثيقاً ، ووقف أهالي الشام وراء معاوية بن أبي سفيان في صراعه لعلي بن أبي طالب واستعان الخلفاء الأمويون بجند الشام في اخماد جميع ثورات الشيعة .

أما مصر ، فقد استقرت أحوالها السياسية تماماً في عهد المنصور ، ولم تشارك في مجريات الأحداث في الدولة العباسية مشاركة إيجابية فعالة ، كما لم تكن مصر أرضاً صالحة لبذر المذهب الشيعي فيها ، فكانت الغالبية العظمى من أهلها من أهل السنة (٣) .

أما خراسان فهي موطن شيعة بني العباس فقد شهدت أرضها مواد الدعوة العباسية وتطورها ونموها ، حتى اينعت وكانت ثمارها قيام دولة بني العباس وحرص الخلفاء العباسيون على الارتباط بأهالي خراسان ارتباطاً وثيقاً فكانوا يتملقونهم ويمتدحونهم ويحسنون إليهم ، وقد شهدنا في الفصل السابق كيف تألف معظم جند الجيش العباسي الذي بعثه المنصور لقتال النفس الزكية من الخراسانية ، كما رأينا الخطب التي ألقاها الخليفة المنصور ووجهها إلى أهالي

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٥ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٢٣٧ .

(٣) قال صاحب الفخري (ص ١٢٨) عن اتجاهات وميول أهالي الشام ومصر : « وأما أهل الشام ومصر فهوهم في بني أمية ، وحب بني أمية رسخ في قلوبهم » .

خراسان ، يبرر لهم ما أقدم عليه من سجن عبدالله بن الحسن وأسرتة ، ثم اقدمه على قتل محمد النفس الزكية (١) .

ويتضح سر اختيار ابراهيم للبصرة ، في رواية للطبري (٢) ، فقد أشار أحد خاصة المنصور ، وهو جعفر بن حنظلة البهراني ، على الخليفة بالاهتمام بالبصرة ، فلما سأله المنصور عن سبب ذلك أجاب : « لأن محمد ظهر بالمدينة وليسوا بأهل حرب فحسبهم ان يقيموا شأن انفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك وأهل الشام أعداء آل أبي طالب فلم يبق الا البصرة » وكان الجميع يعرفون عداء أهالي الشام لآل علي بن أبي طالب ، ولذا نصح أحد خاصة المنصور باستقدام جند من أهل الشام (٣) .

وإن كانت الظروف السياسية هي التي حتمت على ابراهيم اختيار البصرة مركزاً لثورته ، فإنها لم تكن صالحة تماماً لذلك ، فقد وصف الاصمعي احوال الامصار الاسلامية واتجاهاتها فقال : « البصرة كلها عثمانية ، والكوفة كلها علوية ، والشام كلها أموية ، والجزيرة خارجية والحجاز سنية (٤) . وكان تعرض البصرة لاغارات الخوارج في العصر الأموي وما لحق بها من تخريب وتدمير ، دافعاً لأهلها على الجنوح الى السلام والهدوء والابتعاد عن السياسة التي افسدت العلاقات بين الكوفة ودمشق ، فقد اصبحت الكوفة مركزاً للمعارضة وهدفاً للاضطهاد السياسي وموضع الرقابة الحكومية (٥) .

(١) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٤٦ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٤٧ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٩ .

(٥) دكتور جابر الحيني : حركات الشيعة المتطرفين واثرتهم في الحياة الاجتماعية والادبية لمدينة العراق ص ١٨٥ .

وكان المنصور يدرك ميول أهالي الكوفة منذ أمد بعيد نحو آل علي بن أبي طالب ، فرأى ان يأخذ للأمر اهيبته ويقبض على الكوفة بقبضة من حديد . فنزل المنصور الرصافة في ظهر الكوفة ، يحيط به ألف وخمسمائة من جنده . وأجل المنصور بناء عاصمته بغداد حتى يتفرغ للقضاء على ثورة العاويين ، وقد كان حينئذ مقيماً في دير في شرقي نهر دجلة يشرف على أعمال البناء ، فتوجه إليه أحد خاصته فنصحه بالخروج الى الكوفة فقال له : « ان أهل الكوفة لمحمد شيعة ، والكوفة قدر يفور انت طبقتها ، فانخرج حتى تنزلها(١) ووصف الطبري(٢) اجراءات المنصور التي اتخذها في الكوفة ، فقال : « وكان المسيب ابن زهير على حرسه فجزأ الجند ثلاثة اجزاء خمسمائة خمسمائة ، فكان يطوف الكوفة كلها في كل ليلة ، وأمر منادياً فنادى : من أخذناه بعد عتمة فقد أحل دمه بنفسه ، فكان اذا أخذ رجلاً بعد عتمة لقه في عباءة وحمله فيبيته عنده فاذا أصبح سأل عنه فان علم براءته اطلقه والا حبسه » .

وكان المنصور اذا علم بميل أحد أهالي الكوفة الى ابراهيم ، بعث برجاله الى بيته ليلاً ، حتى اذا غسق الليل وهدأ الناس ، تسلق هؤلاء الرجال سلماً وتسلوا الى داره فقتلوه وحملوا خاتمه الى الخليفة(٣) .

ولما كان المنصور يعلم بميل أهالي الكوفة الى مذهب الشيعة ، فقد أمرهم جميعاً بأن يلبسوا السواد وهو شعار العباسيين ، وهدد من يمتنع منهم عن ذلك بالعقاب ، فسارع الجميع الى صبغ ملابسهم باللون الاسود ، ولم تتمكن محال الصباغة من القيام بصبغ ملابس جميع الأهالي ، فكان البقالون يبيعون المداد لهم ليسودوا به ملابسهم (٤) .

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٧ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٤٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣١٩ .

اتساع الدعوة :

اتسعت دعوة ابراهيم في البصرة وخرج اليه كثير من أهالي المدن . فقدم عليه كثير من أهالي الأهواز ، ووجه رجال المنصور انظاره الى ذلك فاتخذ اجراءات لمنع خروجهم . كما خرج كثير من أهالي الكوفة الى البصرة ، رغم تشديد المنصور في مراقبتهم ومنعهم من الخروج ، فكانوا يتسللون متخذين طرقاً ملتوية الى القادسية ثم العديب ، ثم وادي السباع ، ثم ينعطفون برأ نحو اليسار حتى يقدموا البصرة . ونجح المنصور في قتل بعض هؤلاء الذين خرجوا الى ابراهيم ، واحتجز رؤوسهم فنصبها في بعض طرقات الكوفة لارهاب أهلها(١) . وأقام المنصور المسالح على الطرق الرئيسية بين المدن ، فكان الجند يرغمون كل مار بهم ان يقسم بالطلاق والعناق ، والحلال والحرام ، انه ليس لابراهيم شيعة ، ولا يهوى هواه ، ولا يضمم الا مثل ما اظهر(٢) .

امتدت دعوة ابراهيم الى فارس ، وقدم عليه في البصرة قوم من (الدهجرائية) أصحاب الضياع ، فقالوا لابراهيم : يا بن رسول الله ، انا قوم لسنا مسن العرب ، وليس لأحد علينا عقد ولا ولاء ، وقد اتيناك بما فاستعن به ، فقال ابراهيم لهم : من كان عنده مال فليعن به أخاه ، فأما ان آخذه فلا (٣) .

أدرك الخليفة المنصور خطورة دعوة ابراهيم ، ورأى ان يحشد الجند استعداداً لمواجهة الثورة فبعث الى قائد الجيش العباسي الذي كان يقاتل الخوارج في الجزيرة يأمره بالعودة ، وفي الطريق اعترض أهالي (باحمشا) طريق الجند ، وكان عددهم نحو ألفين ، وقالوا للقائد العباسي داود بن سليمان : لا ندعك

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٩ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٣٧ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٣٣ .

تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم . واشتبك الاهالي مع الجند العباسيين وانتهى القتال بقتل خمسمائة من الاهالي(١) .

ذكر الطبري ان ابراهيم قدم الى البصرة في أول سنة ١٤٣ ، ه فأقام بها مختفياً يدعو أهلها في السراى البيعة لأخيه محمد . ويتفق الطبري(٢) والاصفهانى(٣) بأن أول خروج ابراهيم بالبصرة كان في غرة شهر رمضان سنة ١٤٥ ه .

خرج ابراهيم في ليلة أول رمضان في أربعة عشر فارساً قاصدين ناحية بني يشكر ، وقدم اليه هناك بعض أنصاره من بني تميم . وقصدوا جميعاً الى دار الامارة حيث يقيم الوالي العباسي سفيان بن معاوية فحاصروا الدار . وقدم أبو حماد الابرص لنجدة الوالي على رأس الفين من الجند ، فنجح ابراهيم وانصاره في الانتصار عليهم ، واستولوا على دوابهم واستخدموها في القتال . واشعل ابراهيم النيران في رحبة القصر فاضطر سفيان ومن معه من رجاله الى طلب الامان فأمنهم ابراهيم على أرواحهم وأمر بحبس سفيان في القصر . وقدم جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي العباسي وكانا في البصرة يومئذ على رأس ستمائة جندي لنجدة الوالي العباسي ، ولكن احد أنصاره ابراهيم قاد ثمانية وأربعين رجلا ونجح في هزيمة الاخوين العباسيين واستولى ابراهيم على بيت المال فوجد فيه مليوني درهم فقرض لكل رجل من رجاله خمسين درهماً ، فكان الناس يقولون : خمسون والحنة(٤) .

ثم اتجه ابراهيم الى السيطرة على الاهواز وفارس ، فبعث الى كل مصر منهما جماعة من رجاله ، ونجحوا في السيطرة عليهما ، وفي هزيمة اعداد كبيرة

(١) المصدر السابق .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢٥١ .

(٣) مقاتل الطالبين ص ٣٢١ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٢ الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٢٣ .

من جند العباسيين « فصارت البصرة والاهواز وفارس في سلطان ابراهيم (١) ». ثم استطاع ابراهيم ان يمد نفوذه الى مدينة واسط أيضاً بعد اشتباكات حربية عنيفة بين أنصاره وأنصار العباسيين « ولم يزل ابراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بفرق العمال في النواحي ، ويوجه الجيوش الى البلدان حتى اتاه نعي أخيه محمد » (٢) .

وتحدث المسعودي (٣) عن اتساع دعوة ابراهيم فقال : « ومضى ابراهيم الى البصرة ، فأجابه اهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار ، وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية ، وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب » . وكان عيسى هذا زعيم الشيعة الزيدية في ذلك الحين ، وقد حاول الخليفة المنصور استمالته ليصرفه عن تأييد ابراهيم ، دون جدوى ، فقد استمر عيسى على اخلاصه لابراهيم حتى قتل ، فتوارى عيسى الى ان مات (٤) . انضم الى ابراهيم كثير من اصحاب زيد بن علي ، وفي مقدمتهم سلام بن أبي واصل الحذاء وحمزة بن عطاء البرني ، وخليفة بن حسان الكيال .

وأعلن الامام أبو حنيفة النعمان تأييده لابراهيم فيقول الاصفهاني « كان أبو حنيفة يجهر في أمر ابراهيم جهراً شديداً ، ويفتي الناس بالخروج معه » . وقد سبق ان شهدنا تأييد الامام مالك بن أنس لحركة محمد النفس الزكية في بلاد الحجاز . وكان لموقف هذين الامامين من ثورة الاخوين ، اثره في انضمام كثير من الناس الى الثورة (٥) .

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٢ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٤ .

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٥٧ .

(٥) مقاتل الطالبين ص ٣٦١ ، الحصري : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٠ .

كتب الامام أبو حنيفة الى ابراهيم يشير عليه ان يقصد الكوفة حيث تؤيده الزيدية فكتب اليه : « ائتها سرا فان من ها هنا من شيعتكم يبيتون (١) أبا جعفر فيقتلونه ، أو يأخذون برقبته فيأتونك به (٢) » وادى موقف أبي حنيفة من ابراهيم إلى غضب الخليفة المنصور عليه ، حتى قيل ان المنصور وضع له السم في شربة عسل فمات .

انضم الفقهاء إلى ثورة ابراهيم ، فيقول الاصفهاني : « ولم يتخلف أحد من الفقهاء ومن هؤلاء الفقهاء عباد بن العوام ، وأبو العوام القطان ، وكان الأخير من جملة محدثي البصرة ، وهو من أصحاب الحسن البصري » (٢) .

الموقف في البصرة بعد استشهاد محمد النفس الزكية :

وبينما كان ابراهيم يمضي من نجاح إلى فوز جاءه نبأ استشهاد أخيه محمد النفس الزكية في المدينة قبل عيد الفطر بأيام ثلاثة ، فكان لهذا النبأ اسوأ الأثر في نفسه فبكى أخاه طويلاً ، وخرج يوم عيد الفطر يصلي بالناس « وهم يعرفون فيه الانكسار وأخبر الناس بقتل محمد فازدادوا في قتال أبي جعفر بصيرة » (٣) .

وقف ابراهيم على المنبر يرثي أخاه بهذه الايات (٤) :

أبا المنازل ياخير الفوارس يفجع بمثلك في الدنيا قد فجعا
الله يعلم أني لو خسيتهم وأوجس القلب من خول لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

(١) يبيتونه : أي يهاجمونه ليلاً .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٦٦ ، الحصري : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٠ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٧١ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ .

ثم ألقى ابراهيم خطبة موجزة ، كان يتخللها ، بكاء حار ، فقال : « اللهم انك تعلم أن محمداً انما خرج غاضباً لك ، ونفياً لهذه المسودة (١) وايثاراً لحقك ، فارحمه واغفر له ، واجعل الآخرة خير مرد له ، ومنقلب من الدنيا » (٢) .

ولم يزد مقتل محمد النفس الزكية أخاه ابراهيم وانصاره الا حماساً واستبسلاً فزموا جميعاً على الأخذ بثار الشهيد من العباسيين وانطلقت ثورة ابراهيم في عنف تكسح أمامها كل مقاومة من الدولة العباسية . وخرج ابراهيم من فورهِ إلى (الساجور) حيث عسكر بجيشه ، وبدأ استعداداته للزحف نحو الكوفة لقتال الخليفة المنصور ، واستنفر الناس للمعركة القريبة ، وأقبلت الرايات من كل صوب ، واحتشدت الشيعة في البصرة والأهواز وبعث ابراهيم كتائب تسيطر على البلاد المجاورة .

وكان موقف الخليفة المنصور حرجاً . فما زال الجيش الذي يتولى عيسى ابن موسى قيادته في بلاد الحجاز ، كما فرق المنصور جيوشه في الامصار المختلفة . وقدم جعفر ومحمد ابنا سلمان على المنصور ، من البصرة ، يرويان له مشاهداتهما في البصرة ، ويتحدثان عن قوة ابراهيم وكثرة جنده وشيخته . واعترف المنصور بقله جنده وحرج موقفه فقال لهما : « والله ما أدري كيف اصنع والله ما في عسكري الا ألفا رجل ، فزقت جندي ، فمع المهدي بالري ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث بافريقية أربعون ألفاً ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً» (٣) .

لم يكن مع الخليفة المنصور غير ألفي جندي ، معظمهم من السودان . وأراد المنصور خداع أهالي الكوفة بأبهامهم بكثرة جنده حتى لا يشجعهم على الثورة

(١) المسودة : اي العباسيون اذ اتخذوا اللون الاسود شعاراً لهم .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٣ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٤ .

عليه فكان « يأمر بالحطب فيحزم ثم يوقد بالليل ، فيراه بالليل ، فيراه الرائي فيحسب ان هناك ناساً وما هي الا نار تضرم وليس عندها أحد (١) .

كتب المنصور إلى عيسى بن موسى بالمدينة يستحثه على الرجوع ، فسرعان ما قدم عليه ثم قدم مسلم بن قتيبة من الري ، فضم المنصور جيشه إلى جيش عيسى ، رغم ما كان بين القائدين من تحاسد وبغضاء (٢) . وراسل مسلم قبيلة بالبصرة ، فأعلنت ولاءها للعباسيين وكتب الخليفة المنصور إلى ابنه وولي عهده المهدي ، وكان بالري ، يأمره بتوجيه حازم بن خزيمه إلى الأهواز ، فأنفذه المهدي في أربعمئة ألف جندي (٣) .

شهدت الأهواز أول صدام حربي بين جند العباسيين وقوات ابراهيم . فقد قدم حازم على رأس الجيش العباسي إلى الأهواز ، حيث كان المغيرة مسيطراً عليها باسم ابراهيم ، وقام حازم بقطع الجسر ، واستولى على السفن . وبدأ الصدام بين القوتين ، ورغم ان اتجاه هبوب الرياح كان لصالح الجيش العباسي ، الا ان حازماً نجح في الحاق الهزيمة في أول الأمر بالعباسيين . ولكن توافدت الامدادات على حازم ونجح في الانتصار على المغيرة الذي آثر الانسحاب إلى البصرة ، وفقد ابراهيم بذلك الأهواز (٤) .

قضى الخليفة المنصور فترة قلقه ينتظر فيها عودة جيش عيسى بن موسى من بلاد الحجاز ، حتى يعهد اليه بالقضاء على ثورة ابراهيم بالبصرة . وكان المنصور مقدرًا خطورة الموقف ، شاعرًا بالخرج حتى انه خرج من قصره فأقام في معسكره وسط جنده ، وظل يقيم فوق مصلى أكثر من خمسين ليلة ،

-
- (١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ .
 - (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٤ .
 - (٣) الطبري : ج ٦ ص ٢٥٥ .
 - (٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٢٧ - ٣٢٩ .

فكان عليه مجلسه ونومه ، ولم يغير الجبة حتى اتسخت . وكان إذا حاول أحد خاصته تهدئة خاطره ، أنشد : (١) .

ونصبت نفسي للرماح دربسة ان الرئيس لمثل ذاك فعـول
قدم عيسى بن موسى على الخليفة المنصور ، فتنفس الصعداء ، فعمهد
اليه بقتال ابراهيم . ويبدو مدى تقدير المنصور لمقدرة عيسى في هذه العبارات
التي قالها لأحد خاصته : (ان ابراهيم قد عرف وعورة جانبي ، وصعوبة
ناصيتي ، وخشونة قرني ، وانما جرأه على المسير لي من البصرة ، اجتماع
هذه الكور المطللة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية
وقد رميت كل كورة بحجرها ، وكل ناحية بسهمها ووجهت اليهم الشهم
النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى ، في كثرة من العدد والعدة ، واستعنت
بالله عليه ، واستكفيتها اياه فانه لا حول ولا قوة لأمر المؤمنين الا به) (٢) .

الصدام العسكري :

وجه الخليفة المنصور عيسى بن موسى لقتال ابراهيم فتقدم على رأس جيش
عدته خمسة عشر ألفاً ، وجعل المنصور على مقدمة الجيش حميد بن قحطبة
على ثلاثة آلاف جندي وصحب المنصور الجيش العباسي حتى بلغ نهر البصريين
ثم عاد إلى الكوفة . وتقدم ابراهيم على رأس جيشه ، وكان يتألف من نحو
عشرة آلاف جندي ورغم ان ديوان ابراهيم كان يضم اسماء مائة الف من
أهل البصرة . وبدأ ابراهيم زحفه من خريبة البصرة نحو الكوفة (٣) .

تقدم أحد رجال ابراهيم بالنصيحة اليه ، فأشار عليه الا يتوجه لقتال عيسى
ابن موسى بل يسلك طريقاً آخر يوصله إلى الكوفة حيث يفاجيء أبا جعفر

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٨ . الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

المنصور وأنهى نصيحته لابراهيم بقوله : « انك غير ظافر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة فان صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة (١) . وأشارت الزيدية (٢) على ابراهيم برفض هذه الفكرة واعتبرت هذه الخطة « من فعال السراق . تقدم رجل آخر إلى ابراهيم يدعى عبد الواحد بن زياد باقتراح آخر ، فقال : « فارجع إلى البصرة ، ودعنا نقاتل عيسى فان هزمتنا أمددتنا بالامداد . » واعتضت الزيدية أيضاً على هذا الاقتراح وقالت : « اترجع عن عدوك وقد رأيتهم ؟ » فعاود الرجل النصيحة فاقترح على ابراهيم حفر خندق حول معسكره فاعتضت الزيدية أيضاً على الاقتراح وقالت : « تجعل بينك وبين الله جنة » « فتقدم الرجل باقتراح أخير ، فقال لابراهيم « لجعل عسكري كراديس ، إذا هزم منهم كردوس ثبت كردوس » فرفضت الزيدية هذا الاقتراح أيضاً ، وقالت « لا نكون الا صفاً واحداً كما قال الله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) (٣) . »

التقى الجيشان في (باخمري) وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة ودارت معركة رهيبة ولحقت الهزيمة بقوات حميد بن قحطبة ، وكان على مقدمة جيش عيسى بن موسى ، وسارع الجند العباسيون الى الفرار فعرض لهم عيسى ابن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلون عليه ، ومروا منهزمين ، وأقبل حميد بن قحطبة منهزماً ، فقال له عيسى بن موسى : يا حميد ، الله الله والطاعة فقال : لا طاعة في الهزيمة (٤) ، وسمع الخليفة المنصور نبأ الهزيمة التي لحقت بجيشه ، فأمر باعداد الابل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها .

صمد عيسى بن موسى في موضعه ، رغم فرار جنده حتى انه بقي في مائة رجل من خاصته وإحشمه ونصحه البعض بالانسحاب والنجاة بنفسه ، فقال :

-
- (١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٨ .
(٢) انصار عيسى بن زيد الذي كان منضماً الى ابراهيم .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ج ٥ ص ٢٢٩ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٦ .

لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل أو يفتح الله على يدي ولا يقال انهزم (١).
كما صمد أيضاً جعفر ومحمد ابنا سليمان وقد نجحا في انقاذ الجيش العباسي
من مصيره المؤلم الذي كان قاب قوسين أو أدنى .

تقدم ابراهيم في جنده ليقاتل عيسى بن موسى الذي ظل صامداً في ميدان
القتال ونجح حميد بن قحطبة في جمع أشتات جنده المنهزمين ، وانضم الى عيسى
وحدث ان أصيب عيسى بسهم ، فاضطر الى الانسحاب مع جنده وتبعهم جند
ابراهيم ، فنادى منادي ابراهيم : الا لا تتبعوا مدبراً فعاد هؤلاء الجند وظن
جند عيسى ان الهزيمة قد لحقت بجند ابراهيم المنسحبين ، فكروا في آثارهم
ونجحوا في الحاق الهزيمة بهم وأصيب ابراهيم بسهم قاتل .

وطلب ابراهيم من خاصته ان ينزاهه من فوق فرسه ، وهو يقول : «وكان
أمر الله قدراً مقدوراً» (أردنا أمراً وأراد الله غيره) واجتمع حوله بعض
أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه . وشدد حميد بن قحطبة ورجاله
الهجوم عليهم حتى اضطروهم للانسحاب . وتقدم مولى لعيسى بن موسى
فاحتز رأس ابراهيم وحملها الى سيده (٢) .

شهيد باخمرى :

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لحياة ابراهيم بن عبد الله ، في ٢٥ من ذي القعدة
سنة ١٤٥ هـ ، وكان عمره حينئذ ثمانى وأربعين سنة ، واستمرت ثورته منذ
خرج الى ان استشهد ثلاثة أشهر الا خمسة أيام (٣) .

وظلت موقعة باخمرى ماثلة في الاذهان ، تروي للاجيال قصة استشهاد أحد

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٦٠ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٧ - ٣٤٩ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٦٢ .

زعماء العلويين ، وخبر حلقة من حلقات سلسلة مقاتل الطالبين ، وأطلق الناس على هذه الموقعة اسم (بدر الصغرى) (١) .

حملت رأس ابراهيم الى الخليفة المنصور ، فنظر اليها ثم تمثل بقول الشاعر :
فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عينا بالاياب المسافر (٢)

ويروي الطبري (٣) ان المنصور بكى حتى قطرت دموعه على خد ابراهيم ثم خاطب الرأس : أما والله اني كنت لهذا لكارها ، ولكنك ابتليت بي ، وابتليت بك وعقد المنصور مجلساً عاماً وأذن للناس بالدخول عليه ، فكان بعضهم يتملق الخليفة فيهجو ابراهيم ، فيبدي المنصور استيائه ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فقال للخليفة : عظم الله اجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك ، وغفر له ، ما افرط فيه من حقلك فأبدى المنصور رضاه على هذا القول مما جعل سائر القوم الذين دخلوا على المنصور يقولون مثله .

سعى ابراهيم جنده عن ان يتبعوا المدبرين من الجند العباسيين ، مما أدى الى هزيمة جنده ومصرعه . رغم ان الامام أبا حنيفة كان قد بعث برسالة الى ابراهيم جاء فيها : « اذا اظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسر فيهم مسيرة أبيك في أهل الجمل فانه لم يقتل المنهزم ، ولم يأخذ الاموال ، ولم يتبع مدبراً ولم يذفف على جريح ، لان القوم لم يكن لهم فئة ، ولكن سر فيهم بسيرة يوم صفين ، فانه سبى الذرية ، وذفف على الجريح وقسم الغنيمة لأن أدل الشام كانت لهم فئة وكانوا في بلادهم (٤) .

غادر الزعماء العلويون المدينة والبصرة بعد مقتل محمد وأخيه ابراهيم ورحلوا الى الكوفة حيث اختفوا شهراً ، ولكن الربيع بن يونس حاجب المنصور فطن

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٦٥ .

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٦ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٦٣ - وقد بكى المنصور أيضاً عند سماعه نبأ موت الامام جعفر الصادق

(تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١١٧) ، كما سيكي الخليفة الهادي حينما يعلم بمصرع الحسين

ابن علي (المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧) .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٦٧ .

الى مكانهم وقدم بهم ليمثلوا بين يدي الخليفة المنصور . ودخل اثنان منهم ، وهما جعفر بن محمد والحسن بن زيد على المنصور ، فسألهما المنصور : أتدرون لم دعوتكم ؟ فأجاب جعفر بن محمد : لا .. فقال المنصور : أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم واعقر نخلكم ، وأترككم بالسراة لا يغريكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فانهم لكم مفسدة . فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطي فشكر ، وان أيوب ابتلي فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك النسل ، فعفا المنصور عنهم ، وطلب منهم ان يختاروا مدينة يقيمون بها ، فاختاروا المدينة المنورة (١) .

كان قد انضم كثير من الفقهاء والعلماء الى ابراهيم ، وفي مقدمتهم الفقيه عبادة بن العوام الذي أيد ابراهيم وشاركه حروبه وبجث المنصور عنه بعد مقتل ابراهيم فتوسط المهدي له عند أبيه ليعفو عنه ، فوهبه له واشترط عليه الا يظهر والا يحدث فظل متوارياً حتى مات المنصور فأذن له المهدي بعد توليه الخلافة بالظهور والحديث (٢) .

غضب المنصور على الامام أبي حنيفة لمناصرته لابراهيم في ثورته ، فكتب المنصور لعيسى بن موسى وهو على الكوفة يأمره بانفاذ أبي حنيفة الى بغداد (٣) . ويتحدث الاصفهاني (٤) عن مصير أبي حنيفة فيقول : دعا أبو جعفر أبا حنيفة الى الطعام فأكل منه ثم استقى فسقي شربة عسل مجدوحة ، وكانت مسمومة فمات من غد ، ودفن في بغداد في المقابر المعروفة بمقابر الخيزران (٥) .

وكان عبدالله بن الحسن وآله لا يزالون في سجن المنصور ، بعد مقتل محمد النفس الزكية و ابراهيم ، وقد تناقص عددهم اذ مات كثير منهم في ذلك السجن

(١) المصدر السابق ص ٣٥١ - جعفر بن محمد : هو الامام جعفر الصادق .

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٧ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٣٦٨ .

(٥) الخيزران هي زوجة المهدي وأم الهادي والرشيدي .

المظلم غير الصحي فبلغ عدد من بقي منهم خمسة . وأمر الخليفة المنصور حاجبه الربيع بن يونس بحمل رأس ابراهيم الى أبيه عبد الله في سجنه . فأخذ عبد الله رأس ابنه فوضعه في حجره وقال له : أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم . والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل) ثم قال عبد الله للربيع قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام ، والملقى يوم القيامة وتقل الربيع هذا القول إلى المنصور ، ويصف الربيع وقع هذه الكلمات في نفس المنصور فيقول : فما رأيت المنصور قط أشد انكساراً منه في الوقت الذي بلغته فيه هذه الرسالة (١) .

وكان الجدير بالمنصور ، بعد الذي حدث ، أن يمن على من بقي من بني الحسن ويخفف عنهم كرتهم ويطلق سراح المسجونين منهم ، ولكنه لم يفعل ، فمات عبد الله بن الحسن في سجنه وجماعة آخرون معه ، وبقي طوال مدة خلافته غير راض عنهم وعمن شهر السيف معهم ، ومن أفتى لهم من الأئمة بالخروج عليه ، ومنهم الامام أبو حنيفة والفقير عبد الحميد بن جعفر ، وابن عجلان في البصرة والامام مالك بن أنس في المدينة وقد أصيب هؤلاء كلهم بأذى منه (٢) .

وكان مصرع ابراهيم ايذاناً بنهاية نفوذه في الامصار الاسلامية . وكان ابراهيم قد بعث عمرو بن شداد ومعه ثلاثون رجلاً من أنصاره إلى فارس فطردوا عنها والي الخليفة المنصور وسيطروا على البلاد حتى إذا علم عمرو بمصرع أبيه سارع إلى الفرار إلى كرمان ثم إلى البصرة ، حيث اختفى هو وأصحابه . وما لبث المنصور ان قبض عليه فقطع يديه ثم رجليه ثم ضرب عنقه (٣) .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٢) الجومرد : ابو جعفر المنصور ص ١٩٢ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٣١ .

واستمر أهل واسط على ولائهم حتى لقي ابراهيم حتفه وكان ابراهيم قد ولّى عليها هارون بن سعد ، فأسرع إلى الفرار إلى البصرة (١) .

عوامل إخفاق ثورتي النفس الزكية وإبراهيم :

انتهت حركتا محمد النفس الزكية و ابراهيم بالاخفاق ، واستشهد الزعيمان ولنا أن نساءك عن عوامل اخفاق هاتين الحركتين الشيعيتين الثوريتين ، رغم قوتها وخطورتها ، واتساع انتشارهما في كثير من الأمصار الاسلامية ، واقبال كثير من المسلمين على تأييدهما ومؤازرتها . فقد انتشرت الدعوة للاخوين في الحجاز والعراق وخذ اسان ومصر ، وبلغ جند محمد النفس الزكية مائة ألف ، كما أحصى ديوان ابراهيم بالبصرة مائة ألف أخرى (٢) . كما قامت الحركتان في فترة حرجه من فترات حكم الدولة العباسية فقد واجه الخليفة المنصور كثيراً من الفتن والاضطرابات الداخلية في مقدمتها محاولات ابي سلمة الحلال لتحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين وعداء أبي مسلم الخراساني ، كما واجه المنصور أيضاً الفتنة التي أثارها عمه عبد الله بن علي وانضم إليها كثير من المناوئين لخلافة المنصور . كما ثارت في عهد المنصور حركات الزنادقة التي كانت تهدد كيان الدولة العباسية ، فضلاً عن تهديدها للاسلام والعروبة والنظم الاجتماعية (٣) . إلى جانب استمرار خطورة الخوارج وترقب بني أمية الفرصة للانتقام والثأر ، فضلاً عن المشاكل الخارجية مع الدواة البيزنطية .

يمكننا ان نصنف العوامل التي أدت إلى اخفاق حركتي محمد النفس الزكية

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢) الأشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٩ .

(٣) انظر كتابنا (الزندقة والشعبوية) تجد كثيراً من التفاصيل حول حركات الزنادقة في عصر المنصور (طبعة مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٨) .

وأخيه ابراهيم إلى عوامل سياسية وعوامل اقتصادية وعوامل عسكرية وعوامل اجتماعية .

أولاً : العوامل السياسية :

كان أول هذه العوامل السياسية التي أدت إلى اخفاق حركتي الاخوين ، هو ما أبداه الخليفة المنصور من شجاعة ورباطة جأش وما اتخذ من استعدادات ومقومات الانتصار وما اتصف به من دهاء وذكاء ، وما اشتهر به من عبقرية سياسية وحربية . فقد استطاعت هذه الصفات كلها ان تتجمع وتتلور لتواجه تلك الحركتين الخطيرتين ، مما حقق للمنصور الفوز والانتصار .

لم يستبد المنصور برأيه حينما واجه الثورة ، بل لجأ إلى المشورة دائماً في كل موقف ، فكان يستشير خاصته ورجاله على اختلاف مراكزهم وخبراتهم بل قد رأينا أنه يبعث إلى عمه عبد الله بن علي في سجنه ، يستشيره . وتعددت المشورات ، فكان المنصور يناقش أصحابها ويقارن بينها وقيسها بمقاييس العقل والمنطق والظروف ويأخذ بأكثرها صلاحية ونفعاً وإيجابية . بينما لا نجد في الروايات التي نقلها المؤرخون الينا لجوء محمد النفس الزكية و ابراهيم إلى الاعتماد على أهل المشورة والرأي الصائب . بل كثيراً ما قبلا مشورة غير أهل الرأي ، مما أدى إلى أواخر العواقب . فقد رضخ محمد النفس الزكية إلى رأي بعض أصحابه الذين حثوه على التعجل باعلان ثورته ، رغم انه لم تكن قد توفرت لها بعد جميع مقومات النجاح والفوز ، حتى أن أخاه ابراهيم أبدى وجله وألمه حينما وصله كتاب أخيه محمد يعلن له فيه نبأ خروجه كما استجاب محمد لنصيحة من أشاروا عليه بالاستمرار في الإقامة في المدينة وعدم الخروج إلى مصر ، رغم حرج موقفه في المدينة ، مما ضيع عليه فرصة ذهبية كانت تكتب له النجاة من مصيره المؤلم (١) . كما كان لرضوخ ابراهيم لمشورة بعض أصحابه

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

حول الخطط الحربية وتنظيم الجيش . كما سيتضح بعد قليل ، من عوامل هزيمته في موقعه (باخمري) بعد أن حاز في أول الأمر انتصارات رائعة (١) .

تفوق محمد النفس الزكية وإبراهيم على المنصور ، من عدة نواح فقد كان انتسابهما إلى بيت علي بن أبي طالب (٢) . وما اتصفا به من تدين وتقوى ، وعلم وفقه (٣) وسجايا كريمة ، من عوامل انتشار دعوتهما ، واتجاه قلوب ومشاعر الناس نحوهما فتفوق الأخوان على المنصور في إقبال الناس على تأييدهما دونه ، وفي غزو القلوب والنفوس وفي حشد الجيوش والقوات الكثيفة . ولكن المنصور تغلب عليهما بدهائه وبوسائله السياسية فانتصر عليهما ، في ميادين السياسة ، قبل أن ينتصر عليهما في ميادين الحرب ، بل كان الانتصار السياسي ، تمهيداً للنصر العسكري وشهدنا صوراً لهذه الانتصارات السياسية التي أضعفت من شأن اتساع دعوة محمد وإبراهيم . وقللت من أهمية كثرة انصاراتهما وحدث من نشاطهما السياسي والحربي .

اختفى محمد النفس الزكية عن أنظار المنصور عدة سنوات ، وحاول المنصور الوقوف على مكان اختفائه . وسلك في سبيل ذلك كل المسالك ، فبذل الوعود والمهود وجرب الوعيد والتهديد وغير الولاية والعمال ورحل إلى الحجاز عدة مرات ، وقبض على عبد الله بن الحسن وآله ، واضطهدهم وعذبهم فلم يجد ذلك فتيلاً وكان المنصور يعلم أنه كلما طالت مدة اختفاء محمد . زاد قوة ، وزادت دعوته انتشاراً . ولذا رأى المنصور أن من مصالحه أن يعجل بظهور محمد وبإعلان ثورته ، قبل أن تنضح وتأتي أكلها كما أراد المنصور أن يشعر محمد بقوته واتساع نفوذه حتى يظهر على الملأ ، فيمكن للمنصور مواجهته والقضاء على حركته وهي لا تزال في المهد وفي أول الطريق .

(١) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) ينتسبان إلى الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٣) الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢ - ١٤ .

وتحقيقاً لهذه السياسة . اتخذ المنصور الدهاء والحيلة سبيلاً ، فكان المنصور يزيف كتباً يزعم أنها واردة من قواده وانصاره ، وقد كتبوها إلى محمد النفس الزكية يدعونه فيها للظهور ، وأنهم ينبذون طاعة المنصور ويعدون محمداً بالولاء والطاعة ان هو أعلن ثورته (١) مما جعل محمد أ يظن انه ان اظهر أمره سارع قواد المنصور ورجاله بالانضمام اليه . فروى الطبري(٢) : كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ، وبخبرونه أنهم معه ، فكان محمد يقول : لو التقينا مال إلى القواد كلهم .

بل أوعز المنصور إلى قائده الكبير حميد بن قحطبة ان يخدع محمد النفس الزكية فيتظاهر بطاعته والولاء له ، وقام حميد بدور بارز في الصراع الذي دار بين محمد والمنصور فقد تولى قيادة أحد الجيشين اللذين بعثهما المنصور إلى المدينة لقتال محمد وكان محمد يعتمد على ما أبداه حميد من ولاء . ولذا أبدى محمد تعجبه من استمرار حميد في طاعة المنصور وفي استبساله في قتال أهل المدينة . فقال محمد لحميد : ألم تبايعني ، فما هذا ؟ فقال حميد : هكذا نفعل بمن يفشي سره إلى الصبيان (٣) ، ومن سخرية الاقدار ان يكون مصرع محمد النفس الزكية على يد حميد بن قحطبة وقد قام حميد باحتراز رأس الشهيد وحملها إلى عيسى بن موسى ثم إلى المنصور .

وأبدى المنصور ثباتاً ورباطة جأش في أخرج المواقف ، فلم يستسلم لليأس والقنوط فبعث مستدعي جيوشه المتفرقة في أرجاء الدولة العباسية كما استدعى الامداد من بلاد الشام ، فكان يقدم عليه في كل يوم نفر قليل لا يزيد عددهم على عشرة نفر ، ولكن المنصور رسم طريقة دخولهم إلى الكوفة بحيث يشعر أهلها ان الامدادات تتدفق على المنصور من كل صوب ، فكان هؤلاء

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٨٩ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٧٠ .

النفر يدخلون من أحد أبواب الكوفة حتى إذا اجتازوا طرقاتها عادوا للدخول مرة أخرى من باب آخر . وظال المنصور حتى اللحظة الأخيرة متمسكاً بحقه في الخلافة ، بصور نفسه على انه صاحب الحق الشرعي وان سداً النفس الزكية ثائر خارج على الطاعة . بينما دب اليأس في قلب محمد حين اقتحمت الجيوش العباسية عليه المدينة ، فأسرع يحلل انصاره من البيعة له ، فقد خطب : يسا أيها الناس ان هذا الرجل - أي عيسى بن موسى - قد قرب منكم في عدد وعدة وقد حلتكم من بيعتي ، فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الانصراف فليصرف (١) .

ومن أبرز عوامل اخفاق حركة محمد النفس الزكية ثم حركة أخيه إبراهيم تعجل محمد في الظهور وقيامه بالثورة قبل ان تتوفر لها امكانيات النجاح ، وقبل ارساء دعائم وطيدة تحقق لها النصر . ويبدو ان عبد الله بن الحسن كان يعلم رغبة ولديه محمد وإبراهيم في التعجل بقيام الثورة ، فكان ينصحهما دائماً بالصبر والتريث ، فروى الاصفهاني (٢) : « ان محمداً وإبراهيم كانا يأتیان أباهما مقيمين في هيئة الاعراب فيستأذنانه في الخروج ، فيقول : لا تعجلا حتى تملكنا » .

وكان محمد النفس الزكية نفسه حينما أعلن ثورته ، يدرك انه لم يكن بعد الأوان ولكنه رضى لالحاح خاصته وأصحابه الذين دفعوه دفعاً إلى اظهار أمره ، فقالوا له : ما تنتظر بالخروج ، والله ما تجد هذه الأمة احداً أشأم منك عليها ، وما يمنعك ان تخرج ولو وحدك (٣) « ويشير الطبري (٤) إلى خروج محمد قبل ان يأخذ للأمر أهبطه ، فيقول : « ان محمداً أخرج ، فخرج قبل وقته

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٠٨ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٣٠ .

(٣) مقاتل الطالبين ص ٣٣٠ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٦ .

الذي فارق عليه اخوه ابراهيم كما يقول الاصفهاني في أول الفصل الذي عقده للحديث عن حركة محمد وقتله : « وكان سبب عجلته بالخروج قبل ان يتم أمر دعائه الذين انفذهم إلى الآفاق . . الخ » .

اعتمد محمد النفس الزكية على محبة الناس لآل علي بن أبي طالب ، واعتقادهم ان بني العباس قد اغتصبوا حقهم في الخلافة ، إلى جانب بيعة بني هاشم لمحمد في أواخر العصر الأموي (١) ، وما كان يتصف به من ورع وتقوى واخلاق حميدة . ولكن محمداً لم يهتم الاهتمام الكافي ببحث دعوته في الامصار الاسلامية ، ولم يضع تنظيماً دقيقاً لنشر الدعوة وتهيئة سبل النجاح لها . وإذا قارنا بين وسائل محمد النفس الزكية في دعوته بالأمصار بوسائل العباسيين حينما نشروا دعوتهم في أواخر العصر الأموي لأدركنا ان بني العباس كانوا أوفر نشاطاً ، وأكثر دقة ، وأحكم تنظيمياً . فقد بدأت الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ ، واستمرت ٣٢ عاماً حتى أينعت وأتت ثمارها سنة ١٣٢ هـ حين قامت الدولة العباسية . ووضع العباسيون لدعوتهم نظماً دقيقة ثابتة ، فنظموا الخلايا السرية وبعثوا الدعاة والنقباء إلى كل مكان ، وسموا لهم سبل الدعوة وأعدوا الجيوش واهتموا بمدها بالاسلحة وبتدريب الجنود مما حقق الفوز والانتصار للجيوش العباسية حين التقت بالجيوش الاموية (٢) . بينما اكتفى محمد النفس الزكية بانفاذ بعض اخوته وأبنائه إلى بعض الامصار الاسلامية (٣) ، ظاناً ان الناس يقبلون عليهم مبايعين له ، حتى إذا أعلن الثورة في الحجاز ، قدموا عليه مناصرين مؤازرين . وأحصت دواوين هؤلاء الدعاة من إخوته وأبنائه الألوف من الناس ، ولكنهم حينما قامت الثورة لم يحركوا ساكناً . كما لم يهتم هؤلاء الاخوة والابناء باعداد القوات العسكرية التي يمكن لها السيطرة على الأمصار حينما يحين الأوان . بل اخفق

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤٩ ، الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢ .

(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٥ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

بعض هؤلاء الدعاة في الوصول الى الأمصار التي بعثهم محمد اليها (١) . وكان جديراً ، محمد النفس الزكية ان يسير في نفس الطريق الذي انتهجه العباسيون حينما بدأوا دعوتهم ، وهو الطريق الذي اثبت نجاحه ، وأوصلهم إلى الخلافة ولكن محمداً اتبع السبيل الذي سلكه الثوار العلويون الذين أعلنوا ثورتهم في العصر الأموي (٢) ، فكان مصيرهم الاخفاق والاستشهاد .

أرسل محمد النفس الزكية ابنه عليا إلى مصر ، فقتل بها « وبعث ابنه عبد الله إلى خراسان فاضطر إلى الفرار إلى السند حيث لقي حتفه . ووجه محمد ابنه الحسن إلى اليمن ، فسجنه العباسيون ، ومات في سجنه ، كما بعث اخاه موسى إلى الجزيرة وأخاه يحيى إلى الري وطبرستان ، فلم يحققا نجاحاً كبيراً . كما وجه أخاه ادريس إلى المغرب وانتهت حياته باغتياله بالسم (٣) . وكان جديراً بمحمد ان يعتمد على دعاة آخرين من غير آل بيته ، كما كان عليه الاعتماد على دعاة من أهالي الأمصار . فقد اعتمد العباسيون على الموالي . فكان منهم معظم دعواتهم ، وأصبح أبو مسلم الخراساني ، وهو من الموالي ، حامل لواء الدعوة العباسية . وظل العباسيون مختلفين ، حتى اكتملت للدعوة العباسية مقومات النجاح ، وتخلص أبو مسلم من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فظهر العباسيون في الكوفة ، وأعلنوا قيام دولتهم وبايعوا لأبي العباس بالخلافة وخير ما يثبت رأينا ، ما انتهجه العلويون فيما بعد ، حينما مهدوا لقيام الدولة الفاطمية فقد ساروا على النهج الذي اختطه العباسيون وأثبت نجاحه ، فأقاموا مركزاً في بلاد اليمن لتخريج الدعاة ، واعتمدوا على دعاة من غير آل أبي طالب ، مثل ابن حوشب والسفياني والحلواني ، وحمل أبو عبد الله الشيعي لواء الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب (٤) مثلما حمل أبو مسلم الخراساني لواء الدعوة العباسية في

(١) اخفق عبدالله في الوصول الى خراسان ، كما مات محمد في السجن في اليمن .

(٢) مثل زيد بن علي وابنه يحيى وعبدالله بن معاوية .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٤) المقريري : اتماظ الحنفا ص ٧٥ .

خراسان ، ولذا نجحت الدعوة الفاطمية وقامت خلافة علوية فاطمية في بلاد المغرب (١) ما لبثت أن انتقلت إلى مصر (٢) واتسعت رقعة نفوذها ونافست خلافة بني العباس .

ومن عوامل اخفاق ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ان الخليفة المنصور حال بينهما وبين خراسان والكوفة . أما خراسان ، فقد كانت أرضاً خصبة يستطيع محمد النفس الزكية ان يجد فيها انصاراً وشيعة . فقد بايع كثير من أهلها الدعوة العباسيين في أواخر العصر الأموي حينما كانوا يدعون إلى «الرضا من آل محمد» ، وكانوا يظنون أنهم انما يبايعون آل أبي طالب . كما أصيب كثير من أهالي خراسان بخيبة أمل حينما تولى بنو العباس الخلافة . وكان موالي خراسان وفارس أكثر تهيؤاً واستعداداً لقبول مذهب الشيعة . وادرك المنصور هذه الحقيقة ، فرأى ان تصبح خراسان دائرة مغلقة وفرض عليها ستاراً حديدياً ، يصد دعاة محمد النفس الزكية ، ويمنع خروج أهالي خراسان إلى المدينة . كما كان المنصور يدرك مشاعر أهالي خراسان نحو آل أبي طالب ، ولذا حرص - كما رأينا - على تبرير موقفه منهم ، وخاصة حينما سجن عبد الله بن الحسن وآله وحين قتل قواده محمداً النفس الزكية .

ومن وسائل المنصور في الحيلولة دون تأييد أهالي خراسان لمحمد النفس الزكية، ما لجأ إليه لتثبيط همهم فيروي الطبري (٣) انه حينما مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان في سجن المنصور «أخذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان، فطافوا في كور خراسان وجعلوا يحلفون بالله ان هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) قامت الدولة الفاطمية في القيروان بالمغرب سنة ٢٩٧ هـ وكان عبيدالله المهدي اول الخلفاء الفاطميين .

(٢) فتح جوهر الصقلي قائد رابع الخلفاء الفاطميين المعز لدين الله ، مصر سنة ٣٥٨ هـ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ .

يوهمون الناس انه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ، الذي كانوا يجردون خروجه علي أبي جعفر .

وأراد المنصور ان يوهم محمداً ان أهل خراسان علي ولاء وطاعة له ، وأنهم يلبون النداء إذا أعلن ثورته ، فكان يزيّف كتباً يبعثها علي السنة زعماء خراسان ، يعانون فيها ولاءهم . ونجح حميد بن قحطبة ، قائد المنصور ان يوهم محمداً بأنه مؤيد له ، ولكنه لا يستطيع ان يتحرر من ربة المنصور ويتضح من هذا كله من الخطبة التي ألقاها محمد في المدينة في ١٢ رمضان سنة ١٤٥ هـ ، قبيل المعركة الفاصلة بأيام قليلة ، إذ قال : « ان أهل خراسان علي بيعتي وحميد ابن قحطبة قد بايعني ، ولو قدر ان ينفلت فعل (١) .

وكما سد المنصور أبواب خراسان أمام دعوة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم فقد قطع المنصور أيضاً وشائج أي صلة قد تقوم بين الزعيمين العلويين وشيعة علي بالكوفة وقد كانت الكوفة دائماً معقل الشيعة وحصن العلويين الحسين ، منذ عهد علي بن أبي طالب . وكانت موطناً دائماً للمذهب الشيعي ، وموتلاً للعلويين ، وشهدت معظم ثوراتهم في العصر الأموي (٢) . ولكن اختلف الحال بعد قيام الدولة العباسية ، فقد كان الخلفاء الأمويون يقيمون في دمشق بالشام بعيدين عن الكوفة بالعراق ، أما اليوم فالمنصور يعيش على أطراف الكوفة ، ويقبض عليها بيد قوية . فقد كتم المنصور نبأ ظهور محمد و إعلان الثورة عن أهالي الكوفة ، وأغلق أبواب الكوفة فلم يسمح لأحد بدخولها أو مغادرتها ، وتتبع شيعة محمد و ابراهيم بالقتل والسجن وأرغم أهلها على خلع اللون الأبيض شعار العلويين ، واتخاذ السواد شعار العباسيين .

ومن عوامل اخفاق حركتي محمد و ابراهيم ما يشير اليه المؤرخون المحدثون من اخفاق الاخوين في تنسيق جهودهما ، بحيث تقوم الثورتان في وقت واحد ،

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ .

(٢) مثل ثورات الحسين بن علي ، والنوابين والمختار الثقفي وزيد بن علي .

مما يجعل موقف الخليفة المنصور حرجاً. وينسب هؤلاء المؤرخون المحدثون عدم قيام ابراهيم بالثورة في البصرة في نفس الوقت الذي أعلن فيه محمد النفس الزكية ثورته في الحجاز إلى مرض ابراهيم حيث أصيب بالجدري (١). ولكننا نرى ان المرض لم يكن الحائل بين قيام ابراهيم بالثورة في الموعد المتفق عليه ، بل كان تعجل محمد النفس الزكية بالظهور واطلاق الثورة قبل هذا الموعد : هو سبب عدم قيام الثورتين في وقت واحد ، فاستطاع المنصور ان يتفرغ للقضاء على كل ثورة على حدة . وقد سبق لنا ان ذكرنا كثيراً من النصوص تثبت عجلة محمد في القيام بثورته .

ثانياً : العوامل الاقتصادية :

وأول هذه العوامل اعلان النفس الزكية ثورته في المدينة المنورة . وهي مدينة تشتهر بقديسيها وتاريخها الاسلامي المجيد ولكنها بلدة محدودة الموارد الاقتصادية بحيث لا تصلح لأن تكون مركزاً ثورياً ، وقاعدة حربية. وقد أثبت التاريخ ذلك فقد رفض الزبير بن العوام وحليفه طلحة بن عبيد الله اتخاذ المدينة مركزاً لثورتها ضد علي بن أبي طالب ، فأعلننا الثورة في البصرة (٢) وفقدت المدينة صلاحياتها لتكون حاضرة للدولة الاسلامية ، فاتخذ علي بن أبي طالب الكوفة عاصمة له بدلاً من المدينة (٣) ثم قامت الدولة الاموية في الشام ، وقامت الدولة العباسية في العراق . وابتعد كل من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير عن القيام بثورتيهما في المدينة ، فخرج الحسين إلى الكوفة كما أعلن ابن الزبير ثورته في

(١) الحضري : تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٦٣ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٣٥ الخومرد : أبو جعفر المنصور ص ١٨٨ .

(٢) كان بالمدينة أيضاً كثير من أنصار علي بن أبي طالب (تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٧) .

(٣) كان علي بن أبي طالب يقول ان الأموال والرجال بالعراق (الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٥٢) .

مكة ، رغم عدم صلاحيتها أيضاً لتقوم بها ثورة (١) ، ولم يستطع أهل المدينة الصمود طويلاً للجيوش الاموية في عهد الخليفة الاموي يزيد بن معاوية ، فكانت موقعة الحرة ، التي أدت إلى هلاك كثير من أهالي المدينة (٢) .

وأدرك كثير من الناس أن مصير ثورة محمد النفس الزكية الاخفاق منذ ظهر بللمدينة وأعلن فيها ثورته . وكان قبل مختفياً ، ينتقل بين الامصار المختلفة ولا يعلم الخليفة المنصور في أي أقليم يعلن محمد ثورته . وربما لم يكن المنصور يتوقع أن تقوم الثورة في المدينة ، فقد رأينا الاجراءات الحازمة التي اتخذها في مدن العراق وخاصة الكوفة وفي بلاد خراسان ، كما شهدنا تتبع المنصور دعاة محمد ، من اخوته وابنائته ، والقتل والسجن في الامصار المختلفة .

وهناك نصوص كثيرة تثبت عدم صلاحية المدينة ليقوم محمد النفس الزكية بثورته في ربوعها فقد وصف المنصور المدينة حين أعلن محمد الثورة بأنها « بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة (٣) . وقد امتنع نافع بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير عن الانضمام إلى محمد ، وكان محمد قد ألح عليه في البيعة له ، فقال محمد ألبس السلاح تيأس بك غيرك . فقال نافع : « اني والله ما أراك في شيء » ، خرجت في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح ، وما أنا بمهلك نفسي معك ، ولا معين على دمي (٤) » وقال جعفر بن حنظلة الهيراني للخليفة المنصور حينما انبأه المنصور بقيام ثورة محمد في المدينة : « فاحمد الله ، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع » (٥) .

(١) قام ابن الزبير بثورته في مكة على أساس الالتجاء الى الكعبة وسعى نفسه (العائد بالبيت) - (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧) .

(٢) هلك معظم البدرين كما هلك من أهالي المدينة نحو عشرة آلاف (ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣) .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ رسم الامويون دائماً سياسة اضعاف اقتصاديات الحجاز .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٥) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ .

كان المنصور يعلم ان المدينة عاجزة عن أن تفي لمحمد النفس الزكية بمحاجاته من المال والرجال والسلاح والمؤن . بينما كان المنصور مقيماً في بلاد العراق وهي البلاد التي وصفها علي بن أبي طالب بأنها « موطن الرجال والأموال » . ولذا نجح المنصور في توفير الجند والأسلحة والامدادات اللازمة لجيوشه ، واستعان بما كان في بيوت أمواله العامرة بالأموال ، فقد اشتهر المنصور بالشح والتقتير والاقتصاد في النفقات وأدى ذلك إلى توفر الاموال في خزائن الدولة ، فأنفقها المنصور في نضال ثورة محمد ، وانفذ الجيوش الكثيفة للقضاء على ثورته (١) .

وقد رأينا كيف نصح عبد الله بن علي ، ابن أخيه المنصور ، وهو في سجنه بأن يدع شحه وتقتيره جانباً ويتوسع في الانفاق ويغدق الأموال ، حتى يكتب له النصر وقد أمدنا الطبري (٢) بكثير من التفاصيل حول اهتمام المنصور بإعداد جيوشه وكيف جهزهم بالخيول والبغال والسلاح والميرة .

وأراد المنصور ان يحكم الحلقات حول محمد النفس الزكية وان يزيد الطين بلة وان يشن عليه حرباً اقتصادية شعواء ، قد تكون أكثر اثراً ووطأة من الحرب العسكرية وعلم ان بلاد الحجاز تعيش طوال العام على الغلات والمحصولات التي ترد اليها من الشام ومصر . ولذا أمر بمنع ورودها إلى بلاد الحجاز ، حتى يضيق على أهلها ، فيزداد الضغط الاقتصادي عليهم فيتمنون بدافع الجوع والحرمان الخلاص من هذه الثورة التي قامت في ربوعهم . وقد أدرك احد خاصة المنصور هذه الحقيقة ، فتوجه اليه بالنصيحة ، فقال : ابعث مولى لك

(١) استنفذ المنصور كثيراً من الأموال التي رصدها لبناء بغداد في اعداد الجيوش التي قضت على الثورتين العلويتين حتى اذا عاود البناء اضطر الى الاقتصاد في النفقات لبناء بغداد حتى انه جلب أبوابها من الشام ووسط الكوفة (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧١ - ٧٢ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٨٣) ، كوك : بغداد ص ٢٢ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ .

تثق به ، فليسر حتى ينزل بوادي القرى ، فيمنعه ميرة (١) الشام . فيموت مكانه جوعاً (٢) .

كما أصدر المنصور أوامره بمنع الغلات التي كانت ترد من مصر إلى الحجاز فقال المنصور لحاجبه الربيع : « نكتب الساعة إلى مصر ان يقطع عن الحرمين الطريق انما هم في مثل حرجه ، إذا انقطعت عنهم المادة والميرة من مصر (٣) .

وأدرك أصحاب محمد النفس الزكية حقيقة عدم صلاحية المدينة المنورة للشورة فنصحوه بأن يغادر بلاد الحجاز ، إلى بلاد أكثر موارد اقتصادية بحيث تكفي حاجاته المادية ، وحتى يستطيع ان يقف على قدم المساواة مع الخليفة المنصور الذي يعتمد على موارد بلاد العراق . ولذا أشار أصحاب محمد عليه أن يرحل إلى مصر . فقالوا له : « انت في أقل بلاد الله فرساً وطعاماً ، وأضعفه رجلاً ، وأقله مالاً وسلاحاً ، تريد ان تقاتل أكثر الناس مالاً ، وأشده رجلاً ، وأكثره سلاحاً ، وأقدره على الطعام ؟ الرأي ان تسير بمن اتبعك إلى مصر ، فوالله لا يردك راد ، فتقاتل بمثل سلاحه وكرامته ورجاله وماله (٤) .

ونعتقد ان هذه النصيحة كانت عن رأي صائب مختص . ولكن محمداً لم يستجب لها واستمع إلى نصيحة أخرى توجه بها إليه أحد اصحابه وهو جبير بن عبد الله مدفوعاً فيها بعاطفة دينية اذ قال له : اعينك بالله ان تخرج من المدينة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عام أحد (رأيتني ادخلت يدي في درع حصينة فأولها المدينة) (٥) ولكن ولا شك كانت الظروف في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام تختلف تماماً عن الظروف السائدة وقت قيام محمد النفس

(١) الميرة : القوافل التي تحمل المؤن .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٣٩ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ .

(٥) نفس المصدر .

الزكية بثورته « فقد فكر الرسول قبل هجرته إلى المدينة في الهجرة إلى الطائف لما اشتهرت به من خصوبة ورخاء اقتصادي ولقربها من مكة ولوجودها على مرتفع من الأرض . وبعد الهجرة ، ظل نفوذ الرسول عدة سنوات مقتصرأ على المدينة في حين كانت مكة في أيدي القرشيين الشركيين بينما سيطرت قبيلة ثقيف الوثنية على الطائف (١) . بل ان الرسول اتبع يوم أحد (٢) رأي المسلمين الذين اشاروا عليه بقتال مشركي قريش خارج المدينة ولم يكن ما لحق بالمسلمين في أحد نتيجة خروجهم من المدينة ، بل نتيجة عصيان الرماة لأوامر الرسول وتبعهم المشركين الفارين ، لجمع الغنائم التي تركوها عند فرارهم» (٣).

ثالثا : العوامل العسكرية :

من عوامل اخفاق حركتي محمد النفس الزكية وإبراهيم فشل الخطط الحربية التي اتبعاها في قناتهما لجيوش المنصور . فقد احتم العباسيون بجيوشهم ويرجع هذا الاهتمام إلى سنة ١٠٠ هـ ، حين بدأت الدعوة العباسية ومضى التنظيم الحربي جنبا إلى جنب مع التنظيم السياسي واثبتت الجيوش العباسية مقدراتها وتفوقها خلال حروبها مع الجيوش الاموية . وزاد الاهتمام بالقوات العسكرية في عهد المنصور فقد جند الافأ من أهالي خراسان وقارس الذين اشتهروا بصحة الابدان وجمال المظهر والقدرة على القتال وأصبح للمنصور عدة جيوش يوجهها إلى ميادين عدة ، في الداخل والخارج .

وقد انتصر بها على عمه عبد الله بن علي (٤) ، وعلى حركات الزنادقة

- (١) كانت ثقيف منافسة لقبيلة قريش ، وكانت تحاول جذب الحجاج العرب الى وثنها اللات بدلا من حجهم الى الكعبة بمكة ، وأقامت حول الوثن حرما على مثل حرم الكعبة (الخرنوبلي : عبد المطلب جد الرسول ص ٧٦) .
- (٢) احد جبل قرب المدينة ودارت عنده ثاني المعارك بين المسلمين وقريش .
- (٣) هاجم القرشيون بقيادة خالد بن الوليد المسلمين من الخلف .
- (٤) أعلن عبدالله بن علي الثورة ضد الخليفة المنصور لطمعه في الخلافة وانضمت اليه العناصر العربية الساخطة على العباسيين لاعتمادهم على العناصر الفارسية ، ونجح الجيش العباسي بقيادة أبي مسلم الخراساني في اخماد الثورة سنة ١٣٦ هـ (المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢٢ ، الفخري ص ١٤٤) .

وغيرها من الحركات السياسية . واستعان المنصور بقواد مهرة على جانب كبري من الكفاءة الحربية . بل لم يجد المنصور حرجاً في الاستعانة ببعض قادة الجيوش الاموية ، مثل معن بن زائد الشيباني (١) .

ولذا كان جديراً ، محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ان يضعوا من الخطط الحربية ما يحقق لثورتها النجاح والفوز ، ولكن أثبت سير المعارك ونتائجها عكس ذلك ؛ أعلن محمد النفس الزكية ثورته فجأة ، دون ان يضع خطة سياسية وحربية ينتهجها وتوصله إلى ما كان يأمل هو وأنصاره من انتصار . فلم يكن محمد يملك جيشاً مستعداً مدرباً مزوداً بحاجته من السلاح . وظل مقيماً في المدينة حتى قدمت عليه الجيوش العباسية بقيادة عيسى بن موسى وحמיד بن قحطبة ، فاتخذ سياسة الدفاع ، بدلاً من سياسة الهجوم رغم ان السياسة الاخيرة أكثر جدوى وفعالية . وخاصة ان عيسى بن موسى كان قد أجل الهجوم أياماً حتى ينتهي شهر رمضان ، وعسكر خارج المدينة وكان يمكن لمحمد النفس الزكية ان يبادره بالهجوم ، ولكنه ظل مقيماً في المدينة مما شجع عيسى على ان يجحد عن الانتظار لما بعد رمضان ويسارع بالهجوم على المدينة .

جعل محمد النفس الزكية حفر خندق حول المدينة (٢) ، أساساً لخطته الحربية الدفاعية ، متشبهاً في ذلك بما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام حينما غزت الاحزاب المدينة وان كانت خطة الرسول الكريم قد نجحت وكان الفوز للمسلمين ، الا أن الظروف كانت مختلفة كما ان العناية الالهية كانت تظلل رسول الله وأصحابه وتعينهم على المشركين .

كانت فكرة حفر الخندق حول المدينة لا تجدي شيئاً ، ولا تحول دون اجتياز

(١) كان لمن الفضل في انقاذ المنصور من تعرضه للقتل على أيدي الراوندية احدي فرق الزنادقة (الطبري ج ٦ ص ١٧٠ وما بعدها) .

(٢) لم يعرف العرب قبل الاسلام حفر الخنادق ، وصاحب فكرة الخندق هو الصحابي سلمان الفارسي .

الجند العباسيين الخندق . فقد كان معظم هؤلاء الجند من الفرسان وتستطيع
خيولهم اقتحام الخندق والوصول إلى المدينة بينما كان معظم جند محمد النفس
الزكية من الرجاله وقد فطن بعض أصحاب النفس الزكية إلى هذه الحقيقة وأشاروا
عليه بالعدول عن حفر الخندق ، فقال أحدهم : « لا تخندق الخندق فان رسول
الله خندق خندقه لما الله أعلم به ، فانك ان خندقته لم يحسن القتال رجاله ، ولم
يوجه لنا الخيل بين الأزقة ، وان الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ،
وان الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم » وأصر النفس الزكية على رأيه ،
وقال : « انما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يردني عنه
أحد (١) ، فاست بتاركه » (٢) .

ونجح العباسيون في اجتياز الخندق ، ودارت المعارك في طرقات المدينة
واختلط الحابل بالنابل ، ودب الذعر في القلوب ، وانشغل جند محمد بحماية
ذرائعهم ، وخرجوا بهم إلى الجبال ، وأمر محمد أحد أصحابه بإعادتهم ،
فرد من قدر عليه منهم ، فأعجز كثير منهم فتركهم (٣) .

وكان جديراً بمحمد النفس الزكية في هذا الموقف الحرج ، أن يجمع أشتات
جنده ، ويبث الحمية في قلوبهم ويعيد تنظيم صفوفهم ويحثهم على الصمود
والاستمرار في النضال ، ولكنه ألقى خطبة يائسة سمح فيها لجنده بالتفرق
والنجاة بأنفسهم فخطب : « يا أيها الناس ، انا قد جمعناكم للقتال وأخذنا
المناقب ، وان هذا العدو منكم قريب ، وهو في عدد كثير ، والنصر من الله ،

(١) كان محمد النفس الزكية يمتاز بأن اسمه محمد وان اسم أبيه هو عبدالله ، تشبهاً بالرسول عليه
الصلاة والسلام ، كما كان محمد النفس الزكية خالصاً نقياً من قريش أباً وأماً (الشريف تاج
الدين : غاية الاختصار ص ١٢) .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٠٩ .

والأمر بيده ، وانه قد بدا الي ان آذن لكم وأخرج عنكم المناقب ، فمن أحب أن يقيم أقام ، ومن أحب ان يظعن ظعن » (١) .

لم يحكم محمد النفس الزكية خطته الحربية ، فكان جديراً به ان ينظم طريقه الانسحاب إذا كانت نتيجة القتال في غير صالحه . وكان الطريق الطبيعي للانسحاب هو الطريق إلى مكة ، فكان عليه ان يؤمنه . وقد أدرك القائد العباسي عيسى بن موسى هذه الحقيقة ، فرأى ان يسبق محمداً النفس الزكية في السيطرة على طريق مكة ، فأصدر أوامره لاحد قواده فقال : جاءني العيون تخبرني ان هذا الرجل - أي النفس الزكية- في ضعف ، وانا أخاف ان ينكشف ، وقد ظننت الا مسلك له الا إلى مكة ، فأضم اليك خمسمائة رجل فامض بها معانداً عن الطريق حتى تأتي الشجرة فتقيم بها (٢) .

وتحالفت العوامل الطبيعية مع الجيش العباسي وتحلت عن جيش محمد النفس الزكية - فقد هطلت الأمطار مدرارا ، مما جعل مهمة جند النفس الزكية عسيرة قال محمد لأخته قبيل المعركة الفاصلة : « اني في هذا اليوم على قتال القوم ، فان زالت الشمس ، وامطرت السماء فاني أقتل ، وان زالت الشمس ولم تمطر السماء ، وهبت الريح ، فاني اظفر بالقوم» (٣) . وبعد سقوط الأمطار أمر عيسى بن موسى جنده بالألأ يبيتوا في المدينة وان يعودوا إلى معسكرهم خارج المدينة (٤) .

ومن عوامل اخفاق محمد النفس الزكية ، استعانة المنصور بجند من خراسان وقد كانوا جفاة غلاظ الأكباد، أثارت قسوتهم وغلظتهم الرعب بين أهالي المدينة ويتضح ذلك في رواية للطبري ، فقد وصف أحد أصحاب النفس الزكية قسوة

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٨ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٩ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٧١ .

(٤) الطبري : ج ٦ ص ٢٢٢ - الاعاريب : اي البدو .

هؤلاء الجند الخراسانيين فقال : انا لعلى ظهر سلع ونظر وعليه أعراب جهينة ، اذ صعد الينا رجل بيده رمح قد نصب عليه رأس رجل متصلاً بـجـلـقـومـه وكبدـه وأعـفـاج بطنـه فرأيت منه منظراً هائلاً وتطيرت منه الأعراب وأجفلت هاربة ، حتى أسهلت وعلا الرجل الجبل ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية (كوهيان) فصعد اليه أصحابه ، حتى علوا سلفاً فنصبوا عليه راية سوداء ثم انصبوا إلى المدينة فدخلوها (١) .

كان المنصور قد وزع قواه الحربية إلى فرق اغلبيتها عربية ، من ربيعة واليمن ومضر (٢) ، وبعضها من الفرق الخراسانية عليها قادة من العرب وبعض الموالي المقربين اليه ولكن المنصور شاء ان يوجه بفرقة الخراسانية لقتال محمد النفس الزكية ، وقد حققت النجاح المنشود .

وكما أدى اخفاق الخطط الحربية التي انتهجها محمد النفس الزكية إلى نهايته المؤلمة ، كان الحال كذلك بالنسبة لأخيه ابراهيم . فقد أصر ابراهيم على الخروج بنفسه لقتال الجيوش العباسية ، ونصحه بعض خاصته بالبقاء في البصرة ، وانفاذ جيوشه لقتال العباسيين ، فقالوا له : « أصلحك الله انك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط فأقم بمكانك ، ووجه الأجناد ، فان هزم لك جند أمددتهم بجند وان هزم لك قائد امددته بقائد فخيـف مكانك واتقاك عدوك ، وجبيت الأموال وثبتت وطأتك » ولكن أهل الكوفة نصحوه نصيحة أخرى ، فحثوه على الخروج الى الكوفة ، فقالوا : أصلحك الله ان بالكوفة رجلا لو قد رأوك ماتوا دونك والا يروك تعقد بهم أسباب شيء فلا يأتوك وأخذ ابراهيم بالنصيحة الثانية ، ونسي ما كان من وعود الكوفة للزعماء العابرين طوال العمر

(١) الطبري ج ٦ ص ٥١٧ .

(٢) ربيعة ومضر هما الفرعان الكبيران لعرب الحجاز وكانت هناك عصبية دائمة بين العرب الحجازيين والعرب اليمنيين فضلا عن العصبية بين ربيعة ومضر .

الأموي (١) تلك الوعود التي تبخرت وتبددت مما أدى إلى ان يلقي هؤلاء الزعماء حتفهم على أيدي الجيوش الاموية .

ولم تكن البصرة في الحقيقة هي المدينة المثلى التي تقوم فيها حركة علوية شيعية ، فقد اشتهرت تلك المدينة طوال تاريخها بأنها عثمانية احياناً ، وأموية أحياناً أخرى ولعل البصرة وجدت في حركة ابراهيم متنفساً لها تعبر بها عن سخطها على الحكم الهاشمي العباسي ، واعتبرتها حركة مضادة للدولة العباسية (٢) .

وبدأ ابراهيم زحفه نحو الكوفة ، فاقترح عليه أحد أصحابه ويدعى هريم ان يبعث برجاله إلى الكوفة لإعلام أهلها بقدمه ولدعوتهم إلى الثورة ، فواجه المنصور الذي كان مقيماً على اطراف الكوفة ثورة داخلية ، ثم يواجه جيوش ابراهيم . وسأل ابراهيم رجلاً آخر من أصحابه ، وهو بشير الرجال عن رأيه ، فرفض الفكرة . وقال : «إنا لو وثقنا بالذي تصف لكان رأياً ، ولكننا لا نؤمن ان تجيبك منهم طائفة . فيرسل اليهم أبو جعفر خيلاً فيطأ البريء والنطف والصغير والكبير ، فتكون قد تعرضت لما تم ذلك ولم تبلغ منه ما أملت » فقال هريم : « أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه وانت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل ، أو ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه السرية ، فيكون في ذلك نحو ما كرهت ؟ » فدافع بشير عن رأيه وقال : « ان اولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهل ملتنا ودعوتنا وقبلتنا حكمهم غير حكم اولئك » . واتبع ابراهيم مشورة بشير الرجال ، ونبذ الاقتراح الأول ، وقد كان أكثر نفعاً وجدوى (٣) .

(١) وخاصة وعود أهل الكوفة للحسين بن علي (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٨) وعودهم

لزيد بن علي (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٣٧) .

(٢) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٧٩ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ .

نزل الفريقان في (باخمري) وبدأت الاستعدادات لخوض معركة فاصلة وعرض أحد قواد ابراهيم عليه ان يهاجم الجيش العباسي ليلاً ، فيفاجئه ويلحق به الهزيمة فقال : « ان هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مضرب الشمس من السلاح والكراع ، وانها معك رجال عرارة من أهل البصرة فدعني أبيتة (١) ، فوالله لأشتتن جموعه » ورفض ابراهيم هذا الاقتراح وقال : « اني اكره القتل » فقال القائد : تريد الملك وتكره القتل (٢) ؟ .

وكان تنظيم جيش ابراهيم من عوامل اخفاقه وعزيمته في معركة « باخمري » فقد جعل ابراهيم جيشه صفاً واحداً . وأشار بعض أصحاب ابراهيم عليه بنبذ هذا التنظيم فقالوا له : « ان الصف اذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن لهم نظام . فاجعلهم كراديس فان انهزم كردوس ثبت كردوس » ولكن فريقاً رفض هذا الاقتراح وصاحوا : لا نكون الا صفاً واحداً ، كما قال الله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) (٣) .

لحقت الهزيمة بجيش ابراهيم في موقعة (باخمري) وأراد الجند الانسحاب ولكن « اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين ، فحالتا بينهما وبين الوثوب ولم يجدوا مخاضة فكروا راجعين بأجمعهم » ويروي الطبري (٤) ان ابراهيم هو الذي جعل الماء خلف جيشه حتى اذا انهزم جنده « منعهم الماء من الفرار » .

رابعا : العوامل الاجتماعية :

قامت العصبية بدورها في اخفاق حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم

-
- (١) أي أهاجمه ليلاً .
 - (٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ .
 - (٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ص ٣٤٥ نص الآية هو : (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) سورة الصف (رقم ٦١ آية ٤) .
 - (٤) الطبري ج ٦ ص ٢٦١ .

سواء أكانت عصبية قبلية ، أو عصبية مذهبية . فقد انضم الى محمد كثير من القبائل ، منها قبائل جهينة فأثرها على سائر القبائل مما أثار حنقها وغضبها . واتضحت هذه العصبية في عدة مواقف ، فقد عارض بنو سليم فكرة حفر خندق المدينة ، وأبدوا عيوجها ، وأصر بنو شجاع على حث محمد على القيام بحفر هذا الخندق (١) .

كما ثارت العصبية أيضاً بين اصحاب محمد و ابراهيم وبين الزيدية من اصحاب عيسى بن زيد الذي كان يرى ان تكون الخلافة له بعد قتل محمد النفس الزكية ، ورفض ابراهيم وأصحابه هذا الرأي ، مما أثار الخلاف فروى الاصفهاني (٢) : « قدم عيسى بن زيد (٣) بعد قتل محمد فذكر ان محمداً جعل الأمر اليه ، ودعا الزيدية إلى نفسه فأجابوه وأبى البصريون ذلك حتى قالوا لابراهيم ان شئت اخرجنهم عنك من بلادنا فالأمر لك وما نعرف غيرك ، حتى كادت تقع فرقة ، فسفروا بينهم وقالوا : انا ان اختلفنا ظهر علينا ابو جعفر ، ولكن نقاتله جميعاً والأمر لابراهيم ، فان ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد فأجمعوا على ذلك » .

ويشير الاصفهاني إلى ما حدث من خلاف بين ابراهيم وعيسى بن زيد ، فقد صلى ابراهيم على جنازة بالبصرة وكبر عليها أربعاً ، فقال له عيسى بن زيد : لم نقصت واحدة وقد عرفت تكبير أهل بيتك ؟ فقال ابراهيم : هذا اجمع لهم ، ونحن إلى اجتماعهم محتاجون وليس في تكبيرة تركتها ضرر ان شاء الله ، ففارقه عيسى واعتزل وعلم الخليفة المنصور بأمر هذا الخلاف ، فأرسل إلى عيسى يبذل له الوعود حتى يخذل الزيدية عن ابراهيم ورفض عيسى كل عروض المنصور حتى اذا قتل ابراهيم توأرى عيسى عن الانظار

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٧٠ .

(٣) وهو عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

فقيل للمنصور : الا تطلبين ؟ فقال المنصور : لا والله لا أطاب منهم رجلاً
أبدأ بعد محمد و ابراهيم ، أنا اجعل لهم بعدها ذكر (١) .

ويستنتج الدكتور النشار من هذا الحدث ان الزيدية كانت فئة قليلة في البصرة
وان ابراهيم أراد ان يجذب اليه أهلها، وكانوا أهل سنة وجماعة فكبر أربعاً ،
وهي عادة السنة فاعترض عليه عيسى بن زيد ، وهذا ما فت في عضد الزيدية ،
ولا شك ان خذلان هذا البعض من الزيدية لابراهيم كان عاملاً من عوامل
هزيمته (٢) .

وعارضت جماعة عيسى بن زيد كثيراً من الاقتراحات البناء التي ارتأها
قواد ابراهيم فقد رفضت ان يهاجم ابراهيم جيش عيسى بن موسى ليلاً
واعترت ذلك (من فعال السراق) ورفضت الاقتراح الذي تقدم به أحد
أصحاب ابراهيم يشير عليه بالبقاء في البصرة وقالوا : اترجع عن عدوك وقد
رأيتهم ؟ كما عارضت أيضاً فكرة حفر خندق حول معسكر ابراهيم ، وقالوا
له : اتجعل بينك وبين الله جنة ؟ (٣) . ولكننا انصافاً للحق نقول ان هذه الجماعة
استبسلت في قتال الجيش العباسي ، واستشهد منهم نحو خمسمائة رجل (٤)
ولكن هذه الدماء لم تحوّل الهزيمة إلى نصر.

* * *

- (١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٠٦ .
- (٢) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٨٠ .
- (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٤ .
- (٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

٣ - موقف الامام

جعفر الصادق والشيعة الامامية من الخليفة المنصور

كان مولد الامام جعفر بن محمد الصادق بالمدينة في سنة ٨٠ هـ (١) . وأبوه هو الامام محمد الباقر (٢) ابن الامام علي زين العابدين (٣) . وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٤) . وقد عاش جعفر في حياة أبيه محمد الباقر نحو ثلاثين سنة ، وأخذ عنه زهده واقباله على العلم (٥) . وقد عهد الباقر بوصيته إلى ابنه عندما أدرك قرب وفاته .

وكان الامامان علي زين العابدين ومحمد الباقر قد انصرفا إلى الامامة الروحية ولم يخوضا ميادين السياسة ، وظهرت غلبة الامامة الروحية عند زين العابدين حتى تكاد تقترب تعاليمه من التصوف ، بينما غلب على الباقر طابع العلم - ولاسيما رواية الحديث - وطابع التشيع ، حيث تبرز عقائد الشيعة في الامامة

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٩١ - وهي نفس السنة التي شهدت مولد عمه زيد بن علي والامام أبو حنيفة النعمان وواصل بن عطاء رأس المعتزلة .

(٢) وصف شمس الدين بن طولون (الشذرات الذهبية ص ٨١) الباقر بأنه كان « عالماً سيداً كبيراً ، تأثر الباقر بأبيه زين العابدين فأصبح مثيله في تدينه وتقواه وعلمه » (ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٩١ ، ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ٦١) .

(٣) وهو علي زين العابدين ابن الامام الحسين بن علي بن أبي طالب وقد توفي حوالي سنة ٩٤ هـ ، وقد تزوج من فاطمة بنت عمه الحسن بن علي وأنجب منها ابنه محمد الباقر (ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ١٩٢) .

(٤) كان الامام جعفر يفتخر بانتسابه الى أبي بكر الصديق (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨) .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ص :

والولاية والرجعة . وان نسب شيء من ذلك لزين العابدين ، فان معظم العقيدة المذهبية للشيعة الاثني عشرية تنسب للباقر ثم للصادق من بعده (١) .

ويذهب البعض الى ان الصادق قد اطلق هذا الاسم عليه لصدقه او لان أمه من حفيدات أبي بكر الصديق (٢) . بينما يذهب البعض إلى ان أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق عليه هذا الاسم (٣) : ويذكر السيوطي (٤) ان نسبة الامام جعفر الى أبي بكر ، كانت سبباً في تقديره الدائم له ولعمر بن الخطاب ، على غير ما كان يفعله كثير من زعماء الشيعة ، فكان الامام جعفر يقول : «أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير» .

وأقبل الامام جعفر على العلم والمعرفة ، واتسعت دائرة نشاطه العلمي فشملت علوم القرآن والحديث وأبواب الفقه المختلفة ، وعلم الكونيات ، وقد بلغت رسائله العلمية التي جمعها تلميذه جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي ، خمسمائة رسالة (٥) واشتهر برواية الاحاديث ، وبلغ عدد الاحاديث المروية عنه أربعة آلاف حديث ، ولم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب ، بل روت عنه سائر الفرق . واكتسب جعفر محبة المسلمين وتقديرهم ورحلت الشيعة اليه لتنهل من علمه وفضله (٦) .

(١) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٣٥٨ .

(٢) الكليني : الكافي ص ٩٣ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٥ .

(٣) يذكر الحسيني (اعيان الشيعة ج ٤ القسم الثاني ص ٩١) ان ابا مسلم كان قد طلب من الامام جعفر ان يهديه الى مكان قبر علي بن ابي طالب وكان مخفياً ، فقال جعفر ان القبر انما يظهر في أيام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور فاطلق المنصور عليه لقب (الصادق) .

(٤) تاريخ الخلفاء ص ١٢٥ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٥ .

(٦) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٤٧ - كان جد الامام جعفر الصادق لأمه هو القاسم بن محمد وهو واحد من فقهاء المدينة السبعة الذين يعتبرون مصدراً للفقه المدني ، وهم الذين نقلوا علم الصحابة ورواياتهم وخاصة السيدة عائشة (الشيخ أبو زهرة : الامام الصادق ص ٨٩) .

انتقلت الامامة الروحية للشيعة الامامية من الامام محمد الباقر الى الامام جعفر الصادق ، فأصبح الامام السادس . ويهمننا في هذا الفصل دراسة التاريخ السياسي للامام جعفر ، كما سندرس عقائد وآراء الشيعة الامامية .

جهاد الإمام جعفر الصادق في العصر الأموي :

عاصر الامام جعفر الصادق حركة زيد بن علي التي قامت بالعراق في عصر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك . ولم يبد احدهما عداء نحو الآخر ، وان لم يشارك الامام جعفر في الثورة ، ولا شك انه كان ساخطاً على الدولة الاموية التي قتلت جده الحسين بن علي ، ولم ير بأساً في ان يثار زيد بن علي لقتله ، فقد تحدث زيد عن أسباب اعلانه الثورة على الامويين فقال : « خرجت على نبي أمية الذين قاتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة (١) ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار (٢) » وقال الامام زيد عن نفسه وعن الامام جعفر : « من أراد الجهاد فالي ، ومن أراد العلم فالي ابن أخي » . كما قال الامام جعفر : « القائم امام سيف والقاعد امام علم » . ويرى المستشرق رونلدسن (٣) ان ركون أئمة الشيعة الامامية إلى الهدوء دفع الشيعة عامة والشيعة الكيسانية إلى تأييد الزيدية .

تعرض الامام جعفر الصادق لكثير من المحن في عهد الخلفاء الامويين هشام والوليد وابراهيم ومروان بن محمد ، فقد تتبع هؤلاء أهل بيته بالقتل

(١) . وقد أغار على الحرة الجيش الأموي بقيادة مسلم بن عقبة حينما كان في طريقه الى مكة لقتال ابن الزبير في عهد الخليفة الاموي يزيد بن معاوية (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٨ وما بعدها) .

(٢) قذف الجيش الاموي بقيادة الحجاج بن يوسف مكة والكعبة بالاحجار خلال حصاره لعبدالله ابن الزبير في عهد الخليفة الأموي عبدالمك بن مروان (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١١٤ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٥) .

(٣) عقيدة الشيعة ص ١٣٠ .

الذريع ، وامتحن الرجل أشد امتحاناً ، وصبر الامام جعفر على كل ما نزل به من محن واضطهاد وتضييق وتشديد ومهانة (١) . ولذا رأى الامام جعفر ان ينصرف إلى العلم انصرفاً كلياً فلم يشغل نفسه بدعوة الخلافة ، ولا قيادة لاتباعه ، ليقتضوا على سلطان الامويين أو سلطان العباسيين ، كما فعل أولاد عمومته محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم بن عبد الله . ولم يذكر اسمه في الاحداث التي وقعت في عهده إلا اذا كانت أماً أو أسفاً على الذين يقتلون من ذوي قرباه . وسواء أكان انصرافه عن الامرة وشدائدها كما تقول الامامية أم كان رغبة في العلم كسائر أئمة العلم كما يقول الجمهور ، فقد عكف الامام جعفر على العلم وعلى العبادة (٢) .

موقف الصادق من ثورة النفس الزكية :

لم يشهد الامام جعفر الصادق ، ذلك الاجتماع الشهير الذي عقد في أواخر العصر الأموي ، وشهده كثير من بني هاشم ، وبايعوا فيه محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وكان معظم هؤلاء الهاشميين من بيت العباس بن عبد المطلب وبيت الحسن بن علي . ومن العباسيين اشترك الامام ابراهيم بن محمد ابن علي وأبو جعفر المنصور وصالح بن علي ، واشترك من بيت الحسن ، عبد الله بن الحسن وابناه محمد و ابراهيم . كما شهد الاجتماع بعض بني عثمان . وقد بدأ صالح بن علي الحديث فطلب من الحاضرين عقد البيعة لأحد الهاشميين وتقدم عبد الله بن الحسن يرشح ابنه محمد النفس الزكية ، وبايعه الجميع ومنهم أبو جعفر المنصور ، بل انه غادر الاجتماع وهو ممسك برحال محمد ويقول للناس : هذا محمد بن عبد الله ، هذا مهدينا أهل البيت (٣) .

ولا شك ان عبد الله بن الحسن لم يرتج لغياب الامام جعفر الصادق عن

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ٢١٤ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : الامام الصادق ص ٩٤ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٠٩ .

هذا الاجتماع التاريخي ، فقد كان جعفر يمثل بيت الحسين بن علي ، كما كان سيد بني هاشم جميعاً في زمانه (١) . وأراد عبد الله بن الحسن الوقوف على رأي جعفر فيما دار في هذا الاجتماع ، ورأيه في البيعة التي تمت لابنه محمد النفس الزكية الذي وصفوه بالمهدي ، فبعث إلى الامام جعفر يستدعيه اليه واستجاب الامام جعفر للدعوة عبد الله بن الحسن ، الذي كان متقدماً في السن وموضع احترام العلويين والعباسيين وقص عبد الله بن الحسن على الامام جعفر تفاصيل أحداث الاجتماع ، فأذكر جعفر عليهم كل ما أقدموا عليه وقال : « ان ابنك لا يناها - يعني الخلافة - ولن يناها الا صاحب القباء الاصغر ويقصد بذلك المنصور (٢) .

وهكذا لم يبد الامام جعفر اقتناعه او ارتياحه للبيعة لمحمد النفس الزكية فهو إمام الشيعة الامامية التي ترى ان الخلافة مقصورة على أحفاد الحسين بن علي . وعلى الرغم من ذلك ، فان الامام جعفر لم يتطلع الى الخلافة ، مكتفياً بالامامة الروحية منكباً على العلم والتدين ، فيقول الشهرستاني (٣) « وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع قام عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مرة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على المؤالين له أسرار العلوم . ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع أحداً في الخلافة ، ثم غرق في بحر المعرفة ، لم يطمع في شطط » . كما كان الامام جعفر - كما يذكر الشهرستاني أيضاً - معتدلاً في آرائه فقد أعلن براءته من القول بالرجعة والبداء والتناسخ والغلو والحلول والتشبيه .

ثم كانت رسالة أبي سلمة الخلال ، الوزير العباسي ، إلى الامام جعفر الصادق ، يدعوه فيها إلى الامامة وكان أبو سلمة - كما ذكرنا - قد وجه

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) الفخري ص ١٤٧ . وروى صاحب الفخري ايضاً ان المنصور قال : فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٢٧ .

برسائل ثلاث إلى ثلاثة من العلويين اما العلويان الآخران فهما عبد الله بن الحسن وعمر بن زين العابدين . ويبدو تركيز أبي سلمة على البيعة للإمام جعفر ، بأنه طلب من رسوله ان يقصده اولاً ، فان أجاب أبطل الكتابين الآخرين ، فان لم يجب قصد عبد الله بن الحسن (١) .

وخيب الامام جعفر الصادق آمال أبي سلمة الخلال فيه ، اذ رفض دعوته وأحرق الخطاب (٢) . وتلقى عبد الله بن الحسن الخطاب بسرور وحبور ، ولكنه رشح ابنه محمد النفس الزكية ، إذ كان عبد الله قد تقدمت به السنون ، ويبدو تقدير عبد الله للإمام جعفر ، في خروجه اليه لاستشارته في الأمر ، وهو يعرف زهد الامام جعفر في الخلافة . ونصحه جعفر بعدم الاستماع إلى دعوة أبي سلمة ، فهو وزير بني العباس وداعيتهم في خراسان ثم قال جعفر : أيها الشيخ ، لا تسفك دم ابنك ، فاني أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزيت (٣) . وغضب عبد الله بن الحسن ، وقال للإمام جعفر : والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد (٤) .

وكان رأي الامام جعفر الا يبايع عبد الله بن الحسن وولداه هذا الباب فلن يفتحوا الرجاج ، وان أصر عبد الله وتمسك برأيه في ابنه فان اقطع الرد انه ليس في وصية علي بن ابي طالب ان يكون أحد من أبناء الحسن اماماً ، وان كان عبد الله يرى الامامة لولديه محمد وإبراهيم ، احدهما بعد الآخر ، فانه ليس في وصية علي كذلك ان يلي الامامة غير الحسن والحسين . ذلك أمر امامة الدين عند جعفر ، اما إذا كان عبد الله يريد لولديه خلافة الدنيا فان البيت العباسي قد صار له فيها أعلى صوت وأقوى دعوة (٥) .

(١) الفخري ص ١٣٨ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤٩ وهي الاحجار التي يضع عليها الزياتون زيوتهم في المدينة المنورة .

(٤) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٩ .

(٥) عبد العزيز سيد الأهل : جعفر بن محمد ص ١٣٥ .

وشاع بين الناس في المدينة ان الامام جعفر الصادق قد تنبأ بمقتل محمد بن عبدالله بن الحسن . وقد علم عليه الكثيرون يسألونه ومنهم أم الحسن بنت عبد الله ابن محمد الباقر ، فقال لها : «يقتل محمد عند بيت رومة (١) ، ويقتل أخوه - لأمه وأبيه - وحوافر فرسه في الماء» (٢) . وكان كثير من الشيعة يؤمن بأن الامام جعفر يعلم الغيب ويتنبأ بالاحداث ، ولكن الحقيقة التاريخية ان جعفرا نفى عنه ذلك وقال انه لا يعلم الغيب الا الله (٣) .

تطور العلاقات بين الإمام الصادق والخليفة المنصور :

وكان أبو جعفر المنصور يخشى على خلافته مما وصل اليه الامام جعفر الصادق من علو منزلة وسمو مكانة بين المسلمين عامة والشيعة خاصة ، حتى ان المنصور كان يصفه بأنه الشجى المعترض حلقه (٤) ولكن موقف المنصور كان ضعيفاً ازاء ما التزمه جعفر الصادق من خط سياسي ، إذ انه لم يعلن العصيان ، ولم يدع لنفسه . واكتفى المنصور باستدعاء جعفر الصادق عدة مرات إلى بلاد العراق ، ليوقفه بين يديه ، يريد بذلك استنقاظه أمام الناس ، والتصغير من شأنه (٥) .

كانت أول زيارة للامام جعفر الصادق للعراق ، في عهد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح ، وقد توصل خلال هذه الزيارة إلى معرفة مكان قبر علي بن أبي طالب في النجف (٦) . ويرى الشيخ أبو زهرة (٧) ان هذه

(١) رومة : أرض بالمدينة (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٣٦) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٤٨ .

(٣) الكافي : الكافي ص ٥٧ - ذهب الشيعة الى ان الامام الصادق يعلم بكل الاحداث حتى يوم القيامة ، واطلقوا على ذلك (علم الجفر) - مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤ .

(٤) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ١١٧ .

(٥) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٤٥ .

(٦) المظفري : الصادق ج ١ ص ١٣٧ - كان العلويون يعرفون مكان قبر علي ولكنهم أخفوه عن بني أمية .

(٧) أبو زهرة الامام الصادق ص ٦١ .

الدعوة كانت تكريماً واكباراً للامام جعفر ، وذلك لأن الخلاف بين العلويين والعباسيين لم يكن قد ثار ووضح . وقد عقد جعفر عدة اجتماعات بأنصاره من الشيعة ، وحثهم على الابتعاد عن الغلو والآراء المتطرفة كما عقد عدة مناظرات مع أهل الفرق الاخرى . ولا شك ان اقبال الناس على الامام جعفر قد أثار حسد أو مخاوف العباسيين .

أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور يستدعي اليه الامام جعفر ، ليروعه ويقمع معه بيت الحسين ، فقد كان المنصور يعلم ان جعفرأ إنما يمنع محمد النفس الزكية من ان يدعي انه المهدي ، ولكنه في نفس الوقت لا يمنعه ان يغضب لله ، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (١) .

وكان المنصور قد رحل إلى الحجاز واستقر بالربذة قرب المدينة ، وأمر بالقبض على بني الحسن ، كما أمر بسجن عبد الله بن الحسن وآله في قصر ابن هبيرة شرقي الكوفة وفي الربذة قال المنصور لحاجبه الربيع بن يونس (٢) : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً . وتلكأ الربيع في تحقيق أمر الخليفة ، فألح عليه المنصور الطلب في اليوم التالي . وقدم الامام جعفر إلى الربذة فاستقبله الربيع وقال له : يا أبا عبد الله ، اذكر الله تعالى ، فانه قد أرسل لك من لا يدفع شره الا بالله ، واني أتخوف عليك ، فقال الامام جعفر : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وتم اللقاء بين الخليفة المنصور والامام الصادق واغلظ المنصور له القول ثم سمح له بالعودة إلى المدينة (٣) .

وروى الكليني (٤) ان جعفر الصادق رفض مرة ان يستجيب إلى دعوة الخليفة المنصور بالرحيل إلى العراق ليمثل بين يديه ، فأمر المنصور والي المدينة

-
- (١) سيد الأهل : جعفر بن محمد ص ١٤١ .
 - (٢) أصبح ابنه الفضل بن الربيع وزيراً في عهد الخليفة الرشيد .
 - (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٢٥ وما بعدها .
 - (٤) الكليني : الكافي ص ١٩٤ .

بأن يحرق دار جعفر ، ونجح الامام في تخطي النار والنجاة بنفسه ، وهو يقول :
 أنا ابن أعراق الثرى ، أنا ابن ابراهيم خليل الله . وهو يشير بذلك إلى ابراهيم
 عليه السلام الذي انجاه الله عز وجل من النار ، وروى ابن خلكان (١) « ان
 الخليفة المنصور استدعى الرجال البارزين إلى العراق فاستعفاه جعفر وأراد
 البقاء في المدينة فلم يقبل فاستأذنه ان يتأخر قليلاً ريثما يدبر أمره ، فرفض
 المنصور فقال الامام للمنصور : « لقد سمعت أبي عن أبيه عن جده رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انه قال (من خرج في طلب الرزق رزقه الله ، ومن بقي
 مع عياله مد الله في أجله) . قال المنصور : اسمعت ذلك حقاً عن أبيك عن
 أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أشهد الله بذلك . فأعفاه
 المنصور من الذهاب الى العراق ، وسمح له بالبقاء في المدينة مع أهله » (٢) .

ورغم ابتعاد الامام جعفر الصادق عن خوض السياسة ، ورغم عدم مطالبته
 بالخلافة ورغم عدم رضاه عن ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، فقد
 سمح لابنيه موسى وعبد الله بالانضمام إلى هفة الثورة . فقد روى الاصفهاني (٣)
 ان محمداً النفس الزكية أراد اعفاء موسى وعبد الله ابني جعفر من مشاركتهم
 لثورته ، ولكن جعفرأ قال لهما : ارجعا فما كنت بالذي ابخل بنفسي وبكما
 عنه . واستمر ابناه إلى جانب النفس الزكية حتى لقي حتفه .

ولا شك ان المنصور قد غضب على الامام جعفر الصادق لانضمام ابنه إلى
 ثورة النفس الزكية ، وزاد من غضبه ايواء جعفر للحسن بن زيد بعد اخفاق
 الثورة . وقد كان الحسن ربيباً لجعفر بعد مصرع أبيه زيد بن علي ، وما

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١١٢ .

(٢) لا شك ان المنصور قد صدق رواية الامام جعفر الصادق لهذا الحديث النبوي الشريف فقد
 كان جعفر من كبار رواة الاحاديث (ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ والشبلنجي :
 نور الابصار ص ١٤٥) .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٧٧ وما بعدها .

ليث ان تفاقم الغضب ، حينما ضم الامام جعفر اليه يحيى بن عبد الله بعد مصرع أخويه النفس الزكية و ابراهيم (١)

وبعد القضاء على ثورة محمد النفس الزكية ، قدم المنصور الى بلاد الحجاز سنة ١٤٦ هـ ، واستدعى اليه الامام جعفر الصادق . وتم اللقاء في الربرة (٢) . وقد ذكر الامام جعفر ما دار في هذا اللقاء فقال : « لما رفعت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن ، نهرني وكلمني بكلام غليظ ، ثم قال : يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذي تسمونه النفس الزكية وما نزل به ، وانما انتظر الآن ان يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير » (٣).

وكان المنصور قد أمر بمصادرة أموال وضياع بني الحسن وكثير من العلويين وبني هاشم (٤) . ولذا طلب الامام جعفر الصادق من الخليفة المنصور ان يرد اليه ضيعته (٥) حتى يقتات منها ، وكان عيسى بن موسى قد أمر بمصادرتها . وغضب المنصور من جعفر إذ طالبه بذلك وصاح فيه : اياي تكلم بهذا الكلام ؟

ثم قال : قد رأيت اطباق أهل المدينة على حيي ، وقد هممت أن أبعث اليهم من يغور عليهم ويحجر نخلهم . وواجه الامام جعفر هذا التهديد والوعيد بالهدوء والحلم ، وتوجه بالنصيحة الى المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطي فشكر ، وان أيوب ابتلي فصبر ، وان يوسف قدر فغفر ، فاقنتد بأيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون (٦) .

-
- (١) المصدر السابق .
 - (٢) الربرة - كما ذكرنا آنفاً - تقع على مقربة من المدينة على بعد ثلاثة أميال وبها قبر أبي ذر الغفاري (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٢) .
 - (٣) الشيلنجي : نور الابصار ص ٢٤٧ .
 - (٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٧٣ .
 - (٥) كانت هذه الضيعة تدعى (عين أبي زياد) وتقع في (الفرع) وهي قرية بنواحي الربرة قرب المدينة ، وتشتهر هذه القرية بالنخيل وعيون الماء (ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٦٣) .
 - (٦) الحصري : زهر الآداب ج ١ ص ١٢٣ .

لقد كان الامام جعفر الصادق ، شجاعاً في الحق ، لا يتملق ، ولا يداهن فلم يفعل ما كان يفعله غيره من التردد على الخليفة المنصور ، فاستدعاه المنصور اليه يوماً وعاتبه على قطيعته له وقال : لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فأجاب جعفر : ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك ، ولا أنت في نعمة نهنتك بها ، ولا في نقمة فنعزيك . فقال المنصور : تصحبنا لتصلحنا . فقال جعفر : من يريد الدنيا لا ينصحك ، ومن يريد الآخرة لا يصحبك(١) .

وبعد اخفاق ثورة ابراهيم بن عبد الله في البصرة ، وبعد مصرعه ، أمر المنصور بترحيل بني الحسن الى العراق ، كما أمر بأن يصحبهم الامام جعفر الصادق ، وروى جعفر هذه الاحداث فقال : « لما قتل ابراهيم بن عبد الله بباخمري صرنا عن المدينة ، ولم يترك فيها منا محتلم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل ، ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجا . فدخلنا اليه أنا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت : لا يعلم الغيب الا الله ، قال : انت الذي يجي اليك هذا الحراج ؟ قلت : اليك يجي يا أمير المؤمنين الحراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا . قال : « أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم ... » ، وعفا المنصور عن الامام جعفر ومنحه الهدايا النفيسة واعاده الى المدينة(٢) .

وعاد الامام جعفر الى المدينة حيث اقام فيها منصرفاً الى العلم والدين(٣) ، وفي سنة ١٤٨ هـ كانت وفاته(٤) . وتتهم كتب الشيعة المنصور بانه حرص

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٥١ ، الشبلنجي ، نور الابصار ص ١٤٦ ، ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٩٥ .

(٤) وهي السنة العاشرة من عهد الخليفة العباسي المنصور .

من دس للصادق سماً في عنب ، فمات مسموماً وان كنا لا نستطيع تأكيد ذلك (١) . ولم يذكر الاصفهاني جعفر الصادق ضمن الطالبين الذين لقوا حتفهم على أيدي العباسيين ، كما ان يعقوبي (٢) يذكر ان المنصور قد أبدى ألماً شديداً حين علم بوفاة الامام جعفر الصادق ، وبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ووصف جعفر بأنه « كان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات » .

وينفي الشيخ أبو زهرة (٤) عن الخليفة المنصور اتهامه بقتل الامام الصادق بالسم ، ويذكر ان المنصور وان كان جريصاً على تثبيت ملكه ومنع من يعارضه فقد تبين له ان الصادق لا يعارضه ، وكانت مجالس لقائه في حالة التظن والاتهام تنتهي بالثقة والاطمئنان ، كما كانت وفاة الصادق بعد ان استقرت الأمور للمنصور تماماً ، وأمن أن تخرج عليه خارجة من جانب العلويين وانه وقد استقرت الأمور لا يحاول اثاره أحقاد دفيئة فيقدم على ما أهتمته به مصادر الشيعة . وينسب المستشرق (رونلدسن) (٥) هذه الاتهامات الشيعية للمنصور الى عقيدة الشيعة التي تذهب الى ان جميع الأئمة ، فيما عدا علي والحسين والمهدي ماتوا مسمومين ، وذلك حسب الاحاديث الواردة في أن الامام لا يموت ميتة طبيعية ، لا كما تقتضيه سنة الاحتمال .

هذا هو التاريخ السياسي للامام جعفر الصادق ، وموقفه من الخليفتين العباسيين أبي العباس والمنصور ، ومن حركتي الزيدية التي تزعمها محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ١١٧ .

(٤) أبو زهرة : الامام الصادق ص ٦٤ .

(٥) عقيدة الشيعة ص ١٤٨ .

الآراء السياسية للشعبة الامامية :

كانت فرقنا الامامية والزيدية أبرز فرق الشيعة نشاطاً في العصر العباسي الأول وقد حملتا لواء المعارضة السياسية للدولة العباسية . وقد كان ظهور الفرقتين في العصر الأموي ، ثم تطورت آراؤهما في العصر العباسي ، ويهمننا في بحثنا هذا الاشارة الى الآراء السياسية .

ظهرت الشيعة الامامية في العصر الأموي ، وقد اتفقت على ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نص على امامة علي « باسمه ويمينه ونصبه للناس اماماً واستخلفه وأظهر الأمر في ذلك الى غيره ، وان الأمة خلت وكفرت بصرفها الأمر الى غيره » (١) ، ورأت الامامية ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها بتعينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وان علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه بنصوص يتقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم (٢) .

وسمي الامامية بهذا الاسم نسبة الى « الامام » (٣) ، أي الخليفة ، لأنهم ركزوا تعاليمهم حول « الامام » فكانوا يرون ان علي بن أبي طالب يستحق الخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا عن طريق صلاحيته وكفاءته ولا عن طريق ما أشار اليه الرسول من صفات لا تنطبق الا عليه ، بل عن طريق

(١) ابن نشوان : الحور العين ص ١٥٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٣٨ .

(٣) ترى الغالبية العظمى من الفرق الاسلامية « وجوب الامامة » عدا فرقة الخوارج النجدية واتباع هشام الغوطي من المعتزلة (الشهرستاني : نهاية الاقدام في علم الكلام ص ٤٨٢) . وترى الشيعة الاثنا عشرية والاسماعيلية وجوب الامامة عقلاً على الله (الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ١٧٦) .

النص عليه بالاسم : ثم يرون ان الأئمة هم علي وأبناؤه من ناطمة على التعيين واحداً بعد واحد ، وأن معرفة الامام وتعيينه أصل من أصول الايمان (١) .

وترى الشيعة ان الرسول عليه الصلاة والسلام بايع علي بن أبي طالب يوم غدِير خُم ، وروى يعقوب (٢) ان الرسول بعد عودته من حجة الوداع نزل مكانا يعرف بغدير خُم (١٨ ذو الحجة) ، وقام خطيباً وأخذ بيد علي فقال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه (٣) . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أيها الناس ، انني فرطكم وانتم واردون علي الحوض ، واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما . فقالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سنبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي (٤) .

والامامة عند الشيعة الامامية اذاً عقيدة دينية ، وليست أمراً دنيوياً أو مصلحياً

(١) تسوق الشيعة كثيراً من الادلة على آرائهم ، فهناك أولاً أدلة نقلية فتشير الشيعة الى آيات قرآنية كريمة ، مقتضاها انه لا يجوز للناس اختيار الامام ومن هذه الآيات الكريمة : (وربك يخلق ما يشاء ما كان لهم الخيرة) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) سورة الاحزاب آية ٣٦ ، (يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل ان الأمر كله لله) سورة آل عمران آية ١٥٤ . وهناك أدلة عقلية : فان الله يوجب الوصية ، وقد قال الرسول (من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية) ولذا لا يمكن ان يفصل الرسول الوصية . وتعيين الامام يجنب المسلمين الاختلاف والانقسام . (محمد الكاظمي القزويني : المناظرات ص ٤ ، الحلّ الاثني بين الصدق والمين ص ٢٧ وص ٤١) .

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٢٥ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٥٥ .

(٣) أورد الامام احمد بن حنبل هذا الحديث عدة مرات في مسنده .

(٤) ذهب (الملا محمد الباقر المجلسي) في كتابه (حياة القلوب) ج ٢ ص ٣٣٩ ، الى ان سبب نزول الرسول في غدِير خُم هو ما أنزل عليه في القرآن بلزوم نصب علي بن أبي طالب خليفة بعده ، وقد أنزل عليه في ذلك عدة مرات ولم يعين الوقت لتبليغ ذلك ، وقد رأى الرسول التبليغ يوم غدِير خُم لأن المسلمين لو تجاوزوا هذا المكان لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة الى فاحية أما ما نزل من القرآن فهو (يا أيها النبي بلغ ما أنزل اليك من ربك ، فان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس) سورة المائدة الآية ٦٧ .

والأئمة الذين يتولون هذه الإمامة إنما يتولونها بوصية من الرسول . وقد أوصى الرسول الى علي ، وعلي أوصى الى الحسن ، والحسن أوصى الى الحسين ، وهكذا حتى يصل الأمر الى الامام جعفر الصادق ، ومن بعده يكون الاختلاف بين الاثني عشرية وبين الاسماعيلية ، فهؤلاء يقولون انها لاسماعيل ، وأولئك يقولون انها لموسى الكاظم ، ومن بعد موسى الكاظم لعلي الرضا ، ومن بعده لمحمد الجواد ، ثم علي الهادي ، ثم للحسن العسكري ، ومن بعده لابنه محمد ، وهو الامام الثاني عشر ، وهو المغيب بسر من رأى الذي ينتظر شيعته ظهوره (١) .

وتنادي الشيعة الامامية بعصمة الأئمة (٢) . ويعرف أحد علماء الشيعة (٣) العصمة بأنها الامتناع بالاختيار عن اقرار الذنوب والخطايا نتيجة لطف الله به ، وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجته القهر ، أي انه لا يكون هناك مبرر لارتكاب المعصية وترك الطاعة رغم وجود القدرة عليهما . وما دام الامام هو الوصي ، فلا بد أن يكون معصوماً عن الخطأ والسيان ، فضلا عن المعاصي (٤) وهذه العصمة تكون في الظاهر والباطن ، وخلال توليه الامامة ، وقبل امامته ، فهي عصمة تصحبه منذ مولده (٥) .

وإذا ربطنا بين تعاليم الشيعة وتاريخهم السياسي، نرى المستشرق (رونلدسن) (٦) يرى ان فكرة عصمة الانبياء في الاسلام مدينة في أصلها وأهميتها التي بلغت بعد ذلك ، الى تطور علم الكلام عند الشيعة ، وانهم أول من تطرق الى بحث

(١) محمد الحسين آل الكاشف : أصل الشيعة وأصولها ص ٧٣ وما بعدها ، أبو زهرة : الامام الصادق ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) العصمة لغوياً (المنع) جاء في القرآن الكريم (سأوي الى جبل يعصمني من الماء) أي يعني ويقال ان أصل العصمة (الجبل) وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه كقول الله عز وجل (اعتصموا بحبل الله) سورة آل عمران آية ١٠٣ - ابن منظور : لسان العرب ج ١٥ ص ٢٩٦ .

(٣) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ١١٤ ، الجيلاني : توفيق التطبيق ص ١٦ .

(٤) المرتضى : الشافي ص ٤٠ .

(٥) الطوسي : تلخيص الشافي ص ٣١٩ .

(٦) عقيدة الشيعة ص ٣٢٨ .

هذه العقيدة ووصف أئمتهم بها ، ويرى (رونلسن) أيضاً انه من الاحتمال ان تكون هذه الفكرة قد ظهرت في عهد الامام جعفر الصادق ، أي في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، اذ أرادت الشيعة ان تثبت دعوى الأئمة تجاه الخلفاء السنيين ، ولذا أظهرت عقيدة عصمة الرسول بوصفهم أئمة او هداة .

وتعليل هذا المستشرق يكشف عن حقيقة هامة هي أن البحث في العصمة كان رد فعل او معارضة من جانب الشيعة للخلفاء المعتصبين في نظرهم ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان فكرة العصمة التي تبدو من صميم أبحاث الدين ذات صلة وثيقة بالسياسة ان لم يكن منشأها سياسياً ، وان متكلمي الشيعة قد بدأوا في اثبات وجوب عصمة الأئمة قبل الكلام عن عصمة الانبياء ، ثم اضعفوا العصمة على الانبياء ، باعتبارهم في درجة أسنى . ومن ناحية أخرى فان موقف كل فرقة سياسية في الاسلام من موضوع العصمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقفها من الامامة أكثر من ارتباطها بالنبوة ، والامامة موضوع سياسة قبل ان تكون موضوع دين (١) .

وترى الشيعة الامامية ، ان أئمتهم ورثوا علم النبي وعلوم الانبياء جميعاً ، وقد ظهرت هذه العقيدة واضحة في عهد الامام جعفر الصادق (٢) . ولا توافق الشيعة الامامية على امامة المفضول مع وجود الافضل (٣) ، اذ ان ذلك مخالف للقرآن الكريم (٤) واذا كان الامام اماماً لرعيته في أحكام الدين وعلومه ومبادئه وجب أن يكون أفضل منهم وأكثرهم علماً وعبادة (٥) .

-
- (١) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ١٣٤ - ١٣٥ .
 - (٢) العاملي : الفصول المهمة ص ١٩٥ ، محمد بن طلحة : مطالب السؤل ص ٥١ ، الكليني : الكافي ص ٥٦ وما بعدها .
 - (٣) الرازي : نهاية العقول في دراية الاصول (مخطوط) ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .
 - (٤) قال الله تعالى : (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدي) - سورة يونس آية ٣٥ .
 - (٥) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ١٥٧ .

أبرز أفكار الإمام جعفر الصادق :

تبلورت الآراء والتعاليم السياسية للشيعة الامامية بعد قيام الدولة العباسية ، وفي عهد الامام جعفر الصادق . وكان جعفر يرى ان الدولة انما تقوم على العصبية ببني العم ، فيقول : « ما تثبت الدنيا الا على بني العم ، المتعاطفين بالبر ، المتعلقين بالأدب ، المجتمعين على التناصر ، الحاضرين بالاتفاق ، الغائبين بلا اغتياب ، بمثل هؤلاء تطول أعمار الدول ، وتدعم الممالك . وما ذل قوم بعد العز حتى ضعفوا وما ضعفوا حتى تفرقوا ، وما تفرقوا حتى تباغضوا ، وما تباغضوا حتى تحاسدوا ، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض (١) . ولا شك ان هذه العبارات كانت لها معناها ومنزاهها ، فهي موجهة الى الخلفاء العباسيين الذين أقدموا على قتال أبناء عمهم العلويين وقتلهم ، فقد قتل الخليفة المنصور محمد النفس الزكية وأخاه ابراهيم .

وان كان جعفر الصادق لم يعلن الثورة ، كما فعل علي زين العابدين ومحمد الباقر ، وان كان قد نهى ولدي عمه ، النفس الزكية و ابراهيم ، عن الثورة (٢) ، الا ان الصادق في نفس الوقت - كان لا يقر الحكم الظالم او المعتصب ، وقد صرح بأن حكم بني أمية كان معتصباً ، والحكم العباسي كان قريباً منه ، ولم يوجد ما يدل على أن رأيه فيهم متغير لرأيه في الحكم الأموي ، وانما معنى سكوته انه يرى ان الضرر في الخروج من غير تدبير محكم ، وكل عمل أئمة أكبر من نفعه يكون محرماً شرعاً ، ويرى جعفر أيضاً ان الحكم المعتصب يفني نفسه ، وانه يجب ان يترك المعتصب وهو في قوته ، حتى يأفل نجمه ويثب مريد العدل الى الحكم فيستولي عليه بقوة الحق والشورى والبيعة الصحيحة وقد بدت هذه الآراء في حديث جعفر مع آل عبدالله عبد الحسن . كما يرى الامام جعفر ان الطاعة واجبة بحكم الفقه حتى يتم التغيير من غير قيام فتنة ، ولا خروج

(١) العاملي : الفصول المهمة ص ٢٠٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٤٨ .

غير ناجح يؤدي الى مظالم أشد واعنف ، فالانتصار يزيد المنتصب قوة :
ويزيد مناوئته ضعفاً (١) .

وقد اتبع جعفر الصادق سيرة آبائه في عدم الطعن في أبي بكر وعمر
وعثمان (٢) وخاصة ان الامام جعفر كان ينحدر من ناحية أمه الى أبي بكر
الصديق ، ولذا افتخر بهذا الانتساب (٣) واستنكر جعفر ما كان يفعله أهالي
العراق من الاساءة الى أبي بكر وعمر (٤) .

وتمسك الامام جعفر الصادق بعقيدة التقية (٥) نتيجة ما شهده من اضطهاد
الخليفين العباسيين أبي العباس والمنصور للعلويين وشيعتهم . واكتفت الشيعة
بلعن خصومها وأعدائها (٦) . وقال الامام الصادق : « التقية ديني ودين

(١) الشيخ أبو زهرة : الامام الصادق ص ٢٠٦ .

(٢) استنكر أحد الجالسين لمحمد الباقر ان يمتدح الباقر الصديق ، فقال الامام : انه صدق جدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من لم يقل الصديق فلا صدق الله قوله ديناً ولا آخرة .
(ابن الجوزي : صفوة الصفوة ص ٦١) . كما قال الباقر عن أبي بكر وعمر :
انهما كانا إمامي هدى رضي الله عنهما (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ص ٩) .

(٣) كان جعفر الصادق يقول : ولدي الصديق مرتين وأنا ابن الصديق مرتين (اعيان الشيعة
ج ٤ ص ٨٩) .

(٤) قال جعفر الصادق لجابر الجعفي وهو من الشيعة الجعفرية « يا جابر بلغني ان قوماً بالعراق
يزعدون انهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويزعمون اني أمرتهم بذلك ،
فابلغهم اني الى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم
لانالتي شفاعة محمد ، ان لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما ، ان اعداء الله لغافلون
عنهم » (حلية الاولياء ج ٣ ص ١٣٧) .

(٥) تعرف الشيعة (التقية) بأنها الحيلة والحذر من الظالم القوي ، ويستدلون على تشريع التقية بالآية
١٠٦ من سورة النحل (الا من أكبره وقلبه مطمئن بالايمان) وقد نزلت هذه الآية في عمار بن
ياسر الذي تظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الاسلام .

(٦) الكليني : أصول الكافي ص ١٠٥ - قال الامام جعفر لأحد شيعته : « روى لي أبي عن أبيه
الذي أخذه عن سمعه عن النبي (من اشتد ضعفه حتى عجز عن معاونتنا نحن آل البيت وعن
نصرتنا ولكنه وهو في بيته يصب اللعنات على اعدائنا تحييه الملائكة لأنه من الأبرار ...) .

آبائي» كما قال «من لا تقيه له لا دين الله» ويرى كتاب الشيعة ان التقيه كانت شعار آل البيت عليهم السلام، دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم(١).

(١) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية ص ٨٤ وتستند الشيعة في التقيه على الآية الكريمة (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) سورة المؤمن آية ٢٨ .

٤ - الصراع الفكري بين الشيعة والعباسيين

وموقف الامامين أبي حنيفة ومالك من حركات الشيعة

أسس الجهاد الفكري :

سار البيتان العباسي والعلوي جنباً الى جنب في عصر الخلفاء الراشدين وفي العصر الأموي ، حتى سنة ٩٨ هـ حين أفضى الامام العلوي أبو هاشم بوصيته الى الامام العباسي محمد بن علي (١) ، فبدأ كل بيت يخطط طريقه بنفسه ، وهدف كل بيت القضاء على الدولة الأموية ، للوصول الى الخلافة . ثم كان قيام الدولة العباسية واستئثار البيت العباسي بالخلافة (٢) ، فبدأ صراع عنيف مستمر بين العباسيين وأرباب دولتهم من جانب ، والعلويين وشيعتهم من جهة أخرى . واتخذ الصراع شكلين متميزين ، أما الشكل الأول فهو شكل الحركة الثورية المسلحة ، حيث قام أئمة علويون بثورات ضد الخلفاء العباسيين (٣) والتقت الجيوش العباسية بقوات العلويين وشيعتهم في ساحات قتال عديدة في عديد من الأمصار الاسلامية (٤). وهذا الشكل هو شكل المواجهة العسكرية والصدام الحربي . أما الشكل الثاني ، فهو صراع فكري ، اعتمد على الفكر واللسان بدلا من شهر السيف ، فكان هذا الجهاد الفكري من صور الصراع بين العباسيين

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٣٤ .

(٢) الفخري ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) في عهود المنصور والمهدي ، والهادي ، وهارون الرشيد والمأمون والمعتمد .

(٤) قامت حركات الشيعة في الحجاز والبصرة وبلاد الديلم ، والمغرب ، وخراسان واليمن .

والعلويين ومن وسائل الحركات الشيعية ومن نتائجها أيضاً . كما كان هذا
الجهاد الفكري . إما من وسائل الاعلام ، أو من وسائل اعداد العقول والنفوس
للمشاركة في الصراع الايجابي والحركات المساعدة .

والعرب أهل فصاحة وبلاغة ، يعتزرون بلغتهم ، اذ هي لغة القرآن الكريم
ولذا كان لا بد أن تشارك اللغة العربية وآدابها في ذلك الصراع الذي دار بين
العباسيين والعلويين . وأصبح الأدب يصور عاطفتين بارزتين عند الشيعة ، وهما
عاطفة الغضب وعاطفة الحزن . أما الغضب فهو لاستئثار العباسيين بالخلافة
دون العلويين ، أما الحزن فهو لموقف العباسيين العنيف من الشيعة واسرافهم
في التنكيل بهم وفي سفك دماء الزعماء العلويين (١) .

وأصبح الأدب الشيعي مرآة انعكست عليها « محن آل البيت » فقد نسبوا
الى الرسول عليه الصلاة والسلام أحاديث بها نبوءات عن النكبات التي سيتعرض
لها آل بيته ، وهي امتحان لهم . وقد صورت الشيعة تاريخ آل البيت تصويراً
أخاذاً نزعوا فيه نزعة مسرحية ونجد ان تاريخهم منذ كارثة كربلاء عبارة عن
سلسلة لا تقطع من التعذيب والاضطهاد ، وروت الشيعة اخبارها شعراً ونثراً
في مؤلفات كثيرة زاخرة بتراجم هؤلاء الشهداء وكتب المقاتل هذه هي احدى
خصائص الشيعة (٢) .

ومما أنعش الصراع الفكري بين العلويين والعباسيين ما اشتهر به البيتان
الهاشميان من بلاغة وفصاحة . والمؤرخون دائماً يصفون خلفاء العصر العباسي
الأول بالعلم والأدب وطلاقة اللسان . فكان أبو العباس يجب الجلوس الى العلماء
ويشجع الادباء ويغلدق على الشعراء (٣) . وكان المنصور كما وصفه صاحب

(١) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٠١ .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٠٠ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٧ .

الفخري(١) من العقلاء العلماء ذوي الآراء الصائبة . أما المهدي فقد كان استاذة المفضل الضبي أحد أعلام عصره ، وقد لقنه ثقافة عربية رفيعة، ولذا اشتهر المهدي بأنه شاعر مجيد ، وراوية للاحاديث كما كان فصيح اللسان قوي البيان(٢) . ورغم شراسة الهادي فقد كان - كما وصفه المسعودي(٣) - كثير الأدب محباً له وشهدت بغداد في عهد الرشيد نهضة أدبية وفكرية عظيمة فلم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب ما اجتمع على باب الرشيد(٤) ورغم ما أخذه المؤرخون على الخليفة الأمين ، الا انه كان له فصاحة وبلاغة وأدب(٥) . أما عصر المأمون فهو عصر ارتقاء العلوم والآداب والمصادر حافلة بصور عديدة للنهضة الفكرية في عهده(٦) .

وفي نفس الوقت ، كانت الغالبية العظمى من الأئمة العلويين ، إماميين او زيديين ، من المشتغلين بالدراسات العلمية والأدبية والدينية والفقهية بل انهم جميعاً تفوقوا على الخلفاء العباسيين ويرجع ذلك الى سببين اولهما ان الخلفاء العباسيين قد انشغلوا بمشاكل السياسة والادارة ، فضلاً عن متاع الحياة الدنيا وترف العيش . والسبب الثاني ان العباسيين كانوا بيتاً حاكماً ، ولم يكونوا فقة او حزباً أو جماعة لها تعاليمها وآرائها السياسية والدينية ولها فقهها مثلما كان العلويون وشيعتهم وقد اشتهر بيت أبي طالب بالعلم والأدب منذ العصر الجاهلي واستمر ذلك في العصر الاسلامي(٧) .

-
- (١) الفخري ص ١٤١ .
 - (٢) الطبري ج ٦ ص ١٥ ، الفخري ص ١٤٢ .
 - (٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٨ .
 - (٤) الفخري ص ١٧٥ .
 - (٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٩ .
 - (٦) للدكتور فريد رفاعي كتاب قيم عن عصر المأمون اهتم فيه بتدوين صور النهضة الفكرية .
 - (٧) انظر كتاب الائمة الاثنا عشر لابن طولون (ص ٥٠) تجد كثيراً من التفاصيل .

لقد اعتبر الائمة العلويون انفسهم وارثين لعلم الرسول وعلي بن ابي طالب (١) وخاصة اذا علمنا ان هؤلاء الائمة معصومون، فيقول الجيلاي «فلو لم يكن بين الناس معصوماً أصلاً، لا يحصل في شيء من العلوم رسوخاً يقيناً» (٢) وللشيعة الامامية عقيدة تحدد صفات الامام وعلمه . فيقول المظفر وهو احد علماء الشيعة : ونعتقد ان الامام كالنبي يجب ان يكون أفضل الناس في صفات الكمال ، أما علمه فهو يتلقى المعارف والاحكام الالهية وجميع المعلومات من طريق النبي او الامام من قبله واذا استجد شيء لا بد ان يعلمه من طريقة الالهام بالقوة القدسية التي أوردتها الله تعالى فيه فان توجهه الى شيء وشاء ان يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطفه فيه ولا يشتمه ولا يحتاج في كل ذلك الى البراهين العقلية ولا الى تلقينات المعلمين ، وان كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله في دعائه (رب زدني علماً) ... (٣) .

وهكذا فان كان الخلفاء العباسيون قد حازوا الحكم والجاه والنفوذ ، الا ان الزعماء العلويين قد نالوا تقدير المسلمين واحترامهم لما وصلوا اليه من تفوق علمي وفقهي وأدبي ، حتى أصبحوا مقصد المسلمين من كل مكان (٤) وبذلك عوض هؤلاء الائمة ما فقدوه من خلافة وسلطة . كما كان أحياناً اشتغال الائمة العلويين بالعلم والمعرفة ستاراً يختفي وراءه نشاط بعضهم السياسي .

كان عند الائمة العلويين علم آل البيت العلوي ، وهذه العلوم في الحقيقة لم تكن منفصلة تمام الانفصال عن علم السنة . فقد كان علي أخص الصحابة ، ولازم الرسول مدة طويلة ، اذ تربى في بيته وظل عام علي في بيته نتيجة

(١) الكليني : الكافي ص ٥٧ - ترى الشيعة ان انقطاع الوحي بعد انقطاع نزول جبريل عليه السلام لا يعني انقطاع نزول علم الله على الائمة (العالمي : الفصول المهمة ص ١٥١) .

(٢) الجيلاي : توفيق التطبيق ص ٢٦ وما بعدها .

(٣) المظفر : عقائد الامامية ص ٦٧ - ٦٨ .

(٤) انظر ترجمة الامام جعفر الصادق في وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ١٠٥ .

اضطهاد الامويين للعلويين واقتصار الامويين على نقل احكام أبي بكر وقضاء عمر دون نقل احكام واقضية علي ، مما جعلها بعيدة عن اهتمام علماء السنة ولذا توارث العلويون تراث علي (١) .

ورغم ما كان بين الخلفاء العباسيين والأئمة العلويين من عداة سياسي ، الا انهم كانوا يعترفون بافضال وبتقوى وعبقرية الأئمة العلويين . بل ان الخلفاء العباسيين كانوا يبكون على العلويين الذين سقطوا صرعى في ميادين القتال بسيف الجند العباسيين مثلما بكى المنصور محمداً النفس الزكية وأخاه ابراهيم بعد مصرعهما (٢) ، ومثلما بكى الهادي الحسين بن علي حينما قدم جنده عليه برأس هذا الثائر العلوي (٣) ، وقد شهد المنصور للامام جعفر الصادق بالفضل والنبوغ وبكى طويلاً حين علم بوفاة حتى اخضلت لحيته بالدموع (٤) رغم ما كان بينهما من عداة سياسي ومناظرات وحوار وجدال . كما كان عبدالله ابن لحسن الامام الزيدي محدثاً ثقة (٥) .

صور الصراع الفكري :

واتخذ الصراع الفكري بين الخلفاء العباسيين والأئمة العلويين كثيراً من الصور ومنها الخطابات المتبادلة ، ومن أشهرها تلك الكتب التي تبادلها الخليفة المنصور ومحمد النفس الزكية قبل اعلان الامام العلوي ثورته في المدينة (٦) . كما عقد بعض الخلفاء العباسيين كثيراً من مجالس المناظرة حضرها بعض الزعماء العلويين ، ومن هؤلاء هارون الرشيد والمأمون .

- (١) الشيخ أبو زهرة : الامام الصادق ص ٩١ .
- (٢) الطبري ج ٦ ص ٢٦٣ .
- (٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ ، الفخري ص ١٧٣ .
- (٤) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ١٠٤ .
- (٥) روى عبدالله عن التابعين وعن علي زين العابدين وروى المحدثون عنه ومنهم سفيان الثوري ومالك .
- (٦) انظر نصوص هذه الرسائل في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٥ ، وقد أوردناها أيضاً في ملاحق هذه الرسالة .

الكتاب (١) . وهذا يتصل بفقده جده علي بن أبي طالب ، فقد أفنى أن المجوس كانوا أمة لهم كتاب يقرءونه (٢) .

ومن صور الصراع الفكري بين العباسيين والعلويين الاستعانة بالشعراء في الدفاع عن آراء كل فريق ، وهجاء الفريق الآخر . وكان لكل من الفريقين شعراؤهم ، وكان الشعر من أمضى الأسلحة في ذلك العصر ، ومن أبرز وسائل الاعلام ومخاطبة العقول والنفوس .

شعراء العلويين :

كان للعلويين شعراؤهم الذين آثروا ان يوجهوا ولاءهم نحوهم ، ويعبرون عن آرائهم وانصرفوا عن الخلفاء العباسيين رغم أنهم أصحاب الجاه والسلطان ، ومن أشهر شعراء العلويين في العصر العباسي الأول السيد الحميري ، ودعبل بن علي الخزاعي .

أما السيد الحميري (٣) (١٠٥ - ١٧٣ هـ) . فهو شاعر مخضرم ، عاصر الدولتين الأموية والعباسية ، وكان شاعراً مكثراً مجيداً ، وقد سلك طريقاً ماكرراً أمن به ايقاع العباسيين وتنكيلهم ، فيمدحهم لأنهم من بني هاشم ، فبلغ ما أراد ولم ينتقم منه العباسيون ، بل نال جوائزهم (٤) . فكان السيد الحميري مع اسرافه في حب العلويين لا يتورع عن مدح خصومهم العباسيين مدفوعاً في ذلك بخوفه من بطش العباسيين ورغبته في الحصول على أموالهم (٥) .

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٣٠ .

(٢) سيد الأهل : جعفر بن محمد ص ٥٨ .

(٣) هو اسماعيل بن محمد ، وينتهي نسبه الى ابن مفرغ الحميري ، وأمه من الأزدي وجدده يزيد بن ربيعة الذي هجا زياد بن أبيه ونفى انتسابه الى أبي سفيان .

(٤) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣١٠ .

(٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٣٣ .

وتأثرت حركة تدوين الحديث في العصر العباسي بحركات الشيعة ، ويرى المستشرق (رونلدسن) (١) - وهو من أكثر المستشرقين اهتماماً بالشيعة - أن بعض من اهتموا بجمع الحديث قد وقعوا تحت تأثير الخلفاء العباسيين ، ويرى المستشرق أيضاً أن (الموطأ) للامام مالك بن انس لا يعتبر من الصحاح الستة بالنظر لغايته المحدودة ، فقد كان من اللازم عليه أن يراعي رغبات السلطة السياسية . ويرى (رونلدسن) أيضاً أن احمد بن حنبل ، والبخاري ، ومسلم ، لم يهتموا بارضاء الخلفاء فأوردوا الاحاديث التي تشيد ببني أمية أو تؤيد ما تدعو الشيعة اليه . كما ان الترمذي خصص الفصل الأخير من صحيحه لذكر «فضائل أهل البيت» ، وقد حوت الصحاح الستة كثيراً من الاحاديث التي تمدح علي بن أبي طالب ، وقد أقبل الناس في العصر العباسي الأول على سماع هذه الاحاديث وكانت عاطفتهم قد أثيرت لما نزل من تنكيل بالأئمة العلويين على أيدي الخلفاء العباسيين .

ورأى الأئمة العلويون المشاركة في حركة تدوين الحديث ، وفي مقدمتهم الامام جعفر الصادق ، الذي لم يرو الا عن أهل بيته (٢) . وأدى علو مكانة الامام جعفر بين المسلمين ، ودقته وأمانته في رواية الاحاديث واسنادها الى اقبال أهل السنة على الاحاديث المروية عنه (٣) . وبذلك قامت حركتان لتدوين الاحاديث وروايتها : حركة عباسية وحركة علوية واستفاد العباسيون ورجالهم من بعض الاحاديث التي رواها العلويون مثل استفادة أبي يوسف في كتابه (الخراج) من الحديث الذي رواه الامام جعفر الصادق عن أبيه عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يسن بالمجوس سنة أهل

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) أبو المعاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٩ .

(٣) الشبلنجي : نور الإبصار ص ١٤٥ .

ويصف صاحب الاربعاء (١) السيد الحميري ، بأنه كان علوياً متطرفاً وعباسياً معتدلاً في وقت واحد ، فكان من أشد الناس إخلاصاً لآل علي ، يجهر بذلك ويعلنه ولا يتحرج منه . وكان في الوقت نفسه مسروراً بفوز بني العباس ، لا لأنهم فازوا على العلويين ، بل لأنهم يمثلون بني هاشم الذين فازوا على الأمويين . وكان يعلن هذا الفرح ، و ينتظر أن يأتي يوم آل علي ، وهو لا ينتظر هادئاً ولا صامتاً ، وإنما كان يبث الدعوة لآل علي ويبدل في ذلك من الجهد والقوة ما استطاع . ثم لم يكن فرحه بسقوط الأمويين وحده هو الذي يدنيه من بني العباس ، وإنما كان هناك شيء آخر يدنيه منهم وهو الرغبة والرهبة ، فكان يطمع في أموال بني العباس ، ويفيد منها غير قليل ، وكان يخشى بطشهم . والى جانب القصيدة التي يمدح بها آل العباس ، نجد القصائد الطوال الكثيرة التي يشيد فيها بآل علي .

لم يعترض الخلفاء العباسيون على ما ساقه السيد الحميري من مديح الى العلويين حتى لاينطلق ويقتصر على مديحهم ، وهجاء العباسيين . وعاصر السيد الحميري الخلفاء أبا العباس ، والمنصور ، والمهدي وقد كان في أول الأمر على مذهب الكيسانية ثم تحول الى مذهب الشيعة الامامية ، ومدح الامام جعفر الصادق ، ولكن المسلمين أخذوا على السيد الحميري هجاءه لبعض الصحابة الذين وقفوا موقفاً عدائياً من بني هاشم وخاصة علي بن أبي طالب ، وفي مقدمة هؤلاء الصحابة أبو بكر وعمر بن الخطاب (٢) .

مدح السيد الحميري الامام جعفر الصادق ، ومدح أيضاً الخليفة المنصور ، ولكن الامام جعفر غفر للشاعر مديحه للخليفة العباسي (٣) ونحمد للسيد الحميري

-
- (١) طه حسين : حديث الاربعاء ج ٢ ص ٢٢٨ .
(٢) الاصفهاني : الاغانى ج ٧ ص ٣ - ٧ - عرض السيد الحميري الخليفة المهدي على حرمان آل أبي بكر وعمر من العطاء اذ يمتقد انهما اغتصبا حق علي المشروع في الخلافة .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٣ .

رغم تقلبه بين العلويين والعباسيين انه لم يكن شعوبياً فهو رجل عربي خالص ،
لأمه وأبيه وهو من عرب اليمن ، وليس له صلة بالفرس ولم يكن تشيعه
طلاء سياسياً كاذباً ، يستر الشعوبية ويغض العرب»(١) .

ومن شعراء الشيعة في العصر العباسي الأول أيضاً دعبل بن علي الخزاعي ،
وقد اختلف في منهجه واتجاهاته عن السيد الحميري ، فقد كان كل ولاته
موجهاً نحو العلويين حتى انه جهر بعدائه الشديد للخلفاء العباسيين ، وهجاهم
هجاء صريحاً عنيفاً . وللشاعر قصائد عصماء في رثاء محمد النفس الزكية وأخيه
ابراهيم اللذين لقيا حتفهما في عهد الخليفة المنصور ، وفي رثاء الحسين بن علي
الذي استشهد في عهد الخليفة الهادي(٢) . وأبدى دعبل خبوره لبيعة المأمون
للإمام العلوي الرضا بولاية العهد .

لم ينبج الخلفاء العباسيون من هجاء دعبل ، فقد هجا المنصور والرشد والمأمون
ثم أسرف في هجاء المعتصم ، وخاصة بعد اعتماده على العناصر التركية ، وأراد
المعتصم قتله ، فهرب الشاعر الى بلاد المغرب واستمر في هجاء العباسيين ،
فهجا آخر خلفاء العصر العباسي الأول الواثق بالله(٣) . وكان هجاؤه دائماً عنيفاً
قاسياً(٤) .

شعراء العباسيين :

وشارك الخلفاء العباسيون في هذا الجهاد الفكري مع العلويين ، فكان للخلفاء
شعراء أصبحوا السنة ناطقة تلهج بمدحهم وهجاء خصومهم العلويين . وفي
مقدمة هؤلاء الشعراء مروان بن أبي حفصة . وهو شاعر مخضرم ، عاصر أواخر

(١) طه حسين : حديث الاربعاء ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٣) الاصفهاني : الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ .

(٤) المصدر السابق .

الدولة الأموية ومطلع الدولة العباسية ، وكان ولاؤه موجهاً نحو الخلفاء الأمويين ، ولم يجد بأساً في تحويل هذا الولاء الى الخلفاء العباسيين بعد قيام دولتهم . واعتبرهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة ، لأنهم سلالة العباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو أحق بوراة ابن أخيه من علي بن أبي طالب وآله . وأثار مروان مشاعر الشيعة حتى لقي حتفه على أيديهم (١) .

ويرى صاحب حديث الأربعة (٢) ان مروان بن أبي حفصة كان يعبد المال ويقدهه تقديساً ، وكان فيما بينه وبين نفسه يزدرى الأمويين والعباسيين والعلويين وانما أراد ان يفوز بأموال العباسيين ، ولو أدال الله منهم للامويين أو للعلويين لاسار مع الدولة الجديدة سيرته مع الدولة القديمة ، فلم يكن مروان اذن عباسياً مخلصاً ولم يكن شاعراً من شعراء الاحزاب بالمعنى الصحيح .

وكان العباسيون في حاجة الى من ينصرهم على العلويين وشيعتهم ولم يكن هجاء العلويين بالأمر اليسير ، اذ يثير مشاعر المسلمين . والعلويون والعباسيون يجمعهم البيت الهاشمي . ولذلك كان هجاء الشعراء العباسيين خالياً من الشتم والقذف (٣) .

ومن الشعراء الذين خاضوا الجهاد الفكري بين العباسيين والعلويين ، الشاعر أبان بن عبد الحميد . وكان شغوفاً بالمال ، الى حد جعله يتغاضى عن آرائه في سبيل المال . وكانت قصائده تدور حول أحقية العباسيين في الخلافة دون العلويين .

وخلاصة القول ، اغنت الشيعة الأدب ، لا من الناحية العقلية فحسب ، بل من الناحية السياسية والعاطفية ايضاً ، فظلوا يقولون في الحق وطلبه ، والإرث

(١) الأغاني ج ٩ ص ٢٨ .

(٢) طه حسين : حديث الأربعة ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٤ .

وغصبه ثم يبكون على حق ضاع ، ودم أريق ، وحرمان انتهكت وبيوت دمرت ، وجثث صلبت وذريت ، فكان لنا مع الأديين جميعاً فكر وعاطفة وعقل وقلب ، وكلاهما لا بد منه في الأدب (١) .

وخاض الامامان أبو حنيفة ومالك بن أنس ذلك الصراع الذي قام بين العلويين والعباسيين ، وكان لهما موقفهما من الائمة العلويين واخلفاء العباسيين .

مه قف أبي حنيفة من العلويين والعباسيين :

ولنرى الآن مدى العلاقة بين الامام أبي حنيفة (٢) والشيعه في العصر العباسي الأول . وقد اختلف المؤرخون والكتاب في تحديد أبعاد هذه العلاقة ، فترى بعض المصادر الشيعية ان أبا حنيفة كان من الشيعة ، بينما تنفي المصادر السنية ذلك ، وتقف بعض المصادر موقفاً وسطاً ، فتبرر موقف أبي حنيفة من الائمة العلويين بأنه ولاء منه لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسخط على العباسيين .

كان مولد أبي حنيفة في سنة ٨٠ هـ ، في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وعاش الى سنة ١٥٠ هـ ، فهو قد أدرك العصر الأموي في عنفوانه وقوته ، ثم في تحدره وانهاؤه ، وأدرك الدولة العباسية في نشأتها قوية ظافرة (٣) . عاش أبو حنيفة في العصرين الأموي والعباسي . وكان أبو حنيفة ساخطاً على الدولة الأموية ، ميالاً الى العلويين وكان يرى جواز الخروج على الحكم الأموي ،

-
- (١) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣١٥ .
(٢) وهو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان . تذهب معظم المصادر الى أن مولد أبي حنيفة كان سنة ٨٠ هـ (بعض المصادر تذكر ان مولده كان سنة ٦١ هـ) وتذهب معظم المصادر الى انه فارسي الأصل (المكي : مناقب أبي حنيفة ص ٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣١) .
(٣) أبو زهرة : أبو حنيفة ص ٧٨ .

وان لم يشترك عملياً في الثورات التي واجهت الدولة الأموية . وأفتى أبو حنيفة بأن خروج زيد بن علي على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ خروج شرعي يجب ان يعاضده جميع المسلمين (١) . وكان لزيد مكانة عالية في نفس أبي حنيفة ، كما كان لأبي حنيفة صلوات وثيقة بالامامين : محمد الباقر (٢) وجعفر الصادق (٣) وغيرهما من ابناء الأسرة العلوية (٤) . وقد عبر أبو حنيفة عن كراهيته للدولة الأموية برفضه تولي قضاء الكوفة حينما عرضه عليه يزيد ابن عمر بن هبيرة والي العراق في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، فضربه يزيد مائة وعشرة سياط (٥) .

ثم قامت الدولة العباسية ، وهي دولة هاشمية ، فماذا كان موقف أبي حنيفة منها؟ لا شك أن أبا حنيفة أبدى ارتياحه إذ آلت الخلافة الى البيت الهاشمي - آل الرسول عليه الصلاة والسلام- ولكن لم يعجبه موقف الخلفاء العباسيين من العلويين واسرافهم في التنكيل بهم وسفك دماهم ، فهم أيضاً من آل الرسول الكريم .

وفي عهد الخليفة المنصور ، أراد الخليفة أن يستعين بأبي حنيفة باعتباره اماماً فقيهاً بارزاً ، لمواجهة ما اشتهر به الامام العاوي جعفر الصادق من علم وفقه .

-
- (١) اليعقوبي ج ٣ ص ٦٥ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٣٥ .
(٢) رغم نشأة أبي حنيفة في الكوفة ، فقد كان يتردد على المدينة باستمرار ويزور الامام محمد الباقر وقامت مناظرات كثيرة بينهما (الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٢٤ - ٢٧) .
(٣) كان أبو حنيفة والامام جعفر الصادق في عمر واحد ، وقال أبو حنيفة : « والله ما رأيت أفقه من جعفر الصادق » . وكان جعفر من شيوخ أبي حنيفة (الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٢٧) .
(٤) الشرباصي : الائمة الاربعة ص ٥٤ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٦ وما بعدها .

فقد استدعى المنصور أبا حنيفة اليه ، وقال له : « يا أبا حنيفة ، ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهبيء له من المسائل الشداد » واستجاب أبو حنيفة لطلب الخليفة المنصور ، وهياً للامام الصادق أربعين مسألة من مسائل الدين والفقہ . ويصف أبو حنيفة لقاءه بالامام الصادق في مجلس المنصور فيقول : « أنيته فدخلت عليه - أي المنصور - وجعفر بن محمد عن يمينه ، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر ... » ، وبدأت المناظرة بين أبي حنيفة وجعفر الصادق ويتحدث أبو حنيفة عن نتيجة المناظرة فيقول : « حتى أتيت على الاربعين مسألة ، فما أخل منها . مسألة (١) .

وكان عبدالله بن الحسن ، شيخ الزيديين ، من اخطر العلويين على خلافة أبي جعفر المنصور . وكان أبو حنيفة من تلاميذه (٢) . وكان القبض على عبدالله ابن الحسن وآل بيته وسجنهم ، وما نالوه من اضطهاد وتعذيب ، مما أثار عطف أبي حنيفة على العلويين وسخطه على الخليفة المنصور ، وخاصة أن أبا حنيفة كانت تربطه بعبد الله بن الحسن صلوات ودية وثيقة (٣) .

ووقف أبو حنيفة من خلافة المنصور موقف المعارضة ، واتخذت معارضته شكلا سلبياً أحياناً ، وشكلا ايجابياً أحياناً أخرى . أما الشكل السلبي فيبدو في انتقاده الدائم للعباسيين والتعليق على سياستهم خلال دروسه ، ونقده أعمال القضاء ، ورفضه العمل للدولة ، مما أوغر صدر المنصور عليه (٤) . أما الشكل الايجابي ، فهو موقفه الحازم من ثورتي محمد النفس الزكية وإبراهيم ، وقد

(١) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) كان عبدالله بن الحسن أكبر سنأ من أبي حنيفة بعشر سنوات ، اذ كان مولده سنة ٧٠ هـ بينما كان مولد أبي حنيفة سنة ٨٠ هـ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٠ .

(٤) الشرياصي : الائمة الاربعة ص ٥٤ .

نحدثنا عن هذا الموقف الايجابي عند دراستنا طائفتين الثورتين في الباب الثاني من هذا البحث (١) .

ولنسا أن نتساءل : هل كان موقف أبي حنيفة من العلويين نتيجة تشيبه واعتناقه تعاليم الشيعة ؟ أم هو ميل الى البيت العلوي ؟ أم هو عطف على العلويين لما نالهم على أيدي العباسيين ؟

نرى ان أبا حنيفة لم يكن من الشيعة ، ولم يتشيع ، ولكنه كان متعاطفاً مع العلويين ، مقدراً لمكانة أئمتهم بين المسلمين وما هم عليه من تدين وورع وفقه ، والعالم الفقيه خير من يقدر العلماء الفقهاء . فضلاً عن انتساب العلويين الى آل الرسول عليه الصلاة والسلام . كما كان أبو حنيفة راثياً للعلويين ما لاقوه من اضطهاد العباسيين لهم .

وخير دليل نسوقه ، هو رأي أبي حنيفة في أبي بكر وعمر ، فقد كان يضعهما في المكان قبل علي بن أبي طالب ، وكان أبو حنيفة يقدر أبا بكر وتقديرًا فائقاً ، بل أراد أن يتشبه به في سخائه وفي اشتغاله بالتجارة (٢) ، ويجعل أبو حنيفة عمر بعد أبي بكر . ولكنه يقدم علي بن أبي طالب على عثمان بن عفان ، وان كان يذكر عثمان دائماً بالخير ويترحم عليه ولا يذكره بسوء مطلقاً (٣) . ولم يرض كثير من الشيعة والعلويين ، وخاصة الامام محمد الباقر ، عن آراء أبي حنيفة في أبي بكر وعمر وعثمان (٤) . وان كانت الشيعة الزيدية أبدت رضاها عن هذه الآراء ، فهم ممن يعترفون بصحة خلافة أبي بكر وعمر . وفي الحقيقة ، لم يقصر أبو حنيفة اتصاله بفرق الشيعة على فرقة واحدة منها ،

(١) الاصفهاني : مقال الطالبين ص ٣٦١ .

(٢) كان لأبي بكر حانوت بز في مكة ، وكان لأبي حنيفة حانوت بز أيضاً في الكوفة .

(٣) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٨٢ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣١ .

(٤) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ٢ ص ١٦٥ .

بل كان على صلوات ، ذات ابعاد مختلفة ، مع الشيعة الكيسانية ، والامامية ،
والزيدية .

ولأبي حنيفة رأي خاص به في اختيار الخليفة ، يختلف عن آراء الشيعة وسائر
الفرق ، وعبر الامام عن رأيه بصراحة في مواجهة الخليفة المنصور حين سأله
عن رأيه في خلافته ، فقد قال أبو حنيفة (١) : « المسترشد لدينه يكون بعيد
الغضب ان أنت نصحت لنفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا ، فانما أردت
ان تعلم العامة أنا نقول فيك ما تهواه مخافة منك ، ولقد وليت الخلافة وما
اجتمع عليك اثنان من أهل الفتوى ، والخلافة تكون باجتماع المؤمنين
ومشورتهم » .

ويفسر الشيخ أبو زهرة (٢) ، في كتابه القيم عن أبي حنيفة ، هذه العبارة
بأن أبا حنيفة كان يرى أن الاختيار العام للخليفة يجب أن يكون سابقاً على قولية
سلطنته ، أي أن الخلافة لا تتم الا باختيار سابق من المؤمنين ، وبيعة كاملة ،
فالخلافة عنده ليست بوصاية ، ولا يكون خويفة من يفرض نفسه على المسلمين ،
وان خضعوا بعد ذلك أو ارتضوه ، انما الخلافة باختيار حر سابق على تولي
الحكم .

روى الاصفهاني كثيراً من الروايات حول تأييد أبي حنيفة لمحمد النفس
الزكية وأخيه ابراهيم خلال ثورتهم على الدولة العباسية في عهد المنصور . ولكن
الاصفهاني لم يذكر صراحة اعتناق أبي حنيفة مذهب الشيعة . من هذه الروايات :
« كان أبو حنيفة يجهر في أمر ابراهيم جهراً شديداً ، ويفتي الناس بالخرج
معه » (٣) وقد كتب أبو حنيفة الى ابراهيم ينصحه بقصد الكوفة ، فقال :

(١) دعا الربيع بن يونس حاجب المنصور الامام مالك ، وابن أبي ذؤيب ، وأبا حنيفة للشول
بين يدي الخليفة المنصور ليسألم عن آرائهم في خلافته .

(٢) ابو زهرة : أبو حنيفة ص ١٦٥ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٦١ .

« اثتها سرآ فان من هاهنا من شيعتكم يبيتون أبا جعفر — المنصور — فيقتلونه ،
أو يأخذون برقبته فيأتونك به » (١) .

فسر المرحوم الأستاذ أحمد أمين موقف أبي حنيفة من كل من العباسيين
والعلويين ، فقال : استدل المنصور من إباء أبي حنيفة تولي القضاء (٢) على
صحة ما اتهم به من التشيع وعدم رضائه عن دولتهم والغالب ان أبا حنيفة
كان أميل في الفتنة التي قامت بين العلويين والعباسيين الى محمد النفس الزكية
وأخيه ابراهيم وكان يرى أن محمداً أحق بالخلافة وكان ناقماً على العباسيين
سطوتهم وشدتهم ، وكثير من العلماء في هذا العصر كانوا على هذا الرأي ،
وكان امتحان العباسيين لهم ولميولهم مظهره عرض الوظائف عليهم والاستدلال
بإبائهم أو قبولهم على ميولهم (٣) .

وذكر المستشرق (رونلدسن) (٤) ، وهو في مقدمة المستشرقين الذين
تعمقوا في دراسة الشيعة ، أن الشيعة كانوا يحترمون ويحجون أبا حنيفة لصلاته
الودية الوثيقة بالامام جعفر الصادق وقد ازداد اعجابهم به حينما قال عن
العباسيين أنهم لو أرادوا بناء مسجد وأمره باحصاء الأجر (٥) فانه لا يفعل

(١) المصدر السابق ص ٣٦٦ .

(٢) استدعى المنصور أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد وطلب منه أن يلي القضاء ، فرفض فاقسم
المنصور عليه أن يتولاه ، فاقسم أبو حنيفة الا يفعل وطلب الحاجب الربيع بن يونس من
أبي حنيفة العدول عن قسمه ، فقال أبو حنيفة له : أمير المؤمنين على كفارة ايمانه أقدر مني
على كفارة ايماني (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧١) .

(٣) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٨٤ .

(٤) عقيدة الشيعة ص ١٤٣ .

(٥) بعد رفض أبي حنيفة تولي القضاء وأقسم على ذلك أراد المنصور ان يرغمه على نكث قسمه
بالا يتولى ذلك المنصب ، فعهد اليه ببعض أعمال بناء بغداد فكلفته بضرب البنات واحصائها
ومراقبة العمال ، وابتكر أبو حنيفة طريقة جديدة في احصاء الأجر فكان يحصيها بالقصبة
بدلا من طريقة المد المعتادة (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧١) .

لأنهم فاسقون والفاسق لا يتولى الامامة . ويرى (رونلدسن) ان هذا القول بلغ الخليفة المنصور فسجنه وظل في سجنه حتى مات ، كما يرى ان اضطهاد المنصور لأبي حنيفة جعل أبا حنيفة يكسب صداقة الشيعة .

وينفي أحد الكتاب الذين أفردوا كتاباً عن أبي حنيفة (١) اعتناق أبي حنيفة مذهب الشيعة ، ويدلل على ذلك بأن المنصور لو أدرك هذه الحقيقة لما ترك أبا حنيفة يلقي دروسه في الكوفة مركز الشيعة ، سنوات طويلة .

ونحن نرى أن أبا حنيفة كان بعيداً عن التأثير بآراء الشيعة وعقائدهم وان الأمر اقتصر على عطفه على العلويين (٢) ، وسخطه على مظالم العباسيين . فأبو حنيفة هو الامام الأعظم لأهل السنة ، أما الشيعة فلم يهتموا بمعتقداتهم الخاصة بهم ، ولم يعرف عن أبي حنيفة انه روج لفقه الشيعة أو تأثر به ، فقد اشتهر بالاستقلال في الرأي ، ولو كان أبو حنيفة على آراء الشيعة وتعاليمها ، لجهر بذلك اذ اشتهر بالشجاعة والجرأة ، وكان موقفه من ثورتي النفس الزكية و ابراهيم صريحاً جريئاً . كما أن رفض أبي حنيفة تولي القضاء لم يكن نتيجة ميول الى الشيعة ، فقد رفض القضاء أيضاً في العصر الأموي اذ كان يرفض تولي القضاء لخلفاء يرى أنهم ظالمون ، وقد رفض كثير من العلماء والفقهاء تولي المناصب الحكومية ، وعاب على أبي يوسف صاحب كتاب الخراج تولي القضاء في عصر المهدي (٣) .

-
- (١) عبدالحليم الجندي : أبو حنيفة ص ٢١٣ .
 - (٢) التقى أبو حنيفة بعلي بن أبي طالب وكان أبو حنيفة حينئذ صغير السن وكان يعتقد أن علياً على حق في قتال المخالفين له أمثال طلحة والزبير ، ولكنه لم يسب أو يطعن في هؤلاء المخالفين (الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ٢ ص ٨٣ - ٨٤) ويذكر الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٦ أن علي بن أبي طالب دعا لأبي حنيفة ولذريته بالبركة فيهم .
 - (٣) هو أبو يوسف الذي أصبح قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد ولم يجد حرجاً في توجيه النصائح للرشيد في كتابه (الخراج) فقد كان جريئاً كاستاذه أبي حنيفة ولكنه اختلف عنه في توليه المناصب العامة في الدولة العباسية لفقره وحاجته (ابن النديم الفهرست ص ٢٨٦) .

رغم الصلة الوثيقة التي كانت تربط أبا حنيفة بالامام العلوي جعفر الصادق ، الا انهما كانا كثيراً ما يختلفان في الرأي . فقد عارض أبو حنيفة في أحد مجالسه بعض آراء الصادق ، مما دفع أحد الشيعة المتحمسين ، ويدعى بهلول ، الى أن ضرب رأس أبي حنيفة بلينة ، فاشتكاه أبو حنيفة للخليفة العباسي المنصور (١) . وفي الحقيقة لم يكن الميل السياسي وحده هو الظاهر في صلة أبي حنيفة بآل البيت ، بل الاتصال العلمي كان واضحاً ، ولعله هو السبب في هذا الميل السياسي فقد وجدناه متصلاً عملياً بالامام زيد بن علي ، وعد من شيوخه كما كان متصلاً بعبد الله بن الحسن والد الشهيدين محمد وإبراهيم ، وعد من شيوخه أيضاً ، ووجدنا أبا حنيفة يروي عن محمد الباقر وجعفر الصادق ، ومسند شاهد بذلك (٢) .

وكان أبو حنيفة مقتنعاً بأن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن كان على حق في خروجه على المنصور ، فقد سأله أحدهم : ايهما أحب اليك بعد حجة الاسلام : الخروج الى هذا ام الحج ؟ فقال أبو حنيفة : غزوة بعد حجة الاسلام أفضل من خمسين حجة (٣) .

موقف الإمام مالك من العلويين :

وماذا كانت علاقة الامام مالك بن أنس بالشيعة في العصر العباسي الأول ؟

كان مولد الامام مالك سنة ٩٣ هـ (٤) ، في المدينة المنورة ، التي كانت موطناً للعلم ، ومقراً لكثير من العلويين . وكانت وفاة مالك سنة ١٧٩ هـ ،

-
- (١) انظر تفاصيل مناقرة أبي حنيفة والامام الصادق في كتاب تذكرة الائمة للمجلسي ص ٣٠
 - (٢) أبو زهرة : أبو حنيفة ص ١٦٤ .
 - (٣) الموقف الملكي : مناقب أبي حنيفة ج ٢ ص ٨٤ .
 - (٤) سنة مولد مالك مختلف عليها ، فقيل انه ولد سنة ٩٠ أو ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥ أو ٩٦ ، ولكن معظم من أرخ لمالك يرجح سنة ٩٣ هـ (أبو زهرة : مالك ص ١١) وهو مالك بن أنس بن أبي عامر الاصبحي البجلي ، وينتسب الى قبيلة يمنية هي ذو أصبح .

فعاصر الدولتين الاموية والعباسية . وعاش مالك فترة شبابه المبكر في ظل خلافة عمر بن عبد العزيز ، وما اتصفت به من عدل وزهد ، فأصبح عمر لأبي حنيفة مثلاً أعلى للحاكم العادل(١) . وفي خلال العصر الأموي ، لزم مالك الجماعة ، ولم يخرج عن الطاعة فلم يدع الى ثورة ، ولكنه في نفس الوقت لم يدع الى طاعة الخلفاء الامويين ولم يناصرهم ، بل التزم مالك الحياد من كل الثورات التي قامت في العصر الاموي ضد الخلفاء دون تمييز الى أحد الفريقين(٢) .

وتعرض الامام مالك في كهولته لمحنة كبرى ، فقد اضطهده الخليفة المنصور ثم ضربه والى المدينة سبعين سوطاً . فهل ترتبط هذه المحنة بموقفه من العلويين ؟

روى الاصفهاني(٣) ان الامام مالك لما خرج مع محمد النفس الزكية قال له رجل انه ضعيف لا يقوى على القتال ، فقال انه اراد ان يقتدي الناس به . كما روى الاصفهاني(٤) أيضاً ان الفتوى التي اصدرها مالك كانت من العوامل التي دفعت بكثير من المسلمين الى تأييد محمد النفس الزكية ، فقد قال لهم عن بيعتهم للمنصور : « انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين » . وروى ابن قتيبة(٥) ان أحد العلويين قدم على مالك يعرض عليه ما نالهم من ايداء واضطهاد ، فقال مالك له : « اصبر حتى يجيء تأويل هذه الآية (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) » ، اي ان مالكا كان يتوقع قيام دولة علوية .

-
- (١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن العزيز ص ١٧ .
 - (٢) ابو زهرة : مالك ص ٥٠ .
 - (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٨٠ .
 - (٤) المصدر السابق ص ٢٨٣ .
 - (٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٤٨ .

ونستطيع أن نقول أن مالكا كان يعطف على العلويين ، ولكنه لم يتشيع أو يتأثر بتعاليم الشيعة . فقد كون مالك لنفسه آراء سياسية تخالف آراء الشيعة تماماً . فقد كان يعترف بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وكان مالك يضعهم في مقدمة الصحابة ، بينما كان ينظر الى علي بن أبي طالب على أنه صحابي مثله في ذلك مثل سائر الصحابة(١) وبذلك خالف الامام مالك الامام أبا حنيفة الذي يقدم علي بن أبي طالب على عثمان ، كما خالف الامام الشافعي الذي كان يشيد دائماً بعلي حتى اتهم بالتشيع . ونستطيع أن نستنبط من اعتراف أبي حنيفة بصحة خلافة هؤلاء الراشدين الثلاثة انه لا يرى حصر الخلافة في البيت العلوي أو الهاشمي .

ويرى الشيخ ابو زهرة(٢) ان مالكا كان يحدث بحديث « ليس على مستكره طلاق » ، وصادف أن ذاع هذا الحديث وشاع في وقت ثورة محمد النفس الزكية بالمدينة واعتبره الناس تحريضاً على البيعة للتأثر ، والتحليل من بيعتهم للمنصور بل أن المنصور نفسه غضب على مالك ونهاه عن أن يحدث بهذا الحديث ، حتى اذا لم يستجب لأمره ، ضربه والي المدينة بالسياط . ويرى الشيخ أبو زهرة أيضاً أن سبب المحنة ليس هو الحديث بالحديث وحده ، بل التحديث به في وقت قيام هذه الثورة العلوية واستفادة الثوار من هذا الحديث لتحريض الناس على الخروج مستفيدين من مكانة مالك في العلم والافتاء .

أمر والي المدينة جعفر بن سليمان بن العباس بضرب الامام مالك بالسياط ، فهل كان ذلك بأمر الخليفة المنصور ؟ نستنبط من رواية لابن قتيبة ان المنصور غضب لما حاق بالامام مالك حتى انه عزل الوالي رغم صلة القرابة به ، ثم اعتذر

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك (مخطوط) القسم الأول من الجزء الأول ص ٣٤٥ ، سأل احد العلويين الامام مالك : « من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجاب مالك : أبو بكر . فسأله : ثم من ، فقال مالك : ثم عمر فسأله العلوي : ثم من ، قال : الخليفة المتقول ظلماً عثمان .

(٢) أبو زهرة : مالك ص ٥٨ .

لمالك حين التقى به في موسم الحج بعد اعتذار مالك عن الرحيل الى بغداد (١) ويذكر الشيخ أبو زهرة (٢) انه لا يمكن ان ننفي ان ما لحق بمالك كان بعلم ورضا من المنصور الداهية الذي كان على علم بما يجري داخل دوائه بل انه كان على علم بما كان يجري في بيت مالك حتى ان المنصور كان يعرف ان مالكا كان يأمر خادمه بادارة الرحي حتى لا يسمع الجيران صوت ابنته تبكي معاناة من الجوع . ولكن المنصور اضطر الى الوقوف هذا الموقف من مالك ، فأنكر انه أمر واليه بذلك لأنه لم يكن يتوقع روح السخط الشديدة التي شاعت في المدينة على الوالي العباسي .

عاصر الامامان أبو حنيفة ومالك حركة تدوين الاحاديث في العصر العباسي (٣) وقد تأثر علم الحديث بذلك الصراع الناشب بين العباسيين والعلويين . ووضع أنصار الفريقين من الاحاديث ما تتمشى مع آرائهم ومصالحهم . فوضع العباسيون احاديث تضيف شرعية على توليهم الخلافة باعتبارهم سلالة العباس عم الرسول ، وتضع الشيعة احاديث تنتهي بحصر الخلافة في البيت العلوي ، وأهل السنة يجعلون الامامة في قریش ، ويجعل الخوارج الخلافة حق لكل مسلم . ولما كان العباسيون أكثر مالا وسلطاناً ، كان وضع الأحاديث لهم أوفر (٤) . ويرى المستشرق

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥١ .

(٢) مالك ص ٦٠ .

(٣) يرى علماء الشيعة الامامية ان علي بن أبي طالب هو أول من دون الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقام بتصنيف الاحاديث النبوية ، كما تعتمد الشيعة على الاحاديث التي رواها الصحابي سلمان الفارسي وكان مشايماً لعلي ، وكان الائمة العلوية كعلي بن زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق من رواة الاحاديث (السيد - حسن الصدر : تأسيس الشيعة ص ٢٧٩) .

(٤) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٢٦ - مثل الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عباس فقال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : اذا كان غداً الاثنين فأنتي انت وولدك حتى أدعوك دعوة ينفعلك الله بها وولدك ، ففدا وغدونا معه ، والبسنا كساء ، ثم قال : اللهم اغفر للعباس وولده مسخره ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً ، اللهم احفظه في ولده .. ومن الاحاديث التي وضعتها الشيعة ما رواه الطبراني : قال رسول الله : « الخلافة في ولد وعمي وصنو أبي حتى يسلموها للمسيح » .

(روفندسن)(١) أن بعض من اهتموا بجمع الحديث قد وقعوا تحت تأثير الخلفاء العباسيين ، في نفس الوقت حوت الصحاح الستة كثيراً من الاحاديث التي تمدح علي بن أبي طالب ، وقد أقبل الناس في العصر العباسي على سماع هذه الاحاديث وكانت عاطفتهم قد أثرت لما نزل من تنكيل بالأئمة العلويين على أيدي الخلفاء العباسيين .

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

الباب الثالث

جهاد الشيعة في عصري الخليفين المهدي والمهدي

- ١ - تطور فرقة الشيعة الإمامية وظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية .
- ٢ - موقف الشيعة الزيدية والإمامية من خلافة المهدي .
- ٣ - تشيع الوزير العباسي يعقوب بن داود ومحاولته تحويل الخلافة الى العلويين .
- ٤ - ثورة الحسين بن علي في عهد الخليفة المهدي .

١ - تطور فرقة الشيعة الامامية وظهور فرقة الشيعة الاسماعيلية

كانت فرقة الكيسانية أكثر فرق الشيعة نشاطاً في أواخر العصر الاموي ، بعد أن ركن أئمة الشيعة الامامية الى الهدوء ، نتيجة الضربات المتوالية التي أصابت العلويين ، وقد شهدنا الاحداث التي تطورت فأدت الى قيام الدولة العباسية على أساس وصية امام الشيعة الكيسانية أبي هاشم . وانتهى الامر بالكيسانية الى الاتجاه اتجهاً آخر (١) ، فهناك فريق صغير منها لا يزال يدعو الى امامة محمد ابن الحنفية او الحسن بن علي بن محمد أو علي بن محمد ، وفريق آخر أكبر عدداً اتجهوا اتجهاً متطرفاً ، فأصبحوا فرق الزنادقة الخطيرة (٢) التي بدأ ظهورها في عهد الخليفة العباسي الثاني المنصور (٣) .

أما فرقة الشيعة الزيدية ، فكانت أكثر فرق الشيعة نشاطاً في العصر العباسي الأول ، فقد اتجهت الى المقاومة الايجابية للدولة العباسية ، وأعلنت كثيراً من الثورات المسلحة ضد الخلفاء العباسيين ، وقد شهدنا ثورة محمد النفس الزكية

-
- (١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥١ - قال الشهرستاني « ثم اختلفت الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهباً .
 - (٢) ذكر الشهرستاني الملل والنحل (ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢) ان فرقة من فرق الكيسانية ذهبت الى ان أبا هاشم أوصى الى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي فخرجت الامامة اليه وتحولت روح أبي هاشم اليه ، وعن هذه الفرقة ظهرت الخرمية والمزدكية أبرز فرق الزنادقة ، كما ظهرت فرق مغالية كالبائية والرزامية .
 - (٣) كانت رسالتنا للمجستير عن (حركة الزنادقة في العصر العباسي الأول) وهي مطبوعة بمكتبة الانجلو المصرية .

وأخيه ابراهيم ، وسنشهد في عهد الخليفة الهادي حركة الحسين بن علي في الحجاز كما سنشهد في عهد هارون الرشيد حركتي يحيى وادريس ابني عبد الله بن الحسن . واستمرت حركات الشيعة الزيدية ، حتى نجح الزيديون في انشاء دولة زيدية في بلاد اليمن .

تطور فرقة الشيعة الإمامية :

أما فرقة الشيعة الزيدية ، فقد لجأ زعيمها الامام جعفر الصادق الى الزعامة الروحية ، دون القيام بدور سياسي ايجابي ، محتسباً بذلك سياسة الامامين السالفين . قال الصادق رضي الله عنه : سابعكم قائمكم (١) ، وقيل صاحبكم قائمكم ، الا وهو سمي صاحب التوراة . ولما رأَت الشيعة ان اولاد الصادق على تفرق ، فمن ميت في حال حياة أبيه ولم يعقب ، ومن مختلف في موته ، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ، ومن ميت غير معقب ، وكان موسى هو الذي تولى الأمر وقام به بعد موت أبيه ، رجعوا .

كان للامام جعفر الصادق ستة أبناء ذكور ، وهم محمد واسماعيل وعبدالله وموسى واسحق وعلي (٢) . وكان جعفر يعد ابنه اسماعيل ليتولى الامامة بعده . ثم حدثت احداث كثيرة ، نجدها مضطربة مختلفة في المصادر التاريخية ، وكتب الفرق والمذاهب ، فتذكر المصادر السنية ان اسماعيل شرب الخمر ، أو اتصل

(١) روت الموسوية عن الصادق انه قال لأحد اصحابه : عد الايام . فعدها من الأحد حتى بلغ السبت . فقال جعفر : كم عدت ، فأجاب : سبعة . فقال جعفر : سميت السبت ، وشمس الدهور ، ونور الشهور ، من لا يلهو ولا يلعب ، وهو سابعكم قائمكم هذا . وأشار الى ولده موسى الكاظم . وقال فيه أيضاً : انه شبيه بميسى عليه السلام (المال والتحل ج ١ ص ١٦٨) - ويعتبر الرقم ٧ ذا أهمية قدسية عند الشيعة الاسماعيلية ، والسبعية يقسمون ظواهر الكون وكثيراً من الأحداث التاريخية الى هذا العدد ويرى الدكتور فيليب حتي (تاريخ العرب ص ٥٦٧) أن نظريتهم تنطبق الى حد ما على الافلاطونية الحديثة .

(٢) الديار البكري : تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٧ - وكان لجعفر الصادق ابنة واحدة هي أم مزوق (ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢١٢) .

بالشيعة الغلاة وخاصة فرقة الخطابية اتباع أبي الخطاب الأسدي (١) . مما ترتب عليه عدول جعفر الصادق عن امامة اسماعيل بعده (٢) . وأدى ذلك الى نتيجتين هامتين : الأولى ظهور القول بالبداة (٣) منسوباً الى جعفر الصادق ، اذ قال : بدا الله في اسماعيل ابني اذ اخترته قبلي ليعلم ذلك انه ليس بامام بعدي . أما النتيجة الثانية ، فهي الانشقاق الخطير في صفوف الامامية الى اثني عشرية ساقطت الامامة الى موسى الكاظم ، ثم ذريته من بعده واسماعيلية ترى الامامة لا تكون الا في الأعقاب ، ولا تنتقل من الأخ الى أخيه بعد الحسن والحسين (٤) .

أما مصادر الشيعة ، فهي تنفي عن اسماعيل اتهامه بشرب الخمر ، أو عدول الامام جعفر الصادق عن العهد بالامامة بعده لاسماعيل ، بل ان جعفر أحن لموته حزناً شديداً (٥) . ولكن مصادر الشيعة تختلف في الامامة بعد جعفر الصادق وأدى هذا الاختلاف الى آراء وتعاليم وعقائد عديدة شائكة ومتشابكة .

والبحث في ابعاد هذا الافتراق والاختلاف ، والظروف المحيطة بظهور فرقة الاسماعيلية ، عسير وشاق نتيجة الغموض الذي أحاط بهذه المسائل كلها ،

(١) قال الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩) عن هذه الفرقة : « أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الاجدع مولى بني أسد ، وهو الذي عزا نفسه الى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه . فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك . فلما اعتزل منه ادعى الامامة لنفسه : زعم أبو الخطاب أن الائمة أنبياء ثم آلهة . وقال باطية جعفر بن محمد ، والهيبة آباءه رضي الله عنهم ، وهم أبناء الله وأحباؤه ، والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ... ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور علي خبث دعوته قتله بسبحة الكوفة وافتقرت الخطابية بعده فرقاً » - وهي فرق المعمرية ، والبريفية ، والمجلية ، والمفضلية (الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١١ - ١٢) .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ٩٠ .

(٣) كان المختار الثقفي أول من دعا الى القول بالبداة (ابن نشوان : الحور العين ص ١٨٣) .

(٤) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٧٨ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٦ - ٦٩ .

والاختلاف الشديد في الآراء ، وخاصة ان الدعوة الاسماعيية كانت في تلك الفترة في مرحلة الستر والدعوة السرية ، ونحن دائماً في بحثنا هذا نلتزم سبيل الحياء التام ، فنعرض الآراء العلمية المختلفة ، ونناقشها ، ولكن بدون تحيز ، أو ميل وهوى .

أما فرقة الشيعة الاثنا عشرية فهم « الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وسموا قطعية ، وساقوا الامامة بعده في أولاده ، فقالوا : الامام بعد موسى الكاظم : ولده علي الرضا ومشهده بطوس (١) ، ثم بعده محمد التقي الجواد أيضاً ، وهو في مقابر قریش ببغداد . ثم بعده علي بن محمد التقي ومشهده بقم . وبعده الحسن العسكري الزكي . وبعده ابنه محمد القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى وهو الثاني عشر » (٢) .

وقالوا « بانتقال الامامة من الصادق الى ابنه عبدالله الافطح (٣) ، وهو أخو اسماعيل من أبيه وأمه ، وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي ، وكان أسن أولاد الصادق زعموا انه قال : « الامامة في أكبر أولاد الامام . وقال : الامام من يجلس مجلسي . وهو — أي عبدالله — الذي جلس مجلسه ، والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام . وهو — أي عبدالله — الذي تولى ذلك كله . ودفع الصادق ودیعة الى بعض أصحابه وأمره ان يدفعها الى من يطلبها منه وان يتخذها اماماً . وما طلبها منه أحد الا عبدالله ، ومع ذلك ما عاش بعد أبيه الا سبعين يوماً ، ومات ولم يعقب ولدًا ذكراً » (٤) .

(١) وهو الذي بايعه الخليفة العباس المأمون ولياً لهده ، كما تشهد في الباب الرابع من هذا البحث .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) أطلق عليه اسم الافطح لوجود فطح في قديمه وتعتقد بعض الشيعة أنه من الضروري ان يكون الامام خالياً من أي عاهة .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧ .

وليست خطورة الانشقاق بين الانبي عشيرة والاسماعيلية راجعة الى مجرد الخلاف حول الامامة بعد الصادق او في حياته ، وهل هي في اسماعيل أم في أخيه موسى ، ذلك ان الاختلاف بين الطائفتين في العقائد ليس مجرد خلاف حول شخصين او امامة احد الأخرين ، لأن من الخطأ نسبة الحركات الى اشخاص دون ادراك الاختلافات الجذرية وراء الاشخاص. وظهور طائفة الاسماعيلية يرجع الى عوامل كثيرة تتعدى كثيراً مجرد اتهام اسماعيل بشرب الخمر أو وفاته في حياة أبيه ، ويبدو انه لا يمكن الفصل بين ظهور طائفة الاسماعيلية وقيام الدولة العباسية التي قامت تحت ادعاء أحقية أهل البيت في الخلافة ، ثم تمكن أبناء العباس أن يستأثروا بالأمر دون العلويين . ولذا كان قيام الدولة العباسية صدمة كبرى بالنسبة للبيت العلوي (١) .

ظهور الدعوة الإسماعيلية :

تطورت الدعوة الاسماعيلية واتجهت الى السرية ، وقد بدأت الامامة باسماعيل ثم ابنه محمد الذي أصبح الامام السابع ، واستتر الأئمة الاسماعيليون ، بينما تولى دعواتهم الدعوة جهراً ، ويشير الشهرستاني (٢) الى تطور الشيعة الاسماعيلية فيقول : « قالوا : وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام ، وانما تم دور السبعة به ، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسرون في البلاد سرّاً ، ويظهرون الدعاة جهراً. وقالوا ولن تخلو الأرض قط من امام حي قائم ، اما ظاهر مكشوف ، واما باطن مستور» .

لجأ أئمة الاسماعيلية الى نشر دعوتهم في الخفاء ، وفي بلاد بعيدة عن مركز الدولة العباسية ليتجنبوا اضطهاد العباسيين (٣) . واتخذ أئمة الاسماعيلية مدينة

(١) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٨١ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢ .

(٣) هرب محمد بن اسماعيل الى الري ومنها الى جبل دماوند قرب الري واستقر في قرية اخذت اسمه ، فأصبح اسمها (محمد آباد) ، وظل مختفياً طوال عهد المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) والهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) والرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) .

سلمية بالشام مركزاً لنشر هذه الدعوة ، وكانوا يبعثون من هذه المدينة الدعوة الى كافة الاقطار الاسلامية ويعهدون في تنظيم الدعوة الى كبار الدعاة الذين كان يطلق عليهم في هذا الدور ، وهو دور السر ، نواب الأئمة أو الحجج ، وهؤلاء يبعثون دعاة لنشر المذهب الاسماعيلي في أرجاء العالم الاسلامي (١) .

دخلت قرية سلمية أبواب التاريخ ، وهي مدينة تاريخية قديمة (٢) ، وقد عاش فيها الأئمة الاربعة المستورون من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم الذين خططوا للدولة الفاطمية التي ظهرت فيما بعد في المغرب ومصر ، وأوجدوا الحركة الاسماعيلية القرمطية في الشام والعراق والبحرين وفارس واليمن ، وهي التي قامت بدور كبير في تاريخ الشرق الاسلامي نحو مائة وخمسة وعشرين عاماً (٣) .

وفكرة سرية الدعوة كانت فكرة قديمة ، استحدثها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد دعا الى الاسلام سراً في دار الأرقم بن الأرقم ، ثم اختفى في غمار ثور حين تبعته قريش يوم الهجرة . ولما اشتد تشديد الخلفاء العباسيين في طلب آل البيت ، اتخذ دعاة الشيعة من الاسماعيلية بوجه خاص دور الهجرة في البلاد التي قاموا بها بنشر المذهب الشيعي (٤) .

وتختلف الدعوة السرية التي بلأت اليها الاسماعيلية عن (التقية) عند الشيعة الامامية في عدة وجوه . فقد فسر هؤلاء الشيعة ركوز أئمتهم الى الهدوء ، أو الى

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٩ - ٤٠ .
(٢) يرجع تاريخها الى عهد السومريين ، وعاصرت الأموريين والآراميين والاشوريين واليونان والرومان ، ويرجع اسمها الى معركة (سلاميس) التي انتصر فيها اليونان على الفرس ٤٨٠ ق . م . قال ياقوت عنها في كتابه (معجم البلدان) « سلمية بليدة في ناحية البرية من أعمال حماه بينهما مسيرة يومين » .

(٣) عارف تامر : القرامطة ص ٥٦ .

(٤) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٤ .

ما نسميه بالامامة الروحية ، بأنه (تقية) ، وجعلوها تسعة أعشار الدين(١) والتقية تتخذ شكلاً سلبياً غالباً فهي تعتمد على كتمان الدعوة وتوقف النشاط بينما الدعوة السرية في دور الستر هي نشاط إيجابي سري . قد دافع أحد كتاب الشيعة الامامية (٢) عن فكرة التقية عند هذه الفرقة ، فقال ان تعرض أئمتهم للاضطهاد والتنكيل دفعهم الى « استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرهم وستر اعتقاداتهم واعمالهم المختصة بهم عنهم ، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا » ، ثم يستدرك الكاتب الشيعي فيقول : « وليس معنى التقية عند الامامية انها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب ، كما انه ليس معناها انها تجعل الدين واحكامه سراً من الأسرار لا يجوز ان يذاع لمن لا يدين به » (٣) . ويرى الشيخ أبو زهرة (٤) ان موضوع التقية هو « اعلان التشيع » فكانت التقية الا يعلن التشيع شيعته ولا يظهر من أعماله ما يدل على موالاته لآل علي موالاة ولاية ، ولا موالاة محبة .. فالملحبة كانت واضحة من بعض الشعراء والعلماء (٥) ، ولكنها في مظهرها محبة تقدير ، لا محبة ولاية ، وهي أيضاً ليست تشيعاً .

ويرى المستشرق (جولد تسيهر) (٦) ان عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التي يؤمن بها هو في نفس الوقت مدرسة للسخط الذي تكنه الشيعة لخصومهم الاقوياء ، وهو سخط مبعثه عاطفة من الغضب والثورة ، وكان من نتائجه ظهور تعاليم تخالف مبادئ الاسلام السني .

-
- (١) الكليني : أصول الكافي ص ٤٠٠ .
(٢) المظفر : عقائد الامامية ص ٨٤ - ٨٥ .
(٣) تبلورت فكرة التقية في عهد الامام جعفر الصادق ، فكان يقول : « التقية ديني ودين آباي ولا دين لمن لا تقية له وان المديح لأمرنا كالجاحد به » ، كما قال : « نفس المهسوم لظلمنا تسبيح ، وهمه لنا عبادة ، وكتمانه سرنا جهاد في سبيل الله » .
(٤) أبو زهرة : الامام الصادق ص ٢٤٤ .
(٥) امثال : الفرزدق ، وكثير عزة ، والامام أبو حنيفة .
(٦) المقيدة : والشريعة في الاسلام ص ٢٠٢ .

بدأت الدعوة الاسماعيلية بجهود ميمون القداح وابنه عبدالله ، وكان ميمون مولى لامام الشيعة الامامية جعفر الصادق . وأخبار الوالد والابن مضطربة جداً في المصادر التاريخية ، السنية والشيعة ، والروايات حولهما متعددة مختلفة . فيرى البعض (١) ان ميموناً هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . ويذكر ابن النديم والبغدادي (٢) ان ميموناً من نسل ديصان الثنوي (٣) الذي تنتسب اليه فرقة الديصانية والمجوسية . ولكننا ونحن نذكر مختلف الآراء ، ندرك مدى عداة كتب السنّة للشيعة عامة ، وللفاطميين خاصة .

ودخلت الدعوة الاسماعيلية على يد عبدالله بن ميمون في دور جديد ، وأصبحت الاهواز (٤) مركزاً لنشاط عبدالله بن ميمون ، ومنها أرسل دعواته الى أماكن متفرقة ، وعادت عليه الدعوة بأموال طائلة ، وكان يخفي دعواته وراء ستار التشيع والعلم ، وحاول ان يتنبأ فلم يجد استجابة له ، وثار ضده الشيعة والمعتزلة ، واقتحموا داره فهرب الى البصرة ، ومعه داعية من دعواته هو الحسين الاهوازي ، ودعا الى محمد بن جعفر الصادق ، ولكنه ما لبث ان هرب هو وداعيته الحسين الاهوازي الى (سلمية) حيث رزق بابنه احمد ، الذي تولي

(١) مثل (Prince Memour) وبرنارد لويس-أنظر تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم ص ٤٠ ، ومثل : عارف تامر : القرامطة ص ٨٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٤ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٩٦ ، ويذكر البغدادي ان ميموناً كان مولى للامام جعفر الصادق .

(٣) كان المجوس يدعون الى وجود الهين ، احدهما اله الخير ورمزه النور ، والآخر اله الشر ورمزه الظلام ، واشهر فرقهم : الزرادشتية ، والمناوية والمزدكية ، والديصانية والمرقونية ('شهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٣٥ - ٥٨) .

(٤) الاهواز : سيع كور بين البصرة وفارس (ياقوت الحموي : معجم البلدان) .

الدعوة بعد أبيه ، وبعث الحسين الاهوازي داعية الى العراق وهناك التقى بمحمد ابن الاشعث المعروف بقرمط (١) ، في سواد الكوفة (٢) .

وبعد موت أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ، خلفه في الدعوة ابنه الحسين حتى اذا مات خلفه أخوه محمد المعروف بابي الشلعلع ، الذي بعث داعيتين من دعواته الى المغرب ، وهما أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد وأخوه أبو العباس محمد فاستمالا قبيلتين من البربر (٣) . واستمرت الدعوة الاسماعيلية في طريقها حتى نجحت في تمهيد بلاد المغرب لقيام الدولة الفاطمية مما يخرج على نطاق هذا البحث .

ولا شك في أن الجهود التي بذلتها الشيعة لتأسيس خلافة علوية بالشام قد قضى عليها ، فلم ير الأئمة بدأ من الاستتار ليدعوا عن أنفسهم ما أضمره لهم العباسيون من حنق ونقمة . ثم اتجهوا الى نشر دعوتهم في بلاد المغرب ، تمهيداً لاقامة دولة علوية ، أصبح اسمها (الدولة الفاطمية) .

مات محمد بن اسماعيل ، والعالم الاسلامي تنقدح فيه الآراء المتباينة ، فهناك فرق الاسماعيلية الأولى ، والمباركية والخطابية ، وتولى الامامة الاسماعيلية من بعده عبدالله بن محمد بن اسماعيل المعروف بالارضي او الناصر او العطار

(١) قرمط : هناك تفسيرات كثيرة لهذا اللفظ ، منها ان حمدان بن الاشعث أطلق عليه هذا الاسم لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى ، أي يقارب بين خطواته ، ومنها انه لقب بهذا اللقب لأنه كان احمر البشرة تشبيهاً له بالقرمذ وهو الطوب الاحمر (الاحمر) وأصل هذه الكلمة يوناني (Keramidi) ويرى البعض أن اللفظ مأخوذ من (اقرمط) أي غضب وغبس ومن يأخذون بهذا الرأي (دي لاسي) و(برنارد لويس) ويرى الأب انستاس ماري الكرملي ان اللفظة آرامية (نبطية) مشتقة من (قرمطونا) أي المدلس أو الخبيث أو البكار أو المحتال أو (قرمطا) وهي التدلّيس أو الخبث ، وهذه التسمية لم يتخذها الاسماعيليون ، بل أطلقها آء. اؤهم عليهم في العهد المبكرة لدعوتهم (أنظر الحاشية في كتاب اتعاظ الحنفا ص ٢٦ وكتاب القرامطة لعارف تامر ص ٦١) .

(٢) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٥ - ٢٦ يذكر ابن التديم ان الذي خلف عبدالله بن ميمون في الدعوة هو ابنه محمد (الفهرست ص ٢٦٥) .

(٣) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٦ .

(سنة ١٦٩هـ) وهي السنة التي مات فيها الخليفة العباسي المهدي ، وتولى فيها الخليفة الهادي . وقام بحجبه ميمون القداح فترة قصيرة ، ثم توفي بعد أن أوصى بها لابنه عبد الله بن ميمون . وتطورت العقيدة الاسماعيلية في عهد هذا الامام وصحبته ، وأخذت تجمع بين مختلف الآراء . وأخذت طريقها كدعوة مسلحة بالفلسفة اليونانية والغنوصية ، مكونة مزيجاً لا مثيل له في تاريخ الاسلام الفكري (١) .

وبعد الامام عبد الله الرضي ، خلفه ابنه أحمد سنة ٢١٢ هـ في عهد الخليفة المأمون ، وستحدث عن الامامين في الأبواب التالية من هذا البحث ، ولكننا نشير هنا الى اتجاه الاسماعيلية الى الدعوة والحركات السرية . فلم يعرف عن الامام عبد الله علم ظاهر ، وظلت تعاليم الامام مقتصرة على حججه ، أي كبار الدعاة الذين اطلق عليهم أيضاً اسم أبواب (جمع باب) .

دافع أحد كتاب الشيعة الاسماعيلية (٢) عن اتجاه الاسماعيلية الى الحركات السرية فقال : للاسماعية سحر خاص ، وجاذبية قوية كانت تهفو بنفوس فريق من الناس ، وتبلغ منهم مبلغاً يدفعهم الى المخاطرة والمجازفة وقبول الطاعة العمياء والاستسلام المطلق . والواقع أن في الكتمان والسرية والخفاء والغموض ما يستهوي الخيال ويرغب النفوس ، وما الحركات السرية الا ممثلة بالولع البدائي المجهول . فهي تمثل قوة مصدرها جماعة من الأفراد اجتمعوا ليقوموا بعمل يعجز عنه الفرد بنفسه . ولا تقوم الحركات السرية او تزدهر الا حين تضطرب الحياة الاجتماعية ويسود الطغيان والاستبداد . فيثور البعض على هذه الأوضاع مدفوعين ببواعث مختلفة ، فمنهم من يريد السيطرة والسلطة ومنهم من يريد التحرر . والحركة الاسماعيلية لم يكن لها نظير في اجتذاب الناس من مختلفي الاتجاهات ، فكان منهم المخلصون والعلماء والفدائيون ، والاعزاز المندفعون والمغامرون قساة القلوب . أما تنظيمات الاسماعيلية وأساليب دعايتها العجيبة فهي تقوم على ادراك عميق لنفسيات الشعوب .

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٣٩٠ .

(٢) عارف تامر : القرامطة ص ٧٨ .

أصبح محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الامام السابع الحقيقي ، ثم خلفه في الامامة اخلافه في سلسلة متصلة ، وكانوا أئمة مستترين متخفين ، اجتنبوا المجاهرة ، حتى ظهر الإمام عبدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب .

اهتم أئمة الاسماعيلية بتنظيم دعوتهم ، وباختيار الدعاة ممن يطيعون الأوامر وينفذونها باخلاص ودقة . ولم يكن الدعاة الاسماعيليون سواء ، بل كانت هناك مراتب متسلسلة ، بلغت اثني عشر مرتبة وهي : امام ، حجة أو باب ، داعي دعاة ، داعي بلاغ ، داعي مطلق أو نقيب ، داعي مأذون ، داعسي محصور ، جناح أيمن أو يد يميني ، جناح أيسر أو يد يسرى ، مكاسر ، مطالب ، مستجيب .

أما الامام ، فهو أعلى سلطة ومصدر كل قانون أو تنظيم أو تشريع . والحجة أو الباب فهو نائب الامام وهو ابنه عادة . أما داعي الدعاة فهو الرئيس والمسؤول الأول امام الحجة عن الدعوة في الاقاليم المختلفة . أما داعي البلاغ فهو المسؤول عن تبليغ الأوامر التي يرسلها داعي الدعاة الى الاقاليم ، ويتولى أمر المراسلات . أما الداعي المطلق (أو النقيب) فهو الداعي الذي يصل الى مرتبة يصبح له من الصلاحيات ما يؤهله للسفر الى الاقاليم . أما الداعي المأذون ، فهو يتبع الداعي المطلق ويعاونه . أما الداعي المحصور ، فهو يتولى الدعوة في منطقة معينة لا يتعداها ، فهو محصور فيها حتى يأذن له داعي الدعاة بالانتقال الى غيرها . أما الجناح الأيمن ، والجناح الأيسر فيقدمان للداعي المطلق الخدمات أثناء جولاته في الاقاليم ، ويمدانه بالمعلومات . أما المكاسر فهو الداعية الذي كان في الأصل مطالباً ، ثم تفقه في الدعوة وتفوق فيها . أما المطالب فوظيفته التجسس ومعرفة الأخبار وجذب الناس الى الدعوة . أما المستجيب ، فهو المنتسب حديثاً الى الدعوة الاسماعيلية (١) .

(١) عارف تامر : القرامطة ص ٨١ - ٨٣ . وهذا الكاتب شيعي اسماعيلي ، وفي عرضه لتسلسل الدعاة على هذا النحو ، ذكر انها أول مرة تظهر تنظيمات الدعوة الاسماعيلية الحقيقية في كتاب منشور .

٢ - موقف الشيعة الزيدية والامامية من خلافة المهدي

سياسة جديدة نحو الشيعة :

تولى محمد المهدي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور في ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ، فبدأت صفحة جديدة من صفحات حركات الشيعة ، ومن صفحات علاقات البيت العلوي بالبيت العباسي . وكان الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح قد عهد بولاية العهد الى أخيه المنصور ، ثم لعيسى بن موسى . ثم رأى المنصور تقديم ابنه محمد المهدي على عيسى بن موسى في ولاية العهد ، وحاول المنصور اقناع عيسى بالتنازل عن حقه ، دون جدوى فبدأ نحوه سياسة اضطهاد وألحق به من الالهانات ، مما اضطره الى قبول تحقيق رغبة المنصور (١) .

ولاشك ان الشيعة قد قرت عيونهم بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد فقد كان القائد العباسي الذي قضى على حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم . وازداد حبورهم حين خلع المهدي عيسى بن موسى أيضاً من ولاية العهد وعهد بها الى ابنه الهادي .

مات المنصور قرب مكة (٢) ، وكان قد خرج اليها لاداء الحج ، وكان

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٧٢ - ٢٨٣ حرض المنصور الجند على اهانة عيسى . ويذكر الطبري (ج ٦ ص ٢٨٣) ان عيسى قبل التنازل مقابل عشرة ملايين درهم ويتهم صاحب الفخري (ص ١٥٥) المنصور بمحاولة اغتيال عيسى بالسّم .
(٢) مات المنصور عند بئر ميمون على بعد ستة أميال من مكة .

المهدي مقيماً في بغداد ، نائباً عن أبيه في تسيير دفة الدولة . ورأى الربيع بن يونس ، حاجب المنصور ، أن يكتم نبأ وفاة المنصور ، حتى يأخذ البيعة لابنه المهدي ، وخاصة من العباسيين والعلويين ، الذين دعاهم الى اجتماع عام ، حيث قرأ عهداً وجهه المنصور الى بني هاشم ، اوصاهم فيه بالاتحاد (١) .

ثم طلب الربيع بن يونس البيعة للمهدي من العلويين ، وكان موسى الهادي ، ابن المهدي يتلقى هذه البيعة . وكان ممن بايعوا الحسن بن زيد ، وكان المنصور قد أمر بضربه ومصادرة أمواله وحاول المهدي الوساطة بين الحسن والمنصور دون جدوى ، وعوضه للمهدي عن أمواله المصادرة من ماله الخاص ، ولذا أعلن الحسن بن زيد للحاضرين انه يبايع المهدي « بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح » (٢) .

أراد المهدي ان يبدأ صفحة جديدة في السياسة العباسية ويبعث الأمن والطمأنينة في قلوب رعاياه على اختلاف مذاهبهم ، فبدأ عهده باطلاق سراح المسجونين السياسيين (٣) ، وتبدو هذه السياسة الجديدة التي انتهجها المهدي في نص للمسعودي (٤) ، فهو يقول : « وكان المهدي محبباً الى الخاص والعام ، لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وأنصف الظلوم ، وبسط يده في الاعطاء » .

وكان العلويون في المدينة لا يزالون يضمدون جراحهم ، بعد التنازل الذي نزل بهم بعد اخفاق ثورة محمد النفس الزكية . ورأى المهدي ان بلاد الحجاز

(١) جاء في هذا العهد : « وأسأل الله اي لا يفتنكم بعدي ، ولا يلبسكم شيعاً ولا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم » ، (الطبري ج ٦ ص ٣٤٨ - ٣٤٩) .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٣) روى الطبري (ج ٦ ص ٣٥٣) أن المنصور أطلق سراح كل مسجون « الا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، ومن كان معروفاً بالسعي في الارض بالفساد » .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢١ .

قد أصبحت مركزاً رئيسياً من مراكز حركات الشيعة . ورأى المهدي أن يرحل الى الحجاز سنة ١٦٠ هـ ليستميل اليه اهلها حتى لا يشاركوا في حركات علوية أخرى ، فخرج ومعه أموال كثيرة (١) وثياب (٢) ليمنحها الى أهالي مكة والمدينة . وأعلن المهدي في الحجاز بداية سياسة جديدة من التسامح ، كما أعلن العفو العام ، وأعاد المفصولين من وظائفهم من أهل الحجاز في عهد المنصور الى ما كانوا يتولونه من قبل ، وبالغ المهدي في التقرب من الأهالي ، ومد الاسمطة الحافلة لهم (٣) . كما اهتم بالاماكن المقدسة الاسلامية (٤) . وقيل رحيله الى بغداد ، اختار خمسمائة من انصار المدينة ، وصحبهم معه الى العاصمة واتخذهم حرساً له وأغدق عليهم الاموال . بل بلغ من تقرب المهدي الى أهل المدينة ، انه تزوج بفتاة من أهلها وهي رقية بنت عمرو العثمانية (٥) .

وأراد المهدي أن يكون على علم دائم بتحركات العلويين في المدينة فربط بين الحجاز والعراق بالبريد ، وأقام المحطات على طول الطريق بين القطرين (٦) وكان المنصور يكتفي بالاستعانة بالعيون والارصاد لمعرفة نشاط العلويين (٧) .

هذه هي السياسة التي بدأ بها المهدي عهده . فماذا كان موقف الشيعة من المهدي؟ لقد اختلفت المواقف باختلاف فرق الشيعة . وكانت أبرز فرق الشيعة

- (١) أخذ المهدي معه ثلاثين مليون درهم ، وبعث اليه والي مصر ثلاثمائة ألف دينار وبمئث والي اليمن مائتي ألف دينار (الطبري ج ٦ ص ٣٦٦) .
- (٢) بلغ عدد الثياب مائة وخمسين ألف ثوب (الطبري ج ٦ ص ٣٦٦) .
- (٣) روى السيوطي (تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣) ان المهدي جلب الثلج من الشام الى مكة ، وكان ذلك اول مرة يشهد فيها أهالي مكة الثلج ، ولا شك ان المهدي أراد اضعاف الهيبة على الخلافة العباسية .
- (٤) أمر المهدي بنزع المقاصير ، وتقصير المنابر الى الحد الذي كان عليه منبر الرسول ، وزاد المهدي في المسجد الحرام ، وكسا الكعبة بكسوة جديدة (الطبري ج ٦ ص ٣٦٦ - ٣٦٨) .
- (٥) الطبري ج ٦ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .
- (٦) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٢٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ ، ابن الفقيه : البلدان ص ٢٢ .
- (٧) العيون والحدائق ص ٢٤٣ .

في عهد المهدي فرقة الزيدية التي عاودت نشاطها وحركاتها . وفرقة الشيعة الامامية ، وقد بلأ امامها موسى الكاظم الى الزعامة الروحية . وفرقة الشيعة الاسماعيلية التي كانت في طريق التكوين وبلورة آرائها وتعاليمها ، كما شهدنا في الفصل السابق .

موقف الشيعة الزيدية من المهدي :

كانت فرقة الشيعة الزيدية أكثر فرق الشيعة نشاطاً في العصر العباسي الأول . وقد شهدنا حركتين علويتين خطيرتين في عصر الخليفة العباسي الثاني المنصور وهما حركتا النفس الزكية وابراهيم في الحجاز والبصرة . وسنشهد حركة شيعية زيدية أخرى يتزعمها الحسين بن علي ، في عهد الخليفة الرابع الهادي .

وبرز ، في عهد المهدي زعيمان من زعماء الشيعة الزيدية ، وهما عيسى ابن زيد بن علي بن الحسن بن علي ، وعلي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي ، وقام كل منهما بدور بارز في تاريخ حركات الشيعة في عصر المهدي .

أما عيسى بن زيد ، فقد كان أكثر اخوته تطلعاً الى اخوته . وقد شهدنا بيعة أخيه الحسن للمهدي في بلاد الحجاز بعد موت المنصور حينما طالبه الحاجب الربيع بن يونس بالبيعة (١) . أما أخوه محمد بن زيد ، فيقول عنه الاصفهاني (٢) انه كان « مع أبي جعفر - المنصور مسوداً » (٣) ، لم يشهد مع محمد وابراهيم حربهما ، فكان يكاتبه بما يسكن منه ثم ظهر ذلك بالمدينة ظهوراً تاماً ، الا انه كان لا يجالس أحداً ولا يدخل اليه الا من يثق به .

أما الأخ الثالث الحسين بن زيد ، فقد انضم الى محمد النفس الزكية وابراهيم

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٨٧ .

(٣) أي متخذاً السواد شعار العباسيين .

في ثورتها ، حتى إذا لقيتا حتفهما ، اختفى الحسين طوال عهد المنصور ، ثم ظهر في عهد المهدي ، الذي أمنه على حياته (١) .

وكان عيسى بن زيد متطوعاً الى الخلافة ، طامعاً فيها ، بل كان يرى نفسه أجدر من ابني عبدالله بن الحسن ، أي النفس الزكية و ابراهيم . فقد قدم الى البصرة بعد مصرع النفس الزكية وطلب ممن فيها من الشيعة الزيدية ان يبايعوه بالامامة وزعم ان محمداً جعل الأمر اليه فاستجابوا اليه . وأراد عيسى ان يوسع نطاق أنصاره ، فدعا أهل البصرة الى امامته ، ولكن أهل السنة (٢) والشيعة الامامية رفضوا موالاته . ولم يجد عيسى مفرأ من الانضمام الى حركة ابراهيم ابن عبدالله ، وتوحيد جهودهما لمواجهة الخليفة العباسي المنصور ، حتى اذا تحقق النصر ، توليا تصفية حسابهما (٣) .

ولكن عيسى بن زيد وشيعته أصبحوا شوكة دائمة في جنب حركة ابراهيم ، وكانوا كما رأينا في الفصل الذي درسنا فيه عوامل اخفاق حركتي محمد و ابراهيم من عوامل اخفاق حركة ابراهيم ، فقد عارضوا كثيراً من الاقتراحات البناء التي ارتأها قوام ابراهيم (٤) .

وكان المنصور يدرك خطورة عيسى بن زيد ، وتطلعته الى الخلافة ، وكان قد حاول استمالة اليه ، ومناه بالوعود الكثيرة ، ولكن عيسى آثر الانضمام الى حركة محمد النفس الزكية ، ولذا كان لعيسى بن زيد نصيب في وصية

-
- (١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٨٧ .
 - (٢) رفض شيخ السنة خالد بن عبدالله الواسطي المبايعه لابراهيم .
 - (٣) قال الاصفهاني (مقاتل الطالبين ص ٣٧٠) : « قدم عيسى بن زيد بعد قتل محمد ، فذكر ان محمداً جعل الأمر اليه ، ودعا الزيدية الى نفسه فأجابوه وأبى البصريون ذلك حتى قالوا لابراهيم : ان شئت أخرجناهم عنك من بلادنا ، فالأمر لك ، وما نعرف غيرك . حتى كادت تقع فرقة ، فسفروا بينهم وقالوا : ان اختلفنا ظهر علينا أبو جعفر ، ولكن نقاتله جميعاً ، والأمر لابراهيم فان ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد » .
 - (٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٤ .

المنصور لابنه ، وولي عهده المهدي قبيل وفاته ، فقد عبر المنصور للمهدي عن مخاوفه من عيسى فقال : « يا بني ، اني قد جمعت لك من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبلي ، وبنيت لك مدينة لم يكن في الاسلام مثلها ، ولست أخاف عليك الا أحد رجلين : عيسى بن موسى ، وعيسى بن زيد ، فأما عيسى بن موسى ، فقد أعطاني من العهود والمواثيق ما قبلته ، ووالله لو لم يكن الا ان يقول قولاً لما خفته عليك ، فأخرجه من قلبك ، وأما عيسى بن زيد ، فأنتق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالي ، واهدم هذه المدينة ، حتى تظفر به ، ثم لا ألوئك» (١) .

وبعد ان تولى المهدي الخلافة ، رأى مسالة عيسى واستماتته ، فأرسل اليه من يؤمنه على حياته ، ويمنحه كثيراً من الأموال والصلات ، فقال عيسى لبعض أصحابه : « قد بذل لي من المال ما بذل ، والله ما أردت حين أتيت الكوفة الخروج عليه ، ولأن أبيت خائفاً ليلة واحدة أحب الي من جميع ما بذل لي ، ومن الدنيا بأسرها» (٢) .

اتخذ عيسى بن زيد الكوفة مركزاً لنشاطه السياسي ، ولكنه استر وراء الاقبال على العلم ورواية الحديث (٣) ، وكان يخرج من وقت الى آخر الى الحجاز لاداء الحج ولقاء انصاره من الشيعة الزيدية واطلق هؤلاء الانصار عليه اسم (موتم الاشبال) لما كان يتصف به من قوة وبأس . وشعر المهدي بنشاط عيسى : فأمر والي الكوفة بمراقبة تحركاته وعلم الوالي باجتماع عيسى ببعض زعماء الزيدية ، فهاجم الدار ، وألقى القبض على بعض المجتمعين وبعثهم الى المهدي ، الذي أمر بسجن بعضهم فظلوا في السجن حتى مات عيسى (٤) .

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٤٥ - يقصد بالمدينة التي بناها (بنداد) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤١١ .

(٣) وصف الاصفهاني (مقاتل الطالبين ص ٤٠٧) عيسى بن زيد ، فقال : « وكان عيسى افضل

من بقي من أهله ديناً ، وعلماً وورعاً وزهداً وتقشفاً وأشدهم بصيرة في أمره ومذهبه ، مع علم كثير ، ورواية للحديث وطلب له » .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤١٨ .

وكان عيسى بن زيد، في الحقيقة ذكياً اذ اتخذ الكوفة مركزاً لنشاطه ، فقد كانت الكوفة دائماً موطن الشيعة . فقد كان اختيار ابراهيم البصرة مركزاً لحركته من عوامل اخفاقها ، كما اتضح لنا في دراستنا لعوامل اخفاق حركته وحركة أخيه محمد . وكان بالكوفة كثير من الشيعة الزيدية الذين رأى عيسى الاستفادة من ولائهم في طلب الامامة (١) .

ثم رأى بعض أنصار عيسى بن زيد ان ثمره جهودهم قد نضجت وحن قطافها ، فطلبوا منه القيام بحركة شيعية جديدة ضد الخليفة المهدي . وكان الحسن ابن صالح من أكثر هؤلاء الشيعة حماسة كما كان من أبرز شخصيات الكوفة ، ولذا نزل عيسى في داره ، وعهد اليه بديوانه . فقال الحسن لعيسى : حتى متى تدافعنا بالخروج وقد اشتمل ديوانك على عشرة آلاف رجل ؟ ورغم تطلع عيسى الى الامامة ورغبته في الخروج ، فقد خشي من تخاذل شيعة الكوفة ، فأجاب على تساؤل الحسن بن صالح فقال : ويحك أتكثر علي العدد وأنا بهم عارف ، أما والله لو وجدت فيهم ثلثمائة رجل أعلم انهم يريدون الله عز وجل ، ويبدلون انفسهم له ، ويصدقون للقاء عدوه في طاعته لخرجت قبل الصباح حتى ألي عند الله عذراً في اعداء الله ، وأجري أمر المسلمين على سنته وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، ولكن لا أعرف موضع ثقة يفني ببيعتته لله عز وجل ، ويثبت عند اللقاء (٢) .

ومات عيسى بن زيد في عهد المهدي ، فكم اصحابه وفي مقدمتهم الحسن بن صالح نبأ موته فترة ، وعلل الحسن ذلك بقوله : « لا يعلم موته أحد فيبلغ السلطان فيسره ذلك ولكن دعوه بخوفه ووجهه منه وأسفه عليه حتى يموت ولا تسروه بوفاته فيأمن مكروهه » (٣) .

- (١) وجه الامام أبو حنيفة انظار ابراهيم الى كثرة الشيعة الزيدية في الكوفة .
- (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤١٨ . أحصى ديوان زيد بن علي الذي قام بحركة شيعية في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في الكوفة وحدها خمسة عشر ألفاً وحينما خرج في أول صفر سنة ١٢٢ هـ كان معه ٢١٨ رجلاً فحسب (الفخري ص ٩٦) .
- (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٢٤ .

ثم علم المهدي من أحد اصحاب عيسى بن زيد بموته فقال المهدي : «أعظم بها مصيبة ، رحمه الله فقد كان عابداً ورعاً» (١) ، مجتهداً في طاعة الله ، غير خائف لومة لائم » (٢) . بل احتضن المهدي ولدي عيسى فشبا في كنفه (٣) .

حركة علي بن العباس :

شهدنا تولي عيسى بن زيد امامة الشيعة الزيدية وتطلعه الى الخروج على الخليفة المهدي وقد احصى ديوانه بالكوفة عشرة آلاف مناصر . كما شهدنا عدول عيسى عن القيام بحركة شيعية جديدة خوفاً من تحاذل اتباعه ، ثم شهدنا موته بعد فترة قصيرة .

وشهد عصر المهدي حركة شيعية اخرى ، استمرت في طريقها حتى بادرت باعلان الثورة على خلافة المهدي . بينما تحلقت حركة عيسى - كما رأينا - في منتصف الطريق ، وقام بهذه الحركة الشيعية الاخرى ، زعيم علوي آخر هو علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويكاد يقتصر الاصفهاني على رواية أخبار تلك الحركة في كتابه (مقاتل الطالبين) بينما اغفلت سائر المصادر التاريخية ذكرها .

اتخذ الثائر العلوي الجديد ، علي بن العباس ، بغداد مركزاً لحركته الشيعية الزيدية . وفي الحقيقة ، كان ذلك جرأة من هذا الزعيم العلوي فقد أراد ان يثور على الدولة العباسية في عقر دارها . وقد شهدنا ثورة النفس الزكية في المدينة حيث يعيش كثير من العلويين وأنصارهم ، وشهدنا ابراهيم يثور في البصرة حيث تعيش طائفة من الشيعة الزيدية وشهدنا أيضاً استعدادات عيسى بن زيد للثورة في الكوفة موطن الشيعة الأول .

- (١) كان عيسى بن زيد من رواة الاحاديث وقد روى عن أبيه والامام جعفر الصادق وعن غيرهم من كبار المحدثين (الأشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٩) .
- (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٢٧ .
- (٣) ومنها احمد بن عيسى الذي غضب الخليفة هارون الرشيد عليه لاتصاله بالشيعة الزيدية ، فسجنه ولكنه هرب واختفى عن الانظار .

قدم علي بن العباس الى بغداد ، ودعا الى نفسه سراً ، فاستجاب له جماعة من الشيعة الزيدية . وهذا يدل على اتساع نطاق الدعوة الزيدية حتى انها وصلت الى قلب الدولة العباسية ، اي الى حاضرتها . ونعتقد ان هؤلاء الشيعة الزيدية قد أقبلوا على سكنى بغداد نتيجة ما أبداه المهدي عند توليته الخلافة من تسامح ، لأننا نعلم ان الخليفة المنصور كان يدقق في اختيار سكان العاصمة ، فضلاً عن ان بغداد في عهد المنصور كانت لا تزال في مهدها فلم تتطور ولم يتضخم عدد سكانها بعد(١) .

علم الخليفة المهدي بأمر علي بن العباس ورأى ان يقضي على هذه الحركة الشيعية التي بدت بوادرها وهي لا تزال في المهد . فقبض المهدي على علي الزعيم العلوي وسجنه واستمر في سجنه حتى تشفع فيه الحسن بن علي وهو الذي يقوم بحركة شيعية في عهد الخليفة الهادي ، فقبل المهدي شفاعته واطلق سراحه . ولكن المهدي لجأ الى وسيلة أخرى للخلاص من علي بن العباس ، فقد «دس اليه شربة سم فعملت فيه فلم يزل ينتفض عليه في الأيام حتى قدم المدينة ، فتفسخ لحمه ، وتباينت أعضاؤه فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام»(٢) .

وهكذا أسدل الستار على فصل من فصول نشاط الشيعة الزيدية في العصر العباسي الأول ، ليرتفع عن فصل آخر ، حينما تقوم حركة الحسين بن علي في عهد الهادي ، وستتخذ الحركة الجديدة المدينة المنورة مركزاً لها(٣) .

موقف المهدي من الامام موسى الكاظم :

شهدنا موقف الشيعة الزيدية من خلافة المهدي . فماذا كان موقف فرقة الشيعة الامامية ؟ وما هو موقف امامها موسى الكاظم ؟

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٨ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٠٣ .

(٣) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٣٧ ، الطبري ج ٦ ص ٤١٠ - ٤١٢ .

تولى الامام موسى الكاظم امامة الشيعة الامامية الاثنا عشرية بعد وفاة ابيه
الامام جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ . وقد شهدنا انقسام الشيعة الامامية على
انفسهم وظهور فرقة الشيعة الاسماعيلية التي تدعو الى امامة الامام اسماعيل
ابن جعفر الصادق ، ومضت كل من الفرقتين في طريقها الخاص المتميز .

اشتهر الامام موسى الكاظم بالتقوى والورع ، كما اشتهر بالصبر على الازدراء
حتى سموه (الكاظم) (١) ، وفي عهده دخلت الامامة دورها السري ايضاً
ودورها العبادي ، وانتهى دور الفقه ، فلا نعلم فقهاً خاصاً لموسى الكاظم ،
كما لم يكن له دور كلامي في عقائد الامامة ، ولم يرد عنه روايات أحاديث
تذكر (٢) .

اشتهر موسى الكاظم بالسخاء فكان « اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث
اليه بصرة دنانير » (٣) . حتى أصبح يضرب به المثل في الكرم والاغداق (٤) .
ويبدو ان هذا السخاء قد أثار شكوك الخليفة المهدي ، وظنه انه يجيئ الخمس
من شيعته ، وكان المنصور قد آثم أباه الامام جعفر الصادق بنفس الاتهام .
ولذا بعث المهدي الى الامام موسى يستدعيه الى بغداد حيث التقى به في السجن .
ثم رأى المهدي في نومه علي بن أبي طالب يعاتبه على قطع صلوات الرحم .
فأطلق المهدي سراح الامام الكاظم وطلب منه ان يقسم له على الا يخرج
عليه ولا على أحد من أولاده . فقال موسى : « لا والله لا فعلت ذلك ولا هو
من شأني » . فقال المهدي : « صدقت » ومنحه المهدي ثلاثة آلاف دينار وسمح
له بالعودة ثانية الى المدينة (٥) .

(١) طبقات الشعراني ص ٣٣ .

(٢) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٢٨١ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩٩ .

(٤) قال الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧) : « فكانت صرار موسى مثلاً » .

(٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠٠ .

٣- تشيع الوزير العباسي يعقوب بن داود ومحاولته تحويل الخلافة الى العلويين

ميول الوزراء العباسيين العلوية :

اثر حركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي الأول في موقف الوزراء العباسيين من كل من البيت العلوي والدولة العباسية . كما أثرت بالتالي في موقف الخلفاء العباسيين من وزراءهم . فقد أبدى كثير من الوزراء العباسيين ميولا صريحة او خفية نحو الزعماء العلويين مما أدى الى تنكيل الخلفاء بهم .

كان أبو سلمة الخلال اول الوزراء العباسيين ، كما ذكرنا في الباب الأول ، وقد ارتفع شأنه واطلق الخلفية أبو العباس عليه اسم (وزير آل محمد) (١) وقد رأينا كيف أبدى أبو مسلمة ميولا صريحة واضحة نحو البيت العلوي ، اذ بعث بثلاث رسائل الى ثلاثة من الزعماء العلويين يعرض عليهم الدعوة لهم ، ولكنهم رفضوا قبول دعوته . وقد وصف الدينوري (٢) أبا سلمة بأنه كان من كبار الشيعة . وانتهى الأمر ، كما شهدنا بمصرع أبي سلمة على يد أبي مسلم بأمر من الخليفة أبي العباس الذي أنشد (٣) :

الى النار فليذهب ومن كان مثله على اي شيء فاتنا منه نأسف

كان الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور يدقق في اختيار وزرائه ممسنا

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٤ .

(٢) الاخبار الطوال : ص ٣٣٦ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٦٣ .

اشتهروا باخلاصهم وكفاءتهم، ومن لا يهتمون بالحياة، او الميل الى العلويين وكان الخليفة ايضاً مستأثراً بأمر الدولة، مما لا يعطي مجالاً للوزراء للاستبداد او الاتجاه نحو العلويين، فيقول صاحب الفخري (١) عن المنصور: لم تكن الوزارة في ايامه طائلة لاستبداده، واستغناؤه برأيه وكفائه مع أنه كان يشاور في الأمور دائماً وانما كانت هيئته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أهبة ولا رونق.

ويبدو ان المنصور قبل المن تاريخ أخيه أبي العباس مع وزيره ابي سلمة الخلال فرأى تقييد سلطة الوزير، بل كان المنصور يميل احياناً الى عدم تولية وزير خوفاً من ازدياد نفوذه (٢).

كان معظم وزراء الخلفاء العباسيين من الفرس، فأبو سلمة الخلال، أول وزير عباسي مولى فارسي وأبو أيوب المورياني وزير المنصور فارسي مسن (موريان) وهي قرية من قرى الاهواز، ويعقوب بن داود وزير المهدي مولى أيضاً، وكذلك كان البرامكة والفضل بن سهل وزير المأمون من الفرس. ونحن نعرف ميول معظم الفرس نحو البيت العلوي.

تشيع الوزير يعقوب بن داود:

من الوزراء العباسيين الذين اتهمهم الخلفاء العباسيون بالتشيع والميل الى العلويين، بعد أبي سلمة، يعقوب بن داود بن طهمان مولى بني سليم، وهو وزير المهدي، ثالث الخلفاء العباسيين. وكان أبوه داود واخوته كتاباً لنصر بن سيار الوالي الأموي بخراسان.

(١) الفخري: ص ١٥٦.

(٢) الدوري: النظم الاسلامية ص ٢١٩ - ويرى الدكتور الدوري ايضاً (٢٢١) ان الوزارة رسخت في عهد المهدي واتسع سلطانها حتى صارت عامة الدواوين تحت اثرانها، وهذه السلطة الواسعة كان الخليفة يستطيع سحبها متى اراد.

وكان يعقوب في أول الأمر يعتقد مذهب الشيعة على مذهب الزيدية (١) مؤيداً للزعيم العلوي عبدالله بن الحسن بن الحسن ثم إن المهدي خاف من بني الحسن ان يحدثوا أمراً لا يتدارك ، فطلب رجلاً ممن له أنس ببني الحسن ، ليستعين به على أمرهم فدلّه الربيع على يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع وبينه (٢) .

هذه هي رواية صاحب الفخري ، تنسب تولية المهدي ليعقوب بن داود الى رغبة الخليفة في تسكين خواطر الشيعة ، وقد شهد عهد المنصور ، أبي المهدي ، حركتين علويتين كبيرتين ، قام بهما محمد النفس الزكية ، وأخوه ابراهيم وهما ابنا عبدالله بن الحسن . ولكننا مع تأييدنا لميول يعقوب الشيعة الا اننا لا نرى ان المهدي قد ولاه الوزارة لهذا الغرض الذي ذكره المؤرخ ، ونرى ان الربيع بن يونس حاجب المنصور ثم المهدي ، كان العامل الأول في اختيار يعقوب للوزارة ، نتيجة حقد الربيع على وزير المهدي معاوية بن يسار (٣) فقد كان معاوية متكبراً متعالياً وكان الربيع يحقد عليه ويبغضه لتكبره عليه وعدم اكترائه به ، واقسم الربيع على ان يعمل على عزل الوزير ، فأخذ يدس له عند الخليفة فأوغر صدره على ابن الوزير واتهمه بالزندقة ، حتى اذا اختبر الخليفة ابن الوزير في القرآن الكريم وأدرك جهله بالآيات القرآنية ، حجب الوزير عنه واضطر معاوية بن يسار الى اعتزال الوزارة ، ولزم داره حتى مات سنة ١٧٠ هـ (٤) .

ورأى الربيع أن يرشح للوزارة صديقاً حميماً له ، يثق فيه فكان يعقوب هو

(١) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٤٧ .

(٢) الفخري ص ١٦٦ .

(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٥٠ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١٤ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٣٧١ . علق الدكتور الدوري (المصر العباسي الأول ص ١٢١) على عزل معاوية بن يسار ، فقال : انها لبادرة خطيرة فسح فيها الخلفاء المجال لدوي الدسائس والسعايات ليلعبوا دوراً هاماً في تعيين الوزراء وعزلهم .

هذا الصديق فيقول صاحب الفخري (١) ايضاً ان الربيع دل المهدي على يعقوب لصداقة كانت بين الربيع وبينه ، وليتفقا على ازالة دولة أبي عميد الله معاوية الوزير .

ويجمع المؤرخون على ان يعقوب بن داود كان شيعياً على مذهب الزيدية وانه ولي رجالات من الشيعة كثيراً من الولايات والمناصب الكبرى (٢) . وروى الطبري ان يعقوب كان قبل توليه الوزارة يأمل في قيام دولة علوية فقال : « اظهر يعقوب مقالة الزيدية ودنا من آل الحسن وطمع في أن يكون لهم دولة فيعيش بها قبل توليته الوزارة (٣) ، ويبدو ان يعقوب كان على جانب كبير من الذكاء واللباقة والمهارة ، حتى انه استطاع ان يستحوذ على محبة وتقدير الخليفة المهدي له مما أدى الى ازدياد نفوذه وسلطانه في الدولة فيروي صاحب الفخري (٤) عن معاملة المهدي ليعقوب فقال : « فقربه وأدناه فصار يعرض عليه من قبل فاستخضه وكتب كتاباً بانه اخوه في الله تعالى واستوزره وفوض اليه الأمور كلها ، وسلم اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس ، حتى قال بشار يهجوهُ :

بني أمية هبوا طال نومكمم ان الخليفة يعقوب بن داود

وكلما ازداد نفوذ الوزير يعقوب بن داود ازداد عدد حساده الحاقدين عليه ، وقد وجدوا في ميول الوزير نحو الشيعة خير وسيلة للخلاص منه . ويبدو ان يعقوب لم يتخل عن اخلاصه لمبادئ الشيعة . وانه بدأ يسعى لانشاء دولة علوية ، كما اتضح لنا في رواية للطبري أشرنا اليها آنفاً .

(١) الفخري ص ١٦٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٣٧١ ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٢٢ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٥٧ ابن خلدون : البر ج ٣ ص ٤٤٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٨٢ .

(٤) الفخري ص ١٦٦ - قال الجهشيارى عن يعقوب « من أهل أدب وفهم » (الوزراء والكتاب ص ١٥٥) .

بدأت السعاية ببعقوب نتيجة ميله الى اسحاق بن الفضل وذهب الخاقدون على يعقوب انه يمهد الأمور ليتولى اسحاق الخلافة بدلا من المهدي وان ذلك من الأمور اليسيرة على يعقوب فقد أصبحت ولايات المشرق والمغرب في يده ويد أصحابه ، وانما يكفيه ان يكتب لهم فيثوروا جميعاً في وقت واحد ، ويتولى اسحاق الخلافة . وصدق المهدي هذه الوشايات ، ولم يزل مواليه يحرضونه عليه ويوحشونه منه حتى عزم على ازالة النعمة عنه(١) .

وحدث بعد ذلك ان طلب يعقوب من الخليفة المهدي ان يولي اسحاق بن الفضل حكم مصر مما أثار غضب المهدي وجعله يتأكد من صحة الوشايات . ثم دس المهدي الى وزيره جارية من جواريه ، وهبها له لتنقل اليه اخبار الوزير .

ثم أراد المهدي ان يختبر حقيقة ميول وزيره يعقوب الى العلويين ، فسلمه رجلا من العلويين لم تذكر المصادر التاريخية القديمة اسمه ، وقال المهدي لوزيره : هذا فلان بن فلان من ولد علي ، وأحب ان تكفيني مؤنته وترينحي منه . ووعده الوزير بتحقيق رغبته . فمنحه المهدي مائة ألف درهم . واستدعى الوزير الرجل العلوي الى مجلسه وسأله عن حاله ، فأخبره بها ، فوجده لبيباً شهماً ، وقال العلوي للوزير : ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله (٢) .

اطاق يعقوب سراح العلوي ، وأعطاه المائة ألف درهم التي كان الخليفة المهدي قد منحها له . ونقلت الجارية النبأ الى المهدي ، فبعث ببعض رجاله فقبضوا على العلوي . واستدعى المهدي وزيره اليه ، وسأله عن سجينه العلوي . فزعم انه مات فطلب منه ان يقسم : على ذلك ، فأقسم . وأمر المهدي باحضار

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٨٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ج ٣ ض ٧٧٧ .

(٢) الطبري : ج ٦ ص ٣٨٥ ، الفخري : ص ١٦٨ .

العلوي الى المجلس فلم يستطع يعقوب ان يدافع عن نفسه ، فأمر المهدي بسجنه في سجن مظلم ، فظل مسجوناً حتى اطلق هارون الرشيد سراحه ، وكان قد فقد بصره ثم أمر المهدي بعزل جميع أنصار يعقوب وولائه من الامصار الاسلامية ، وسجن بعض أهل بيته فكانت مدة وزارة يعقوب نحو خمس سنوات (١) .

واستفاد المهدي من موقف يعقوب بن داود درساً نافعاً ، فرأى ان يكون الوزير الجديد من صنائع العباسيين غير المعروفين بميولهم العلوية ، فولى الفيض ابن أبي صالح وهو من أهل نيسابور ، وكانوا نصارى فانتقلوا الى بني العباس وأسلموا وتربى الفيض في الدولة العباسية وتأدب وبرع (٢) واستمر الفيض يتولى الوزارة حتى مات المهدي ولم يستوزره أحد من الخلفاء بعده ، حتى مات في أول عهد هارون الرشيد سنة ١٧٣ هـ .

* * *

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٢٤ ، ٢٥ ، الفخري ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) الفخري : ص ١٦٩ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٦٤ .

٤- ثورة الحسين بن علي في عهد الخليفة الهادي

شهد عصر الخليفة العباسي الرابع موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) مأساة دامية من المآسي التي تنتهي بها حياة العلويين الذين خرجوا على الدولتين الأموية والعباسية . فقد قامت في عهد الهادي حركة أخرى من حركات الشيعة تزعمها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وانتهت هذه الحركة بمصرع الحسين في (فخ) قرب مكة ، وباراقة دماء كثيرة من دماء آله وشيعته .

وهذه الحركة العلوية الجديدة ، هي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية في العصر العباسي الأول . فقد كانت الزيدية - كما رأينا - أكثر نشاطاً وجرأة وطلباً للخلافة ، بينما مال أئمة الشيعة الامامية الى الامامة الروحية . وعاصر الامام جعفر الصادق حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، وحاول إثناءهما عن اعلان الثورة كما عاصر الامام موسى الكاظم حركة الحسين بن علي وحاول ايضاً صرفه عن القيام بهذه الحركة (١) .

شخصية الخليفة الهادي وأثرها في موقفه من العلويين :

واجه الخليفة المهدي صوراً لنشاط الشيعة والعلويين في عهده ، وقد واجه نشاطهم العدائي بجزم ، ولكنه لم يسرف في الاضطهاد او سفك الدماء ، فقد كان يعلم ان دماء العلويين هي خير وقود لنيران حركات الشيعة الثورية ،

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٣٠ .

وكانت طباع سجايا المهدي تنعكس دائماً على سياسته وتصرفاته . حتى اذا تغيرت شخصية الخليفة وتولى خليفة آخر ، تبدلت السياسة والاتجاهات . وفي الحقيقة كانت شخصية الهادي وطباعه ونفسيته هي التي بلورت سياسته نحو العلويين وشيعتهم ، وهي التي أدت الى حد كبير ، الى حركة شيعة جديدة .

كان موسى الهادي شخصية غريبة قلقة تجمع بين كثير من المتناقضات ، وكانت سياسته في فترة حكمه القصيرة صورة لأخلاقه ومزاجه الشخصي . وصف المسعودي (١) موسى الهادي ، فقال : « كان موسى قاسي القلب شرس الاخلاق ، صعب المرام كثير الأدب محباً له . وكان شديداً شجاعاً جواداً سخياً ، ووصفه ابن طباطبا (٢) فقال : كان الهادي متيقظاً غيوراً كريماً شاماً أبدأ ، شديد البطش جريء القلب ، مجتمع الحس ذا إقدام وعزم وحزم ، وتحدث السيوطي (٣) عن الهادي وقال : قال الذهبي : وكان يتناول السكر ويلعب ، ويركب حماراً فارهاً ، ولا يقيم ابنة الخلافة وكان مع ذلك فصيحاً قادراً على الكلام أدبياً تعلوه هيبة ، وله سطوة وشهامة . وقال غيره : كان جباراً وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة والقي الموترة فاتبعه عماله به في ذلك وكثر السلاح في عصره . ويبدو ان الهادي قد اكتسب هذه الصفات نتيجة قضائه أكثر ايامه في الغزو والحرب .

عمل المهدي على ان يعد ابنه موسى الهادي للخلافة ، كما اعده أبوه المنصور من قبل لهذا المنصب الخطير . وأراد المهدي أن يكون ابنه الهادي جديراً بأن يقدمه على عيسى بن موسى في ولاية العهد ، ولكن الهادي خيب ظن أبيه فيه فانصرف الى شرب الخمر ، وقضى معظم وقته مع الندماء مما أثار غضب المهدي عليه فبدأ يفكر في تقديم أخيه الاصغر هارون عليه في ولاية العهد ، لولا ان عاجلته منيته (٤) .

-
- (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٥ ، الفخري ص ١٧١ .
(٢) الفخري : ص ١٧١ .
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٧٩ .
(٤) الخربوطلي : المهدي العباسي ص ٢٤٨ .

هذه هي صورة للخليفة التي قامت ضده حركة شيعة كبرى، ولزى الطرف الآخر وهو زعيم الثورة الحسين بن علي . وقد وصفه صاحب الفخري (١) بقوله : « كان الحسين بن علي من رجال بني هاشم وسادتهم وفضلائهم ، وروى الاصفهاني (٢) كثيراً من الروايات توضح ما اتصف به الحسين من علم وتقوى وورع وكرم .

الحسين بن علي :

كانت أم الحسين هي زينب بنت عبد الله بن الحسن وهي شقيقة محمد النفس الزكية و ابراهيم اللذين ثارا في عهد الخليفة المنصور وقد شهدت زينب ما لحق بأبيها وإخوتها وأعمامها وزوجها . وقد قضت حياتها في حزن وبكاء ، فكانت دائماً تلبس المسوح ولا تجعل بين جسدها وبينها شعاراً حتى لحقت بالله عز وجل . وكانت تندبهم وتبكي حتى يغشى عليها (٣) ولا شك انه كان لهذه الأم المثكولة أكبر الاثر فيما انطبع في نفس ابنها الحسين لآل العباسيين حتى بات يتطلع الثأر لقتلى آل علي بن أبي طالب .

عاش الحسين بن علي في المدينة (٤) ، ونجح في ان يكسب محبة اهلها بكرمه وجوده . فروى الاصفهاني انه باع داراً له بأربعين الف دينار ففرقها كلها على فقراء المدينة في نفس اليوم وقبل ان يعود الى داره . كما روى الاصفهاني أيضاً انه اقترض أربعة آلاف درهم فأحسن بها على الفقراء ولما سأله سائل ، ولم يجد معه مالا يحسن به اليه نزل له عن ردائه (٥) .

(١) الفخري ص ١٧٢ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٣ .

(٤) كانت المدينة قد أصبحت مركزاً لكثير من آل البيت عامة والبيت العلوي خاصة واصبحوا موضع احترام وتقدير من أهالي الحجاز وقصدهم الحجاج الوافدون في موسم الحج (ابن طولون : الاثمة الاثنا عشر ص ٥٠) .

(٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٣٩ .

وكان الحسين يتردد على بغداد في عهد الخليفة المهدي ، بين وقت وآخر وحدث ان ثققلت على الحسين الديون نتيجة كرمه واحسانه فخرج الى بغداد قاصداً المهدي وأذن الخليفة للحسين بالدخول عليه على الفور ، حتى اذا دخل وثب المهدي فسلم عليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ، وجعل يسأله عن أهله ثم قال : يا بن عم ، ما جاء بك ؟ قال : ما جئت وورائي أحد يعطيني درهماً . فقال : أفلا كتبت لنا ؟ قال : أحببت ان احدث بك عهداً ومنح المهدي الحسين كثيراً من الدنانير والدراهم فأعطى الحسين دائنيه ديونهم مضاعفة ، ثم عاد الى المدينة خالي الوفاض (١) .

بدأ الصدام بين الخليفة الهادي وآل علي بن أبي طالب منذ توليه الخلافة فقد علم الهادي ان علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قد تزوج رقية بنت عمرو العثمانية ، وكانت احدى زوجات الخليفة المهدي . وغضب الهادي لذلك وبعث الى علي بن الحسين فاستدعاه ولامه ووبخه وقال له : أعياك النساء الا امرأة أمير المؤمنين ، فقال علي : « ما حرم الله خلقه الا نساء جدي صلى الله عليه وسلم ، فأما غيرهن فلا » فأمر الهادي بضربه خمسمائة سوط (٢) .

بوادر الثورة العلوية الجديدة :

بدأت بوادر حركة الحسين بن علي منذ تولية الهادي الخلافة فقد كان يلي حكم المدينة في عهد المهدي اسحاق بن عيسى بن علي . فلما توفي المهدي خرج اسحاق الى بغداد للقاء الخليفة الجديد ، وطلب منه اعفائه من منصبه فاستجاب الهادي لرغبته وولى بدله عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٣) .

(١) المصدر السابق ص ٤٤٠ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٤٣٣ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤١٠ ، الجهشيري : الوزراء والكتاب ص ٥٨ .

ولم يذكر المؤرخون سبب استعفاء هذا الوالي ، ولكننا نرجح انه أدرك ان العلويين لن يطول ركوبهم الى الهدوء بعد وفاة المهدي وان سياسة الرفق بالعلويين التي اتبعها المهدي قد آذنت بالنهاية اذ تولى الهادي وهو معروف ببطشه وقسوته .

وبدا الوالي الجديد ، عمر بن عبد العزيز سياسة اضطهاد وارهاب بالنسبة للعلويين وشيعتهم فحمل على الطالبين واساء اليهم وافرط في التحامل عليهم وطالبهم بالعرض كل يوم وكانوا يعرضون في المقصورة وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله بن الحسن والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن (١) .

وتبدو من هذه الرواية التي رواها الاصفهاني ان الوالي الجديد كان متحاملا على الحسن بن محمد حتى انه جعله في كفالة وضمان زعيمين علويين آخرين . وما لبث هذا الوالي ان اتهم الحسن بن محمد ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر بن الخطاب بشرب الخمر . فضرب الوالي الحسن ثمانين سوطاً ، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً ، وضرب مولى عمر سبعة اسواط ، ثم جعل في اعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة مكشوف في الظهر (٢) .

واحتجت جماعة الهاشمية التي كانت قد والت العباسيين خلال ثورة النفس الزكية على والي المدينة ، لما انزله بالعلويين قالت : لا وكرامة ، لا تشهر احداً من بني هاشم وتشنع عليهم وانت ظالم (٣) .

وخرج الحسين بن علي الى والي المدينة ، ينفي عن العلويين اتهامهم بشرب الخمر ، ويطلب من الوالي اطلاق سراحهم . ولكن الوالي لم يجب الحسين الى طلبه ، وسجن العلويين يوماً وليلة . وعاود الحسين محادثة الوالي في شأنهم فأطلق

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٣ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٤١٠ ، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٦ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٤ .

سراحهم على ان يتكفل الحسين بالحسن ويضمنه وان يقدم الحسين في كل يوم ليقف على أمره (١) .

وعهد والي المدينة لمولى من الانصار وهو أبو بكر بن عيسى الحائك ، مهمة تفقد العلويين في كل يوم . وحدث ان الحسن بن محمد كان قد تزوج مؤخراً فتغيب عن العرض اليومي ، ثلاثة أيام هي الاربعاء والخميس والجمعة وقدم العلويون الى مسجد المدينة يؤدون صلاة الجمعة حتى اذا انتهوا من أدائها حبسهم أبو بكر بن عيسى الحائك في المسجد حتى صلاة العصر ، ثم عرضهم ، ونادى اسماءهم ، فلم يجد الحسن بن محمد بينهم ، فسأل كفيله الحسن بن علي ويحيى ابن عبدالله بن الحسن عن الحسن وطلب منهما احضاره ، وهددهما بالسجن ، وكان قد قدم الى المدينة في هذا الوقت سبعون من الشيعة في انتظار بداية موسم الحج فاشتبكوا في جدال عنيف مع ابن الحائك ، كما تبادل يحيى بن عبد الله وابن الحائك السباب . وخرج ابن الحائك الى الوالي غاضباً ينقل اليه ما حدث في المسجد . واستدعى الوالي الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله فوبخهما وهددهما (٢) .

كان الحوار الذي دار في مجلس والي المدينة هو الشرارة التي أدت الى اندلاع ثورة الحسين بن علي (٣) ، فقد كتم الحسين غيظه وأراد ان يخفف من ثورة الوالي ، فقال له : أنت مغضب يا أبا حفص ؟ فأبدى الوالي غضبه وقال للحسين : أمهزأبي وتخاطبني بكنتي ؟ فقال الحسين : قد كان أبو بكر وعمر ، وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك ، وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية ، وازداد غضب الوالي فقال : آخر قولك شر من أوله ، فقال الحسين : معاذ الله يأبى الله ، لي ذلك ومن أنا منه؟ فقال الوالي أفأنا ادخلتك

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤ .

(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤١١ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٧ .

الى لتفاخرني وتؤذيني ؟ وتدخل يحيى بن عبدالله في الحديث ، فصاح غاضباً :
فما تريد منا ؟ فأجاب الوالي : أريد أت تأتياني بالحسن بن محمد ، فقال يحيى
ساخراً من الوالي : لا تقدر عليه ، هو في بعض ما يكون في الناس فابعث الى
آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعنا ثم اعرضهم رجلاً رجلاً فان لم تجد
فيهم من قد غاب اكثر من غيبة الحسن عنك فقد انصفتنا .

واستمرت ثورة غضب والي المدينة ، عمر بن عبد العزيز ، وأقسم على ان
يحرق دار الحسين ويخربها ويضربه الف سوط ، ان لم يحضر الحسن اليه في يوم
وليلة ، كما اقسم ان يقتل الحسن اذا وقعت عيناه عليه .

بعث الحسين بن علي ، الى الحسن بن محمد يخبره بما ينتظره على يد الوالي
وطلب منه النجاة بنفسه . ولكن الحسن قال : لا والله يا بن عمي . بل أجيء
معلك الساعة حتى اضع يدي في يده . فقال الحسين له : ما كان الله ليطلع علي
وأنا مقبل الى محمد صلى الله عليه وآله ، وهو خصمي وحجيجي في دمك ،
ولكن اقيسك بنفسي لعل الله يقيني من النار (١) .

الثورة :

وبدأت الثورة منذ تلك الليلة التي شهدت ذلك اللقاء بين والي المدينة والزعيمين
العلويين . وقدم الى دار الحسين ستة وعشرون من آل علي بن أبي طالب ،
وفي مقدمتهم يحيى وسليمان وادريس ، ابناء عبدالله بن الحسن (٢) ، وبعثوا
في استقدام فتيان من فتيانهم ومواليهم ، كما قدم عليهم عشرة من الحجاج الشيعة
الذين أشرنا الى قدومهم من الكوفة الى المدينة لاداء فريضة الحج .

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ، الفخري ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) قدم أيضاً عبد الله بن الحسن الافطس و ابراهيم بن اسماعيل طباطبا وعمر بن الحسن بن علي
ابن الحسن بن الحسين بن الحسن وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي
وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي .

استمر الاجتماع طوال الليل حتى اذا قرب من آخره خرج يحيى بن عبدالله في نفر منهم الى دار مروان وهي دار الامارة ، فلم يجد الوالي عمر بن عبد العزيز بها فاتجهوا الى دار عبدالله بن عمر فلم يجد الوالي بها أيضاً فقد كان قد علم باجتماع العلويين ، فأسرع الى الاختفاء (١) .

خرج الجميع الى مسجد المدينة قبيل الفجر ، وترددت صيحاتهم داخل المسجد (احد ، احد) وأمروا المؤذن بأن يؤذن بأذان الشيعة وهو حي على خير العمل (٢) ، وجلس الحسين على المنبر وعليه عمامة بيضاء وجعل الناس يأتون المسجد ، فاذا رأوهم رجعوا ولا يصلون ، فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرضى من آل محمد (٣) .

خطب الحسين بن علي في الناس فقال ، بعد أن حمد الله واثني عليه : انسا ابن رسول الله على منبر رسول الله ، وفي حرم رسول الله ادعوكم الى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله . أيها الناس : اتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود ، وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه (٤) .

وأقبل الناس على بيعة الحسين وهذا هو نص البيعة : أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله ، وعلى ان يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم الى الرضا من آل محمد وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى ان تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا وان نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم (٥) .

-
- (١) الطبري ج ٦ ص ٤١١ .
 - (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٦ - واللون الأبيض هو شعار العلويين .
 - (٣) الطبري ج ٦ ص ٤١١ - ٤١٢ .
 - (٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٨ ، الفخري ص ١٧٣ .
 - (٥) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ١٣٧ ، مقاتل الطالبين ص ٤٥٠ الفخري ص ١٧٣ .

وتقدمت فرقة من الجند العباسيين تتألف من مائتي جندي ، بقيادة خالد البربري وكان يتولى الصواني بالمدينة وتشجع والي المدينة عمر بن عبد العزيز فظهر بعد ان كان قد اختفى ، وانضم الى خالد البربري واتجهوا جميعاً نحو أحد ابواب المسجد وهو باب جبرائيل واقتحموا الرحبة شاهرين سيوفهم ، واتجه خالد نحو الحسين وهو يصيح في وجهه « قتلني الله ان لم اقتلك » واعترض يحيى ابن عبد الله طريق خالد لمنعته من الوصول الى الحسين ، وضربه يحيى بسيفه على انفه فقطعها وسالت دماؤه على وجهه وأراد خالد الاستمرار في المقاومة ، فضربه ادريس بسيفه ضربة قضت على حياته وارتاع اصحابه فحملوا جثته واسرعوا بالانسحاب . ثم هاجم الثوار بيت مال المدينة ، واستولوا على نحو سبعين الف دينار (١) .

وفي اليوم التالي وهو يوم السبت ، احتشد جماعة من أنصار العباسيين وكانوا يطلقون على انفسهم (المسودة) وواجههم شيعة العلويين (المبيضة) وتقاتل الفريقان فيما بين رحبة دار الفضل والزوراء ، وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً فاقتتلوا الى الظهر ثم افترقوا (٢) .

تولى امارة الحج في هذه السنة مبارك التركي ، فبدأ بزيارة المدينة ، وعلم هناك بأمر حركة الحسين فبعث في طلبه ليلاً ، وقال له : إني والله ما أحب ان تبثلي بي ولا أبتلى بك فابعث الليلة الى نفر من اصحابك ولو عشرة بيتون (٣) عسكري حتى انهزم واعتل بالبيانات ونفذ الحسين الخطة المرسومة فقدم عشرة من أصحابه الى معسكر مبارك فتظاهروا بالهجوم ليلاً عليه وأخذوا يصيحون ويتوعدون وتظاهروا مبارك أيضاً بالانسحاب الى مكة من فوره (٤) .

- (١) الطبري ج ٦ ص ٤١٢ - الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٨ .
- (٢) الطبري : ج ٦ ص ٤١٢ .
- (٣) بيتون : اي يهاجمون ليلاً .
- (٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٩ .

قضى الحسين وأصحابه أياماً يتجهزون للرحيل الى مكة فكان مقامهم بالمدينة منذ أعلن الثورة احد عشر يوماً ثم خرج الحسين الى مكة يوم ٢٤ من ذي القعدة سنة ٢٦٩ هـ في اهله ومواليه واصحابه فيبلغ عددهم ثلثمائة نفر واستخلف على المدينة دينار الخزاعي (١) .

الشهيد :

علم الهادي بنياً حركة الحسين بن علي ، فقد كتب اليه بأخبارها جماعة من أهل بيته ممن ادوا فريضة الحج في هذه السنة ومنهم محمد بن سليمان بن علي ، والعباس بن علي واقترح البعض على الهادي ان يعهد بأمر القتال الى عمه العباس بن محمد ، فرفض هذا الاقتراح وقال : « لا والله لا أخدع عن ملكي » وبعث الهادي بكتاب الى محمد بن سليمان يعهد فيه اليه بالقضاء على حركة الشيعة وكان محمد بن سليمان « في عدة من السلاح والرجال لأن الطريق كان مخيفاً معوراً من الاعراب (٢) » .

وتوافدت الكتب على موسى بن علي بن موسى ، والعباس بن محمد بن سليمان فخرجوا باصحابهم وانضموا الى محمد بن سليمان وعسكروا جميعاً في ذي طوى (٣) ، فانضم اليهم من وافي في تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم ، وكان الناس اختلفوا في تلك السنة في الحج وكثروا جداً (٤) وارسل الحسين بعض رسله للاتصال بعبيد مكة لينضموا اليه ووعدهم بتحريرهم ، فقدم عليه كثير منهم وانضموا الى اتباعه الآخرين (٥) .

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٧ .

(٢) معورا من الاعراب : اي معرضاً لهجوم البدو .

(٣) تقع (ذي طوى) على مقربة من مكة .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٤١٣ - ٤١٤ .

(٥) نادى رسل الحسين في مكة « ايا عبد أتانا فهو حر » - الطبري ج ٦ ص ٤١٤ .

نظم العباسيون قواتهم فقاد محمد بن سليمان ميمنة الجيش ، وقاد العباس بن محمد وموسى بن عيسى الميسرة ، وقاد معاذ بن مسلم قلب الجيش ، وبلغ عدد الجند العباسيين اربعة آلاف فارس وقبل طلوع الفجر قدم الحسين بن علي في اصحابه وشيعته واصبحت القوتان في مواجهة بعضهما عند (فخ) (١) واصبح الصدام وشيكاً(٢) .

ولما رأى الحسين بن علي الجند العباسيين اقعده رجلا من اصحابه علي جمل يحمل سيفاً يلوح به وأخذ الحسين يملي عليه بعض العبارات فينادي بها فصاح : « يا معشر الناس يا معشر المسودة هذا الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه يدعوكم الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله » (٣) ، ولكن هذه المقالة لم تجد من العباسيين شيئاً .

ودارت معركة رهيبة عند فخ ، قاتل فيها الحسين بن علي حتى استشهد(٤) ثم احتز العباسيون رأس الحسين ورؤوس اصحابه وبلغ عدد الرؤوس اكثر من مائة رأس ، وقدموا بها الى قواد الجيش العباسي ، وكان عندهم جماعة من ولد الحسن والحسين ، وسأل العباسيون موسى بن جعفر ان يشير الى رأس الحسين فأشار الى رأسه وقال : « انا لله وانا اليه راجعون ، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في أهل بيته مثله(٥) . وظلت جثث القتلى ثلاثة ايام دون ان توارى حتى اكلتها الحيوانات الضارية والطيور الجارحة(٦) .

-
- (١) تقع فخ على بعد ستة أميال من مكة .
 - (٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٣٦ .
 - (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٩ .
 - (٤) عرض العباسيون على الحسين الامان فلم يقبله وأستمر يقاتل حتى لقي حتفه وكان مصرعه على يد حماد التركي فقد رماه بهم فقتله وكافأه محمد بن سليمان بأن منحه مائة الف درهم ومائة ثوب (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٥١) .
 - (٥) مقاتل الطالبين ص ٤٥٣ ، الفخري ص ١٧٤ .
 - (٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٦ .

نجا بعض اصحاب الحسين بن علي بأنفسهم واختلطوا بالحجاج الذين قدموا الى مكة فلم يستطع العباسيون التوصل اليهم . ووقع بعض اصحاب الحسين في الاسر ، ومنهم اخته فاحتجزوها في بيت زينب بنت سليمان (١) . وأقدم العباسيون على قتل الأسرى من آل علي بن أبي طالب ، ومنهم سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي والحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وأخذ الامان لعبد الله بن الحسن بن علي وللحسن بن علي ، فحبسا عند جعفر البرمكي وقتلا بعد ذلك (٢) . وقدم موسى بن عيسى الى بغداد بستة من الاسرى منهم اربعة من أهل الكوفة . فطلب الخليفة الهادي من موسى ان يمثل الاسرى بين يديه فطلب موسى من الخليفة ان يعفو عنهم اذ قد تعهد لهم بذلك وأمنهم على أنفسهم . فأمر الهادي بقتل أسيرين منهم وعفا عن الباقيين . وشفع موسى لأحد هؤلاء فقال للخليفة : يا أمير المؤمنين ، هذا أعلم الناس بآل أبي طالب فان استبقته ذلك على كل بغيه لك . وأمر الخليفة بمصادرة أموال مبارك التركي لتساهله مع الحسين بن علي وعزله عن منصبه ، وجعله من ساسة الدواب كما أبدى الخليفة غضبه على موسى بن عيسى لاقدامه على قتل الحسن بن محمد وأمر بمصادرة أمواله (٣) .

روى المسعودي (٤) وصاحب الفخري (٥) ان الخليفة الهادي أبدى حزنه لمقتل الحسين بن علي ، وانزل سخطه على الذين دخلوا عليه مستبشرين وهم يحملون رأس الشهيد ، فقال لهم : ايتيموني مستبشرين كأنكم ايتيموني برأس

(١) الطبري ج ٦ ص ٤١٥ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ .

(٣) الطبري : ج ٦ ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(٤) مروج الذهب : ج ٣ ص ٣٣٧ .

(٥) الفخري : ص ١٧٣ .

رجل من الترك او الديلم انه رجل من عرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
الا ان اقل جزائكم عندي الا اثيبكم شيئاً .

وهكذا ذرف الهادي ، كما روى المؤرخان الدموع على الحسين بن علي ،
وبالأمس أبدى الخليفة المنصور ألمه وحزنه لمقتل محمد النفس الزكية . فهل كان
الخليفتان صادقين في مشاعرهما وحزنهما ؟ أم أنهما ، وقد أدركا ان الامر قد
انتهى لصالحهما لم يجدا بأساً في التظاهر بالحزن والأسى ، حتى لا يظهر ا بمظنر
الشامتين في اعدائهما القاطعين لصلة الرحم التي تربطهم بأبناء عمومتهم العلويين .
أم أراد الخليفتان تسكين الخواطر الحزينة وتهذئة النفوس الثائرة ؟ وللإجابة عن
هذه التساؤلات نقول ان الله وحده عز وجل اعلم بالسرائر والضمائر ، ولكننا
نعتقد ان الهادي قد أزداد ان يخفف من ثورة وسخط المسلمين عاياه اذ اغضبهم
مصرع حفيد للرسول ولعلي بن أبي طالب . ونرى هذا واضحاً فيما سبق ان اشرنا
اليه فقد صادر الهادي أموال موسى بن عيسى لأنه أقدم على قتل الحسن بن
محمد ، رغم ما أبداه موسى من اخلاص للخليفة ومن استبسال في القتال . ولا
نعتقد ان الهادي كان رقيق الاحساس مرهف الشعور بحيث يتألم لمقتل رجل
يعتبره خصماً قوياً وعدواً لدوداً له . والمؤرخون جميعاً يجمعون على وصف
الهادي بالقسوة والغلظة وقد اتضحت هذه الطباع في معاملته لعامة الناس وخصتهم
بل لأمه الخيزران (١) .

وعلم والي المدينة عمر بن عبد العزيز بمصير الحسين بن علي وأصحابه ،

(١) كان الهادي يبدي غيرة شديدة على أمه الخيزران وينهاها عن لقاء طلاب الحاجات الذين
يقصدونها لتتوسط لدى ابنها الخليفة لقضائها ويتهم بعض المؤرخين الخيزران بأنها دبرت
مقتل ابنها الهادي حينما اشتد في معاملتها (الطبري ج ٦ ص ٤٢٣ ، المسعودي : مروج
الذهب ج ٣ ص ٣٢٤) .

فأراد ان ينفس عن احقاده وسخطه فأحرق دور الحسين وأهله وصادر أموالهم واستولى على نخلهم وضمها الى بيت المال(١) .

وانسدل الستار على مأساة أخرى تضاف الى مآسي مقاتل الطالبين وانتهت حركة الحسين بن علي وشيعته بالاخفاق وشهدت ضواحي مكة اراقه دماء علوية أخرى مثلما شهدت المدينة بالأمس اراقه دماء محمد النفس الزكية .

فلسفة أحداث الثورة :

هل كانت حركة الحسين بن علي حركة قامت نتيجة خطة مرسومة وتنظيم دقيق سابق لاعلان الثورة ؟

— وهل كان الحسين ينوي اعلان الثورة وانه اتخذ للأمر عدته ؟

— أم قامت الثورة نتيجة ظروف معينة وخضعت في ظهورها لتطور الأحداث تطوراً سريعاً ؟

— وهل كانت سياسة والي المدينة نحو العلويين واضطهاده لهم واستفزازه لمشاعرهم هو العامل الرئيسي في قيام هذه الحركة ؟

يرى بعض المؤرخين ان الحسن بن علي كان ينوي الخروج على المهدي واعلان الثورة قبل ذلك الحدث الذي كان بين العلويين ووالي المدينة عمر بن عبد العزيز وان ذلك النزاع الذي قام بين الفريقين هو الذي عجل بظهور الثورة.

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٥٢ ، الفخري ص ١٧٤ — وهذه هي الحلقة الثانية من حلقات (المصادرات العباسية) ، وقد كانت الحلقة الأولى في عهد المنصور حين صادر أموال وممتلكات آل عبد الله بن الحسن بعد ثورة محمد النفس الزكية .

فجاء في حديث الطبري (١) عن حركة الحسين بن علي « وكانوا قد تواعدوا علي ان يخرجوا بمني او مكة في الموسم (٢) فيما ذكروا .. » وذكر صاحب الفخري (٣) هذا الرأي بأكثر صراحة ووضوحاً من الطبري فقال : كان الحسين ابن علي من رجال بني هاشم وسادتهم وفضلائهم وكان قد عزم على الخروج واتفق معه جماعة من اعيان اهل بيته ، ثم وقع من عامل المدينة لبعض آل علي عليه السلام ، فثار آل ابي طالب بسبب ذلك واجتمع اليهم ناس كثيرون .

وإذا اخذنا برأي هذين المؤرخين فعلينا ان نجزم بأن الثورة كانت مبيتة وأمرها مقضياً وان اضطهاد والي المدينة لآل علي كانت نقطة الانطلاق او ساعة الصفر بلغة عصرنا هذا . ولكننا نرى انه من العسير تأكيد هذا الرأي اذ لم تمدنا المصادر القديمة بأخبار الاعداد والتجهيز لهذه الثورة وهو ما لمسناه واضعاً في اخبار ثورة محمد النفس الزكية و ابراهيم في هذه المصادر . فقد تحدثت هذه المصادر كما رأينا عن تشجيع عبدالله بن الحسن ابنه محمد النفس الزكية على المطالبة بالخلافة (٤) وتحمله الأذى والسجن في سبيل الحيلولة دون وصول أيدي المنصور الى ابنه (٥) . كما رأينا محمداً يبعث بدعائه الى الامصار المختلفة وشهدنا جهود ابراهيم في نشر الدعوة في البصرة والأهواز وفارس (٦) .

أعلن الحسين بن علي ثورته في ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ وكان الهادي قد تولى الخلافة في اواخر المحرم من هذه السنة . وقد اهتم الطبري (٧) بالاشارة الى الفترة ما بين تولية الهادي الخلافة وخروج الحسين فقال انها تسعة اشهر وثمانية

-
- (١) الطبري : ج ٦ ص ٤١١ .
 - (٢) الموسم : اي موسم الحج ، وكان مصرع الحسين بن علي في يوم التروية .
 - (٣) الفخري : ص ١٧٢ .
 - (٤) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧١ .
 - (٥) ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٣٧٠ .
 - (٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .
 - (٧) الطبري ج ٦ ص ٤٠١ .

عشر يوماً ، وهي فترة قصيرة لا تكفي للاعداد لثورة علوية شيعية نقضي على خلافة عباسية نجحت في توطيد اركانها ، وتثبيت اقدمها في أرجاء العالم الاسلامي وخاصة ان المصادر القديمة لم تشر اطلاقاً الى تهيئة العلويين للثورة في عصر المهدي وقد شهدنا الرقابة المحكمة التي فرضها على العلويين سواء من اقام منهم في بغداد او في المدينة ، كما أشرنا الى قيام ولاته وعمال يريده بالمدينة بتفقد نشاط العلويين وتحركاتهم مما لم يوجد مجالاً لأي اعداد لحركة شيعية .

ولذا يمكننا ان نقف موقفاً وسطاً فنقول ان الحسين بن علي كان مثله مثل سائر آل علي بن أبي طالب يتطلع الى الخلافة ويعتقد ان العباسيين قد اغتصبوا حقهم المشروع فيها ، وانه كان لا بأس لديه من ان يعلن الثورة اذا واتته الظروف وكان النزاع بينه وبين والي المدينة هو الذي هياً له تلك الظروف . ولكنا نقول أيضاً ان الحسين بن علي لم يهتم بتنظيم دعوته ولم يبعث دعائه الى الامصار ، ولم يهيء من القوات المسلحة ما يمكنه من مواجهة الجيوش ، كما نقول انه تعجل باعلان الثورة قبل توفر امكانيات النجاح لها مما مكن العباسيين من القضاء عليها في سهولة ويسر .

ويتضح ذلك في رواية للطبري (١) ، فقد تحدث عن قدوم محمد بن سليمان على رأس عدد كبير من الجند العباسيين ثم قال : ولم يحتشد لهم حسين فأثابه خبرهم فهم بصوبه ، فخرج بخدمه واخوانه وتحدث الاصفهاني (٢) عن انضمام الى الحسين حينما اعلن الثورة في المدينة فقال : « ووجهوا الى فتيان من فتيانهم ومواليهم ، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي ، وعشرة من الحجاج ونقر من الموالي (٣) . ولذا لم تستطع جماعة الحسين بن علي الصمود

(١) الطبري : ج ٦ ص ٤١٤ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٤٦ .

(٣) لا شك ان انضمام العبيد الى الحسين بن علي قد أثار مخاوف أسيادهم الذين اغضبهم هذه الحركة لتحرير الرقيق وان لم يكن من اهداف حركة الحسين هذا التحرير فقد كانت طبقة الرقيق من عناصر المجتمع العباسي .

طويلاً امام القوات العباسية الكثيرة العدد المزودة بالسلاح الوفير ، ونجح العباسيون بعد معركة قصيرة محدودة في قتل الحسين ومعظم اصحابه .

وصف الطبري (١) الجيش العباسي فقال : قدم محمد بن سليمان قدامه تسعون حافراً ، ما بين فرس الى بغل وهو على نجيب عظيم وخلفه اربعون راكباً على النجائب عليها الرجال وخلفهم ما بين راكب على الحمير سوى من كان معهم من الرجاله وغيرهم وكثروا في أعين الناس جداً وملئوا فظنوا انها اضعافهم .

ومن عوامل اخفاق حركة الحسين بن علي أيضاً امتناع بعض أهل المدينة عن الانضمام الى حركته ووقوف بعضهم موقفاً عدائياً منه ، كما نستنتج من رواية للطبري ان بعض أهل المدينة لم يرضوا عن اتخاذ الحسين المسجد النبوي مركزاً لثورته وخاصة ان أصحاب الحسين لم يحترموا حرمة هذا المكان المقدس الطاهر (٢) .

ويبدو امتناع بعض أهل المدينة من مناصرة الحسين في تلك العبارة التي قالها لهم : أيا الناس اتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود ، وتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه (٣) .

وتحدث الطبري (٤) ايضاً عن امتناع بعض اهالي المدينة عن الخروج مع الحسين بن علي رغم وعودهم السابقة فقال : ان الحسين بن علي بن حسن بن حسن قال يومئذ في قوم لم يخرجوا معه ، وكان قد وعدوه ان يوافوه فتخلفوا عنه متمثلاً :

- (١) الطبري : ج ٦ ص ٤١٣ - ٤١٤ .
- (٢) روى الطبري (ج ٦ ص ٤١٣) أن اتباع الحسين كانوا يأكلون في المسجد النبوي ويتركون فيه فضلات طعامهم ، كما استولى بعضهم على ستور المسجد ، مما أثار مشاعر أهل المدينة .
- (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٨ .
- (٤) الطبري : ج ٦ ص ٤١٩ .

من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجيبا موتاً على عجل او عاش منتصفا
لا تقربوا السهل ان السهل يفسدكم لن تدركوا المجد حتى تضربوا عنقا
وامتنع ايضاً بعض زعماء العلويين عن الخروج مع الحسين وفي مقدمتهم
الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن وموسى بن جعفر بن محمد . وقد جاء
موسى الى الحسين فقال له : أحب ان تجعلني في سعة وحل من تخلفني عنك
فأطرق الحسين طويلاً لا يجيبه ، ثم رفع رأسه اليه فقال : انت في سعة .

وعند تهيؤ الحسين لمغادرة المدينة ، طاب الحسين من موسى بن جعفر ان
يضاغبه الى المدينة فأبى موسى ذلك ، وحذره من تظاهر القوم بمناصرته فقال :
انك مقتول بأحد السيوف فان القوم فساق يظهرون ايماناً ويضمرون نفاقاً
وشركاً ، فانا لله وانا اليه راجعون وعند الله عز وجل احتسبكم من عصابة (١).

ومن عوامل اخفاق حركة الحسين بن علي امتناع وجوه مكة عن تأييد
الحركة لتشجيع اصحاب الحسين الرقيق على الفرار من اسيادهم . فروى
الطبري (٢) ونادى اصحاب الحسين بمكة : أيما عبد أتانا فهو حر . فأتاه العبيد
وقال أحد وجوه مكة للحسين : عمدت الى ممالك لم تملكهم فأعتقتهم بم تحتل
ذلك (٣) .

وكان قيام حركة الحسين بن علي في موسم الحج من عوامل اخفاقها ،
فالهادي لم يبعث له يحوش نظامية كبيرة العدد من العراق . انما اكتفى بالجند
والحراس الذين كانوا يرافقون وجوه العباسيين الذين رحلوا الى الحجاز لاداء

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٤٧ .

(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤١٣ .

(٣) كان في مكة بقايا الاحابيش ، الى جانب الرقيق الذين يجلبهم النخاسون وكان بعض الرقيق
جنوداً في جيش الولاية ، وقد استخدمهم والي المدينة رباح بن عثمان في البحث عن محمد
النفس الزكية (الاصفهاني : الاغاني ج ٢ ص ٣٣٨ ، الصولي : ثمرات الأوزاق ج ١
ص ٢٣٨ ، المهودي : وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ج ٢ ص ١٩٧) .

فريضة الحج . وقد كانت قوافل الحجاج تخرج في حراسة عدد من الجند المسلمين لحمايتها من هجوم قطاع الطرق من البدو والاعراب وقد استعان الهادي بهؤلاء الجند في القضاء على حركة الحسين . ولو لم تقم حركة الحسين في موسم الحج ، لاضطر الحسين الى انفاذ جيوشه من العراق ولأصبح لدى الحسين متسع من الوقت يحشد فيه أصحابه ويوفر لهم الاسلحة وينظم صفوفه . بل ان الجند العباسيين قد بادروه وهو في طريقه من المدينة الى مكة وقاتلوه في منطقة عراء مكشوفة ومنعوا كل معونة قد يقدمها له اهالي مكة . كما قامت الثورة في شهر ذي القعدة ، وهي من الشهور الحرام التي يجد المسلمون حرجاً في القتال فيها ، كما ان موسم الحج هو الموسم الذي يعتمد عليه غالبية اهل الحجاز في معاشهم ومواردهم الاقتصادية ، حيث يقدم آلاف الحجاج من مشارق الارض ومغاربها ولذا انصرف كثير من أهالي مكة والمدينة الى اعمالهم وتجارهم وكسب عيشتهم وقد كان من عوامل اخفاق حركة عبدالله بن الزبير ايضاً في عهد الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لابن الزبير في مكة في موسم الحج (١) ، والتاريخ دائماً يعيد نفسه وان اختلفت الصور والتفاصيل .

وانتهت صفحة اخرى من صفحات حركات الشيعة في العصر الاسلامي لتبدأ صفحة جديدة اخرى تقص علينا انباء حركة شيعية اخرى قام بها يحيى وادريس ابنا عبد الله في عهد الخليفة هارون الرشيد .

* * *

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ١٤٦ .

الباب الرابع

جهاد الشيعة في عهد هارون الرشيد

- ١ - حركتا يحيى وادريس ابني عبدالله في عهد الخليفة هارون الرشيد .
- ٢ - سياسة الرشيد نحو الشيعة والامام موسى الكاظم .
- ٣ - موقف البرامكة من العلويين والشيعة .

١ - حركتا يحيى وادريس ابني عبدالله

في عهد الخليفة هارون الرشيد

شهد عهد الخليفة هارون الرشيد ايضاً حركتين شيعيتين قام بهما اخوان هما يحيى وادريس ابنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقام محمد بجرسته في المشرق ، بينما ثارت حركة ادريس في بلاد المغرب ، والاخوان هما شقيقا محمد النفس الزكية و ابراهيم اللذين اعلنا ثورتهم في عهد الخليفة المنصور ، وسالت دماؤهما في المدينة والبصرة .

انتهت حياة الخليفة الهادي سريعاً ، بعد شهور قليلة من مأساة فخ واستشهاد الحسين بن علي ، فارتاحت نفوس الشيعة بنهاية عهد هذا الخليفة الذي اشهر بالغاظة والقسوة . كما بدت بوادر طمأنينتهم اذ تولى الخلافة هارون الرشيد ، وقد اشتهر في عهدي المهدي والهادي بسماحة الخلق ورقة الطباع حتى ان أباه المهدي كان قد شرع في تقديمه على الهادي في ولاية العهد لولا ان عاجلته الوفاة (١).

موقف الخليفة الخليل من العلويين :

انتهج الرشيد سياسة جديدة نحو العلويين (٢) . فقد رأى مسالمتهم والاحسان

(١) وصف صاحب الفخري (ص ١٧٤ - ١٧٥) الخليفة هارون الرشيد فقال عنه : كان الرشيد من افاضل الخلفاء وفصحائهم وعلماهم وكرمائهم كان يحج سنة ويغزو سنة كذلك مدة خلافته الا سنين قليلة . وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة وحج ماشياً ولم يحج خليفة ماشياً غيره ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وابناؤهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابقة والكسوة الظاهرة .

(٢) أوصى المهدي ابنه هارون الرشيد خيراً بأهل الحرمين وآل بيت الرسول (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٨٣) .

اليهم وشجعه وزيره جعفر بن يحيى البرمكي على انتهاج هذه السياسة وتحقيقاً لهذه السياسة فقد أمر بالافراج عن الطالبين المسجونين في بغداد ، وسمح لهم بالعودة الى المدينة (١) . وتم الافراج عنهم جميعاً عدا احدهم هو العباس بن الحسن بن عبدالله بن علي بن أبي طالب (٢) وقد لاقت هذه السياسة الحكيمة استحساناً وثناء من جماعات كثيرة من الناس تمثل جانباً هاماً من جوانب الرأي العام .

وأمر الخليفة هارون الرشيد أيضاً بعزل عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة الذي اضطهد العلويين ، وكانت سياسته سبب انفجار ثورة الحسين بن علي . وقد شهدنا هذا الرالي بعد موقعة فخ يخرب دور العلوية ويقطع نخلهم ويصادر اموالهم (٣) .

وقرت عيون الشيعة لما لحق بمحمد بن سليمان الذي قاد الجيوش العباسية التي قضت على حركة الحسين بن علي في موقعة (فخ) سنة ١٦٩ هـ فقد مات سنة ١٧٣ هـ ، وصادر الرشيد كل املاكه وبلغت الاموال المصادرة ستين مليون درهم وزعها الرشيد على الندماء والمغنين ، كما اصطفى الرشيد ضياعه بالأهواز (٤) .

عاد المسجونون من آل ابي طالب من بغداد الى المدينة المنورة (٥) ، ولكن كان هناك اخوان علويان قد نجوا من القتل في موقعة فخ واصبحا بمنجاة من قبضة العباسيين وهما يحيى وادريس ابنا عبدالله بن الحسن .

(١) الطبري ج ٦ ص ٤٤٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٨٥ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٤٤ ، الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٥٥ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٤٤٦ .

(٥) وكانت المدينة المنورة قد اصبحت نقرأ لآل علي بن أبي طالب .

يحيى بن عبد الله :

وصف الاصفهاني (١) يحيى بن عبد الله فقال عنه : وكان حسن المذهب والمهدي مقدماً في اهل بيته بعيداً عما يعاب على مثله ، وقد روى الحديث كما روى الاصفهاني ايضاً ان يحيى كان موضع تقدير الامام مالك بن انس ، فكان الامام يقوم له عن مجلسه ويجلسه بجانبه (٢) .

بعد موقعة فخ توارى يحيى عن الانظار وظل ينتقل بين كثير من البلاد ، حتى استقر في بلاد الديلم . وروى الاصفهاني (٣) ان الفضل بن يحيى البرمكي كان عالماً بموضع يحيى بن عبد الله وانه أحسن معاملته وأمنه على نفسه ، فروى : ان يحيى بن عبد الله بن الحسن لما قتل اصحاب فخ كان في قبلمهم فاستتر مدة يحول في البلدان ويطلب موضعاً يلجأ اليه وعلم الفضل بن يحيى بمكانه في بعض النواحي . فأمره بالانتقال عنه وقصد الديلم وكتب له منشوراً الا يتعرض له احد .

ظهر يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم حيث كثر انصاره وقدم اليه كثير من الانصار من المناطق المجاورة (٤) وقد نتساءل : لماذا اختار يحيى بن عبد الله بلاد الديلم لتكون مركزاً لحركته ؟ ويوضح الاصفهاني سبب ذلك فيروي ان رجلاً توجه الى يحيى بالسؤال فقال : كيف تغيرت الدخول الى الديلم من بين النواحي ؟ فأجاب يحيى : ان للديلم معنا خرجة فطمعت ان تكون معي (٥) .

-
- (١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٦٣ .
 - (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٨٤ - كان الامام جعفر الصادق من أساتذة يحيى بن عبد الله رغم اختلافهما في المذهب والتعاليم (ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢) .
 - (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٦٥ .
 - (٤) الفخري ص ١٧٦ .
 - (٥) الطبري ج ٦ ص ٤٥٠ .

علم هارون الرشيد بنشاط الزعيم العلوي فقد قدم عليه رجل وطلب منه ان يختلي به ليتحدث معه في امر من اسرار الخلافة ثم نقل اليه صورة لدعوة يحيى فقال : كنت في خان من خانات خلوان ، فاذا انا بيحيى بن عبدالله في دراعة صوف غليظة وكساء صوف احمر غليظ ، ومعه جماعة ينزلون اذا نزل ويرتحلون اذا رحل ويكونون معه ناحية فيوهمون من رآهم انهم لا يعرفونه وهم اعوانه مع كل واحد منهم منشور بياض يؤمن به ان عرض له . ومنح الرشيد هذا الرجل الف دينار مكافأة له (١) .

رأى الخليفة الرشيد ان يقف من دعوة يحيى موقفاً حازماً واستشار يحيى بن خالد البرمكي في امر هذا العلوي فأشار عليه بانفاذ ابنه الفضل لقتاله او ارغامه على طاعة الخليفة . ويروي الجهشيارى (٢) ان يحيى البرمكي زود الزعيم العلوي بكثير من الاموال حتى تستفحل دعوته ، ويظهر أمره فيضطر الخليفة الى توجيه اهتمامه اليه فعهد الى ابنه الفضل بأمره ، مما يرفع من مكانة الفضل عند الخليفة وكان هذا تدبيراً من يحيى البرمكي بدون علم الخليفة .

وادرك الخليفة الرشيد خطورة الدعوة العلوية حتى انه—كما يروي الطبري (٣)— قد ابدى الهم وحزنه وامتنع عن شرب النبيذ وعهد الرشيد الى الفضل بن يحيى بأمر الناصر العلوي وأمه بجيش عدته خمسون ألف جندي وتولى قيادته صناديد القواد ، وولى الرشيد الفضل على كور الجبال والري ، وجرجان وطبرستان وقومس وديباوند ، والريان . وأمه الرشيد ايضاً بكثير من الاموال ، وولى الفضل قواده على الكور ، فولى المثنى ابن الحجاج بن قتيبة بن مسلم على طبرستان وولى علي بن الحجاج الخزاعي على جرجان ثم عسكر الفضل بالنهرين

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٦٧ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٥٠ ، الفخري ص ١٦٧ .

وأقبل الشعراء على الفضل يمتدحونه فأعطاهم فأكثر وتوسل اليه الناصر بالشعر ،
ففرق فيهم اموالا كثيرة (١) وهكذا استطاع الفضل باغداق الاموال الكثيرة
ان يشتري القلوب ويضمن الولاء وانطلقت السنة الشعراء بمدح الخليفة
والعباسيين والفضل ، وقد كان الشعر في هذا العصر من امضى وسائل الدعاية
والاعلام .

نصح الخليفة الرشيد الفضل بأن يلجأ الى الوسائل السلمية قبل ان يلجأ الى
القتال ، فروى الاصفهاني(٢) : وولى الرشيد الفضل بن يحيى جميع كور
المشرق وخراسان ، وأمره بقصد يحيى والحديعة به وبذل الاموال والصلة ان
قبل ذلك .

خدعة الدبلوماسية العباسية :

بدأ الفضل بن يحيى تنفيذ المهمة التي عهد بها الخليفة اليه واتخذ في سبيل
ذلك وسياتين ، فقد كتب الى يحيى بن عبدالله يستميله ويحذره ويخوفه ويرغبه(٣)
كما كتب الى صاحب الديلم يحذره من معاونة الثائر العلوي ويهدده بالعقاب اذا
لم يقنع الثائر بالعدول عن الثورة ، وأرفق الفضل رسالته بمليون درهم .

ادرك يحيى بن عبدالله خطورة الموقف ، اذ أدم الفضل بن يحيى على رأس
جيش كثيف ، وسد عليه المنافذ ، اذ نجح في ارغام صاحب الديلم على التخلي
عن مناصرة الحركة العلوية . وروى الاصفهاني(٤) ان يحيى قال عندما علم
بقدوم جيش الفضل : اللهم اشكر لك اخاقي قلوب الذالمين ، اللهم ان تقض
لنا النصر عليهم ، فانما نريد اعزاز دينك وان تقض لهم النصر فإنما تختار لأولياك
وابناء اولياك كريم المآب وسني الثواب . وعلم الفضل بمقالة يحيى فقال :
يدعو الله ان يرزقه السلامة فقد رزقها .

(١) الطبري ج ٦ ص ٤٥٠- أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٦ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٦٩ - ٤٧٠ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٤٤ .

(٣) الفخري ص ١٧٦- مؤلف مجهول : العيون والحدايق ص ٣٠٧ .

(٤) مقاتل الطالبين : ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

رأى يحيى بن عبدالله الاستجابة لدعوة السلام التي وجهها الفضل بن يحيى إليه ، ولكنه اشترط ان يكتب الرشيد له ولسبعين رجلا من انصاره عهد امان يشهد عايه القضاء والفقهاء وشيوخ بني هاشم(١) .

وكتب الفضل الى الرشيد بهذا الشرط الذي شرطه الناصر العلوي فوافق وأبدى سروره وارتفعت مكانة الفضل لديه . وبعث الرشيد بعهد الامان وارفقسه بالهدايا والجوائز(٢) .

وفي اوائل سنة ١٧٦ هـ قدم الفضل بن يحيى في رفقة يحيى بن عبدالله الى بغداد فاستقبلهما الخليفة ورجاله بالحفاوة والترحاب. وانزل الخليفة يحيى العلوي في دار يحيى بن خالد البرمكي اياماً ، فكان البرمكي يقوم بنفسه بخدمة ضيفه العلوي ، ثم انتقل يحيى بن عبد الله الى قصر اعده الرشيد له(٣) . ومنح الرشيد يحيى اموالا كثيرة واجرى عليه الارزاق وسمح للناس بزيارته والتردد عليه . وأبدى الناس سرورهم اذ حقن الفضل الدماء وحال دون قتال مرير كان قد ينشب بين فريقي بني هاشم ، العلويين والعباسيين فوصل ما بين ابناء العمومة فأشاد الشاعر مروان بن أبي حفصة بجهود الفضل فأنشده(٤) :

ظفرت فلا شك يد برمكية رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين ادعى الراتقين التثامة فكفوا وقالوا ليس بالملائيم
كما امتدح الشاعر ابو تمامة الخطيب الفضل بن يحيى وما قام به من توفيق
بين بني هاشم فانشده :

سد الثغور ورد الفة هاشم بعد الشتات فشعبها متدان
عصمت حكومته جماعة هاشم من ان يجرد بينها سيفان

(١) الفخري : ص ١٧٦ .

(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٠ شهد على هذا العهد عبد الصمد بن علي والعباس بن محمد ومحمد بن ابراهيم وموسى بن عيسى .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ١١٢ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٤٥١ .

وقد نتساءل ما الذي دفع يحيى بن عبدالله الى الكف عن المضي في ثورته ، حتى جنح الى معاملة الخليفة هارون الرشيد ؟

أدت عدة عوامل الى انتهاج التائر العلوي هذه السياسة السلمية اولها عدم اطمئنانه الى صاحب الديلم بعد ان خضع لتهديد العباسيين وقبل صلاحهم ، اذ بعث الفضل اليه - كما رأينا - مليون درهم وقد كان يحيى يعتمد في ثورته على الديلم الذين كانوا ساخطين على الدولة العباسية ومهيئين للثورة عليها ، كما اتضح لنا من رواية الاصفهاني التي سبق الاشارة اليها .

ومن هذه العوامل ايضاً موقف احد كبار اصحاب يحيى وهو الحسن بن صالح بن حسن وهو من زعماء الشيعة الزيدية البترية (١) . وقد اصبح الحسن شوكة في جنب حركة يحيى وكان من عوامل تفرق اصحابه عنه وضعف حركته . فروى الاصفهاني (٢) عن الحسن بن صالح انه كان يذهب مذهب الزيدية البترية في تفضيل ابي بكر وعمر وعثمان في ست سنين من امارته ويكفره في باقي عمره ويشرب النبيذ ويمسح على الخفين ، وكان يخالف في أمره ويفسد أصحابه . كما روى الاصفهاني (٣) ايضاً ان رجلاً اهدى بعض الفاكهة الى يحيى بن عبدالله فدعا بعض اصحابه الى مشاركته في اكلها فغضب الحسن بن صالح وقال : هذه الاثرة أتأكله انت وبعض اصحابك دون بعض ؟ فقال يحيى : هذه هدية اهديت الي ، وليست من الفيء الذي لا يجوز هذا فيه ، فقال الحسن : لا ، ولكنك لو وليت هذا الامر لاستأثرت ولم تعدل .

(١) الزيدية البترية : نسبة الى (بتر) هو لقب كان يتلقب به المغيرة بن سعد احد زعماء الشيعة الزيدية . وهم يعرفون بصحة خلافة ابي بكر وعمر وبصحة خلافة عثمان في السنوات الست الأولى من خلافته ، ويحكمون عليه بالتكفير بعد ذلك وقد جوزوا امامة المفضل وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الفاضل راضياً بذلك وقالوا : من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً ، زاهداً شجاعاً فهو الامام (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦١) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٦٨ .

(٣) المصدر السابق .

ادرك يحيى بن عبدالله ان تلك الفرقة التي سادت بين اصحابه اصبحت تهدد حركته فرأى قبول ما عرضه عليه الفضل بن يحيى البرمكي من مسالمة (١) فقد روى الاصفهاني (٢) ان يحيى قبل أمان الفضل . لما رأى تفرق اصحابه ، وسوء رأيهم فيه ، وكثرة خلافهم عليه .

تساؤلان حول موقف الرشيد :

شهدنا ترحيب الرشيد بيحيى بن عبدالله وانزله احد القصور واغداقه الأموال والهدايا عليه . ولكن سرعان ما تغيرت الاحوال ، وبدأ الرشيد يغير من معاملته للزعيم العلوي وما لبث ان أمر بسجنه (٣) . مما يجعلنا نتساءل هل كان الخليفة الرشيد صادقاً فيما أبداه في أول الأمر من مشاعر طيبة نحو يحيى بن عبدالله؟ وما الذي جعل الخليفة يحيد عن سياسة اللين والتسامح ؟

وللاجابة على السؤال الأول ، نقول اننا نعتقد ان الخليفة الرشيد كان راغباً في مسالمة الزعيم العلوي صادقاً في ترحيبه به واحاطته بمظاهر التكريم . مدفوعاً في ذلك بحرصه على مصلحة الدولة العباسية ورغبته في حماية خلافته .

فقد قامت هذه الحركة الشيعية الجديدة في الاطراف الشرقية من الدولة العباسية في بلاد الديلم . وهذه هي أول مرة في العصر العباسي نشهد قيام حركة علوية في هذه الارحاء فقد شهدنا قيام حركتي النفس الزكية والحسين بن علي في بلاد الحجاز وحركة ابراهيم في البصرة . وقد كان الخلفاء العباسيون يحرصون على ان تظل هذه الاطراف الشرقية على ولائها للعباسيين وبمنجاة من كل اضطراب وثورة . فقد شهدت هذه الاطراف الدعوة العباسية وأصبح اهلها شيعة بني

(١) يرى الدكتور علي سامي النشار (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٨٥) ان يحيى بن عبد الله اضطر إلى مصالحة الرشيد نتيجة اختلافه مع الزيدية البترية .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧١ .

العباس و عماد دولتهم . وأدرك هارون الرشيد خطورة تواجد الزعيم العلوي في بلاد الديلم ، فقد كان اهلها - كما مر بنا - يتأهبون للخروج على طاعة الدولة العباسية ، وفي انتظار زعيم يلتفون حوله ويثور على الحكم العباسي (١) فأراد الرشيد ان يحرم الديلم من هذا الزعيم المنشود وان يعلم الديلم ان هذا الزعيم الذي استقر في بلادهم قد أصبح موالياً له مقيماً في عاصمته بغداد ، مما يخمد روح الثورة المضطربة في نفوس الديلم فيركنون الى الهدوء والاستسلام . كما كان هارون الرشيد يدرك عواقب الصراع الحربي بين العباسيين والعلويين فقد أبدى المسلمون دائماً استياءهم من وقوف فريق بني هاشم في مواجهة بعضهم البعض وتمنوا أن يعيش بنو هاشم جميعاً في سلام وأمان وقد مر بنا ما أبداه الشعراء وعامة الناس من ابتهاج حينما حل السلام بين الخليفة الرشيد والثائر العلوي يحيى بن عبد الله (٢) .

وكان يحيى بن عبد الله من كبار شخصيات البيت العلوي وكان له منزلة كبيرة في قلوب الشيعة (٣) . وهو شقيق محمد النفس الزكية وابراهيم اللذين لقبوا حتفهما بأيدي العباسيين . وكان يحيى ومن خلفه العلويون والشيعة يتطلعون للثأر لهما وللحسين بن علي شهيد فخ (٤) . كما كان كثير من المسلمين من غير الشيعة يبدون عطفهم وتقديرهم لآل علي ، ويسخطون على اراقة العباسيين لهم ، فرأى الرشيد الا يشهد عهده مأساة دامية أخرى وان يتجنب اراقة دماء العلويين ، كما كانت اقامة يحيى بن عبد الله في بغداد تحت عينه وفي رقابته يحقق اهدافه فيخلصه من اقدام يحيى على الثورة ، ويضع الرشيد بذلك حائلاً يحول بين يحيى وشيعته ويحرم الشيعة من زعيم هو ابرز ابناء البيت العلوي في عهده .

(١) الناصري : الاستقصا ج ١ ص ١٥٢ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٤٥١ .

(٣) الفخري ص ١٧٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ .

هذا بينما يرى الاصفهاني (١) ان الرشيد لم يكن صادقاً فيما ابداه من مشاعر نحو يحيى بن عبد الله وانها كانت مدهانة وليست مسالمة وان الرشيد بات يترقب الفرص للتحلل من عهوده ووعوده فيقول الاصفهاني : فلما قدم يحيى ، اجازته الرشيد بجوائز سنوية فأقام على ذلك مدة وفي نفسه الحيلة على يحيى والتفرغ له وطلب العلل عليه وعلى اصحابه .

ثم نرد على التساؤل الثاني : ما الذي جعل الخليفة الرشيد يحيد عن هذه السياسة السمحاء التي انتهجها نحو يحيى بن عبد الله ؟

قامت حاشية الرشيد بدورها في افساد العلاقات بين الرشيد ويحيى بن عبد الله (٢) . فقد سمح الرشيد للناس بالتردد على القصر الذي نزل فيه يحيى فتوافد الكثير على القصر ، يسلمون عليه ويرحبون به وقد زالت مخاوفهم اذ رأوا الرشيد يخرج الى ظاهر بغداد يستقبل يحيى ويرحب به وكان بعض خاصة الرشيد تحقد على العلويين او تستفيد من ذلك الصراع الناشب بين آل علي وآل العباس . فأقبلوا على الرشيد يحذرونه من اقبال الناس على زيارة الزعيم العلوي فيدخلون بذلك الشكوك والهواجس الى قلبه ويقولون له : اند قد افسد عليك اقربائك ونجح هؤلاء في تحقيق هدفهم فبدأ الرشيد يغير من معاملته ليحيى تدريجياً فبدأ في وضع رقابة على قصر يحيى فكانت عيونه تنقل اليه اخبار الزوار والمترددن عليه . وكان كلما سأل الرشيد يحيى عن هؤلاء الزوار اجابه انهم من السبعين رجلا الذين منحهم الرشيد الامان في عهده الممنوح له . وكان العهد يمنح سبعين رجلا من انصار يحيى الامان دون تسميتهم . ودعا الرشيد

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٧١ .

(٢) كان الفضل بن الربيع بن يونس ، وزير الرشيد العربي وزعيم الحزب العربي في حاشية الخليفة من أبرز المحرضين لكراهيته للبرامكة وحسده للفض بن يحيى البرمكي لدوره في انهاة ثورة يحيى العلوي (مقاتل الطالبين ص ٤٧٣) .

يحيى اليه يوماً وقال له : اتق الله وعرفني اصحابك السبعين لئلا ينتقص امانك .
ورفض يحيى الافشاء باسمائهم مما اثار غضب الرشيد وادرك ان حاشيته على
حق اذ حذرته من الزعيم العلوي ، فقال الرشيد لخاصته : ان هذا لم يسم اصحابه
فكلما اردت اخذ انسان بلغني عنه شيء اكرهه ذكر انه ممن امنت (١) وأصبح
يحيى بن عبد الله تحت رقابة الرشيد واختباره (٢) .

واستمرت شكوك الرشيد وهو اجسه وكأنه اراد ان يجعل الشك يقيناً ، فكان
يستدعي يحيى من وقت لآخر الى مجلسه يجاوره وينظره لعله يستشف من
حديث يحيى ما يكشف عما يكنه في قلبه (٣) .

ويروي المؤرخون (٤) رواية مسهية حول سعاية رجل من آل الزبير بن
العوام بيحيى بن عبد الله ويجعلونها العامل الرئيسي في تحول الرشيد عن معاملته
الطيبة ليحيى بن عبد الله ثم اقدامه على سجنه ونقض الامان الذي بذله له .

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٨٢ .

(٢) اصبح يحيى بن عبد الله تحت رقابة رجال الرشيد . وحدث ان قبضوا على رجل يدعى
(فضالة) كان يدعو إلى يحيى . وأراد الرشيد ان يقف على نوايا يحيى فأمر فضالة ان يكتب
رسالة بخطه إلى يحيى ينبئه فيها ان جماعة من اصحاب الرشيد وقواده موالون له . وبعث
الرشيد برسالة فضالة مع رسول إلى قصر يحيى وقبض يحيى على الرسول وسلمه إلى يحيى بن خالد
البرمكي ولكن الرشيد لم يقتنع بصدق نوايا يحيى فقبض على فضالة وأمر بحبسه . ويروي
الاصفهاني انه كان هناك اتفاق سابق بين يحيى وفضالة حول هذه الرسالة فيذكر ان فضالة
قال بعد حبسه : لقد كنت عهدت إلى يحيى ان جاءه مني كتاب الا يقبله وان يدفع الرسول
إلى السلطان وعلمت انه سيحتال عليه بي (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٧١) .

(٣) مقاتل الطالبين ص ٤٧٣ .

(٤) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٢ - ٤٥٤ المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٥٣
الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٧٤ - ٤٧٦ الفخري ص ١٧٦ - ١٧٧ السيوطي
تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ .

قدم عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير على الخليفة هارون الرشيد فاتهم يحيى بأنه دعاه الى البيعة له . ورأى الرشيد أن يواجه صاحب الاتهام بالمدعى عليه . وهار حوار وجدال عنيف بين الرجلين ، فنفى يحيى هذا الاتهام تماماً ، ثم أراد أن يخرج مصعباً فذكر الرشيد بموقف آل الزبير من بني هاشم عامة ومن بني العباس خاصة (١) ، ثم ذكر يحيى الرشيد بأن مصعباً هذا كان قد انضم الى ثورة اخيه محمد النفس الزكية ضد جدّه المنصور وأنه هو الذي انشد :

قوموا ببيعتمكم ننهض بطاعتنا
 ان الخلافة فيكم يا بني حسن
 وتفاجر الرجلان بالاباء والانساب وتبادلا الشتائم والسباب ، ثم قال يحيى للرشيد « ليس سعائته يا أمير المؤمنين حياً لك ، ولا مراعاة لدولتك ، ولكن بغضاً لنا جميعاً اهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعاً لكان معه وقد قال باطلا وانا مستحلفه فان حلف أي قلت ذلك فدمي لأمر المؤمنين حلالاً (٢) .
 طلب يحيى من الرشيد ان يكون الفضل في الأمر هو أن يقسم مصعب الزبيري يمين البراءة (٣) ورفض مصعب ان يقسم بهذه اليمين فهدهه الرشيد بالعقاب ان امتنع عن القسم فاضطر الى الاستجابة لامر الخليفة . وأبدى يحيى سروره بهذا القسم فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما حلف أحد هذه اليمين

(١) ادخل عبد الله بن الزبير بني هاشم في شعب مكة واضرم عليهم النار كما امتنع ابن الزبير في خطبه عن الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام مما أثار عليه مشاعر عامة المسلمين كما اضطهد ابن الزبير ايضاً محمد بن الحنفية فخرج إلى جبل رضوى واضطهد عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب فخرج الى الطائف (اليقوي ج ٢ ص ٢٢٠ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير : ٧ ص ٤٠٨) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٣) يذكر الاصفهاني في مقاتل الطالبين ص ٤٧٧ - نص هذا القسم ، وهو : « برئت من حول الله وقوته ، واعتصمت بحولي وقوتي وتقدمت الحول والقوة من دون الله استكباراً على الله واستغناء عنه واستعلاء عليه » وقال صاحب الفخري ص ١٧٦ ان يمين البراءة هي « يمين عظمى صورتها ان يقول عن نفسه بريء من حول الله وقوته ودخل في حول نفسه وقوتها ان كان كذا وكذا » .

وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث » ، ولذا طلب يحيى من الرشيد ان يمهل ثلاثة أيام حتى يرمى ما يحل بمصعب الزبيري فاذا لم يحدث له شيء ، كان دم يحيى للخليفة حلالاً (١) .

ويذكر المؤرخون ان الله عز وجل انزل سخطه على مصعب الزبيري في نفس اليوم فيذكر الطبري (٢) انه اصيب بالفالج فمات من ساعته بينما روى المسعودي (٣) والاصفهاني (٤) انه اصيب بالجذام فتورم جسمه فمات .

ويتفق المؤرخون جميعاً على انه حدث عند دفن مصعب ان انخسف قبره وانهم كلما هالوا التراب عليه تسرب هذا التراب الى باطن الارض فطرحوا على القبر الشوك والواحاً من الساج ، ويصف ابن طباطبا (٥) هذا الحدث بانه « آية سماوية » ثم يقول : ومع ظهور مثل هذه الآيات العظيمة قتل يحيى في الحبس شر قتلة» .

يعتبر المؤرخون الاقدمون سعاية خاصة الرشيد يحيى وتحريضهم للخليفة عليه ووشاية مصعب الزبيري يحيى من عوامل تغير الرشيد على يحيى ونضيف الى ذلك عاملاً آخر . فقد كانت هذه الاحداث في سنة ١٧٦ هـ وكان ادريس ابن عبدالله لا يزال في بلاد المغرب معلناً ثورته ناشراً دعوته مهدداً للنفوذ العباسي في تلك البلاد (٦) وفي بغداد كان الرشيد يشهد اقبال عامة الناس على قصر يحيى ابن عبدالله وما زال انصار يحيى في بلاد الديلم يثيرون الفتنة وفي بلاد الحجاز كانت هناك جماعة من العلويين ترقب فرصة الثأر من العباسيين يناصرهم كثير من أهالي الحجاز .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٢ .

(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٣ .

(٣) مروج الذهب : ج ٣ ص ٣٥٢ .

(٤) مقاتل الطالبين : ص ٤٧٨ .

(٥) الفخري ص ٢٧٧ .

(٦) الطبري ج ٦ ص ٤١٥ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ .

ولذا تساءل الرشيد فيما بين نفسه : كيف لو تضافرت هذه القوى العلوية الثلاث عليه في آن واحد؟ ويبدو ان الرشيد كان يفكر في هذا كله أو بما يشبهه فوجد نفسه أمام أمرين : إما الاخذ بالشدة والقسوة او الصبر والحلم وفي ذلك ما فيه من خطر قد يقوض عرشه يوماً ما(١) .

اتخذ الرشيد الطريق الأول طريق الشدة والقسوة فأمر بسجن يحيى بن عبد الله ثم دعا اليه القضاة والفقهاء ليجدوا له مخرجاً ليتحلل من العهد الذي بذله ليحيى ، ولينقض الامان الذي منحه له . فقدم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وابو البحترى وهب بن وهب(٢) وبعث الرشيد في استدعاء يحيى بن عبد الله من سجنه ليشهد هذا المجلس(٣) .

وبدأ المجلس بأن قدم مسرور خدام الرشيد العهد لمحمد بن الحسن ليبيدي رأيه فيه ، فقال : هذا أمان مؤكد لا حيلة فيه(٤) ، وأبدى الخليفة الرشيد غضبه وعارض الرأي ، فقال ابن الحسن للخليفة : ما تصنع بالامان ، لو كان محارباً ثم ولي كان أمناً؟ وانتزع مسرور عهد الامان من يدي أبي الحسن واعطاه لأبي البحترى فنظر فيه لحظة ثم قال : هذا باطل منتقض قد شق عصا الطاعة وسفك الدم فاقتله ودمه في عنقي ، وأبدى الرشيد سروره وقال لأبي البحترى : انت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك . ومزق أبو البحترى الأمان . وأراد احد ممن حضروا المجلس من آل الزبير وهو بكار بن عبد الله بن صعب الزبيري ، تملق الخليفة ، فصاح في وجه يحيى بن عبد الله : شققت العصا وفارقت الجماعة وخالفت كلمتنا وأردت خليفتنا ثم أمر الرشيد باعادة يحيى الى سجنه(٥) .

- (١) الجومرد : هارون الرشيد ص ١٧٥ .
- (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٧١ - اعتماد الخلفاء العباسيين نقض عهد الامان واصدار فتاوى من الفقهاء بجواز نقض العهد وخاصة الخليفة المنصور .
- (٣) الطبري ج ٦ ص ٤٥٤ - كانت حاشية الخلفاء العباسيين تضم كثيراً من الفقهاء وهي ظاهرة عباسية .
- (٤) كان يحيى بن عبد الله قد عرض عهد الامان على مالك بن انس في المدينة وعلى ابن الدراوردي فأكدا صحته (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٨٠) .
- (٥) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٣ - ٤٥٤ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

مصير السجين :

اختلف المؤرخون في مصير يحيى بن عبد الله فروى الطبري (١) «ان يحيى كان حين حضر هذا المجلس الذي اشرنا اليه عليلا ، وقد لاحظ الرشيد ذلك فقال لمجالسيه بعد انصراف يحيى : أما ترون به أثر علة ، هذا ان مات قال الناس سموه ، ثم يقول الطبري فما مكث يحيى بعد هذا الا شهراً حتى مات » ، أما المسعودي (٢) فقد روى رواية غريبة فقال : ان يحيى ألقى في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بناحيته وهابت الذنو اليه ، فبني عليه ركن بالحص والحجر وهو حي ، ويرى الخطيب البغدادي (٣) ان يحيى مات مسموماً فيقول : انه سقي السم . فشكا ذلك الى الرشيد فدعا به الى مجلسه ، وقال : ان هذا يدعي بأني سقيته السم ، فوالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه وعلني ايمان البيعة ان كنت سقيته السم ، ولا أمرت أحداً بسقيه .

واتفق اليعقوبي والاصفهاني ، في ان يحيى بن عبد الله مات جوعاً وعطشاً فروى اليعقوبي (٤) ان الموكل بسجن يحيى منعه من الطعام اياماً ، فمات جوعاً ، وروى الاصفهاني (٥) ان هارون الرشيد خرج الى سجن يحيى بن عبد الله فأمر بضربه مائة عصا ويحيى يناشده الله والرحم والقراية من الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم سأل عن جرايته فأخبروه انها اربعة ارغفة وثمانية ابطال ماء ، فأمر بتخفيضها الى النصف ثم عاد الرشيد بعد أيام فأمر بضرب يحيى مائة عصا أخرى ، ثم أمر بتخفيض الجراية الى النصف حتى هلك يحيى جوعاً وعطشاً .

وهكذا كانت نهاية حياة يحيى بن عبد الله ، وقد اختلف في هذه النهاية عن

- (١) الطبري ج ٦ ص ٤٥٤ .
- (٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٢ .
- (٣) تاريخ بغداد : ج ١٤ ص ١١٠ .
- (٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٢٢ .
- (٥) مقاتل الطالبين ص ٤٤١ .

اسلافه الزعماء العلويين الذين ثاروا في وجه الدولة العباسية ، فقد استشهد هؤلاء الزعماء في ميادين القتال وهم شاهرو السيوف (١) . ولكن الاقدار شاءت ان تكون نهاية حياة يحيى في سجن الرشيد ، بعد أن اطمأن الى امانه وعهوده فترة ثم تلاحقت الاحداث سراعاً لتضيف حدثاً جديداً في سجل مقاتل الطالبين .

أمر الرشيد بسجن ثلاثة من كبار اصحاب يحيى بن عبدالله وهم يحيى بن مساور وعبد ربه بن علقمة ، ونحول بن ابراهيم الهندي ، فظلوا مسجونين اثنتي عشرة سنة ، وبعد أربع سنوات من سجنهم دخل الرشيد عليهم في السجن وهددهم بالتعذيب والتنكيل ان لم يدلوه على بقية أصحاب يحيى فأعلموه انه قد مضت سنوات أربع وهم مسجونون ولا يعلمون عن هؤلاء الاصحاب شيئاً (٢) .

ثورة ادريس بن عبدالله :

شهد الحناح الغربي من الدولة العباسية ، حركة شيعية أخرى ، قام بها ادريس ابن عبدالله ، مثلما شهد الجانب الشرقي حركة أخيه يحيى . وقد قامتا في وقت واحد ، وكانت كل منهما تكمل الاخرى ، وتتكاتفتان على اثاره قلق الخليفة الرشيد . وبذل الرشيد جهوده في القضاء على الحركتين ، وان اختلفت الوسائل التي انتهجها في سبيل ذلك . ولكن كانت خاتمة حياة الزعيمين العلويين على يد الرشيد في وقت متقارب .

نجا ادريس بن عبد الله في موقعة فخ ، فخرج مع مولى له يدعى راشد وانضموا الى قافلة حجاج مصر والمغرب . وقدما الى مصر ، فمكثا فترة في دار مولى من

(١) مثل محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم والحسين بن علي .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ج ٤ ص ٤٨٦ .

موالي بني العباس قبل ايوائهما والتستر عليهما حتى اذا علم ادريس بخروج البريد الى افريقية، صحبه واستطاع الافلات من المسالغ الممتدة على الطريق حتى وصل الى المغرب الاقصى (١) والتف البربر حوله ، وقد كانوا ساخطين على الحكم العباسي ، ودعا ادريس لنفسه فاستجاب البربر لدعوته واستطاع التغلب على بلاد المغرب وتلمسان ، ونجح في سنة ١٧٢ هـ في اقامة دولة مستقلة عن الدولة العباسية وتلقب بامرة المؤمنين (٢) .

أدرك الخليفة الرشيد خطورة الموقف ، فقد كانت حركة ادريس تهدد النفوذ العباسي في شمال افريقية (٣) ، وخاصة انه قامت دولة أموية في بلاد الأندلس أعلنت عداها للدولة العباسية . وقد كان من العسير انفاذ جيوش عباسية للقضاء على حركة ادريس التي تزداد قوة يوماً بعد يوم ، لبعده المسافة ووعورة الطرق ، ولذا عدل عن انتهاج الطريق الحربي ، وسلك طريقاً آخر ، هو اغتيال زعيم هذه الحركة ، ادريس بن عبدالله . ويروي الاصفهاني (٤) روايتين حول اغتيال ادريس . أما الرواية الأولى فتذهب الى ان الرشيد استشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي في أمر ادريس فتعهد بأن يكفيه الأمر ، ونجح يحيى البرمكي في اغراء احد زعماء الزيدية البترية ، وهو سليمان بن جرير الجزري ، بأن يغتال ادريس ابن عبد الله بالسم . فخرج سليمان الى بلاد المغرب ونجح في الفوز بثقة ادريس ثم اعطاه قارورة زعم ان بها عطراً من العراق ، فشم ادريس القارورة، وكان بها سم شديد فمات ، وفتن انصاره الى المؤامرة فقتلوا سليمان .

(١) هرب ادريس أولاً إلى مصر ، وكان يتولى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور وكان متشعباً لآل البيت ، فحمله واضح على بريد مصر إلى المغرب هو ومولاه راشد ، فنزل بمدينة وليلي سنة ١٧٢ هـ (الناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ج ١ ص ١٥٢) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٨١ .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

أما الرواية الثانية التي رواها الاصفهاني ، فتذهب الى ان الرشيد وجه اليه الشماخ ، مولى المهدي وكان طبيباً فتظاهر لادريس بأنه من الشيعة ، ثم نجح في قتله بالسم .

تولى راشد ، مولى ادريس ، أمر الدعوة بعد وفاة الزعيم . وقد خلف ادريس امرأة له حاملا ، وما لبثت ان وضعت غلاماً سموه ادريساً أيضاً . وقام بأمر البربر حتى كبر ونشأ ، فولي أمرهم أنحسن ولاية (١) .

نمت دولة الادارسة في بلاد المغرب ، واتسع نفوذها في شمال افريقية ، مما اثار مخاوف الخليفة الرشيد (٢) ، فاقطع ابراهيم بن الاغلب بلاد افريقية (تونس) حتى يواجه الاغلبة دولة الادارسة (٣) . وقد بدأ صراع بين الفريقين يخرج على نطاق بحثنا هذا فقد آثرنا ان نقصر دراستنا لحركات الشيعة على ما قام منها في الشرق الاسلامي .

ويهمنا في هذا البحث ، ان حركة ادريس بن عبدالله في بلاد المغرب كان لها اثرها في موقف الرشيد من يحيى بن عبدالله وقد أدت الى تغير معاملة الرشيد له ، وجعلته يلقي بيحيى في السجن ، ثم يعجل بقتله . كما اثارت حركتنا يحيى وادريس مشاعر الرشيد ضد البيت العلوي ، مما جعله يحيد عن سياسة التسامح التي انتهجها في أول عهده الى سياسة الشدة والقمع ففرض رقابة شديدة على العلويين وقبض على بعضهم كما قتل بعض زعمائهم .

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٦٠ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩١ .
(٣) استمال ابراهيم بن الاغلب البربر وحرصهم على قتل راشد مولى ادريس سنة ١٨٦ هـ وقام بكفالة ادريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن الياس العبدي - (الناصري : الاستقصا ج ١ ص ١٦١) .

٢ - سياسة الرشيد نحو الشيعة

والامام موسى الكاظم

سياسة جديدة عنيفة :

نجح الرشيد في الخلاص من يحيى وادريس ابني عبدالله ، اللذين قاما بحركتين علويتين خطيرتين في عهده . ولكن الرشيد أصبح ينظر بعين القلق والتخوف الى ابناء البيت العلوي ، فقبض على رؤسائهم ، وكانت نهاية حياتهم على يديه . وفي مقدمة هؤلاء الزعماء : عبدالله بن الحسن ، ومحمد بن يحيى ، والعباس بن محمد . موسى بن جعفر .

كان عبدالله بن الحسن هو أول ضحايا السياسة الجديدة التي بدأها الرشيد نحو العلويين . وكان يطلق على عبدالله اسم « ابن الاقطس » وقد استبسل في القتال في موقعة فخ ، حتى ان الحسين بن علي عهد اليه بوصيته (١) . وبعث الرشيد في استدعاء عبدالله من المدينة ، حتى اذا قدم عمليه ، قال له : نشدتك يا أمير المؤمنين في دمي ، فوالله ما أنا من هذه الطبقة ولا لي فيهم ذكر ، وان أصحاب هذا الشأن بخلافي ، أنا غلام نشأت بالمدينة ، وفي صحاريها أسعى على قدمي ، واتصيد بالبواشيق ما هممت بغير ذلك قط (٢) .

ورأى الرشيد الا يعود عبدالله ثانية الى المدينة فعهد به الى أحد خاصته بأن يحبسه في داره ، وبعد فترة احتال عبدالله حتى بعث الى الرشيد برسالة « فيها

(١) الطبري ج ٦ ص ٤١٥ - ٤١٦ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩٢ .

كل كلام قبيح وكل شتم شنيع » ، وقرأ الرشيد الرسالة واطلع وزيره جعفر بن يحيى البرمكي عليها ، وأمره بأن يجبس عبدالله في قصره . وأقدم جعفر على قتل عبدالله في عيد النيروز ، وجعل رأسه من ضمن الهدايا التي قدمها الى الرشيد في هذا العيد ولام الرشيد جعفر البرمكي على اقدمه على قتل العلوي بدون اذنه . ودارت الايام ونكب الرشيد البرامكة ، وأمر الرشيد خادمه مسرور ان يقول لجعفر ، حين أمره بقتله : هذا عبد الله بن الحسن ، ابن عمي ، الذي قتلته بغير أمري (١) .

اتضح سياسة الرشيد الجديدة نحو الزعماء العلويين في تولية احد آل الزبير الحكم في المدينة حيث كان رؤساء العلويين يقيمون ، ونعرف صلة العداة التقليدية التي كانت بين العلويين والزبيريين (٢) ، وقد شهدنا بالأمس القريب سعاية مصعب الزبيري بيحيى بن عبدالله . ولى الرشيد على المدينة بكار بن عبدالله ابن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، وقد شهدناه يحضر المجلس الذي عقده الرشيد وضم القضاة والفقهاء لنقض الأمان الذي منحه ليحيى . وقد ادلى بكار بدلوه ووجه عبارات قاسية ليحيى ، وأثار مشاعر الرشيد عليه .

تحدث الطبري عن سياسة الرشيد نحو العلويين ، وعن عداة بكار للبيت العلوي فقال : « وكان بكار شديد البغض لآل أبي طالب ، وكان يبلغ هارون عنهم ويسعى بأخبارهم ، وكان الرشيد ولاءه بعض المدينة وأمره بالتضييق عليهم (٣) . بدأ بكار الزبيري سياسة اضطهاد العلويين في المدينة ، فقبض على محمد بن

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩٢ - ٤٩٤ - عيد النيروز من الاعياد الفارسية التي احتفل بها العباسيون .

(٢) اضطهد عبد الله بن الزبير ، حين بايع لنفسه بالخلافة في الحجاز في العصر الأموي ، العلويين وبني هاشم وخاصة محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، وكان ابن الزبير من المحرضين لايه الزبير بن العوام وخالته عائشة للقيام بقتلة الجمل ضد علي ابن أبي طالب (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٩١) .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٥٢ .

يحيى بن عبدالله في شهر رمضان ، وكبله بالأغلال وسجنه وظل مسجوناً حتى مات في سجنه . كما قبض بكار أيضاً على الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وضربه ضرباً مبرحاً ، حتى لقي حتفه (١) .

وكانت نهاية حياة العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، على يد الخليفة هارون الرشيد . فقد استدعاه الخليفة الى بغداد وأخذ يحاوره وينظره ، وثار غضب الرشيد عليه ، فصاح فيه : يا بن الفاعلة ، فعبرة العباس بأمه الخيزران وقد كانت جارية قد تزوجها المهدي ، فقال العباس تلك أملك التي تواردها النخلسون . فأمر الرشيد بضرب العباس بعمود من حديد حتى هلك (٢) .

موقف الرشيد من الإمام موسى الكاظم :

ونجاء دور موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٣) ، وهو الامام السابع عند الشيعة الابعادية وقد اشتهر باسم « الامام الكاظم » اذ كان يحسن الى كل من يسيء (٤) ، وقد اشتهر أيضاً بالزهد والورع والكرم ، وكان بعض خصومه وشوا به عند الخليفة المهدي ، ولكن الخليفة تهيبه على أثر حلم رآه في نومه فأطلق سراحه وأكرمه وأعادته الى المدينة (٥) .

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩٥ - ٤٩٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩٨ .

(٣) ذكر أحد مؤرخي الشيعة (المظفري : تاريخ الشيعة ص ٤٦) ان موسى ولد عام ١٢٨ أو ١٢٩ ومات في رجب عام ١٨٣ ، وجاءته الامامة عام وفاة أبيه سنة ١٤٨ فكانت أيام إمامته خمساً وثلاثين سنة . وهو أول الائمة الاثني عشرية الذي كانت أمه جارية فارسية .

(٤) روى الاصفهاني في (مقاتل الطالبين ص ٤٩٩) ان موسى كان إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير « فكانت صرار موسى مثلاً » (انظر أيضاً تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٧) .

(٥) رأى المهدي في نومه علي بن أبي طالب يقول له « هل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم » (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٨) .

كان موسى الكاظم (١) يكنى بأبي الحسن وبأبي ابراهيم وبغيرها من الكنى والألقاب . ويعلق أحد كتاب الشيعة ، على ذلك فيقول : قضى الامام موسى الكاظم عليه السلام أيام امامته بين سجنين ، سجن داره بعيداً عن الناس خوفاً من بني العباس وسجن بني العباس الشديد الظلمة والظلم ، حتى إن الراوي اذا روى الحديث عنه لا يسنده اليه بصريح اسمه ، بل بكناه مرة بأبي ابراهيم وأبي الحسن ، وبالقبان الأخرى كالعبد الصالح والعالم وأمثالهما ، وبالاشارة اليه تارة كقوله عن الرجل ، اذ قلما تجده اسمه الشريف صريحاً في حديثه ، لشدة التقية في أيامه ولكثرة التضييق عليه ممن عاصره من العباسيين كالمنصور والمهدي والمهدي ، وبقي سلام الله عليه يحمل الى السجن مرة ويطلق منه أخرى أربع عشرة سنة ، وهي مدة أيامه مع الرشيد .

لم يكن الكاظم الابن الأكبر للامام جعفر الصادق بل هو الابن الرابع ، ولذا تابعت بعض الشيعة أخاه اسماعيل او ابن أخيه ، كما تابعت بعضها عبدالله ، الذي مات بعد أبيه الصادق بنحو عام واحد (٢) .

روى الاصفهاني (٣) رواية طويلة عن أسباب القبض على الامام موسى الكاظم وجعل جعفر بن يحيى البرمكي هر الذي حرّض الرشيد على ذلك .

(١) اطلق على الامام موسى اسم الكاظم لصبره الشديد على ما لحق به من اذى واضطهاد وسجن (عبد الوهاب الشعراوي : الطبقات الكبرى في التصوف ص ٢٣) . وقد اشتهر موسى بقيامه الليل وكثرة صيامه ، ويرى المستشرق رونلدسن (عقيدة الشيعة ١٦٠) ان الائمة بعد مصرع الحسين اتجهوا الى الدين والعبادة أكثر من السياسة .

(٢) ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢١٢ ، ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص - ٩٥ - لا ترى الشيعة الاثنا عشرية امامة عبد الله لأنه كان أفتح القدمين فالامامة تكون لمن هو سليم البدن خالياً من العاهات ، ويطلق على أتباعه اسم (الفتحية) - الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢) .

(٣) مقاتل الطالبين : ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

فروى ان الرشيد كان قد عهد الى جعفر بن محمد بن الاشعث بتربية ابنه محمد الأمين ، مما أثار مخاوف جعفر البرمكي ورأى ان يتقرب الى الخليفة بأن يفضي اليه بأخبار العلويين ، ويثبت له اخلاصه للخليفة والبيت العباسي . ونجح جعفر البرمكي في اغراء احد ابناء البيت العلوي وهو علي بن اسماعيل بن جعفر ابن محمد لينقل اليه أخبار موسى بن جعفر فذهب هذا العلوي الى ان موسى يدعو لنفسه ، فنقل يحيى جميع خبره وزاد عليه وتوجه يحيى البرمكي الى الرشيد ، فحذره من موسى وقال له عنه : ان الأموال تحمل اليه من المشرق والمغرب وان له بيوت أموال . ورأى الرشيد أن يخرج الى بلاد الحجاز حاجاً ليقف بنفسه على أمر موسى بن جعفر .

وينسب صاحب الفخري (١) ما لحق بموسى الى حساده من العلويين فقال « كان بعض حساد موسى بن جعفر من اقاربه قد وشى به الى الرشيد وقال له ان الناس يحملون الى موسى خمس أموالهم ويعتقدون في امامته ، وانه عزم على الخروج عليك ، وكثر فيه القول ، فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهمه وأقلقه . »

ثم كانت حادثة أدت الى القبض على موسى وسجنه . فقد خرج الرشيد الى الحجاز حاجاً سنة ١٧٩ هـ (٢) . وقدم الى المدينة لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام فوقف الرشيد وحوله وجوه القوم ، فسلم على صاحب القبر وقال : السلام عليك يا رسول الله ، يا ابن عمي . وكان موسى واقفاً خلفه ، فسلم وقال : السلام عليك يا رسول الله ، يا أبي . وغضب الرشيد وقال : هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً ، وأمر الرشيد بالقبض على موسى وانفاذه مكبلاً بالأغلال الى العراق . وأمر الرشيد بتسليم موسى الى عيسى بن جعفر بن

(١) الفخري ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) كان الرشيد يهجم في سنة ويفزو في السنة التالية .

المنصور والي البصرة ، فظل موسى محبوباً عنده عاماً. كاملاً ، وكتب الوالي الى الرشيد « خذته مني وسلمه الى من شئت ، والا خليت سبيله ، فقد اجتهدت ان آخذ عليه حجة . فما أقدر على ذلك ، حتى ان لا تسمع عليه اذا دعا ، لعله يدعو علي أو عليك ، فما أسمع يدعو الا لنفسه يسأل الله للرحمة والمغفرة (١) .

وبعث الرشيد رسولا ، حمل موسى بن جعفر من البصرة الى بغداد ، حيث عهد الرشيد بموسى الى الفضل بن الربيع « وأراد الرشيد على شيء من أمره فأبى » فعهد الرشيد به الى الفضل بن يحيى البرمكي « وأراد ذلك منه فلم يفعل » ، وعلم الرشيد ان موسى يعيش في قصر الفضل في رفاهية وسعة ودعة ، فغضب الرشيد وأمر بضرب الفضل مائة سوط ، كما أمر الناس بلعنه ، ثم قام الرشيد بتسليم موسى الى السندي بن شاهك .

وصف الاصفهاني (٢) نهاية موسى في سجن السندي سنة ١٨٣ ، فروى ان السندي لفه ببساط ، وأمر بعض خدمه بأن يقعدوا على وجهه حتى مات ، وروى صاحب الفخري (٣) ان الرشيد أمر بقتله على هذا النحو حتى لا يتهمه الناس بقتله ، فقال « وكان الرشيد بالرقعة ، فأمر بقتله ، فقتل قتلا خفياً ثم أدخله عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه واطهار انه مات حتف انفه » بينما يرى المسعودي (٤) ان موسى مات مسموماً .

بعث الرشيد في استدعاء من كان في بغداد من العلويين ، كما استدعى الفقهاء والقضاة ووجوه القوم ، فقدموا عليه واطلعتهم على جثمان موسى وسألهم :

- (١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠٢ ، شمس الدين بن طولون : الشذرات الذهبية ص ٩١ .
- (٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ٥٠٣ - ٥٠٤ .
- (٣) الفخري : ص ١٢٨ .
- (٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٥ .

أعرفون هذا ؟ فأجابوه بأنه موسى بن جعفر ، فسألهم عما اذا كانوا يرون على الجثمان اثر سم أو غير ذلك فأجابوه بالنفي (١) .

وروى الاصفهاني (٢) ان الجثمان وضع على الجسر في بغداد فنودي : هذا موسى بن جعفر قد مات ، فانظروا اليه « كما طاف مناد بطرقات بغداد يصيح : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت ، فانظروا اليه . ودفن موسى في مقابر قریش ، في الجانب الغربي من بغداد (٣) .

وهكذا انتهج الرشيد سياستين متغايرتين نحو العلويين وشيعتهم ، فبدأ عهده بسياسة التسامح والتساهل ، ثم انتهى الى سياسة الشدة والقمع . وهذه السياسة الأخيرة فضلاً عن اختلافها عن السياسة السمحاء التي بدأ الرشيد بها عهده ، فانها لا تتفق مع ما نعرفه عن الرشيد من دماثة خلق وسماحة وورع وكرم ، وهي الصفات التي وصفه المؤرخون الاقدمون بها .

تساؤلات حول موقف الرشيد الجديد من العلويين :

ولذا لنا أن نتساءل : هل كان الرشيد مضطراً الى اتباع سياسة الشدة ، والاضطهاد مع العلويين ؟ وهل كانت هذه السياسة نابعة من نفسه وعقله ؟ أم موصى بها من غيره من رجال الدولة ؟ وهل اضطره العلويون الى انتهاج هذه السياسة ؟ وهل كانت الظروف تبرر ما ألحقه الرشيد بالعلويين ؟

أصبح وقوف الخلفاء العباسيين موقفاً حازماً صلباً ازاء البيت العلوي ، سياسة تقليدية متوارثة . وثبت في اذهان هؤلاء الخلفاء ان العلويين ما زالوا

(١) اليعقوبي ج ٢ ص ٤٩٩ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٠ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٠٤ .

(٣) قبر الامام موسى الكاظم مزار مشهور عند الشيعة وتطلق الشيعة على القبر اسم (باب الحوائج) وقد ذهب بعض اتباع موسى الى انه لم يموت وانه يعود ولكن غالبية الشيعة نقلت الامامة الى ابنه علي الرضا (النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٠ - ٨١) .

يتطلعون الى الخلافة ويؤمنون انها حقهم الذي اغتصبه البيت العباسي وان العلويين يترقبون الفرصة للظهور واطلاق الثورة وانتزاع الخلافة . وقد رأى الرشيد عند توليته الخلافة ان يتهج سياسة تغاير سياسة اسلافه فرأى ان يهادن العلويين ويخطب ودهم بالأموال والصلات ، ولكن حركتي يحيى وادريس جعلته - كما رأينا - يحيد عن هذه السياسة .

حرص الرشيد دائماً على ان يعلن للرأي العام انه مضطر الى انتهاج هذه السياسة المتشددة الحديثة . فقد روى السيوطي (١) ان الرشيد قال في مجلس من مجالسه : بلغني ان العامة يظنون في بعض علي بن أبي طالب ، ووالله ما أحب أحداً حبي له ، ولكن هؤلاء أشد الناس بغضاً لنا وطعناً علينا وسعيماً في فساد ملكنا ، بعد أخذنا بثأرهم ومساهمتنا اياهم ما حويناها ، حتى انهم لا ميل الى بني أمية منهم الينا » . وروى الاصفهاني (٢) ان الرشيد وقف عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، قبيل القبض على موسى بن جعفر فقال : يا رسول الله اني اعتذر اليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد ان أحبس موسى بن جعفر ، فانه يريد التشتت بين أمتك وسفك دماؤها .

دافع احد الكتاب المحدثين (٣) عن موقف الخليفة هارون الرشيد فقال : قد يتبادر الى الذهن ان الرشيد كان رجلاً سفاكاً او ان كل ما جرى للعلويين في عهده كان من صنع يده . والحقيقة غير ذلك ، فقد يكون الرجل خائفاً من انتفاضات العلويين على عرشه ، فيسجن من يرتاب به منهم او ينفيه كما يحدث عادة في كل صراع سياسي بين حاكم ومحكوم . ولكن ليس من الامانة العلمية ان نضع على عاتقه وحده دماء كل الذين توفوا في سجونه من الخصوم ، كما اننا لا نستطيع ان نبرىء ساحته من كل ما حدث في عهده . فقد كان الرشيد

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٩٣ - يقصد الرشيد ان العباسيين ثأروا لقتلى العلويين من الامويين .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٠٦ .

(٣) الجوررد : هارون الرشيد ص ١٧٩ .

في الاعوام الأولى من حكمه مغلوباً على أمره من قبل أمه الخيزران ووزيره يحيى بن خالد . فلما ماتت الأم ، بقيت سلطة يحيى المطلقة في تدبير شئون الدولة الخطيرة حتى عام ١٨٧ هـ ، يمارسها هو وولده الفضل وجعفر مع الرشيد جنباً الى جنب .

وقد يكون هذا الرأي صائباً في بعض جوانبه وان الرشيد كان واقعاً تحت تأثير وتحرير البرامكة وقد مر بنا دور جعفر البرمكي ايضاً في الوشاية بموسى ابن جعفر العلوي ، مما أدى الى مصرعه (١) . كما لمسنا اصابع البرامكة تحرك الرشيد في جميع مواقفه من العلويين ، وقد ذكرنا دورهم في حركتي يحيى وادريس ابني عبدالله ، فقد عمل الفضل بن يحيى البرمكي على تشجيع يحيى على الثورة حتى استفحل امره ، ثم قام بدوره في اغراء يحيى على قبول امان الرشيد والرحيل الى بغداد حيث لقي حتفه (٢) . كما كان يحيى بن خالد البرمكي صاحب فكرة اغتيال ادريس بن عبدالله (٣) .

ومهما كان الرأي ، فقد كان هارون الرشيد أخف وطأة على العلويين من اسلافه الخلفاء العباسيين . وقد انشرد من بينهم بالاحسان الى بعض الزعماء العلويين واغداق الأموال والصلات عليهم . وكان الرشيد ينهى الشعراء اذا ذموا العلويين ، حتى يتقربوا اليه . فروى الاصفهاني (٤) ان الرشيد لام الشاعر منصور النمري على هجائه للعلويين وقال له : يا ابن اللخناء ، اتظن انك تتقرب الي بهجاء قوم أبوهم أبي ونسبهم نسبي وفرعهم وأصلهم فرعي وأصلي .

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

(٤) الاغاني ج ٢ ص ١٨ .

كانت نهاية حياة الامام موسى الكاظم في سنة ١٨٣ هـ ، وركن العلويون بعدها الى الهدوء طوال السنوات العشر التي حكمها الخليفة هارون الرشيد ، اذ توفي سنة ١٩٣ هـ فتحول العلويون خلال هذه السنوات من النشاط العلني الى النشاط السري ، او ما يسمونه «التقية والكتمان» وكان حرمان العلويين من زعماء بارزين من عوامل انتهاجهم هذه السياسة .

تساءل احد كتاب الشيعة (١) هل كانت تلك الضربات المتتالية على رؤوس الشيعة وشدة الضغط عليهم قد ذهبت بقواهم ؟ أو لأن التقية حملتهم على الاستسلام للقسوة ؟ أو لأن الامام لا يرضى لهم الثورة لعلمه بأنها لا تصل بهم الى الغاية ؟ أو لانهم بغير سائس وزعيم ينهض بهم ؟ ثم أجاب هذا الكاتب الشيعي على تساؤلاته فقال : احسب ان خلوهم من الرئيس الناهض هو الذي اسلمهم الى ذلك الخضوع ، ومن ثم تجدد العراقيين والحرمين واليمن قد تمردت على الحكم العباسي أيام المأمون عندما وجد الناس زعماء من العلويين يشبون بهم في وجوه بني العباس .

يستمد الكاظم مكانته لدى الشيعة من كثرة ما حاق به من الظلم . ورغم ان مدة امامته تجاوزت خمسة وثلاثين عاماً ، فانه لم يبلغ في العلم ما بلغه أبوه الامام جعفر الصادق ويعتذر الشيعة عنه بما لقيه من اضطهاد ، فقد كان اما مسجوناً بسجن العباسيين او بسجنه نفسه بعيداً عن الناس خوفاً من بني العباس ، حتى ان الراوي لا يسند الحديث اليه بصريح اسمه اذا روى الحديث بل قلما نجد اسمه صريحاً في الحديث لشدة التقية في أيامه وعلى أية حال فقد تابع موسى منهاج آباءه في البعد عن السياسة او طلب الرئاسة (٢) .

وبامامة موسى الكاظم دخلت الامامة دورها التنري ايضاً ، ودورها العبادي وانتهى دور الفقه فلا نسمع فقهاً خاصاً لموسى بن جعفر ، كما لا نسمع ان له دوراً كلامياً في عقائد الامامية (٣) .

(١) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٤٨ - ٤٩ . (٢) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٨٥ .
(٣) الشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٢٨١ .

٣ - موقف البرامكة من العلويين والشيعة

البرامكة بين العباسيين والعلويين :

لا توجد مسألة في التاريخ الاسلامي ، أثارت انتباه المؤرخين والكتاب والادباء فصالوا فيها وجالوا ، أكثر من نكبة البرامكة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد بعد ان وصلوا الى ذروة المجد السياسي ، وكانوا أصحاب السلطة والنفوذ على مدى عهود المنصور والمهدي والرشيد . ونحن في هذا الفصل سنتقصر في بحثنا على الاشارة الى اتهامات المؤرخين للبرامكة بميولهم نحو العلويين ، وبيان مدى أثر هذه الاتهامات في نكبتهم .

تحدث المؤرخ ابن طباطبا(١) عن أمجاد البرامكة ، فوصف يحيى البرمكي وأبناءه بأنهم « كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة والسينول دافقة والغيوث مطرة أسواق الآداب عندهم نافقة ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة غامرة» . وأصبحت الوزارة في عهد الرشيد « وزارة تفويض » (٢) اذ فوض الرشيد البرامكة في تسيير دفة الدولة(٣)

- (١) الفخري ص ٤٠ .
- (٢) قسم الماوردي (الاحكام السلطانية ص ٢٢ - ٢٣) وأبو يعلى (الاحكام السلطانية ص ١٣) الوزارة الى نوعين : وزارة تنفيذ فتصبح الوزارة مجرد اداة تنفيذية لسياسة الخليفة ويكون الخليفة مصدر جميع السلطات ووزارة تفويض حيث يفوض الخليفة شخصية بارزة موضع ثقته في شئون الدولة .
- (٣) كان يحيى البرمكي يتولى تربية الرشيد في حداثته وفوض الرشيد تدبير الدولة فقال له : « يا أبت قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي اليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت فاني غير ناظر معك في شيء » (الفخري ص ١٤٠ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٧٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٤٣) .

وبرز جعفر بن يحيى البرمكي على سائر اخوته واصبح صاحب السلطة الحقيقية في عهد الرشيد(١) مما أدى الى تصادم بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير ، ووضح ذلك في الصراع الذي قام بين الرشيد والبرامكة مما أدى الى تكبتهم(٢) .

أشار الجهشيارى الى ميل يحيى البرمكي الى يحيى بن عبدالله العلوي ، حتى انه أمده بمئتي ألف دينار خلال ثورته في بلاد الديلم . وعلل يحيى البرمكي مساعدته للزعيم العلوي بأنه فعل ذلك لكي يقوي أمر العلوي ، فيكلف الخليفة أحد أولاد البرمكي للقضاء على الثورة فتعظم مكانته عند الخليفة . واستنكر الخليفة الرشيد هذا الغدر ، فقال ليحيى البرمكي : وما يؤمنك ان تقوى شوكته فتقتل ابنك الفضل وتقتلني ؟ .. كما روى الجهشيارى أيضاً ان يحيى البرمكي أمد أحمد بن عيسى بن زيد العلوي(٣) بسبعين ألف دينار ليهيأ بها للثورة على الدولة العلوية .

ويتهم ابن الأثير (٤) موسى بن يحيى البرمكي بأنه « كان متهماً بتجريض أهل خراسان على نبذ الطاعة » . ويرى ابن كثير(٥) ان الرشيد نكب البرامكة « لأنهم أرادوا ابطال الخلافة » . ويصف ابن خلدون (٦) خالد بن برمك ، جد أسرة البرامكة بأنه كان « من كبار الشيعة » . ويرى الدكتور فيليب حتى

(١) قال ابن خلكان (وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٩٢) : « كان جعفر بن يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد من علو القدر و نفاذ الأمر ، وبعد الهمة وعظم المحل وجلالة المنزلة عند الرشيد مجالاة انفرد بها ولم يشارك فيها » .

(٢) Encycl. Bretanica, Part 3. P. 118.

(٣) كان المهدي قد احتضن احمد بن عيسى ، بعد موت أبيه ورباه في بيته ، ثم قبض عليه وسجنه حينما علم بالتفاف الشيعة حوله ، ثم هرب من سجنه وتوارى عن الأنظار (الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدايق ص ٣٠٧) .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠٠ ص ١٨٩ .

(٦) ابن خلدون : البرج ج ٣ ص ٢٢٢ .

ان الرشيد حين أدرك أن أسرة البرامكة بدأت تولي الشيعة من الفرس في المناصب واصبحت لهم قوة نكبها .

ونستنبط من رواية الاصفهاني(١) ان البرامكة سعوا الى افساد العلاقات بين العباسيين والعلويين فهو يقول : « ان السبب في أخذ موسى بن جعفر وحبسه ان الرشيد جعل ابنه محمد الأمين في حضن جعفر بن محمد بن الأشعث فحسده يحيى بن خالد البرمكي ، وقال : ان أفضت اليه الخلافة زالت دولتي ودولة ولدي فاحتال على جعفر بن محمد بن الأسقف ، وكان يقول بالامامة حتى داخله وأنس به وأسر اليه فرفعه الى الرشيد وقال ان الأموال تحمل اليه من الشرق والغرب ، وان له بيتوتاً تحمل اليه وانه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار سماها (اليسيرة) فسمع منه الرشيد ذلك فأخذه وحبسه حتى مات سنة ١٨٣ هـ . »

حقيقة اطلاق جعفر البرمكي سراح يحيى العلوي :

روى المؤرخون قصة اطلاق جعفر بن يحيى البرمكي سراح الثائر العلوي يحيى بن عبدالله بن الحسن ، وجعلوها من عوامل نكبة البرامكة . وكان الرشيد قد استفتى الفقهاء في نقض الامان الذي اعطاه ليحيى ، ثم سلمه لجعفر البرمكي ، فاستعطفه العلوي فاطلق سراحه ، ونقل الفضل بن الربيع الوزير العربي وكان حاقداً على البرامكة النبأ الى الخليفة الرشيد ، وتظاهر الرشيد بعدم الاكتراث ، وسأل البرمكي عن سجينه فزعم انه لا يزال في حبسه ، ولما خرج يحيى البرمكي من مجلس الرشيد « اتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه ، ثم قال قتلي بسيف الهدى على عمل الضلالة ، ان لم اقتلك(٢) . وروى الطبري(٣)

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠٠ .

(٢) - الطبري ج ٦ ص ٤٨٥ ، الفخري ص ١٧٦ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٨٥ .

ن ابا محمد اليزيدي، وكان من أعلم الناس بأخبار البرامكة ، قال : من قال أن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن الحسن ، فلا تصدقه . أي ان هذا الرجل يرى ان اطلاق سراح الثائر العلوي كان العامل الرئيسي في نكبة البرامكة .

ورغم الروايات التي حفظتها المصادر التاريخية القديمة عن اطلاق جعفر البرمكي سراح يحيى العلوي الا أن الدكتور الجومرد (١) ، الذي وضع كتاباً ضخماً من جزئين عن هارون الرشيد ، ينفي هذه الروايات فيقول : قد يكون هذا الخبر من صنع الفرس ليثبتوا ان مقتل البرامكة كان بسبب ميلهم للعلويين مع ان البرامكة قد لا يكونون خصوماً للعلويين ، ولكنهم لم يكونوا من شيعتهم ، وقد ثبت بأن غير واحد منهم قتل على أيدي هؤلاء البرامكة ونحن اذا علمنا بأن جعفرأ أطلق سراح العلوي وكان موت يحيى بن عبد الله في عام ١٧٦ هـ ، فاننا لا نستطيع اعتبار هذا الحادث سبباً لنكبة البرامكة لمرور ما يزيد على عشرة أعوام بينه وبين النكبة .

ونحن وان كنا نؤيد الروايات القديمة التي تحدثت عن اطلاق يحيى البرمكي سراح الثائر العلوي الا اننا لا نؤكد ان البرامكة قد اعتنقوا مذهب التشيع او أصبحوا من دعاة وأنصار البيت العلوي ، ونرى أن البرامكة كانوا طوال تاريخهم وفي جميع تصرفاتهم وسياساتهم يعملون لصالح أسرهم ويضربون القوى بعضها ببعض واذا وجدوا ان من صالحهم ممالأة العلويين انتهجوا هذا السبيل واذا رأوا ان مصلحتهم تقضي بالوقوف مع الخلفاء العباسيين في وجه الثوار العلويين فعلوا ذلك . وكان البرامكة قد وصلوا الى قمة المجد وذروة النفوذ في الدولة العباسية ، ولا يضمنون ان يصلوا الى ما وصلوا اليه في ظل خلافة علوية . وقد كان العلويون سلاحاً في أيدي البرامكة يستخدمونه اذا

(١) هارون الرشيد ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

شعروا أنهم في حاجة إليه ، وانه يحقق مصالحهم الذاتية . وقد كان يحيى بن خالد البرمكي - كما رأينا - السبب في القبض على موسى بن جعفر العلوي وسجنه ليتقرب الى الخليفة الرشيد(١) .

ونرى أن استفحال نفوذ البرامكة واستئثارهم بالسلطة دون الخليفة هارون الرشيد كان العامل الرئيسي في نكبتهم . فيرى ابن خلدون(٢) انه انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة ، وذكر صاحب الفخري(٣) ان جعفرأ والفضل بن يحيى ظهر منهما الادلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبتهم - أي الرشيد - بذلك . ويذكر الجهشيارى(٤) انه قد « أصبحت الخلافة على الحقيقة ليحيى وأولاده وليس للرشيد الا اسمها » . ويرى الاصفهاني(٥) ان البرامكة قد أصبحوا ملوكاً لدولة داخل الدولة العباسية . وأصبح تضخم نفوذ البرامكة يصور استئثار الفرس بالسلطة مما يتنافى مع سياسة الخلفاء العباسيين(٦) .

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥ .

(٣) الفخري ص ٤٢ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٢٥ .

(٥) الاصفهاني : الاغانى ج ٤ ص ٣٩ .

(٦) يرى الدكتور عبد العزيز الدوري (الجدور التاريخية للشعبوية ص ٤٦ - ٤٧) ان العباسيين أرادوا تنمية روح التعاون العربي الفارسي ، وابتعاد سياسة مزدوجة في الادارة وخلق كيان سياسي موحد متماسك بين عنصرى الدولة ، ولكن هيمنة البرامكة على الدولة واسرافهم في استخدام الفرس أدى إلى رد فعل شديد لدى العرب ضدهم وهددوا فكرة التماسك الاداري .

الباب الخامس

ثورات الشيعة في عهدي المأمون والمعتصم

تمهيد : الشيعة في عهد الأمين .

- ١ - ثورة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا .
- ٢ - ثورة محمد الديباج بن جعفر الصادق .
- ٣ - موقف الشيعة من بيعة المأمون للامام علي الرضا بولاية العهد .
- ٤ - ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق وأبي عبدالله أخي أبي السرايا .
- ٥ - ثورات الشيعة في بلاد اليمن .
- ٦ - ثورة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم .

ثورات الشيعة في عهد الخليفة المأمون

تمهيد : الشيعة في عهد الأمين :

ركنت الشيعة في السنوات العشر الأخيرة (١٨٣ - ١٩٣ هـ) من عهد الخليفة هارون الرشيد الى الهدوء ، أو الى ما تسميه الشيعة التقية والكتمان . فقد آثر العلويون الانصراف الى تضييد جراحهم ولمّ شعثهم لآثر توالي الضربات عليهم في العهود السالفة ، مترقبين سنوح الفرصة للملازمة للقيام بحركاتهم الشيعية .

كما أدى مصرع كثير من الزعماء العلويين البارزين على أيدي الخليفة هارون الرشيد الى حرمان الشيعة من الزعيم الذي يقودهم لنضال الدولة العباسية ، ولذا باتت الشيعة تترقب بروز زعماء علويين من الصف الثاني ، يتقدمون خطوات الى الصف الأول ليواصلوا الكفاح ، فتقوم حركات شيعية جديدة تضاف الى تلك السلسلة الطويلة التي تنتظم فيها حلقات كثيرة من هسائه الحركات .

تولى الخليفة محمد الأمين بعد وفاة أبيه الرشيد سنة ١٩٣ هـ (١) . وحفل عهده بالاضطرابات والفتن ، أبرزها ذلك الصراع العنيف الذي دار بين الأمين وأخيه عبدالله المأمون ، نتيجة رغبة الأمين في مخالفة نظام ولاية العهد الذي وضعه الرشيد (٢) ، فقد أراد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وتولية

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٣ .

(٢) قدم الرشيد ابنه محمد الأمين على ابنه المأمون ، لأن أم الأمين عربية قرشية هاشمية وهي السيدة زبيدة ، بتحريض من الحزب العربي برئاسة الفضل بن الربيع ، فقد كانت أم المأمون جارية فارسية خراسانية .

ابنه الصغير موسى (١) ، ونتيجة الصراع بين الفرس والعرب .

وفي الوقت الذي ثار فيه صراع عنيف بين الأخوين ، اشتعلت ناز الثورة في بلاد الشام ، اذ ثار السفياي(٢) ، وينسب الى البيت السفياي الأموي ، ودعا الى نفسه ، واستولى على دمشق والمنطقة المحيطة بها ، وكاد أن يقيم حكماً أموياً في بلاد الشام ، لولا أن نشب نزاع بين اليمانيين والمضريين(٣) ، أضعف من قوته ، فنجح الأمين بعد جهود كثيرة استمرت أكثر من عامين في القضاء عليها(٤) .

واستمر صراع الأخوين ، الأمين والمأمون ، ودارت كثير من المعارك الحربية يخرج ذكرها عن نطاق هذا البحث ، وانتشرت الفوضى في بغداد خاصة ، وفي أرجاء الدولة العباسية عامة ، وانتهى الأمر بمصرع الأمين وتولية المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ (٥) .

فماذا كان موقف العلويين والشيعة؟ ولماذا لم ينتهزوا فرصة هذه الاضطرابات لمعاودة حركاتهم؟

في الحقيقة كانت هذه الفوضى الشاملة التي سادت أرجاء الدولة الاسلامية أكثر من أربع سنوات ، فرصة ذهبية لمعاود العلويون وشيعتهم حركاتهم ، ولكنهم آثروا الهدوء والسلام ، ونعتقد أن افتقاد الشيعة للزعيم المنشود الذي يتولى قيادتهم هو العامل الرئيسي في هذه السياسة ، الى جانب ما ثار من خلافات شديدة عميقة بين فرق الشيعة ، من امامية وزيدية واسماعيلية وغيرها .

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ١٦٦ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٣٧ .

(٢) وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

(٣) المضريون فرع من العرب الحجازيين ، وكانت هناك عصبية تقليدية بين العرب اليمانيين والعرب الحجازيين منذ العصر الجاهلي ، واستمر طوال العصر الاسلامي .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٥ - ٧٧ .

(٥) الطبري ج ٧ ص ١١٤ - ١١٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٨٢ - ٨٥ .

كما أن الخليفة الأمين انصرف عن تتبع العلويين واضطهادهم ، نتيجة الفتن والاضطرابات الكثيرة التي واجهها ، الى جانب انشغاله باللهو والترف . فيقول الأصفهاني(١) : « وكانت سيرة محمد - أي في أمر آل أبي طالب - خلاف ما تقدم ، لنشاغله بما كان فيه من اللهو والادمان له ، ثم الحرب التي كانت بينه وبين المأمون حتى قتل ، فلم يحدث على أحد منهم في أيامه حدث بوجه ولا سبب » .

ولا شك أن عيون العلويين والشيعة قد قررت لهذا الصراع بين الأمين والمأمون ، فهو مظهر لانقسام البيت العباسي على نفسه ، مما يؤدي الى ضعف العباسيين ودولتهم ، وهو أيضاً صراع بين العناصر العربية والعناصر الفارسية ، والحزبين العربي والفارسي في بلاط القصر العباسي(٢) . وبسات العلويون يترقبون من سيكون المنتصر من الأخوين حتى يعلنوا الثورة عليه ، ويجهزوا عليه ، وقد خرج من الصراع منهكاً متعباً . وهذا ما حدث ، فقد كان لانتصار للمأمون ، وما لبث أن واجه حركات الشيعة .

* * *

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠٩ .
(٢) أيد الحزب العربي بزعامة الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان الخليفة الأمين ، بينما أيد الفضل بن سهل والفرس المأمون (اليقوي ج ٣ ص ١٦٦) .

١- ثورة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا

نجح المأمون في القضاء على قوات أخيه الأمين ، ثم تولى الخلافة ، وكان القائدان طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين من أبرز عوامل انتصارات المأمون (١) بينما استأثر الفضل بن سهل بالوزارة والنفوذ في مرو بخراسان ، حيث كان المأمون مقيماً (٢) . وأراد الفضل الخلاص من القائدين الباسين ، فأصدر أمرين على لسان المأمون ، أولهما بتولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن . وكتب الى طاهر أن يسلمه جميع ما بيده من الأعمال وأن يشخص الى الرقة لمحاربة نصر بن ثابت الذي أعلن الثورة في الشام (٣) ، وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب ، واضطر طاهر الى الازعان وهو كاره لتنفيذه. أما الأمر الثاني ، فقد صدر الى هرثمة يأمره بالقدوم الى خراسان . وأدى ابتعاد هذين القائدين الكبيرين عن بلاد العراق الى انتشار الاضطرابات فيها ، مما ساعد على ظهور عدة ثورات أبرزها حركة شيعة قام بها محمد بن ابراهيم العلوي ، يعاونه داعية له يدعى (أبو السرايا) .

بوادر ثورة شيعة جديدة :

بدأت أول حركة شيعة في عهد المأمون في أواخر جمادى الثانية سنة ١٩٩هـ (٤)

- (١) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٨٢ - ٨٥ .
- (٢) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٦٧ .
- (٣) وهي حركة عربية نقتت على المأمون الاعتماد على الفرس والخراسانيين وحاولت الشيعة الاستفادة من هذه الحركة فبايع نصر لأحد العلويين ولكنه رفض ذلك ، وانخفقت الثورة سنة ٢١٠هـ (الطبري ج ٧ أحداث سنة ٢٠٥ إلى ٢١٠هـ) .
- (٤) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ .

وهي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية ، وتزعمها محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وقد اشتهر باسم (ابن طباطبا) .

كان العلويون قد ركنوا الى الهدوء في أواخر عهد الخليفة الرشيد ، وطوال عهد الخليفة الأمين . وبدأت بوادر قيام حركة جديدة من حركات الشيعة في مطلع عهد المأمون ، مستفيدة من اقامة الخليفة الجديد في مرو بخراسان ، ومن الفوضى التي انتشرت في بلاد العراق وبعض ولايات الدولة العباسية اثر الصراع المرير الذي شب بين الأخوين ، الأمين والمأمون (١) .

كانت بداية هذه الحركة الشيعية ، قدوم رجل من شيعة الجزيرة ، يدعى نصر بن شبيب ، الى الحجاز حاجاً . ومر نصر بالمدينة فسأل عن « بقايا أهل البيت ومن له ذكر منهم » . فذكر له ثلاثة أسماء من العلويين ، أولهم علي ابن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، ولكن نصرأ علم أن هذا الزعيم « كان مشغولاً بالعبادة لا يصل اليه أحد ولا يأذن له » ، أما الزعيم العلوي الثاني فهو عبدالله بن موسى وكان « مطلوباً خائفاً لا يقاوم أحداً » . وبقي الزعيم الثالث ، وهو محمد بن ابراهيم ، فكان الزعيم الوحيد الذي يمكن لنصر لقاءه اذ كان « يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن » . والتقى نصر بمحمد ، فذكره بما نزل بأل علي من تنكيل واضطهاد ، وباغتصاب العباسيين لحق العلويين في الخلافة ، ثم قال نصر لمحمد : « حتى متى توطئون بالحسف وتهتضم شيعتكم وتسكتون على حثكم ؟ » . وتأثر محمد بجديث نصر ، واتفقا على اللقاء في اقليم الجزيرة (٢) .

وعاد نصر مع سائر الحجاج الى الجزيرة ، وبعد فترة لحق به محمد بن ابراهيم ، ومعه نفر من اصحابه وشيعته . وجمع نصر أهله وعشيرته « وعرض

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) الإصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥١٩ .

ذلك عليهم ، فأجابه به بعضهم وامتنع عليه بعض ، وكثر القول فيهم والاختلاف ، حتى تواتبوا وتضاربوا بالنعال والعصي ، وانصرفوا عن ذلك ثم توجه بعض أقاربه اليه بالنصيحة ، فحذروه عواقب الخروج على طاعة الدولة العباسية ، مما يعود بالضرر عليه وعلى أهل بيته ، وختموا نصيحتهم له بقولهم : « فما حاجتك الى تعريض نفسك وأهلك وأهل بيتك لما لا اقوام لهم به ؟ ان جميع هذا البلد أعداء لآل أبي طالب ، فان أجابوك الآن طائعين ، فروا عنك غداً منهزمين اذا احتجت الى نصرهم ، على أنك الى خلافهم أقرب منك الى اجابتهم » . واقتنع نصر بنصيحة أقاربه ، فعدل عن رأيه ، وفترت حماسته ، « فصار الى محمد بن ابراهيم معتذراً اليه بما كان من خلاف الناس عليه ، ورغبتهم عن أهل البيت » ، وعرض نصر على محمد أن يمنحه خمسة آلاف دينار ليقوى بها . وغضب محمد لتخلي نصر عن وعوده ، وغادر الجزيرة راجعاً الى الحجاز (١) .

أبو السرايا ومحمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) :

بعث نصر بن شبيب الآمال في نفس محمد بن ابراهيم ، ودفعه الى التطلع الى الخلافة ، والتفكير في تدبير سبل الوصول اليها . ويبدو أن نكث نصر لوعوده لم يثن محمداً عن تطلعه الى الخلافة . ففي خلال عودته الى بلاد الحجاز التقى في الطريق بأبي السرايا ، السري بن منصور ، وهو من بني ربيعة بن ذهل ابن شيبان (٢) . وكان أبو السرايا « قد خالف السلطان ونازله ، وعاش في نواحي السواد (٣) » ، ثم صار الى تلك الناحية فأقام بها خوفاً على نفسه . وعلم أبو السرايا بما كان بين نصر بن شبيب ومحمد بن ابراهيم ، فعرض أبو السرايا

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٢٠ .

(٢) ذكر الطبري (ج ٧ ص ١١٧) انه من ولد هانيء « بن قبيصة بن هانيء بن مسمود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان من الفرسان المشهورين بالشجاعة والاقدام .

(٣) أي سواد العراق ، وهي الأرض الحصبة السوداء .

أن يقدم للزعيم العلوي ما كان نصر قد وعده به من معاونات ، وتعهد له بالوفاء وأن يكون له نصيراً ومؤزرراً ، وطلب منه أن يعدل عن الرجوع الى الحجاز ، وأن يتجه الى الكوفة ، حيث يوافيه بعد فترة وجيزة (١) .

قدم محمد بن ابراهيم الى الكوفة « يسأل عن أخبار الناس ويتحسسها ، ويتأهب لأمره ويدعو من يثق به الى ما يريد ، حتى اجتمع له بشر كثير » . ورحل ابو السرايا في طريقه الى الكوفة ، فمر بنينوى ، ثم اتجه الى قبر الحسين ، على رأس عدد كبير من الفرسان . وبعث أبو السرايا في طلب الشيعة الزيدية ، فقدموا عليه ، فخطب فيهم خطبة طويلة ، ذكر فيها أهل البيت وفضلهم ، وما أنزله العباسيون بهم من مظالم واضطهاد ، ثم خطب خطبته بقوله : « انني خارج من وجهي هذا الى الكوفة للقيام بأمر الله والذب عن دينه ، والنصر لأهل بيته ، فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي » ، ثم بدأ أبو السرايا رحلته الى الكوفة (٢) .

وفي ضواحي الكوفة ، كان محمد بن ابراهيم وشيعته في انتظار أبي السرايا وقد انضم اليه علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين ، وانضم اليهم عدد كبير من أهل الكوفة ، فكانوا « مثل الجراد ، الا أنهم على غير نظام وغير قوة ، ولا سلاح الا العصي والسكاكين والآجر » وأبدى بعض الشيعة قلقهم لتأخر وصول أبي السرايا ، حتى شتموه وسبوه ، ولاموا محمد بن ابراهيم على الاستعانة به .

قدم أبو السرايا الى الكوفة ، وترجل عن جواده وعانق محمد بن ابراهيم ، وطلب أبو السرايا من الزعيم العلوي أن يدخل الى الكوفة ، ويخطب الناس ،

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٢١ - كان العلويون يفضلون الاقامة في الحجاز وخاصة المدينة .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

ودعا محمد بن ابراهيم أهل الكوفة الى البيعة للرضا من آل محمد(١) ، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتمت البيعة عند موضع في الكوفة يسمى (قصر الضرتين)(٢) .

ذكر الطبري(٣) ، سببين لقيام هذه الحركة الشيعية التي تزعمها محمد ابن ابراهيم وداعيته أبو السرايا . أما السبب الأول فهو اضطراب احوال الدولة اذ استأثر الفضل بن سهل بالسلطة والنفوذ في الدولة العباسية دون المأمون(٤) حتى قيل انه أنزل المأمون في قصر وحججه عن أهل بيته وقواده وخاصته «مغضب لذلك بالعراق من كان لها من بني هاشم ووجوه الناس وأنفوا من غلبة الفضل ابن سهل على المأمون ، واجترأوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا» .

أما العامل الثاني الذي ذكره الطبري(٥) ، والذي أدى الى قيام حركة محمد بن ابراهيم : فهو تحريض أبي السرايا له ، فقد ساءت العلاقات بينه وبين الدولة العباسية ، ورأى الاستفادة من الزعيم العلوي في خلع طاعة الدولة ، فقال الطبري : « وقيل كان سبب خروجه ان أبا السرايا كان من رجال ابن ابراهيم بقتلهم . وأسرع الفضل ومواليه بالفرار ، واستولى أبو السرايا على الدار ، وحاول جنده انتهابها ، فنهاهم عن ذلك . وخرج الفضل الى الحسن ابن سهل يشكو اليه ما حل به ، فوعده الحسن بأنه يقف من هذه الحركة الشيعية موقفاً حازماً حاسماً(٦) .

-
- (١) كان العباسيون يدعون أيضاً خلال الدعوة العباسية (١٠٤ - ١٣٢ هـ) إلى الرضا من آل محمد ، وكان أبو السرايا من قبل موالياً للعباسيين ثم خرج عن طاعتهم .
 - (٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٢٣ .
 - (٣) الطبري ج ٧ ص ١١٧ .
 - (٤) قال المأمون للفضل : « وقد جعلت لك مرتبة ١٠٠٠٠ يقول في كل شيء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزم ما أمرتك به من العمل لله ونبيه والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها » (الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٦) .
 - (٥) الطبري ج ٧ ص ١١٧ - ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٨٧ - ٨٨ .
 - (٦) الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ص ٥٢٥ .

واستدعى الحسن بن سهل اليه أحد القواد العباسيين البواسل ، وهو زهير ابن المسيب ، فعهد اليه باخضاع أبي السرايا ، وأمده بالرجال والأموال والامدادات وبعث الى والي الكوفة سليمان بن أبي جعفر المنصور يتهمه بالضعف ويلومه على موقفه المتخاذل الذي أدى الى قيام حركة الشيعة في الكوفة (١) .

خرج زهير بن المسيب على رأس جيش عدته عشرة آلاف فارس ، متجهاً نحو الكوفة ، وكان محمد بن ابراهيم ملازماً فراشه يعاني مرضاً شديداً ، فأمر داعيته أبا السرايا بقتال « الجيش العباسي » وحاول بعض البغداديين من أنصار العباسيين ، المقيمين بالكوفة ، أن يحثوا أهل الكوفة على التخاذل عن الانضمام الى جيش أبي السرايا ، ولكن أبا السرايا أثار الحماسة في قلوبهم ، بالخطابة حيناً ، وبالشعر حيناً آخر ، حتى نجح في تعبئة جيش خرج به لقتال العباسيين (٢) .

دارت معركة عنيفة بين الفريقين في آخر رجب سنة ١٩٩ هـ (٣) ، انتهت بهزيمة الجيش العباسي ، وأسرع الجند العباسيون بالفرار ، وأبو السرايا يتبعهم حتى صاح زهير فيه : ويحك ، أتريد هزيمة أكثر من هذه ؟ الى أين تتبعني ؟ فكف أبو السرايا عن ملاحقة العباسيين ، وغنم جيش الكوفة كثيراً من الغنائم ، « لم يغنم أحد مثلها » ، وعاد زهير الى بغداد ، وغضب الحسن بن سهل عليه فضربه بعمود حديد على وجهه فشر أحدى عينيه ، وأراد قتله ، لولا شفاعته بعض أصحابه فعفا عنه .

وصف الاصفهاني (٤) دخول ابي السرايا الى الكوفة منتصراً ، وصفاً يبين قوة الحركة الشيعية ، وارتفاع روح الشيعة المعنوية ، فقال : « ودخل أبو السرايا الكوفة ومعه خلق كثير من الأسارى ، ورؤوس كثيرة على الرماح

(١) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٨٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٢٨ .

(٣) الطبري ، ج ٧ ص ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٨٨ .

(٤) كانت عدة هذا الجيش ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة (مقاتل الطالبين ص ٥٣) .

مرفوعة ، وفي صدور الخيل مشدودة ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح فهم في حالة واسعة ، وأنفسهم بما رزقوه من السنصر قوية .

قرر الحسن بن سهل أن يعاود القتال في جولة أخرى ، فأعد جيشاً (١) عهد بقيادته الى عبدوس بن عبد الصمد ، وأعدق عليه العطاء ، وأخذ يمينه ويعده ان انتصر على أبي السرايا ، وخرج أبو السرايا من الكوفة للقائه ، وجعل شعاره « يا فاطمي يا منصور » ، ونجح في الحاق الهزيمة بالجيش العباسي وقتل قائده عبدوس وغنم كثيراً من الغنائم .

زعامة أبي السرايا بعد موت ابن طباطبا :

عاد أبو السرايا الى الكوفة مكللاً بأكاليل الغار ، ودخل على محمد بن ابراهيم وهو في فراش مرضه ، يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فلام محمد أبا السرايا على هجومه على الجيش العباسي ليلاً (٢) ، وأنه لم يدعوهم الى الامان قبل أن يقاتلهم ، فدافع أبو السرايا عما أقدم عليه ، وقال انه من تدبير الحرب ، وأنه لن يعود الى مثله في المستقبل . وأدرك أبو السرايا أن محمد بن ابراهيم قد أوشك على مفارقة الحياة ، فطلب منه أن يعهد اليه بوصيته ، فأوصى اليه فقال : « أوصيك بتقوى الله ، والمقام على الذب عن دينك ، ونصرة أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله ، فان أنفسهم موصولة بنفسك ، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامهم من آل علي ، فان اختلفوا فالأمر الى علي بن عبيد الله ، فاني قد بلوت طريقتهم ، ورضيت دينه (٣) . وما لبث محمد أن مات ، فكتم أبو السرايا نبأ وفاته ، وفي الليل استدعى اليه نفرأ من الزيدية قاموا بدفنه .

(١) كان من التقاليد العربية الأصيلة عدم مهاجمة جيش العدو ليلاً ، ويطلق على الهجوم ليلاً اللفظ (تبييت) .

(٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

(٣) الطبري ج ٧ ص ١١٩ - ١٢٠ .

يتهم الطبري أبا السرايا بأنه وضع السم لمحمد بن ابراهيم بن طباطبا حتى يستأثر بالنفوذ ، فيقول : « مات محمد بن ابراهيم بن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمه ، وكان السبب في ذلك فيما ذكر أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك ، منعه أبا السرايا وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه ، فسمه » ولكننا نميل الى الأخذ برواية الاصفهاني (١) ، وهي تذهب الى أن محمداً كان يعاني مرضاً الزمه الفراش فترة ، وما لبث أن مات متأثراً بمرضه .

وفي اليوم التالي ، جمع أبو السرايا الشيعة ، فخطبهم ، ونعى محمد بن ابراهيم اليهم ، وعزاهم فيه ، فارتفعت الأصوات بالبكاء ، ثم أخبرهم بوصية محمد ، وأنه قد عهد الى علي بن عبيد الله ، ثم قال : « فان رضيتم به فهو الرضا (٢) » ، والا فاختاروا لأنفسكم . لم يكثر الشيعة بأمر هذا العهد ، « فتواكلوا ونظر بعضهم الى بعض ، فلم ينطق أحد منهم » . وقطع غلام من آل علي يدعى محمد بن محمد بن زيد هذا السكون ، فدعا العلويين والشيعة الى الاتحاد حتى يتحقق لهم النصر على العباسيين ، وطلب من علي بن عبيد الله أن يمد يده لتبایعه الشيعة . ولكن علياً وقف يخطب ، فأعلن للناس تنازله عن هذا العهد ، وعلل ذلك بقوله ، أتخوف أن أشتغل به من غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبة » (٣) ، ثم رشح محمد بن محمد بن زيد لتبایعه الشيعة ، ثم سأل أبا السرايا عن رأيه في ذلك ، فنزل على رأيه وأقبلت الشيعة عليه تبایعه ،

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٣٢ .

(٢) أي الرضا من آل محمد .

(٣) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ص ١١١ .

وولي محمد بن محمد أقاربه العلويين على حكم بعض الامصار (١) .

أصبح أبو السرايا هو المهيمن على هذه الحركة الشيعية ، يوجهها ويرسم الخطط لها ، فقد وصف الطبري (٢) الزعيم العلوي الجديد ، محمد بن محمد ابن زيد ، بأنه كان « غلاماً أمرد حدثاً » ، ولذا استأثر أبو السرايا بالنفوذ فكان « هو الذي ينفذ الأمور ، ويولي من رأى ، ويعزل من أحب ، واليه الأمور كلها » . وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ، ونقش عليها « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص » .

توجه الولاة العلويون الجدد الى امصارهم ، فنجح ابراهيم بن موسى في السيطرة على اليمن بعد قتال محدود ، ونجح والي واسط في هزيمة واليها العباس نصر البجلي ، وسيطروا على واسط وجيبا الخراج ، وأيدهما أهلها . ونجح والي البصرة العلوي علي بن جعفر في الحاق الهزيمة بالقوات العباسية وهيمن على البصرة .

علم داود بن عيسى ، والي مكة العباسي ، بقدوم حسين بن حسن الوالي العلوي الجديد ، ليحج بالناس في هذه السنة (١٩٩هـ) ، فحشد موالي بني العباس ليدافعوا عنه ، وحدث أن قدم عليه مسرور ، خادم الرشيد (٣) ، وكان يؤدي فريضة الحج ، ومعه مائتا فارس من أصحابه . وحث مسرور الوالي العباسي على قتال الوالي العلوي ، فرفض داود أن تكون مكة المكرمة مسرحاً للقتال ، فأخذ مسرور يذكره أنه من الولاة العباسيين ، وعليه أن يدافع عن ملكه

(١) ولي ابراهيم بن موسى بن جعفر علي اليمن ، وولي زيد بن موسى بن جعفر على الأهواز ، وولي العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على البصرة ، وولي الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن أبي طالب على مكة ، وولي محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي على المدينة ، وولي الحسين بن ابراهيم بن الحسن بن علي على واسط .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١١٦ .

(٣) اشترك مسرور في التنكيل بالبرامكة .

وسلطانه ، وكان داود ساخطاً اذ لم يوله الخليفة العباسي حكم ولايته الا بعد أن وصل الى مرحلة الشيخوخة ، واختاروا له بلاد الحجاز ، وهي فقيرة في مواردها الاقتصادية ، ولذا آثر داود الخروج الى العراق . وفست ذلك في عضد مسرور ، ولم يشأ أن ينفرد بقتال العلويين « وخشي إن قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم » (١) ، ولذا رأى أن يلحق بداود ، فخرج راحلاً الى العراق . ودخل الوالي العلوي حسين بن حسن مكة ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، وبدأ يمارس سلطانه (٢) .

اتسع نفوذ الزعيم العلوي الحديد محمد بن محمد « وتتابعت الكتب وتواترت عليه بالفتوح من كل ناحية ، وكتب اليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرون أن يوجه اليهم رسولا ليسمعوا له ويطيعوا » (٣) ، وأدرك الحسن بن سهل خطورة الموقف ، اذ رأى استفحال سلطان أبي السرايا وأن جنده « لا يلقون عسكرياً الا هزمه ولا يتوجهون الى بلد الا دخلوه » (٤) ولمس الحسن اخفاق قواده جميعاً في الصمود أمام قوات أبي السرايا ، فرأى أن يعتمد على قائد باسل محنك ، فرأى أن يعهد بأمر أبي السرايا للقائد هرثمة بن أعين ، رغم أن العلاقات كانت قد ساءت بينهما ، فقد غضب هرثمة لتولية الحسن بن سهل على بلاد العراق ، وخرج غاضباً الى (حلاوان) (٥) . وبعث الحسن اليه رسولا ، هو السندي بن شاهك ، يطلب منه أن يتناسى ما كان بينهما من شحناء وبغضاء ويستدعيه الى بغداد لتولي قيادة الجيش الذي يوجهه لقتال أبي السرايا .

- (١) كان أهالي الحجاز يعطفون على العلويين .
- (٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢١ .
- (٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٣٤ .
- (٤) الطبري : ج ٧ ص ١١٩ .
- (٥) كان هرثمة يحذر دائماً المأمون من الفضل بن سهل وتكتمه أخبار الاضطرابات في الدولة (ابن الأثير ، الكامل ج ٦ ص ١٠٧ ، أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣) .

رفض هرثمة في أول الأمر دعوة الحسن بن سهل إليه ، وقال لرسوله السندي « نوطى نحن الخلافة ، ونمد لها أكتافها ، ثم يستبدون بالأمور ، ويستأثرون بالتدبير علينا ، فاذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم ، واضاعتهم الأمور ، أرادوا أن يعلموه بنا ، لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم وقبيح أفعالهم (١) » . وهذا القول يوضح حقيقة الأوضاع الداخلية السائدة حينئذ في الدولة العباسية ، فقد استبد الفضل والحسن ابنا سهل بشؤون الدولة ، كما كان المأمون لا يزال مقيماً في مرو بخراسان (٢) ، ويبدو أنه لم يكن يعلم الكثير عن أمر الاضطرابات السائدة في الدولة ، وخاصة قيام هذه الحركات الشيعية ، ونجاح أبي السرايا في السيطرة على الكوفة والبصرة وواسط في بلاد العراق ، وعلى بلاد الحجاز واليمن ، حتى إن هرثمة اعتزم اطلاق الخليفة على حقيقة الأمر (٣) .

ثم وصل الى هرثمة كتاب من منصور بن المهدي ، يستحثه في القدوم ، ويوضح له خطورة الموقف ، فلم يجد بداً من الاستجابة الى دعوة الحسن بن سهل ، فخرج قاصداً بغداد . حتى اذا وصل الى النهروان تلقاه أهالي بغداد والقواد وبنو هاشم ، وأبدوا سرورهم بقدومه ، وكان الحسن بن سهل يفتن الى مقدره هرثمة الحربية ، ولذا « أمر بدواوين الجيش فنقلت اليه ليختار الرجال منها وينتخبهم ، وأطلق له بيوت الأموال فانتخب ما أراد » (٤) .

بداية النهاية :

لجأ هرثمة الى حيلة يثبط بها همة جنود أبي السرايا ، فقد صاح فيهم :

-
- (١) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٣٥ .
 - (٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٠٦ .
 - (٣) الطبري ج ٧ ص ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٠٧ .
 - (٤) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٣٠ .

« يا أهل الكوفة ، علام تسفكون دماءنا ودماءكم ؟ ان كان قتالكم ايانا كراهية لاماننا ، فهذا المنصور بن المهدي رضى لنا ولكم نبايعه ، وان احببتم اخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا امامكم ، واتفقوا معنا ليوم الاثنين نتناظر فيه ، ولا تقتلونا وأنفسكم » . وحاول أبو السرايا أن يحث جنده على القتال ، فأبوا ذلك ، فاضطر الى الانسحاب الى الكوفة . وفي يوم الجمعة ، وقف أبو السرايا على المنبر ، يسب أهل الكوفة ويوبخهم ، ويصفهم بأنه « قتلة علي » و « خذلة الحسين » ، وحذرهم مما يلحق بهم على أيدي العباسيين ان دخلوا الكوفة . وقامت جماعة من أهل الكوفة يدافعون عن أنفسهم ، ويذكرونه باخلاصهم له ، وتفانيهم في القتال معه ، وعرضوا عليه البيعة على الموت « فأعرض عنهم ، ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق (١) » .

وبدأ حفر الخندق (٢) ، واشترك أبو السرايا بنفسه في اعمال الحفر . ولكنه رأى الرحيل الى القادسية ، فخرج مع محمد بن محمد بن زيد ، وجماعة من العلويين وأهل الكوفة في ١٣ من المحرم سنة ٢٠٠ هـ . وثار في الكوفة أشعث ابن عبد الرحمن يدعو الى الولاء لهرثمة . كما نخرج اشراف الكوفة الى هرثمة يسألونه الامان للناس ، فأجابهم لطلبهم ، ودخل المنصور بن المهدي الكوفة ، وأقام هرثمة في جيشه خارجها . وخطب المنصور في أهالي الكوفة ، فحثهم على الطاعة والولاء . وولى هرثمة والياً عباسياً لحكم الكوفة هو غسان بن الفرج ، ثم بدأ هرثمة رحيله من الكوفة (٣) .

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٤٦ .

(٢) فكرة حفر الخندق ليست عربية بل فارسية ، وقد أشار بها سليمان الفارسي على الرسول صلى الله عليه وسلم حين غزت الأحزاب المدينة ، وطبق محمد النفس الزكية نفس الفكرة حين غزاها الجيش العباسي في عهد المنصور . وكان الفرس الشيعة يعتزون بسليمان الفارسي ويضعونه في مقدمة الصحابة وبعد علي بن أبي طالب وقد كان سليمان من شيعة علي .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٢٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٤٧ .

أراد أبو السرايا قصد البصرة أو واسط ، ولكنه علم في طريقه بسيطرة العباسيين عليها . ومضى أبو السرايا يتجول بين البلدان المختلفة ، يجبي خراجها ويستولي على غلاتها ، حتى وصل الى اقليم الاهواز ، ودخل مدينة السوس . وكان يتولى حكم الأهواز الحسن بن علي المأموني ، فبعث الى أبي السرايا ينبئه أنه لا يريد قتاله ، وأنه عليه الانصراف عن الاهواز الى حيث أراد ، ولكن أبا السرايا أصر على قتاله ، فدارت معركة عنيفة ، انتهت بهزيمة أبي السرايا ، واصابته بجراح شديدة ، فاضطر الى الانسحاب ، وقد تفرق عنه معظم انصاره واتجه أبو السرايا نحو خراسان ، وبلغوا قرية (برقانا) ، وأقتنهم واليها حماد الكندفوش بأنهم اذا صحبوه الى الحسن بن سهل فانه يجتهد في أن يفوز لهم منه بالأمان (١) .

أمر الحسن بن سهل بضرب عنق أبي السرايا ، وطافوا بالرأس في معسكر الحسن وبعث بجسده الى بغداد حيث صلب . أما الزعيم العلوي محمد بن محمد فقد أبى الحسن بن سهل أن يبت في أمره . فقد تذكر بعض الاحداث السالفة حين قتل الخليفة هارون الرشيد وزيره جعفر البرمكي ثأراً منه لاقدامه على قتل ابن الأقطس (٢) بدون اذن الخليفة ، وبعث الحسن بن سهل بالزعيم العلوي الى الخليفة المأمون في خراسان ليرى فيه ما يراه ، وأبدى المأمون تعجبه من حداثة سن محمد بن محمد ، وأمر له بدار يسكنها تحت رقابة رجال الخليفة ، ويذكر الأصفهاني (٣) ان حياة العلوي لم تطل أكثر من أربعين يوماً « ثم دست اليه شربة » ، فمات مسموماً . وأحصت الدواوين عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم في ثورة أبي السرايا ، فبلغ عددهم مائتا ألف رجل . وانسدل الستار على هذه الحركة الشيعية بعد أن استمرت عشرة شهور (٤) .

- (١) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧ .
(٢) وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .
(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٤٩ .
(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٢٣ .

فلسفة الثورة :

انتهت حركة أبي السرايا بالاخفاف . وهذه الحركة تختلف تماماً عن حركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي الأول . فقد قام بتخطيط هذه الحركة وتوجيهها رجل من غير آل أبي طالب ولم يكن الزعيمان العلويسان اللذان قام أبو السرايا بحركته باسمهما الا رمزاً تتجمع الشيعة حوله ، أو ستاراً يستتر أبو السرايا خلفه ، ليخفي وراءه أطماعه في النفوذ والسلطة ، وحبسة يتدرع بها للخروج على طاعة الدولة العباسية ، فيصبح في انظار المسلمين والشيعة داعية للبيت العلوي ونصيره ، وليس كما اعتبرته الدولة العباسية خارجاً على طاعتها . بينما تولى زعامة حركات الشيعة السالفة زعماء علويون راشدون ، اشتهروا بين قومهم بالعلم والتقوى والورع ، وقد تولوا بأنفسهم زعامة وقيادة حركاتهم .

كما تتميز حركة أبي السرايا عن حركات الشيعة السابقة ، بأنها اتخذت الكوفة مركزاً للثورة ، وهي أول مرة تشهد فيها الكوفة حركة علوية في العصر العباسي وقد شهدت حركة محمد النفس الزكية في الحجاز ، وحركة أخيه ابراهيم في البصرة ، ثم حركة يحيى بن عبدالله في بلاد الديلم ، وحركة أخيه ادريس في بلاد المغرب . فقد كانت اقامة الخليفة المنصور في الكوفة ، ثم اقامة الهادي والمهدي والرشيد في بغداد ، على مقربة من الكوفة ، حائلاً دون قيام حركات شيعية فيها . وتغير الموقف في عهد الخليفة المأمون ، فقد كان لا يزال مقيماً في مرو في خراسان(١) ، مما شجع أهالي الكوفة على الثورة والانضمام الى حركة أبي السرايا .

اتسعت حركة أبي السرايا وبلغت حدّاً كبيراً من الخطورة والانتشار - كما روى الاصفهاني(٢) - بين الغالبية العظمى من أهالي الكوفة ، وبلغ عددهم اكثر

(١) البعقوبي ج ٣ ص ١٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١١٢ .
(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٥١ .

من مائتي ألف - واستطاع أن يسيطر على كثير من مدن العراق والحجاز واليمن وحاز كثيراً من الانتصارات الحربية ، وهزم عدداً كبيراً من الجيوش العباسية وأثار قلق السلطات الحاكمة ، مما يجعلنا نتساءل عن عوامل اخفاق هذه الحركة .

منها عدم انتساب أبي السرايا الى البيت العلوي ، رغم دعواته للعلويين وشيعتهم به ، ولذا سارعت الشيعة الى تأييد زعماء علويين آخرين ، فسي مقدمتهم محمد بن جعفر الصادق ، مما أدى الى تفرق الشيعة بين مناصرة أبي السرايا ، وتأييد الزعماء من آل علي ، كما كان ماضي أبي السرايا يثير الشبهات والأقويل ، فقد كان بالأمس القريب من رجال هرثمة بن أعين ، القائد العباسي ، ولولا حنق أبي السرايا على هرثمة لتأخر أرزاقه ، لاستمر على ولائه للعباسيين ، ولذا لم يقتنع كثير من المسلمين بصدق نواياه نحو البيت العلوي ، وقد كسان بالأمس موالياً للبيت العباسي (١) .

ومن عوامل اخفاق هذه الحركة الشيعية ، انتقادها الزعيم العلوي المؤهل لقيادتها وتوجيهها . فقد كان الزعيم الأول محمد بن ابراهيم قد ركن الى الهدوء والسلام في المدينة ، ولولا تشجيع نصر بن شبيب ثم أبي السرايا له لما أقدم على طلب الخلافة . كما لازم المرض محمداً طوال اقامته بالكوفة ، مما جعله بعيداً عن الأحداث ، وأعطى ابا السرايا الفرصة للاستئثار بالأمر . وقبيل وفاة محمد بن ابراهيم ، عهد بالزعامة بعده الى علي بن عبدالله ، ولكن هذا أثر الهدوء والابتعاد عن تيارات السياسة وأخطارها ، فتنازل عن حقه ، دون أن يذكر مبرراً قوياً تقتنع به شيعة . ثم تولى الزعامة غلام من غلمان البيت العلوي ، ليس له بالأمر خبرة وتجربة ، مما أطلق يد أبي السرايا ، ولا شك أنه من اليسير علينا المقارنة بين هذا الحدث ، وبين زعماء الحركات الشيعية السالفة الذين كانوا من شيوخ العلويين ، وزعمائهم البارزين . وقد مر بنا كيف أبدى المؤمن تعجبه من حداثة سن هذا الزعيم العلوي .

(١) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ .

اتصفت هذه الحركة الشيعية بالعنف والقسوة والارهاب . مما أدى الى انصراف الكثير عن تأييدها ، ثم ما كان من اخفائها . فروى الأصفهاني (١) أنه كان يطلق على زيد بن موسى العاوي اسم « زيد النار » ، وقد أطلق عليه « لكثرة ما حرق من الدور بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم ، وكان إذا أتى برجل من المسودة (٢) كانت عقوبته أن يحرقه بالنار » وحينما انهزم أبو السرايا وانسحب إلى الكوفة « وثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبين على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة ، فانتهبوها وخربوها وأخرجوهم من الكوفة ، عملوا في ذلك عملاً قبيحاً ، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها (٣) » .

وكان ما أقدم عليه الطالبيون وشيعتهم بمكة مما أثار عليهم مشاعر جميع المسلمين ، مما أدى الى تقمّتهم على حركة الزعيمين العلوين ، وخاصة حينما جردوا الكعبة من كسوتها (٤) ، فجردت منها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيء وبقيت حجارة مجردة ، ثم كساها ثوبين من قز رقيق ، كان أبو السرايا وجه بها معه ، مكتوب عليها ، أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا ، داعية آل محمد ، لكسوة بيت الله الحرام ، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليظهر من كسوتهم ، وأساءت شيعة أبي السرايا الى بيت الله الحرام اساءة بالغة جرت عليهم حتى المسلمين وسخطهم ، فروى الطبري (٥) أنهم « جعلوا يحكون الذهب الرقيق الذي في رؤوس أساطين المسجد ، فيخرج من الاسطوانة ، بعد التعب الشديد ، قدر مثقال ذهب أو نحوه ، حتى عم ذلك

- (١) مقاتل الطالبين : ص ٥٣٤ وهو زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب .
(٢) المسودة : أي من العباسيين ، إذ اتخذوا اللون الأسود شعاراً لهم .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١٢ - ١١٤ .
(٤) قبل عهد الخليفة المهدي ، كانت الكسوة الحديثة للكعبة توضع فوق الكسوة القديمة ، فاشتكى له حجاب الكعبة من تراكم الكساوي مما قد يؤثر في الكعبة ، فأمر المهدي بتجريد الكعبة من الكساوي القديمة ، وطل الكعبة بالخلوق وكساها كسوة جديدة (الطبري) : ج ٦ ص ٣٦٦ .
(٥) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

أكثر أساطين المسجد الحرام ، وقلعوا الحديد الذي على شبابيك زمزم ، ومن خشب الساج ، فبيع بالثمن الحسيس .

واستولى الطالبيون وشيعة أبي السرايا على ما في خزانة الكعبة من مال (١) ونشروا الارهاب في أرجاء مكة « حتى عم هذا خلقاً كثيراً ، وكان الذي يتولى العذاب لهم رجل من أهل الكوفة يقال له محمد بن معلم كان ينزل في دار يقال لها دار العذاب وأخافوا الناس حتى هرب منهم خلق كثير من أهل النعم ، فتعقبوهم بهدم دورهم» (٢) .

ورغم بلاء هرثمة في القضاء على حركة أبي السرايا ، فقد كانت هذه الحركة هي نهاية أمجاده . فقد اعتبر هرثمة استبداد الفضل بن سهل بشؤون الدولة هو سبب قيام الاضطرابات عامة ، وظهور حركات الشيعة خاصة ، ورأى أن يخرج الى مرو ليطلع الخليفة المأمون على ما يخفيه الفضل عنه من أحداث الدولة ، ودس الفضل عند المأمون وأوغر صدره عليه ، فقال : « ان هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد ، وظاهر عليك عدوك ، وعادى وليك ودب أبا السرايا وهو جندي من جنده ، حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله » . وصدق المأمون مقالة الفضل ، واعتقد أن أبا السرايا قد ثار بتحريض من هرثمة ، فقال المأمون لهرثمة حين مثل بين يديه : « مالأت أهل الكوفة والعلويين ، وداهنت ، ودسست الى أبي السرايا حتى خرج وعمل ما عمل ، وكان رجلا من أصحابك ، ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت ، ولكنك أرضيت خناقمهم » . وانتهى أمر هرثمة بسجنه ، ثم قتله (٣) .

(١) يرجع تاريخ هذه الخزانة إلى ابراهيم عليه السلام ، وكان الناذرون يضعون فيها نذورهم .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٤ .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٣٠ - ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٠٧ .

موقف حركة نصر بن شيث من العلويين :

قامت حركة عربية ضد الخليفة المأمون ، تزعمها نصر بن شيث ، وهو من بني عقيل وكان يقطن (بكوم) شمالي حلب . وكان عربياً شريفاً شهماً ، أبدى غضبه لمقتل الخليفة الأمين ، ونقم على المأمون لاعتماده على الخراسانيين دون العناصر العربية ، فأعلن الثورة على خلافة المأمون ، وتغلب على البلاد المجاورة وانضم إليه كثير من العرب وعبر نهر الفرات واراد السيطرة على الجانب الشرقي .

وهذه الثورة تخرج على نطاق بحثنا ، ولكن يهمننا الاشارة الى موقف نصر ابن شيث من العلويين والشيعة . فقد أراد بعض أنصار نصر تدعيم ثورته ، وصبغها بالصبغة العلوية الشيعية ، ضماناً لنجاحها .

قدم جماعة من الشيعة على نصر فقالوا له : قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم فلو بايعت لخليفة كان أقوى لأمرك . فسألهم نصر : من أي الناس ؟ فأجابوا : نبايع لبعض آل علي بن أبي طالب . فرفض نصر الاقتراح وقال : أبايع بعض أولاد السوداوات فيقول انه خلقتي ورزقي ؟ فتقدموا باقتراح آخر ، فعرضوا عليه البيعة لأحد الامويين ، فرفض نصر الفكرة وتمسك بولائه للعباسيين فقال : أولئك قوم قد أدبر أمرهم ، والمدبر لا يقبل أبداً ، ولو سلم على رجل دبر لاعدائي ادباره ، وانما هو أي في بني العباس ، وانما حاربتم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم (١) . واستمر نصر في ثورته ، وفق مبادئه هذه حتى قضى العباسيون على ثورته سنة ٢١٠ هـ .

(١) الطبري : ج ٧ احداث سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢١٠ هـ وابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ١٠١ وما بعدها .

٢ - حركة محمد الديباج بن جعفر الصادق

شهد عصر الخليفة العباسي المأمون حركة علوية شيعية أخرى ، اختلفت في مركز ثورتها وطابعها ، وتزعمها محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، الذي اشتهر باسم الديباج ، واتخذت هذه الحركة بلاد الحجاز مركزاً لها ، في سنة ٢٠٠ هـ .

الزعيم الجليلي :

ومحمد الديباج ، هو ابن الامام جعفر الصادق ، امام الشيعة الامامية ، المتوفى سنة ١٤٨ هـ (١) . وقد أنجب جعفر عدة أبناء هم : محمد ، واسماعيل ، وعبدالله الأفطح ، وموسى ، واسحق ، وعلي (٢) . وذهبت جماعة من الشيعة الى أن محمداً هو الامام بعد أبيه جعفر الصادق ، ويستندون في ذلك على عبارات لجعفر قالها لشيعته حينما كان ابنه محمد لا يزال حديث السن ، اذ قال : « سمعت أبي (٣) يقول اذا ولد لك ولد يشبهني فسمه باسمي ، فهو شبيهي وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » (٤) . ويطلق على هذه الجماعة ، التي ذهبت الى امامة محمد ، اسم «الشميطية» نسبة الى يحيى بن أبي الشميط . وذكر المسعودي (٥) أن هؤلاء الشيعة « قد افترقوا فرقاً ، فمنهم من غلا ، ومنهم

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٩٠ .

(٢) ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢١٢ .

(٣) وأبوه هو الامام محمد الباقر المتوفى سنة ١١٤ هـ .

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٤ - ٦٥ ، الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦ .

من قصر ، وسلك طريق الامامية » . ولا يذكر الشهرستاني (١) أن لهذه الفرقة آراء خاصة ، تميزهم عن سائر فرق الشيعة ، سوى القول بامامة محمد .

وذهب فريق آخر من الشيعة الامامية ، الى أن الامامة قد انتقلت من جعفر الصادق الى ابنه عبدالله الأفتح (٢) ، حتى اذا مات عبدالله دون أن يخلف ولدًا ذكراً ، قالوا بامامة أخيه موسى الكاظم ، كما ذهبت فرقة أخرى الى امامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقد درسنا افتراق الشيعة الامامية بعد موت الامام جعفر الصادق .

وصف الطبري (٣) محمد بن جعفر الصادق ، فقال عنه : « وكان شيخاً وادعياً محبباً في الناس مفارقاً لما عليه من أهل بيته من قبج السيرة ، وكان يروي العلم عن أبيه جعفر بن محمد ، وكان الناس يكتبون عنه » . ووصفه الاصفهاني (٤) بقوله : « وكان فاضلاً قديماً في أهله » . وكان يطلق على محمد بن جعفر اسم « الديباج » وذلك « لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال (٥) » .

أسباب الثورة :

اختلف المؤرخون في أسباب قيام حركة محمد الديباج . فروى الطبري (٦) أن محمداً كان « يظهر صمتاً وزهداً » ، فاجتمع حوله شيعته وحشوه على

- (١) كل ما قاله الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧) : « الشميطة : اتباع يحيى بن أبي شميطة ، قالوا : ان جعفرأ قال : ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم ، وقد قال له والده رضوان الله عليهما : ان ولدك ولد فسميته باسمي فهو الامام ، فالامام بعده ابنه محمد »
- (٢) كان عبدالله اكبر أولاد الامام جعفر (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧) وسمي الأفتح لانفطاح في قدميه .
- (٣) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .
- (٤) مقاتل الطالبين ص ٥٣٧ .
- (٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧ .
- (٦) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

الخروج والبيعة له بالخلافة ، فقالوا له : « قد تعلم حالك في الناس فأبرز شخصك نباع لك بالخلافة ، فانك ان فعلت ذلك لم يختلف عليه رجلان » ، ورفض محمد هذه الدعوة في أول الأمر فألح عليه ابنه علي ، وحسين بن حسن الأفتس « حتى غلبا الشيخ على رأيه ، فأجابهم ، فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلون من ربيع الآخر ، فبايعوه بالخلافة » .

أما المسعودي (١) فقد ذهب الى أن محمد بن جعفر قد دعا في بدء أمره الى محمد بن ابراهيم بن طباطبا ، حتى اذا مات دعا لنفسه .

وروى الأصفهاني (٢) رواية جعلها سبب البيعة لمحمد الديباج بالخلافة ، فروى أن رجلا قد كتب كتاباً يسب فيه فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام وجميع أهل البيت ، وكان محمد بن جعفر معتزلاً تلك الأمور ، لم يدخله في شيء منها ، فجاءه الطالبون فقرأوه عليه فلم يرد عليهم جواباً حتى دخل بيته ، فخرج عليهم وقد لبس الدرع وتقلد السيف ، ودعا الى نفسه ، وتسمى بالخلافة » .

ونحن نعتقد أن اضطراب أحوال الدولة العباسية الذي ساد طوال اقامة الخليفة المأمون في مرو ونجراسان ، بعيداً عن عاصمته بغداد ، وما كان من سخط كثير من أبناء البيت العباسي ، وعامة أهالي بغداد (٣) ، كان هذا كله مما شجع العلويين على حث محمد بن جعفر الصادق الى البيعة لنفسه بالخلافة » ، ونستند في رأينا هذا على رواية لصاحب الفخري (٤) اذ قال : « وكان بعض أهله — أي أهل جعفر — قد حسن له ذلك حين رأى الاختلاف ببغداد ، وما بها من الفتن وخروج الخوارج » .

(١) مروج الذهب : ج ٤ ص ٢٦ .

(٢) مقاتل الطالبين : ص ٥٣٨ .

(٣) ثار أهالي بغداد وبايعوا بالخلافة لا ابراهيم بن المهدي (ابن الأثير ، الكامل ج ١ ص

(١١١

(٤) الفخري ص ٢١٠ .

تمت البيعة لمحمد الديباج بالخلافة، وتسمى بأمر المؤمنين، ويقول المسعودي أنه « ليس في آل محمد من ظهر لاقامة الحق ممن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمر المؤمنين». وحشد العلويون جماعة من أهالي مكة، والمناطق المجاورة لهما ليبياعوا لمحمد، « فأقام بذلك أشهراً وليس له من الأمر الا اسمه» (١). ويبدو أن الدولة العباسية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية الكثيرة (٢)، فلم تبد اهتماماً بهذه الحركة، كما أن هذه الحركة كانت محدودة ولا تتصف بالخطورة فقد ظلت محصورة في مكة، ولم تنتشر الى سائر الأمصار.

الغروب :

ثم حدث أن قدمت قوات عسكرية من بلاد اليمن بقيادة اسحاق بن موسى العباسي وأدرك العلويون أنه لا بد من الصدام بينهم وبين العباسيين، واقترحوا على محمد الديباج القيام بحفر خندق حول مكة، وحشدوا عدداً من البسندو والاعراب لحفر هذا الخندق. وحدثت مفاوضات بين العلويين والقوات العباسية، وكره اسحاق القتال وأراد العودة الى بلاد العراق. وفي الطريق، التقى ببعض الجند العباسيين بقيادة ورقاء بن جميل، فحثه ورقاء على العودة والتعاون معاً من أجل القضاء على هذه الحركة الشيعية. وحشد محمد بن جعفر قواته لملاقاة الجند العباسيين، ووصف الطبري (٣) هذه القوات فقال أنها كانت تضم غوغاء أهل مكة، وبعض السودان (٤) الذين يعملون في حمل المياه بمكة، الى جانب بعض البدو، والتقى الفريقان عند بئر ميمون، ودارت

(١) مروج الذهب : ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) كان المأمون كالمحجور عليه في قصر بمرج بخراسان، وكان الفضل بن سهل يكتفم عنه أبناء الاضطرابات في الدولة (اليقوي، ج ٣ ص ١٧٦).

(٣) الطبري، ج ٧ ص ١٢٦ .

(٤) كان بمكة كثير من السودان الأرقاء، الذين يتطلعون إلى التحرر، وقد انضم بعضهم إلى حركة الحسين بن علي بالمدينة بعد ان وعدهم بالحرية والتحرر.

معركة لمدة يومين انتهت بهزيمة اصحاب محمد بن جعفر . وبعث محمد برجل من قريش ، فيهم قاضي مكة يسألون لهم الامان من العباسيين ، على أن يغادروا مكة الى حيث شاءوا من الأمصار فأجابهم اسحاق وورقاء الى طلبهم ، وامهلاهم ثلاثة أيام يغادرون فيها مكة .

وفي اليوم الثالث ، دخل العباسيون مكة ، وغادرها العلويون ، الذين تفرقوا وقصدت كل جماعة مصراً من الأمصار . وخرج محمد بن جعفر الى طريق الموصل ثم الى جدة . وفي الطريق ، هاجمه بعض عبيد العباسيين فانتهبوا ماله ومتاعه ، وكادوا يقتلونه لولا أن أسرع يشد الرحال ، حتى قدم الى بلاد جهينة (١) على ساحل البحر الأحمر ، فأقام بها حتى انتهى موسم الحج ، ونجح في حشد بعض الأنصار . وعلم هارون بن المسيب ، والي المدينة ، بنشاط محمد ابن جعفر ، فرأى أن يقف منه موقفاً حازماً ، فبعث اليه بتوات عسكرية ، التقت بأنصار محمد بن جعفر عند الشجرة ، ودار قتال انتهى بهزيمة محمد واصابته في عينه ، ومقتل كثير من أنصاره . وانسحب محمد بن جعفر الى بلاد جهينة ، يحاول جمع المزيد من الأنصار ، ولكنه لم يوفق في مساعيه فخرج الى معسكر عيسى بن زيد الجلودي ، رئيس القوات العسكرية المصاحبة لقوافل الحجاج ، يطلب منه الأمان ، فأمنه وصحبه الى مكة في اليوم العشرين من ذي الحجة (٢) .

احتشد الناس في المسجد الذي كانت تمت فيه بالأمس البيعة بالخلافة لمحمد ابن جعفر ، ليشهدوا اليوم اعلانه خلع نفسه منها ، ووقف محمد على المنبر ، وعليه قباء أسود وقلنسوة سوداء ، يخطب : « أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، فانه كان لعبدالله المأمون أمير المؤمنين في رقبتي بيعة بالسمع والطاعة طائفاً غير مكروه وكنت أحد الشهود الذين شهدوا غسل الكعبة في الشرطين

(١) أيدت جهينة ثورة محمد النفس الزكية في عهد المنصور .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٦ ، اليعقوبي : ج ٣ ص ١٨٣ .

هارون الرشيد على ابنه محمد المخلوع (١) وعبدالله المأمون امير المؤمنين ، الا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا ومن غيرنا ، وكان نمي الي خبر أن عبدالله المأمون أمير المؤمنين قد توفي ، فدعاني ذلك الى أن يبايعوا لي بإمرة المؤمنين ، واستحللت قبول ذلك لما كان علي من العهود والمواثيق في بيعتي لعبدالله عبدالله الامام المأمون ، فبايعتموني ، أو من فعل منكم ، الا وقد بلغني وصح عندي أنه حي سوي ، ألا وإني استغفر الله مما دعوتكم اليه من البيعة له وقد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها ، كما خلعت خاتمي هذا من اصبعي ، وقد صرت كرجل من المسلمين ، فلا بيعة لي في رقابهم ، وقد أخرجت نفسي من ذلك ، وقد رد الله الحق الى الخليفة المأمون (٢).

وغادر العباسيون مكة سنة ٢٠١ هـ يحملون محمد بن جعفر وسلموه الى الحسين بن جهل ، الذي بعث به الى المأمون في مرو وبعد فترة توفي محمد بن جعفر ، واشترك المأمون في تشييع جثمانه الى القبر ، وقال المأمون وهو يضعه في لحده : « هذه رحم مجفوة منذ مائتي سنة » ، وقضى المأمون الديون التي كانت على محمد بن جعفر ، فبلغت نحواً من ثلاثين ألف دينار» (٣) .

وهكذا انتهت هذه الحركة الشيعية المحدودة . وقد أجمع المؤرخون على أن وفاة محمد بن جعفر كانت طبيعية ، فلم يلحق به ما لحق بأسلافه الزعماء العلويين الذين سجنوا أو عذبوا أو قتلوا بالسم .

تتفق هذه الحركة الأخيرة مع معظم الحركات الشيعية السابقة في افتقارها دقة التنظيم ، واهمال الدعوة في الأمصار ، وحشد الأنصار ، والاستعداد الكامل لمواجهة العباسيين ، فكان مصيرها كلها الاخفاق ، كما تتفق حركة

(١) أي محمد الأمين .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٦-١٢٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١٢ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٤١ ، النعمري ص ١٦٥ .

محمد بن جعفر مع بعض حركات الشيعة الأخرى في قيامها في بلاد الحجاز (١). واختلف مصير محمد بن جعفر عن مصير أسلافه الزعماء العلويين ، فقد مات ميتة طبيعية ، بينما لقي الآخرون حتفهم في ساحات القتال أو في سجون العباسيين .

وهناك عوامل خاصة أدت الى اخفاق حركة محمد بن جعفر ، أولها تردد محمد بن جعفر في الدعوة لنفسه بالخلافة ، وكراهيته لذلك ، فيجمع المؤرخون أن طلبه البيعة كان نتيجة الحاح آل أبي طالب عليه ، وقد سبق لنا أن ذكرنا رواية الطبري (٢) التي تصف محمد بن جعفر بالوداعة والزهد في الخلافة . كما روى الأصفهاني (٣) أن محمد بن جعفر كان قد اصاب أحد عينيه شيء ، فأبدى سروره وقال : « لأرجو أن أكون المهدي القائم ، وقد بلغني أن في إحدى عينيه شيئاً وأنه يدخل في هذا الأمر وهو كاره له . وكان محمد بن جعفر هو الزعيم العلوي الوحيد ، في العصر العباسي الذي وقف على المنبر في مكة يعلن خلع نفسه من إمرة المؤمنين ، رغم أنه أول من اتخذ منهم اللقب .

ومن عوامل اخفاق حركة محمد بن جعفر ، اعتماده على بعض الانصار ، من ذوي السيرة السيئة ، مما أغضب أهالي مكة ، وصرف عنه المؤيدين ، فروى الطبري (٤) : « ... وابنه علي وحسين بن حسن الافطس ، وجماعة منهم ، أسوأ ما كانوا سيرة وأقبح ما كانوا فعلاً .. » ثم روى الطبري روايتين حول علي وحسين ، فروى أن علي بن محمد بن جعفر خطف غلاماً هو ابن قاضي مكة ، كان بارعاً في الجمال ، بعد أن اقتحم الدار بالقوة ، وخرج به الى بئر ميمون ، وأبدى أهل مكة غضبهم ، فاحتشدوا في المسجد الحرام ، وأغلقت

(١) قامت حركة محمد النفس الزكية والحسين بن علي في الحجاز .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٣٩ .

(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

الحوانيت ، وانضم اليهم سائر الحجاج ، وهدد الناس محمد بن جعفر بالخلع والقتل ان لم يعد ابنه الغلام المخطوف ، واضطر محمد الى الاعتصام بداره ، وخاطب الناس من نافذة الدار ، فأنكر علمه بما أقدم ابنه عليه ، وطلب منهم الأمان حتى يخرج الى ابنه ويعيد الغلام الى ابيه . كما روى الطبري أيضاً أن حسين بن حسن الافطس راود زوجة رجل من بني مخزوم عن نفسها ، فأبت عليه ، فأخاف زوجها وأمر بطلبه ، فاختفي وتوارى عن الانظار ، وبعث حسين بجماعة من أصحابه ليلا اقتحموا الدار واختطفوا الزوجة ، وظل حسين محتفظاً بها حتى أتيح لها فرصة الهروب ، فعادت الى أهلها(١) . كما تحدث صاحب الفخري(٢) عن محمد بن جعفر فقال انه « وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بني عمه ، فلم يحمد سيرتهما » .

تردد بعض أهل مكة في البيعة لمحمد بن جعفر بالخلافة ، كما لم يتمسك من بايعوا له بولائهم وتأيدهم فروى الطبري(٣) أن الطالبين «حشروا اليه — اي الى محمد بن جعفر — الناس من أهل مكة والمجاورين ، فبايعوه طوعاً وكرهاً» ، كما تحدث الطبري عن تنازل بعض أهل مكة عن مناصرة محمد بن جعفر .

* * *

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) الفخري : ص ٢٠١ .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

٣- موقف الشيعة من بيعة المأمون

للامام علي الرضا بولاية العهد

في سنة ٢٠١ هـ ، أقدم الخليفة المأمون على قرار خطير . اذ استدعى اليه الامام علي الرضا ، وبايعه بولاية العهد ، وأعلن أنه يعيد الحق الى نصابه ، وأنه يصل الأرحام التي قطعت منذ سنوات عديدة (١) . ولقد شهدنا حركات شيعية ثورية كثيرة منذ قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، تهدف الى دفع أئمة علويين الى الخلافة ، بقوة السلاح والثورة . كما شهدنا مؤامرات ومحاولات من بعض الوزراء العباسيين لتحويل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، كمحاولات أبي سلمة الخلال في عهد أبي العباس (٢) ، ويعقوب بن داود في عهد المهدي (٣) والبرامكة في عهد الرشيد (٤) . ولكننا نرى في عهد المأمون خليفة عباسياً ، يحول الخلافة ، برغبته واختياره ، وبطريق سلمي ، الى امام علوي ، هو امام فرقة من أكبر فرق الشيعة ، وهي فرقة الامامية الاثني عشرية (٥) .

(١) قال الجهشيري : « وكان المأمون قد جد في تجديد العهد لعلي الرضا ، وتقدم إلى الفضل بأخذ البيعة على الناس والكتابة إلى الأقاليم في أبطال السواد ، وكتب الفضل إلى أخيه الحسن يعلمه بذلك ، ويأمره بطرح السواد ، وأن يلبس الخضرة ويجعل الأعلام والقلائس خضراء ، ويطالب الناس بذلك وكاتب فيه جميع عماله » (الوزراء والكتاب ص ٣١٢) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ ، الفخري ص ١٣٧ .

(٣) الطبري : ج ٦ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٤ - ٢٥ ، الفخري : ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ ، الجهشيري ، الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، الفخري ص ١٤٠ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ص ٩٣ وما بعدها .

تساؤلات حول الحقيقة التاريخية :

— وهذا يجعلنا نتساءل : هل كان ما أقدم عليه المأمون من البيعة لهذا الامام بولاية العهد هو رد فعل لحركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي عامة وعصر المأمون خاصة ؟ .

— وهل أصبح الشيعة يمثلون قوة سياسية كبيرة بحيث وقف المأمون على خطورتها على الدولة فرأى استمالة الشيعة بالبيعة لأحد أئمتهم البارزين ؟

— وهل كان المأمون صادقاً فيما أقدم عليه ؟ وهل كان مدفوعاً باقتناعه بأحقية البيت العلوي بالخلافة ؟ أم كان ذلك وسيلة سياسية لتدعيم نفوذه وتثبيت أركان خلافته ؟

قبل الاجابة على هذه التساؤلات ، نبدأ باستعراض بعض آراء المؤرخين والكتاب ، سنيين وشيعيين ، حتى نستطيع أن نستشف من بين السطور الدوافع الحقيقية لبيعة المأمون لعلي الرضا بولاية العهد . فيذكر الطبري (١) أن الدافع للمأمون هو أنه « نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أروع ولا أعلم منه » . ويروي الأصفهاني (٢) أن المأمون كان خلال صراعه مع أخيه الأمين قد عاهد الله أن ينقل الخلافة الى أفضل آل أبي طالب ، وأن علي الرضا هو أفضل العلويين . ويندب السيوطي (٣) مذهباً بعيداً ، فيرى أن المأمون قد « حملته الى ذلك افراطه في التشيع ، حتى قيل أنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر اليه » أي الى علي الرضا .

وأبدى الفخري (٤) رأياً صريحاً ، فقال إن المأمون « فكر في حال الخلافة

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ١ ص ١١١ ، يعقوبي ج ٣ ص

١٧٦ .

(٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٦٣ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ .

(٤) الفخري ص ١٩٨ .

بعده وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته ، كذا زعم » . ثم روى صاحب الفخري أيضاً أن علي الرضا امتنع في أول الأمر عن قبول البيعة له بولاية العهد ، اذ لم يكن مقتنعاً بالأمر ، شاكاً فيه ، فقد قال علي : « اني قد أجبت امثالاً للأمر ، وان كان الجفر (١) والجامعة (٢) يدلان على ضد ذلك » .

ويرى أحد كتاب الشيعة المحدثين (٣) أن المأمون كان مدفوعاً في البيعة لعلي الرضا بولاية العهد بدافع سياسي هو حماية مصالح الدولة العباسية ، فقال : ان المأمون من رجال الدهاء والسياسة ، فلما رأى انتشار التشيع في الآفاق وثبات العلويين في أطراف البلاد ، وسريان التشيع الى بلاطه ، خشى من عقبى هذه النزعة العلوية على سلطانه ، فرأى أن يكيد لهذه التوثبات التي ظهر بها بعض العلويين .. والكامنة في نفوس الآخرين .

ويرى كاتب شيعي آخر (٤) أن سبب البيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، هو وضعه تحت رقابة الخليفة ومنعه من القيام بحركة علوية جديدة ، فقال : ان المأمون لما رأى الامام معظم في أعين الناس ، والشيعة يزداودن انتشاراً واتساعاً ، حتى دب التشيع في أركان الدولة ، أحس أن الخطر قد أحدق به ، فاستدعى الامام الى مقر ملكه بخراسان ، واظهر أنه سيوليه الأمر من بعده ليكون تحت

(١) الجفر : هو علم الغيب ، وقد نسب غلاة الشيعة إلى الامام جعفر الصادق معرفة الغيب ، وأنه وضع أسس (علم الجفر) وهو علم له أصول وقواعد وأنواع من الحساب إذا جمعت وفرقت عرفت منها أحداث المستقبل ، وقد دون جعفر كتاب الجفر على جلد ثور صغير ، وقد أخذ هارون بن سعيد العجلي هذا العلم . ولفظ الجفر معناه الجسد (مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤) .

وهناك من يقول أن كتاب الجفر من ميراث علي بن أبي طالب ، ومن يقول بأنه من وضع جعفر الصادق ، (الدميري : حياة الحيوان ج ٢ ص ١٠٣) ، وتوارث العلويون كتاب الجفر حتى صار إلى بني عبد المؤمن ببلاد المغرب (ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢٠٥) .

(٢) الجامعة : وهو كتاب منسوب إلى علي بن أبي طالب وهو يشبه كتاب الجفر الذي سبق الحديث عنه (أعيان الشيعة ج ٤ القسم الثاني ص ١٦٧) .

(٣) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٥١ .

(٤) السيد هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٦١ .

رقابته في العاصمة التي اتخذها مقراً لعرشته . ويرى الدكتور النشار (١) أن المأمون أدرك خطورة الدعوة الاسماعيلية فأراد أن يقضي عليها . وكان الامام عبدالله الرضى قد بدأ نشاطاً واسعاً ، ولذا قرب المأمون اليه علي الرضا وبايعه بولاية العهد .

إجابات على التساؤلات :

هذه هي آراء بعض المؤرخين والكتاب ، عرضناها لتقف على وجهات النظر المختلفة . ونستطيع الآن أن نقف منها جميعاً موقفاً وسطاً ، فنقول إن المأمون كان من أفاضل الخلفاء العباسيين ، وأنه كان ينظر الى علي بن أبي طالب نظرة تقدير وأنه كان لا يرغب في اراقة دماء العلويين ، ولا يريد أن يذهب مذهب أسلافه من الخلفاء العباسيين في اضطهاد الشيعة وتبعضهم ، وأنه كان يود التقرب بين فرعي البيت الهاشمي العباسيين والعلويين ، ويضع حداً لهذا العداوة التقليدي (٢) . ولكننا نرى من ناحية أخرى ، أن اقدام المأمون على البيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، ونقله بذلك الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، كان بدوافع سياسية ، اذ أراد تدعيم خلافته ، وتجنب قيام المزيد من الحركات الشيعية في وجهه ، كما أراد إرضاء أهل خراسان (٣) وقد تحقق من ميولهم العلوية ، وتحليص الدولة العباسية من مشاكلها الداخلية .

كان المأمون من خيرة الخلفاء العباسيين ، فقد قال المسعودي عنه أنه جمع بين « عزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة نفس الهادي (٤) » . وقد وصفه

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٣٩١ .

(٢) ابن طولون : الثنرات الذهبية ص ٩٧ .

(٣) كان المأمون قد اتخذ مرو بخراسان مركزاً لخلافته ، ويعتبر الدكتور الدوري (العصر العباسي الأول ص ٢١٤) ذلك مظهراً لسياسة جديدة انتهجها المأمون ، ثم كان تحول المأمون إلى بغداد بعد ست سنوات انقلاباً سياسياً على السياسة التي تمثلها العاصمة الأولى مرو .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٥ .

صاحب الفخري(١) بقوله : « كان المأمون من أفاضل خلفائهم وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم ، وكان فطناً شديداً كريماً » وقال السيوطي عنه : « وكان أفضل رجال بني العباس حزماً ، وعزماً ، وحلماً ، وعلماً ، ورأياً ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ، وسؤدداً ، وسماحة(٢) ، واشتهر بالعبو ومقته للانتقام وارقة الدماء . وبدت هذه الروح السمحاء في عفوهِ عن الفضل بن الربيع ، وزير أخيه محمد الأمين ، رغم ما أبداه الفضل من عداة شديد للمأمون(٣) كما بدا هذا التسامح في معاملته لزعماء العلويين الذين ثاروا ضده ، فقد عفا عن محمد بن محمد بن محمد بن زيد ، وأسكنه داراً ، كما عفا عن محمد بن جعفر الصادق واشترك في تشييع جنازته وقام بسداد ديونه(٤) ، كما عفا المأمون أيضاً عن عبد الرحمن بن أحمد العلوي الذي أعلن الثورة في بلاد اليمن(٥) ، بينما شهدنا ما أنزله أسلافه من الخلفاء العباسيين بالعلويين من ألوان التنكيل والاضطهاد .

تولى المأمون الخلافة في فترة قلقة حرجة ، سادت فيها الاضطرابات والفتن في أرجاء الدولة. وقد بدأت هذه الفترة المضطربة منذ عهد الخليفة هارون الرشيد بولاية العهد الى ابنه الأمين سنة ١٧٣ هـ فقدمه على المأمون رغم صغر سنه ، وقد ندم الرشيد على ذلك في أواخر عهده(٦) ، حيث كان المأمون أكثر صلاحية لتولي الخلافة من الأمين ، فضلاً عن أنه أكبر سناً ، وفي سنة ١٨٣ هـ بايع الرشيد لابنه المأمون وولاه من حد همذان الى آخر الشرق . وعبر الرشيد عن ندمه في تقديم الأمين ، فقال للاصمعي : « قد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصويره

-
- (١) الفخري : ص ١٩٧ .
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦ .
(٣) بعد مصرع الأمين استتر وزيره الفضل بن الربيع في رجب سنة ١٩٦ ، وأنشد أحد الشعراء : أضاع الخلافة غش الوزير . . . فسق الأمير وجهل المشير (الجهمشيري : ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٨١) .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٤١ ، الفخري : ص ١٦٥ .
(٥) الطبري : ج ٧ ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٣٨ .

الى من أَرْضَى سيرته ، وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته ، وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله ، وبنو هاشم مائلون الى محمد بأهوائهم ، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه ، والتصرف مع طويته ، والتبذير لما أحوته يده ، ومشاركة النساء والاماء في رأيه . وعبدالله المرضي الطريقة الأصيل الرأي الموثوق به في الأمر العظيم ، فان ملت الى عبدالله أسخط بني هاشم ، وان أفردت محمد بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية(١) .

وهذه العبارات التي قالها الرشيد للأصمعي توضح ميل بني هاشم للبيعة للامين ، وكان الرشيد يقصد ببني هاشم أبناء بيت العباس . وقد رأى المأمون بعد توليته الخلافة بعد مصرع الأمين عدم جدوى استمالة العباسيين ، وقد بدأت بوادر خروج المنصور وابراهيم ابني المهدي عليه ، ولذا رأى المأمون أن يتحول الى الفرع الآخر من بني هاشم وهم العلويون ، فكانت بيعته لعلي الرضا أبرز رجالات البيت العلوي حينئذ بولاية العهد .

لم يقتصر الرشيد على توليته ابنه الأمين والمأمون العهد ، بل قد تعدى الأمر الى ابنه القاسم الذي ولاه عهده بعد الأمين والمأمون وسماه المؤمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم . وهكذا قسم الرشيد الدولة العباسية بين أبنائه الثلاثة ، وهياً بذلك عوامل المنافسة والحسد بين هؤلاء الأخوة ، وغرس بنور الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون ، وأضعفت الحزب العباسي ، وهيات السبيل لتقوية الحزب العلوي في عهد المأمون(٢) .

وصف الطبري(٣) آراء عامة الناس بعد تولية الرشيد عهده لأولاده فقال : « ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة ، قال بعض العامة قد أحكم أمر الملك ،

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٣ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٦٠ .

(٣) الطبري : ج ٦ ص ٦٠٣ .

وقال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية .
وقال عربي عند الكعبة بعد أن أمر الرشيد بتعليق عهد البيعة بولاية العهد : « ان
السيوف ستسل ، والفتنة ستقع ، والتنازع في الملك سيظهر (١) » .

ولا شك أن الشيعة قد قررت عيونهم لما وقع من خصام وقاتل بين الأمين
والمأمون ومن انقسام بين رعايا الدولة العباسية حول تفضيل أحد الأخوين ،
فكانت دعوة الشيعة تزداد انتشاراً ، كما بدأ زعماء البيت العلوي نشاطهم الذي
تحدثنا عنه في هذا الباب من هذا البحث ، فقد حفل عهد المأمون بكثير من
حركات الشيعة .

كانت البيعة لعلي الرضا بولاية العهد ترضي مشاعر أهل خراسان ارضاء
تاماً ، ولا شك أن ذلك الدافع كان في مقدمة الدوافع التي حدثت بالمأمون الى
البيعة لهذا الزعيم العلوي بولاية عهده . وقد ارتبط المأمون بخراسان ارتباطاً
وثيقاً ، فقد كانت أمه أم ولد خراسانية تسمى مراجل (٢) ، وقد ولاه أبوه
الرشيد ولاية خراسان والأطراف الشرقية من الدولة العباسية ، حيث أمضى
مرحلة شبابه كلها . وقد اشتهر المأمون في خراسان بالعدل والتقوى والورع
مما جذب اليه قلوب أهل خراسان . ثم قامت الفتنة بين الأمين والمأمون بعد أن
رأى الأمين أن ينكث العهد والميثاق اللذين أخذهما على نفسه ، وأن يخلع أخاه
الأمين من ولاية العهد (٣) ، ويعهد بها الى ابنه الصغير موسى الذي سماه «الناطق
بالحق» (٤) ، وقد أثار الأمين بذلك مشاعر أهل خراسان وغيرهم من أهالي
الأمصار الاسلامية ، وخاصة أهالي الحجاز .

-
- (١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ : ص ٣٦٤ .
(٢) كانت أم الامام علي الرضا أيضاً أم ولد ، ويذكر المظفري (تاريخ الشيعة ص ٥٤) أن
الامام موسى الكاظم اشترى هذه الجارية بعد أن رأى جده محمد الباقر وأباه جعفر الصادق
في المنام يأمرانه بشراء هذه الجارية ، وقد أطلعاه على صورتها لتلد له خير أهل الأرض في
زمانه .
(٣) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٦٦ (٤) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٣٩٢ .

وكانت الفتنة بين الأمين والمأمون في الحقيقة جهاداً حزبياً بين الفرس أنصار المأمون من ناحية ، وبين العرب أنصار الأمين من ناحية أخرى . وقد قاد أمر هذا النزاع الفضل بن سهل وزير المأمون ، وكان فارسياً ، والفضل بن الربيع وزير الأمين وكان عربياً (١) .

انضمت العناصر الفارسية والخراسانية الى المأمون ، بينما انضمت العناصر العربية الى الأمين . وأدرك المأمون أنه لا جدوى من استمالة هذه العناصر العربية التي اتخذت منه موقفاً عدائياً . وقد وضح هذا العداء في صراعه مع أخيه الأمين ، وفي ثورة نصر بن شيث الذي ثار غضباً لمقتل الأمين ، وأعلن سخطه على المأمون لاعتماده على العجم دون العرب (٢) .

ولذا أصبح المأمون منساقاً الى تيار ممالة أهل خراسان وفارس ، وكان من العسير عليه أن يتحول عن هذا الطريق .

بويج المأمون بالخلافة بيعة عامة ببغداد سنة ١٩٨ هـ بعد قتل أخيه (٣) وكان يقيم وقتذاك في الري ، ثم انتقل الى مرو بخراسان ، وأبقى الفضل بن سهل وزيراً له ، ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم (٤) ، وأسند الى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق (٥) ، وبذلك أصبح المأمون في الواقع في محيط فارسي ، فأهل خراسان من الفرس ، وبنو سهل يريدون تسيير دفة الدولة ، وعادت الحال الى ما كانت عليه في أوائل عهد الرشيد حين استحوذ البرامكة على السلطة (٥) .

-
- (١) حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٦١ .
 - (٢) الطبري : ج ٧ ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٠١ .
 - (٣) اليقوبي : ج ٣ ص ١٦٦ .
 - (٤) جعل المأمون للفضل بن سهل لقب الإمارة مع لقب الوزارة ، وهو أول وزير يجمع له اللقبين (الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٠٦) .
 - (٥) كما عهد المأمون إلى الحسن بن سهل بديوان الخراج (ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٨٥ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٠٥) .
 - (٦) جمال سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ص ٢٢٧ .

وقد اشتهر أهل خراسان وفارس ، طوال عهدهم ، ومنذ الفتح العربي بميولهم العلوية ، وحبهم وتقديرهم لآل علي بن أبي طالب . ولذا رأى المأمون أنه لا مفر من ارضاء مشاعرهم ، وقد أصبحوا عماد خلافته ودولته ، وكانت البيعة لأحد العلويين خير ارضاء لاهوائهم .

وكان التشيع قد انتشر في أرجاء الدولة العباسية ، وطمع كثير من الطالبيين في الخروج على الدولة ، وقد شهدنا قيام حركات شيعية عديدة في عهد المأمون ، أكثر مما شهدناه في عهد أسلافه وخلفائه . بل امتدت جذور التشيع الى بلاط الخلافة فكان الفضل بن سهل ، ذو الرياستين ، وزير المأمون شيعياً (١) . كما كان لطاهر بن الحسن قائد المأمون الذي قضى على أخيه الأمين ، ميول شيعية . ويروي ابن الأثير (٢) أن الطاهريين كانوا كلهم شيعة ، فيذكر عند حديثه عن حرب سليمان بن عبدالله الطاهري مع الحسن بن زيد الذي ثار في طبرستان : « تأثم سليمان عن قتاله لشدة في التشيع » .

لم يجد المأمون بدأ من ارضاء مشاعر الفرس الذين كانوا يقدرون آل علي ابن أبي طالب ويعطفون عليهم . فكان المأمون يبدي احترامه لذكرى علي ، ويشيد بمعاملة العلويين للعباسيين ، فيروي السيوطي (٣) أن المأمون أجاب على سؤال وجهه أحدهم اليه عن سبب عطفه على العلويين ، فقال : « انما فعلت ما فعلت لأن أبا بكر لما ولي ، لم يول أحداً من بني هاشم شيئاً ، ثم عمر ، ثم عثمان كذلك ثم ولي علي فولى عبدالله بن عباس البصرة ، وعبيد الله اليمن ، وسعيداً مكة ، وقثم البحرين ، وما ترك أحداً منهم حتى ولاه شيئاً ، فكانت هذه هي أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت » .

(١) دونالدسن : عقيدة الشيعة ص ١٩٠ .

(٢) الكامل : ج ٧ ص ٤٠ (حوادث سنة ٢٥٠ هـ) .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨ .

ومن مظاهر تقرب المأمون الى أهل خراسان أيضاً ، إقامته في مرو ، مما أدى الى اضطراب الأمور في بلاد العراق عامة ، وفي بغداد خاصة . وتحدث الناس بالعراق بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد انزله قصرآ حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وأنه يبرم الأمور على هواه ، ويستبد بالرأي دونه ، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس (١) .

نسب المرحوم الشيخ الخضري تولية المأمون علياً الرضا عهده الى رغبة الخليفة في ارضاء الفرس ، فقال : « كان الفرس يعجبهم أن يكون امام المسلمين علوياً ، وطالما قاتلوا في سبيل رجوع السلطان الى بني علي ، وهذه فرصة يأخذون فيها الخلافة من غير حرب ولا قتال ، وساعد على ذلك ما كان يراه المأمون نفسه من تفضيل علي بن أبي طالب على غيره من الخلفاء الراشدين ، وأنه كان أحق بالخلافة منهم . ولا نرى ذلك جاء المأمون الا من البيثة التي تربي فيها ، فانه كان من أول أمره في حجر جعفر البرمكي ، ثم انتقل الى الفضل ابن سهل وكلهم ممن يتشيع ، فاختمرت عنده هذه الفكرة على غير ما كان عليه آباؤه (٢) .

ومن العوامل التي دفعت المأمون الى التقرب من البيت العلوي وشيعتهم ما لسه المأمون من عدااء البيت العباسي له . فيذكر الطبري من بين أحداث أول سنة ٢٠١ هـ وقبل البيعة لعلي الرضا ، ما كان من « مراودة أهل بغداد منصور ابن المهدي على الخلافة (٣) » وقد امتنع منصور عن تولي الخلافة ، ولكنه قبل أن يصبح أميراً على بغداد . الى جانب عدااء ابراهيم بن المهدي وغيره من

(١) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ ، الفخري ص ١٧٣ .

(٢) تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٣٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .

العباسيين للمأمون (١) ، فقد كان بعضهم يتطلع الى الخلافة منتهزاً فرصة هذه الاضطرابات التي سادت الدولة ؛ وقد أعلنوا عصيانهم للحسن بن سهل والي المأمون على بلاد العراق، (٢) .

البيعة ابي الرضا بولاية العهد :

كان المأمون موفقاً في اختيار ولي عهده ؛ فهو ابن الامام موسى الكاظم وكان مولده في المدينة سنة ١٥٣ هـ (٣) ، واشتهر بالعلم والتقوى والورع . وعاش علي في حياة أبيه خمساً وثلاثين سنة ، معظمها في عهد الرشيد يرقب من بعيد ما يحل بأبيه موسى علي يد الرشيد (٤) ، وقد لجأ علي الى التقيية والكتمان لينجو بنفسه من المصير الذي انتهى أبوه اليه . وعاش علي بعد أبيه عشرين سنة وهو الامام بعد أبيه ، واختلفت آراء الشيعة ، وكثرت المذاهب وتعددت التمرق فبين من رجح في الامامة الى غيره من اخوته ، وبين من قال بأن الامام غائب وسيظهر بعد حين الى الناس ، وفرقة من الشيعة قالت بامامته وهم الخواص الذين سمعوا من أبيه النص عليه . وبدأ اصحابه يتصلون به ويدعون الشيعة الى امامته فرجع اليه جماعة من الشيعة وظهر أمره بين أصحاب أبيه وبدأ يتأهب لأداء رسالته (٥) .

عقد المأمون العزم على أن يعهد بولاية العهد للامام علي الرضا فبعث بعض رجاله ، وفيهم الجلودي ، وهو من أهالي خراسان ، لاستدعاء علي الرضا ، فاستجاب للدعوة ، ورحل هو وبعض العلويين الى مرو ، حيث أصبحوا موضع حفاوة وتكريم (٦) .

- (١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
- (٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ .
- (٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٨١ .
- (٥) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٥١ .
- (٦) المسعودي : مروج للذهب ج ٤ ص ٢٨ .

واستدعى المأمون اليه الفضل والحسن ابني سهل ، ليستشيرهما فيما انتواه من عقد البيعة بولاية العهد لعلي الرضا ، فنصحه الحسن بن سهل بالعدول عن هذا الرأي ، وحذره من غضب البيت العباسي لتحويله الخلافة الى البيت العلوي بينما حسن الفضل بن سهل للمأمون المشروع ، وحثه على المضي في تنفيذه . وحسم المأمون الأمر فقال لهذين الأخوين : اني عاهدت الله أن أخرجها الى أفضل آل أبي طالب ان ظفرت بالمخلوع (١) ، وما أعلم أخداً أفضل من هذا الرجل . واضطر الحسن الى النزول على رأي الخليفة (٢) .

وروى الأصفهاني أن المأمون بعث الفضل والحسن ابني سهل الى علي الرضا ، ينقلان اليه رغبة الخليفة في توليته عهده ، فرفض الاستجابة لها ، فهداه بضرب عنقه ان هو استمر في الإباء . ودعا المأمون الى مجلسه ، ولكنه استمر في الرفض فهدده بالقتل وقال : « ان عمر جعل الشروق في ستة أحدهم جدك » وقال : « من خالف فاضربوا عنقه » ولا بد من قبول ذلك . فاضطر علي الرضا الى النزول على رأي الخليفة (٣) . ويرى صاحب الفخري (٤) أن الفضل ابن سهل هو « القائم بهذا الأمر ، والمحسن له » .

تمت البيعة لعلي الرضا بولاية العهد في شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ ، فقد خرج الفضل بن سهل الى الناس يعلمهم بأمر البيعة ، ويأمرهم بطرح السواد ، شعار العباسيين ، واتخاذ الخضرة شعاراً لهم (٥) ، ويذكر أن المأمون قد أنعم عليهم برزق سنة وان الاحتفال الرسمي بالبيعة سيكون بعد أسبوع .

- (١) المخلوع : أي الأمين .
- (٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبين : ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .
- (٣) المصدر السابق ص ٥٦٣ - ويرجع تردد علي الرضا الى (علم الجفر) الذي وضعه الامام جعفر الصادق ، والذي يتنبأ بعدم تمام الأمر لعلي الرضا (الفخري ص ١٩٨) .
- (٤) الفخري : ص ١٩٨ .
- (٥) كتب الفضل الى أخيه الحسن « يأمره بطرح السواد ، وان يلبس الخضرة ، ويجعل الأعلام والقلائد خضرا ، ويطالب الناس بذلك ، وكاتب فيه جميع عماله » ، (الجهشياري - الوزراء والكتاب ص ٣١٢ ، اليعقوبي ج ص ١٧٦) .

وفي اليوم المحدد ، تمت البيعة لعلي الرضا رسمياً ، في رمضان سنة ٢٠١ هـ ، وحضر الاحتفال القواد والقضاة ووجره القوم (١) . وأمر المأمون ابنه العباس أن يكون أول من يبايع علي الرضا ، وتوافد العلويون وبعض العباسيين يبايعون ويأخذون جوائز الخليفة ، ثم تعاقب الخطباء والشعراء يشيدون بعلي الرضا ، ويحمدون للمأمون البيعة له بولاية العهد ، ثم طلب المأمون من علي الرضا أن يخطب في الناس ، فخطب خطبة شديدة الايجاز ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : « ان لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكم حق علينا به ، فاذا أدبتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم » (٢) وأطلق المأمون على علي الرضا « الرضا من آل محمد » وأمر بنقش اسمه على الدرهم والدنانير وزوج المأمون محمد بن علي الرضا بابنته (٣) .

وكتب الحسن بن سهل الى نائبه بالعراق عيسى بن محمد بن أبي خالد يخبره بالبيعة لعلي الرضا ، ويأمره بأخذ البيعة من أهالي بغداد وأن يرغمهم على ليس الخصرة في أقبيتهم وقتلانسهم وأعلامهم وأنه يمنحهم أرزاق سنة (٤) . فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، وتغيير لباس آبائه وأجداده بلباس الخصرة أنكروا ذلك ، وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله ، وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي (٥) . واختار ابراهيم ابن أخيه اسحاق بن موسى بن المهدي ولياً لعهدده ، ووعد بمنح كل فرد عشرة دنانير في أول السنة الهجرية التالية . ولكن الجند شغبوا على ابراهيم وطالبوا بأرزاق ستة شهور فمنح كل جندي مائتي درهم نقداً ، على أن يتسلم باقي استحقاقاته غلات زراعية (٦) ، وقد وصف صاحب الفخري (٧)

- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١١ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٦٤ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ ، ابن طولون ، الشذرات الذهبية ص ٩٧ .
(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٣٩ .
(٥) الفخري : ص ١٩٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
(٦) الطبري : ج ٧ ص ١٤٠ - ١٤١ . (٧) الفخري : ص ١٩٩ .

ابراهيم بن المهدي بأنه كان « فاضلاً شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقاً » .

العدول عن البيعة :

انتشرت الفتن والاضطرابات في أرجاء الدولة العباسية ، بينما كان المأمون لا يزال مقيماً في مرو بخراسان ، لا يعلم الكثير من أنبائها . وتقدم علي الرضا الى المأمون يخبره « بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخيه ، وبما كان الفضل بن السهل يستر عنه الأخبار ، وأن أهل بيته والناس قد نقلوا عليه أشياء ، وأنهم يقولون أنه مسحور مجنون ، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي بالخلافة (١) . واستدعى المأمون اليه بعض رجال الدولة ليستفسر منهم عن حقيقة الأمر ، فأكدوا ما أنبأه علي الرضا به ، وذكروه بوقعة الفضل بن سهل بهرثمة بن أعين الذي أراد أن يحذر المأمون ، كما ذكروه باهمال الخليفة لطاهر بن الحسين الذي اخلص له وخلصه من أخيه المأمون ، ثم نصحوه بالخروج الى بغداد (٢) . وعلم الفضل بما قاله هؤلاء النصحاء ، فأمر بضرب بعضهم كما سجن البعض الآخر ، وحاول علي الرضا أن يحث الفضل على اطلاق سراحهم ، فلم يستجب الفضل لشفاعته فيهم (٣) .

ثم كان صرع الفضل بن سهل (٤) ، وقد اختلف المؤرخون في سبب قتله وفي القائمين باغتياله ويدفعنا الى البحث في ذلك ، رغبتنا في الوقوف على مدى علاقة اغتياله بالبيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، فقد كان الفضل كما ذكر المؤرخون هو حامل لواء البيعة .

-
- (١) الطبري : ج ٧ ص ١٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ - ١١٩ .
(٢) قالوا : « ان الفضل حسن لك قتل هرثمة بن أعين ، وقد كان ناصحاً لك فعاجله بقتله وان طاهر بن الحسين مهد لك الأمور ، حتى قاد اليك الخلافة بزمامها فطردته إلى الرقة وان الأرض تفتقت بالسرور والفتن من أخطارها » الفخري ص ١٧٣ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ٢٤٨ .
(٤) اليعقوبي : ج ٧ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

روى الطبري (١) روايتين : أولاها تؤكد تدبير المأمون وقتل الفضل فروى أن الفضل حينما وصل مع المأمون الى سرخس شدد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام ، فضربوه بالسيف حتى مات ، وذلك في يوم الجمعة للياليتين خلتما من شعبان سنة ٢٠٢ هـ ، فأخذوا وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر . . . وهربوا ، فبعث المأمون في طلبهم ، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار . فقالوا للمأمون : «أنت امرتنا بقتله . فأمر بهم فضربت أعناقهم » ، أما الرواية الأخرى التي رواها الطبري فتبرئ المأمون فروى : « وقد قيل ان الذين قتلوا الفضل لما أخذوا سألهم المأمون ، فمنهم من قال ان علي بن أبي سعيد ، ابن أخت الفضل ، دسهم ، ومنهم من أنكر ذلك ، وأمر بهم فقتلوا » .

وكان للفضل بن سهل شيعة قوية تؤيده وتنصره ، فلما رأوا ما حل به اتهموا المأمون ورموه بالاشترار في المؤامرة ، وشغب قواد خراسان وجنودهم وغيرهم من أنصار الفضل على الخلافة ، وتجمعوا ببابه وهموا باحراقه . ولما رأى المأمون أن حياته مهددة بالخطر ، طلب الى علي الرضا أن يهدىء من ثورة الساخطين . وكان الرضا هو الوسيلة الوحيدة لنجاة الخليفة وتهدئة الخواطر لمحبة أهل خراسان له ، وصدقهم في الاخلاص لطاعته (٢) .

وفي طوس (٣) ، وبينما كان المأمون في طريقه الى بغداد ، كانت نهاية حياة علي الرضا . وقد اختلف المؤرخون أيضاً في سبب وفاته واتهم بعضهم

(١) الطبري : ج ٧ ص ٢٤٨ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٣) وهي المدينة التي دفن بها هارون الرشيد .

المأمون باغتياله ، فبرى الطبري (١) ان وفاة علي الرضا كانت طبيعية ، فقال : ان المأمون شخص من سرخس حتى صار الى طوس ، فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أياماً ، ثم ان علي بن موسى ، أكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة . ويذكر المسعودي (٢) نفس رواية الطبري السالفة ثم يقول ان هذا العنب كان مسموماً . أما الأصفهاني (٣) فيؤكد أن علي الرضا مات مسموماً ، ثم يقول : « واختلف في أمر وفاته ، وكيف كان سبب السم الذي سقيه » ، ثم روى الاصفهاني رواية تذهب الى أن المأمون أمر أحد رجاله بأن يطيل أظافره وأنه وضع سماً في هذه الأظافر ، ثم قام هذا الرجل بعصر بعض الرمان لعلي الرضا ، فشربه ، فمات بعد يومين . كما يروي الأصفهاني رواية أخرى تذهب إلى أن علي الرضا مات نتيجة أكله عنباً مسموماً . أما صاحب الفخري (٤) فيتهم المأمون صراحة فيقول أنه « دس إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام سماً في عنب ، وكان يحب العنب فأكل منه واستكثر ، فمات من ساعته » .

ونحن وان كنا نرجح موت علي الرضا مسموماً الا أننا نبرىء المأمون من الاقدام على قتله بالسم ، وقد رأينا موقف المأمون من الزعماء العلويين ، وتسامحه معهم وعفوه عنهم . كما كان مصرع علي الرضا على يد المأمون سلاحاً ذو حدين فهو وان كان يهدىء من ثورة العباسيين وأهل بغداد الا أنه يثير مشاعر العلويين وشيعتهم في خراسان كما نستند الى رواية أوردها الاصفهاني (٥) وهي : « دخل المأمون الى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى وقال : « أعلز علي يا أخي بأن أعيش ليومك ، وقد كان في بقائك أمل ، وأغلظ علي من ذلك وأشد

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٥٠ .

(٢) مروج الذهب : ج ٤ ص ٢٨ .

(٣) مقاتل الطالبين : ص ٥٦٦ .

(٤) الفخري : ص ١٩٩ .

(٥) مقاتل الطالبين : ص ٥٧١ - ٥٧٢ .

أن الناس يقولون أني سقيتك سماً ، وانا الى الله من ذلك بريء ، فقال له
الرضا : صدقت يا أمير المؤمنين ، أنت والله بريء » كما روى الأصفهاني (١)
أيضاً أن المأمون استدعى العلويين اليه وأطلعهم على جثمان علي الرضا ، « وأراهم
اياهم صحيح الجسد لا أثر به » . كما روى الأصفهاني أن المأمون « أظهر جزءاً
شديداً وحزناً كثيراً » .

ونرجح أن يكون بعض العباسيين قد حرضوا من دس السم لعلي الرضا في
العنب وقد عرفوا حب الرضا له ، فقد أراد العباسيون أن يتخلصوا من علي
الرضا ليمنعوا مشروع تحويل الخلافة الى البيت العلوي ، وهو اجتهاد مينا
لا نجد في المصادر التاريخية القديمة ما يؤيده .

كما يبرىء كاتب شيعي (٢) المأمون من اغتيال علي الرضا ، فيقول : وكان
موته مسموماً بعد ذلك كما تزعم الأخبار ، وليس في التاريخ ما يؤيد هذا
الرأي وليس بالبعيد أن المأمون قد ولي الرضا عهده نتيجة لحسن نواياه ، ولأنه
عرف الحق لأهله وتنكره لسيرة الماضين من آبائه الذين أمعنوا في ظلم أهل
البيت قتلاً وسمماً وتشريداً ، وكما لم يثبت التاريخ أن المأمون كان يتصنع في تقريب
الامام ولم يثبت كونه مات بعنب مسموم أهده اياه المأمون وكانت به نهايته .

وكانت نهاية حياة علي الرضا ، هي نهاية الاضطرابات والفتن في بغداد
فقد اطمأن أبناء البيت العباسي الى بقاء الخلافة فيهم اذ أخفق مشروع نقل
الخلافة الى البيت العلوي (٣) . وأسرع ابراهيم بن المهدي الى الفرار حينما
علم بقدوم المأمون الى بغداد (٤) . وكتب المأمون الى أهالي بغداد ، يعلمهم
أنهم ما نعموا عليه الا ببيعته لعلي وقد مات . وطلب العباسيون من المأمون أن

(١) المصدر السابق : ص ٥٦٧ .

(٢) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .

(٤) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

يعود الى لبس السواد وترك الخضره فرفض طلبهم(١) فعهد العباسيون الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، بأن تحادث المأمون في ذلك ، وكان بنو العباس يقدرونها ويجلونها ، فسألته عن سبب تحويله الخلافة مسن العباسيين الى بيت علي ، فذكرها بموقف علي بن أبي طالب من العباسيين ، وتوليتهم حكم الأمصار ، ثم قال : وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر اليهم كافوه على فعله في ولده ، فأحبيت أن أكافيه على احسانه . فقالت له : يا أمير المؤمنين انك على برّ بني علي والأمر فيك أقدر منك على برهم ، والأمر فيهم ثم سأله العودة الى اتخاذ السواد ، فأجابها الى ذلك(٢) .

انفرد المؤرخ طيفور بوصف دخول المأمون بغداد وتمسكه أياماً بالخضره(٣) ثم تحوله ، هو وحاشيته وجنوده الى السواد ، فقال : « فكانوا يختلفون الى المأمون في كل يوم مسلمين ولباسهم الثياب الخضر ولم يكن أحد يدخل عليه الا في خضره فمكثوا بذلك ثمانية أيام ، وتكلم فيه بنو هاشم من ولد العباس خاصة وقالوا له : يا أمير أمير المؤمنين تركت لباس أهل بيتك ودولتهم ولبست الخضره وكتب اليه في ذلك قواد أهل خراسان . وتكلم في ذلك دون الناس جميعاً لما قدم طاهر بن الحسن فأظهر له الاجابة ولما يفعل ولما رأى طاعتهم له في لباس الخضره وكراحتهم لها جلس يوم السبت وعليه ثياب خضر فلما اجتمعوا عنده دعا بسواد فلبسه ودعا بخلعة سواد فكساها طاهر بن الحسين وخلع على عدة من قواده أقبية وقلانس سوداء(٤) .

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ .

(٢) الفخري : ص ٢٠٠ .

(٣) لم تكن الخضره شعاراً للعلويين ، بل كانت شعار الفرس ، وكان المأمون يعتمد على العناصر الفارسية ، ولم يجد المأمون حرجاً في الاحتفاظ بالخضره ، بعد مصرع علي الرضا ، فاللون الابيض هو شعار العلويين (الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ٣١٣) .

(٤) طيفور : بغداد ج ٦ ص ٢ .

ولكن الأمور وان هدأت في بغداد فهي لا تزال مضطربة في بعض أرجاء الدولة العباسية ، فهناك ثورة نصر بن شيث في بلاد الشام ، وتحفل مصر بالاضطرابات ، وبابك الحرمي ينشر الفرع في أذربيجان والزرط يعيشون فساداً في مناطق خليج البصرة الى جانب ثورات الجوارخ في خراسان (١) .

موقف المأمون من العلويين :

استمر الخليفة المأمون يعطف على بيت الامام علي الرضا فاختار أحد اخوته ليحج بالناس ، وبعد سنوات زوج ابنته أم الفضل بمحمد بن علي الرضا المعروف بالامام محمد الثاني أو الجواد . وكان محمد عند موت أبيه علي الرضا في التاسعة من عمره (٢) ، ويعيش في المدينة ، وأمه ليست أم حبيب بنت المأمون بل أم ولد ، يروي البعض أنها من نسل مارية أم ابراهيم بن الرسول عليه الصلاة والسلام (٣) . وعاش الامام محمد فترة في المدينة ثم رحل الى بغداد، انصرف فيها الى الاشتغال بالعلم ، فقد كان المأمون قد بدأ يعتقد مذهب المعتزلة (٤) وبعد وفاة المأمون عاد الامام محمد الى المدينة فظل مقيماً بها حتى دعاه المعتصم الى بغداد ، وكانت العلاقة بينهما غير ودية ، وما لبث أن مات الامام محمد ، وقيل انه مات مسموماً ، اذ سمته زوجته أم الفضل بتحريض المعتصم (٥) .

(١) Le Strange : Lands of the Eastern Caliphate, p. 231.

(٢) انكر بعض الشيعة تولي محمد الجواد الامامة وهو في التاسعة من عمره ، وقالوا بضرورة بلوغ الامام ، إذ أن التكليف والقضاء والفصل في احكام الدين وشرائعه تقتضي أن يكون الامام بالغاً (النوبختي : فرق الشيعة ص ٧٧) ولكن جماعة أخرى من فرق الشيعة الامامية الاثني عشرية اعترفت بامامته ، على أن يتولى الصلاة وتنفيذ احكام الدين غيره من يتصف بالتدين والتفقه ، حتى يصل الامام إلى سن البلوغ (الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ص ٢٠٣ (٤) الفخري : ص ٢٠١ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ص ٢٠٣ ، المجلسي : بحار الانوار ج ١٢ ص ٧٨ .

وخير ما يصور مشاعر المأمون نحو العلويين ، ما جاء في وصيته لولي عهده
المعتصم اذ قال له : « .. وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ، فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن منسيئهم ، وأقبل
من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة من حملها ، فإن حقوقهم تجب
من وجوه شتى (١) »

كما استمر المأمون في انتهاج السياسة التي بدأها منذ أول عهده ، فقد اعتمد
على العناصر الفارسية في السياسة والحكم والادارة (٢) ، وظل النفوذ الفارسي
قائماً واضحاً في الدولة ، وكان جميع وزرائه الذين تولوا بعد مصرع الفضل
ابن سهل من الفرس .

* * *

(١) الطبري : ج ٧ ص ٢١٠ .
(٢) لم يقطع المأمون صلته ببني سهل ، فقد أرسل إلى الحسن بن سهل يعزیه في موت أخيه .

٤ - ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق

وأبي عبدالله أخي أبي السرايا

موقف الشيعة من المأمون بعد البيعة لعلي الرضا :

كانت ظروف الدولة العباسية ، وما سادها من اضطرابات داخلية ، من عوامل قيام حركة شيعية جديدة . فالعلويون أبدأً يترقبون الفرص للقيام بثوراتهم ضد الخلفاء العباسيين ، الذين اغتصبوا حقهم في الامامة . ولم ينجح العلويون والشيعة في توحيد جهودهم في عهد المأمون ، للاستفادة من مشاكل الدولة العباسية ، ولذا كانت حركات الشيعة في عهد المأمون حركات صغيرة محدودة ، نجح العباسيون في القضاء عليها ، ولم نعد نشهد حركات علوية قوية واسعة الانتشار ، مثل حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم في عهد الخليفة المنصور .

في سنة ٢٠١ هـ ، رأى الخليفة المأمون أن يبائع للامام علي الرضا (١) ، ابن الامام موسى الكاظم ، بولاية العهد . وهو امام الشيعة الامامية الاثني عشرية (٢) . وقد استدعاه المأمون اليه ، وأكرم وفادته (٣) ، وسماه « الرضا من آل محمد » وأمر الجند بطرح السواد ، شعار العباسيين ، واتخذ اللون الأخضر شعاراً له وهو شعار الفرس (٤) ، وكتب بذلك الى سائر الأمصار الاسلامية . وكسان

-
- (١) كان مولد الامام علي الرضا سنة ١٥٣ ، ومات سنة ٢٠٣ هـ ، وتولى الامامة عشرين سنة .
(٢) القمي : كتاب المقالات ص ٩٠ .
(٣) زوج المأمون علي الرضا من أخته أم حبيب (ابن طولون : الشذرات الذهبية ص ٩٧) .
(٤) الطبري ج ٧ ص ١٤٣ ، الجهشيار ، الوزراء الكتاب ص ٣١٢ .

المأمون لا يزال مقيماً في مرو بخراسان ، خاضعاً لسيطرة وزيره الفارسي ذي الميول الشيعية الفضل بن سهل(١) . وأدت هذه الأحداث كلها الى انتشار الاضطرابات في كثير من الأقطار العباسية ، وخاصة في بغداد ، حيث بايع أهلها سنة ٢٠١ هـ ابراهيم ابن الخليفة المهدي بالخلافة(٢) .

أصبح الموقف في الدولة العباسية غريباً متناقضاً ، خليفة عباسي ، وولي عهد علوي يتولى امامة فرقة كبيرة من فرق الشيعة ، وهي فرقة الشيعة الامامية . وقد أصبح الخليفة محجوباً عليه في قصره ، وأصبح الفضل بن سهل الوزير الفارسي صاحب النفوذ . وأصبح شعاراً الفرس الساسانيين الاخضر هو شعار الدولة العباسية ، وكأن الفضل بن سهل أراد احياء الدولة الفارسية القديمة في ثوب اسلامي جديد . وقد فطن العرب الى هذه الحقيقة ، فقال نعيم بسن خازم أحد رجالات العرب ، للفضل : « انك انما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسروياً ، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده من البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس»(٣) .

ولما تساءلت الشيعة : اذا كان المأمون حقيقة يريد اعادة الحق الشرعي لمغتصب الى العلويين ، فلماذا لم يتخذ اللون الأبيض شعارهم ؟

ولم تكن البيعة لعلي الرضا ترضي نفوس الشيعة ، ولا تقنعهم بالولاء للمأمون ، فقد اعتبرت الشيعة هذه البيعة وسيلة لتسكين خواطرها ، ودفعها الى الركون الى الهدوء والسلام ، بعد أن تعددت الحركات العلوية ، في عهد المأمون واعتبرت الشيعة مناظرة العلماء للرضا التي عقدها المأمون في مجلسه لا لإقناع العلماء بتفوق

(١) رونلدسن : عقيدة الشيعة ص ١٩٠ .

(٢) الطبري ج ٧ ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٩ .

(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١١ .

الرضا عليهم في العلم والفضيل ، انما لانفاصن قدره ، فقد كان المأمون يأمل أن يتعثر الرضا في اجابته على ما أثاره هؤلاء العلماء من مسائل علمية وفقهية (١) . ولم يعد تودد بعض الخلفاء العباسيين الى آل علي بن أبي طالب ، أحياناً ، موجياً لحسن الظن بهم . ولذا ما كانت البيعة لعلي الرضا بولاية العهد لتغير من عقيدتهم في الامامة شيئاً . وما ذلك عندهم الا ابتلاء له لا تقل عن ابتلاء موسى الكاظم ومحنته باضطهاد الرشيد اياه ، فقد اصبح واجباً على الأمة في عقيدتهم أن يبتلوا بالخلفاء وان يمتحنوا بسبب انتمائهم للرسول ولعلي بن أبي طالب ، ثم أن يموتوا الميتة اللائقة بالأئمة من قتل أو موت بالسم حتى ينالوا تقديس شيعتهم (٢) .

ثورة في الكوفة :

وتلاحقت الأحداث في سرعة ، وتكاثفت ، وتبلورت ، لتؤدي الى قيام حركة شيعية صغيرة في الكوفة سنة ٢٠٢ هـ ، تولى قيادتها الايجابية أبو عبدالله أخو أبي السرايا ، الذي كان قد قاد حركة شيعية خطيرة في الكوفة أيضاً ، منتهزاً فرصة الخلاف الذي وقع بين أبناء البيت العباسي ، والاضطرابات التي سادت بلاد العراق . وتولى الزعامة الروحية لهذه الحركة الشيعية الامام العلوي علي بن الامام محمد بن جعفر الصادق (٣) .

بدأت بودار حركة الشيعة الجديدة ، حينما كتب المأمون الى الحسن بن سهل في العراق ، يأمره بلبس الخضرة ، وأخذ البيعة لعلي الرضا بولاية العهد والتقدم الى بغداد لحصارها ، وارغام أهلها على الطاعة للمأمون ، والنكوث عن بيعتهم لابراهيم بن المهدي (٤) .

(١) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٥٣ .

(٢) دكتور أحمد صبحي : عقيدة الامامة ص ٣٨٧ .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٤٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١١ .

وولي الحسن بن سهل على الكوفة أخذ العلويين ، وهو العباس ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق . وأمره بلبس الخضر ، والسدعوة للمأمون ، ولولي عهده علي الرضا . ولكن أهل الكوفة ، لم يصدقوا نوايا المأمون التي دفعتها للبيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، ولذا رفضوا دعوة واليهم الجديد العلوي ، حينما دعاهم للبيعة للخليفة ، ولولي العهد ، رغم أن الوالي هو أخ لعلي الرضا ، فقال أهل الكوفة لواليهم : « ان كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك ، فلا حاجة لنا في دعوتك ، وان كنت تدعو الى أخيك ، أو بعض أهل بيتك ، أو الى نفسك ، أجبناك (١) » .

وهذه العبارة ، توضح في الحقيقة روح الثورة الكامنة أبداً في نفوس شيعة الكوفة منذ عهد علي بن أبي طالب ، وكان هؤلاء الشيعة يتطلعون الى الزعيم الذي يقودهم الى الجهاد ، والى النصر وخابت آمال شيعة الكوفة في واليهم العلوي ، اذ أصر على دعوتهم لطاعة المأمون والبيعة لعلي الرضا ، فأعلنت شيعة الكوفة عصيانها له ونبذها طاعته (٢) .

خرج على طاعة الخليفة المأمون ، وعلى طاعة نائبه بالعراق الحسن بن سهل بعض القواد العباسيين ، مثل سعيد بن الساجور ، وأبو البط ، وغسان بن أبي الفرج وأعلنوا ولاءهم للخليفة العباسي الجديد ابراهيم بن المهدي (٣) .

وكان قواد المأمون من العرب قد سخطوا عليه لاعتماده على العناصر الفارسية ولرغبته في الخلاص منهم رغم بلائهم معه في قال أخيه الأمين . كما غضبوا عليه للمكيدة التي دبرها الفضل بن سهل للخلاص من القائد العربي هرثمة بن

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٤٤ .

(٢) الطبري ج ٧ ص ١٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٢ - ١١٤ .

(٣) الفخري : ص ١٧٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

أعين ، وانتهت بأن أمر المأمون بالقائه في السجن ، حيث دس الفضل بن سهل إليه من سمه (١) .

كما غضب هؤلاء القواد العرب على المأمون أيضاً لموقفه من طاهر بن الحسين الذي عاون المأمون معاونة ايجابية في الخلاص من أخيه الأمين . وقد نقل علي الرضا الى المأمون أخبار هذه الفتنة والاضطرابات التي سادت الدولة ، وخاصة بغداد فدعا المأمون اليه بعض خاصته وامراته ، وسألهم عن حقيقة الموقف ، فقالوا له : « ان الفضل حسن لك قتل هرثة بن أعين ، وقد كان ناصحاً لك فعاجله بقتله وان طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد اليك الخلافة بزمامها فطرده الى الرقة ، وان الأرض تفتقت بالشور والفتن من أخطارها» (٢) .

وأدى هذا الانقسام الكبير بين صفوف العباسيين الى ظهور حركة شيعية مناوئة للدولة العباسية والخليفة المأمون ، تزعمها أحد العلويين وهو علي بن الامام محمد بن الامام جعفر الصادق ، الذي تحدثنا عن بيعته في مكة . وانضم اليه أبو عبدالله أخو أبي السرايا ، وكثير من الشيعة (٣) .

ورأى هؤلاء الشيعة الثائرون الانضمام الى القواد العباسيين الخارجين على طاعة المأمون والمبايعين لابراهيم بن المهدي لمواجهة والي الكوفة العلوي العباسي ابن موسى بن جعفر ، الذي أعلن ولاءه للمأمون .

وأصبح الموقف أيضاً غريباً شاذاً ، فقد تحالف قواد عباسيون مع الشيعة ، كما وقفت شيعة الكوفة ضد واليها العلوي ، ورفضت الاعتراف بما أقدم عليه المأمون من البيعة لعلي الرضا . وأصبحت هناك قوتان عسكريتان ، متواجهتان ،

-
- (١) ابن الأثير ، الكامل ج ٦ ص ١٠٧ ، أبو الفداء المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣ .
(٢) الفخري ص ١٧٣ ، ابن الأثير ، الكامل ج ٦ ص ١١٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .
(٣) الطبري ج ٧ ص ١٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٠ - ويذهب أحد كتاب الشيعة (المظفري : تاريخ الشيعة ص ٥٠ أن طاهر بن الحسين كان شيعياً) .

قوة تمثل تحالف الشيعة مع القواد العباسيين ، وقوة أخرى عباسية يقودها أحد أبناء البيت العلوي . وكان أنصار الوالي العلوي ، العباس بن موسى الكاظم ، يتخذون الخضره شعاراً لهم ، بينما كان العلويون والشيعة وحلفاؤهم العباسيون يتخذون السواد ، وهو شعار العباسيين القديم ، شعاراً لهم (١) .

ودارت معارك عنيفة بين القوتين ، وجعل العلويون وحلفاؤهم العباسيون شعارهم « يا ابراهيم يا منصور ، لا طاعة للمأمون » . أي أن العلويين وجهوا ولاعهم لابراهيم بن الخليفة المهدي ، الذي بايعه بعض العباسيين وأهالي بغداد خليفة بدلاً من المأمون!! (٢)

وأدت هذه المعارك العنيفة الى الحاق الأضرار بالكوفة ، فقد انتشرت الحرائق بها وازهقت الأرواح ، وعادت بخسائر جسيمة ، فاجتمع وجوه القوم بالكوفة ، وحصلوا من الثوار على الأمان للعباس بن موسى الكاظم ، والي الكوفة . ثم قدموا على العباس وقاموا له : ان عامة من معك غوغاء ، وقد ترى ما يلقي الناس من الحرق والنهب والقتل ، فاخرج من بين أظهرنا فلا حاجة لنا فيك (٣) .

وتظاهر العباس بقبول ما عرضوه عليه ، ولكنه ما لبث أن عاود القتال مرة أخرى حتى لحقت به الهزيمة ، ودخل الثوار مدينة الكوفة ، وأنزلوا سخطهم على أنصار العباس بن موسى ، فانتهبوا دورهم ، وأحرقوها ، حتى طلب وجوه الكوفة منهم الكف عن ذلك .

ثم رأى العباسيون ، بعد انتصارهم ، أن يتحللوا من مخالفة العلويين وشيعتهم فولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي ، الذي أقدم على الخلاص من حلفائه العلويين ، فقتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا (٤) .

(١) الطبري ج ٧ ص ١٤٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(٣) الطبري ج ٧ ص ١٤٤ .

(٤) الطبري ج ٧ ص ١٤٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٢ .

ويبدو أن أهالي الكوفة قد ضاقوا بهذه الاضطرابات التي سادت مدينتهم طوال عهد المأمون، ورأوا أن يعلنوا ولاءهم للمأمون ، حتى تستقر الأحوال في الكوفة . فخرج وفد من أهالي الكوفة ، الى بغداد ، وكان المأمون قد قدم إليها من مرو بخراسان ، وخلع الخضرة ، وعاد الى السواد ثانية (١) .

ومثل الوفد بين يدي المأمون ، فأعرض عنهم ، فتقدم شيخ منهم الى المأمون يقول : « يا أمير المؤمنين ، يدك أحق يد بتقبيل ، لعلوها في المكارم وبعدها عن المآثم ، وأنت يوسف العفو في قلة التثريب ، من أراك بسوء جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك » . وأعلن المأمون عفوه من أهالي الكوفة (٢) .

وهكذا انتهت هذه الحركة الشيعية الصغيرة ، فكانت كالوميض الذي يلعب ثم ينطفئ . وهي تختلف تماماً عن الحركات الشيعية السابقة ، فقد جمعت الكثير من المتناقضات . وهي في الحقيقة حركة ثأرية ، فقد أراد أبو عبد الله الانتقام لمصرع أخيه أبي السرايا كما أراد علي بن محمد بن جعفر ان يثأر من المأمون الذي هزم أباه .

وان عوامل اخفاق هذه الحركة غنية عن البيان ، فقد قامت الحركة الشيعية المعتمدة على سواعد القواد العباسيين الساخطين وأتباعهم واعترف الشيعة بخلافة ابراهيم بن المهدي ، وهو أحد أبناء البيت العباسي ، كما قاتلت الشيعة أحد أبناء البيت العلوي ، وهو والي الحكومة العباسي بن موسى الكاظم . كما انضم الى صفوف الشيعة الغوغاء والدهماء ، الذين أثاروا مخاوف أهالي الكوفة بما أتوه من تخريب وتدمير . ولم يكن علي بن الامام محمد بن جعفر الصادق هو الزعيم المنشود المؤهل للقيام بحركة شيعية كبرى ، حتى يمكن أن نقول أن أبي عبد الله ، أخي أبي السرايا ، كان هو الزعيم الحقيقي لحركة الشيعة .

(١) يعقوبي : ج ٣ ص ١٨١ ، ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .

٥ — ثورات الشيعة في بلاد اليمن

انتشرت حركات الشيعة في العصر العباسي الأول ، في كثير من الأمصار الإسلامية ، فشهدنا قيامها في الحجاز (١) ، والبصرة (٢) ، وبلاد الديلم (٣) ، وبلاد المغرب (٤) ، والكوفة (٥) . وكان لبلاد اليمن نصيب في هذه الحركات العلوية الشيعية ، فقد قامت فيها حركتان شيعيتان ، كانتا مقدمة لتوغل بمذهب الشيعة واستقراره طويلا في بلاد اليمن . وقاد الحركة الأولى إبراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . بينما تزعم الحركة الشيعية الثانية عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب .

عوامل قيام ثورات شيعية في اليمن :

كانت اليمن عند قيام الدولة العباسية من أبرز ولايات الدولة (٦) . وكان

- (١) قامت حركة محمد النفس الزكية في عهد المنصور في المدينة ، كما قامت حركة الحسين بن علي في عهد الخليفة الهادي في المدينة ، وامتدت إلى مكة . وكان كثير من العلويين يعيشون في الحجاز وخاصة المدينة .
- (٢) قامت حركة إبراهيم أخي النفس الزكية في البصرة في عهد المنصور .
- (٣) قامت حركة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم في عهد الرشيد .
- (٤) ظهرت حركة إدريس بن عبد الله في بلاد المغرب في عصر هارون الرشيد .
- (٥) مثل حركات محمد بن إبراهيم وأبي السرايا ، وعلي بن محمد جعفر الصادق وأبي عبد الله أخي أبي السرايا .
- (٦) كانت الولايات في عهد أبي العباس هي : (١) الكوفة والسواد (٢) البصرة وأقليم دجلة والبحرين وعمان (٣) الحجاز واليمامة (٤) اليمن (٥) الأهواز وتشمل خوستاه وسجستان (٦) فارس (٧) خراسان (٨) الموصل (٩) الجزيرة وأرمينية وأذربيجان (١٠) سورية (١١) مصر وأفريقية (تونس) (١٢) السند .

اليمنية يمثلون جانباً من الجيش العباسي ، ولكن الصراع بينهم وبين المضرية جعل العباسيين يعتمدون على العناصر الفارسية (١) . وكان أشهر ولاية اليمن في مطلع العصر العباسي هو معن بن زائدة الشيباني ، في عهد الخليفة المنصور (٢) . واهتم المهدي بربط اليمن بالعاصمة بغداد بالبريد (٣) . وظل النظام الإداري في العصر العباسي الأول ، وحتى عصر الخليفة هارون الرشيد نظاماً مركزياً ، فلم يكن لولاية اليمن السلطة الكاملة التي كانت لولاية الدولة الأموية ، وتراوحت مدة حكم ولاية اليمن بين عامين أو ثلاثة أعوام ، مما كان له أثره في توقف الإصلاحات ، واضطراب قبائل اليمن (٤) . ووضح هذا الاضطراب في عهد الوالي العطريرف بن عطاء ، خال الخليفة الرشيد وواليه على اليمن ، وقد حكم نحو ثلاثة أعوام (٥) . ومن ولاية اليمن في عهد الرشيد عبدالله ابن مصعب الزبيري ، وهو الذي آتهم الامام العلوي يحيى بن عبدالله بأنه دعاه الى البيعة له ، وكانت سعايته بيحيى من عوامل تنكيل الرشيد به (٦) ، وشهدت بلاد اليمن في عهد الرشيد ثورة بعض القبائل بزعامة الهيصم بن عبد المجيد ، كرد فعل لمظالم وقسوة الوالي حماد البربري (٧) .

-
- (١) حسن ابراهيم : اليمن ص ٥٥ - فكر المنصور في تأسيس الكرخ جنوبي بغداد ليعمد عنه خطر جنده من اليمنية والمضرية .
 - (٢) ولي المنصور معن بن زائدة حكم اليمن مكافأة له على انقاذه حياته حينما واجه المنصور الزنادقة الراوندية ، وكان معن من قبل من رجال الامويين ، (الفخري ص ١٥٦ - ١٤٧) .
 - (٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ .
 - (٤) الكسبي : اللطائف السننية (مخطوط) ورقة ٧ - ٨ .
 - (٥) الطبري : ج ٦ ص ٤٤٩ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن في أخبار اليمن ورقة ٢٠ .
 - (٦) الطبري ج ٦ ص ٤٥٢ - ٤٥٤ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٥٣ الاصفهاني : مقاتل الطالبين : ص ٤٧٤ - ٤٧٦ ، الفخري ص ١٧٦ - ١٧٧ .
 - (٧) يحيى بن الحسن : أنباء الزمن (مخطوط) ورقة ٢٠ ، ابن الدبيح ، قرة العيون (مخطوط) ورقة ١٠ .

وبدأت بوادر اضطرابات سادت اليمن في عهد الخليفة المأمون ، وقد مهدت هذه الاضطرابات لقيام حركات الشيعة في بلاد اليمن . فتمد ولسى المأمون على اليمن يزيد بن جرير (١) ، الذي بدأ سياسة اضطهاد وتنكيل بكثير من أهالي اليمن (٢) ، وخاصة بالأبناء الفرس ، الذين انحدروا من الفرس في زمن الاحتلال الفارسي لبلاد اليمن قبل الاسلام (٣) . وأسرف المأمون في تولية وعزل الولاة العباسيين ، مما جعل الاضطرابات في اليمن تزيد وتستفحل (٤) .

ثورة ابراهيم بن موسى الكاظم :

وفي سنة ٢٠٠ هـ ، شهدت بلاد اليمن حركة شيعية ، قام بها ابراهيم ابن الامام موسى الكاظم ، وظهرت هذه الحركة في نفس الوقت الذي قامت فيه في الكوفة حركة محمد بن ابراهيم بن طباطبا وأبي السرايا ، التي درسناها في هذا الباب . فقد خرج ابراهيم بن موسى من مكة الى بلاد اليمن في جماعة من أهله ، للسيطرة عليها . وكان والي اليمن حينئذ هو اسحق بن موسى العباسي ، ورغم انتمائه الى البيت العباسي ، فقد آثر السلامة ، فأث أن يغادر الولاية بدون مواجهة ابراهيم بن موسى ، وقتاله (٥) . ونجح ابراهيم في السيطرة على بلاد اليمن ، وبدأ يحكمها .

(١) وهو يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري (يحيى بن الحسين : غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ، مخطوط ، ورقة ١٩ - أ) .

(٢) ابن الدبيع : بقية المستفيد ورقة ١٠ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ورقة (١٩ - أ) .

(٤) ولي المأمون بعد عزله يزيد بن جرير ، واليا آخر سنة ١٩٥ هـ وهو عمر بن ابراهيم بن راقد ، الذي حكم عاماً واحداً ، ثم ولي المأمون سنة ٢٩٦ هـ والياً آخر ، فلم يحكم سوى أسابيع قليلة ، ثم ولي المأمون في نفس السنة (١٩٦ هـ) اسحق بن موسى العباسي فاستمر يحكم حتى سنة ١٩٨ هـ (ابن الدبيع : بصيغة المستفيد ورقة ١١ مخطوط) ، (الواسعي : فرجة الموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ص ١٤٩) .

(٥) الطبري : ج ٧ ص ١٢٤ ، ابن الدبيع : قرّة العيون (مخطوط) ورقة ١١ ، عمارة اليمني : تاريخ اليمن ص ١٣٤ .

ولكن ابراهيم بن موسى ، أساء الحكم ، ونكل بأهالي اليمن ، حتى اطلقوا عليه اسم (الجزار) ، فقال الطبري (١) : « كان يقال لابراهيم بن موسى (الجزار) لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الأموال » .

ورأى الخليفة المأمون مواجهة هذه الحركة الشيعية ، ولكنه اكتفى بعزل واليه اسحق بن موسى العباسي ، وتولية محمد بن علي بن موسى بن ماهان . ولم يفكر المأمون في انفاذ الجيوش الى اليمن ، ونفسر ذلك بانشغال المأمون بكثير من المشاكل والاضطرابات والثورات ، على النحو الذي شهدناه في الفصول السابقة الى جانب بعد بلاد اليمن عن مركز الخلافة ، ووعورة الطرق ، وخاصة أن هذه الحركة الشيعية في اليمن كانت امتداداً لحركة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا ، وهي من أخطر حركات الشيعة التي رأى المأمون التفريغ لمواجهتها والقضاء عليها(٢) .

وأخفق والي العباسي الجديد ، محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، في القضاء على حركة ابراهيم بن موسى ، واعادة الاستقرار والأمن في اليمن ، وبدا عجز المأمون واضحاً ، فقد اعترف بولاية ابراهيم بن موسى على اليمن ، وعزل محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، ولكن محمد بن علي رفض تنفيذ قرار عزله(٣) ، واثارت حماسته لمواجهة حركة الشيعة في ميدان القتال . والتقى الفريقان ودارت الدائرة على ابراهيم بن موسى الكاظم . وترتب على هذه المعركة الحامية تخريب مدينة صعدة(٤) .

واعترض محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بانتصاره على حركة الشيعة واعتبر

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٢٤ .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ وما بعدها ، الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٢٥ وما بعدها .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون في اخبار اليمن الميمون (مخطوط) ورقة ١١ .

(٤) حسين بن علي الويسي : اليمن الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ .

نفسه محرر اليمن ، ولذا رأى أن يتمسك بحكم اليمن ، ورفض مرة أخرى تنفيذ أمر الخليفة المأمون حين عزله عن الولاية ، وولى بدله عيسى بن يزيد الجلودي ، والتقى الواليان في قتال عنيف ، وانتهت المعركة بهزيمة محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، وفراره الى مكة ، حيث توارى عن الأنظار ، لمدة عام ونجح الجلودي في انقاذ من قبض عليه وسجنه (١) .

ثورة عبد الرحمن بن أحمد العلوي :

أما الحركة الشيعية الثانية في بلاد اليمن ، فقد قاد لواءها عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب سنة ٢٠٧ هـ ، مستفيدة من الاضطرابات الداخلية في اليمن ، والنزاع القبلي بين قبائلها العديدة واتخذت هذه الحركة منطقة عك وزبيد مركزاً للثورة ، وانضمت اليها قبيلتا الأشاعر (٢) وعك (٣) . وذكر الطبري (٤) أن سبب قيام الثورة هو مظالم الولاة العباسيين في بلاد اليمن ، مما أثار سخط الأهالي ، فبايعوا عبد الرحمن الذي جعل دعوته للرضا من آل محمد .

لم تكن ظروف الدولة العباسية السائدة حينئذ تسمح بنجاح هذه الحركة الشيعية الجديدة ، فقد هدأت الأمور الى حد ما ، اذ خرج المأمون من مرو الى عاصمته بغداد ، ونجح في القضاء على الفتن التي سادت بغداد سنوات عديدة ، واختفى

-
- (١) ابن الدبيع : قرة العيون في أخبار اليمن الميمون (مخطوط) ورقة ١١ .
 - (٢) قبيلة الاشاعر (أو الأشاعرة) قبيلة كهلانية قحطانية ، تنتسب إلى الأشعر بن أزد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويسكنون المناطق حول مدينتي القحمة والحصيب (الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٥٥٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٦) .
 - (٣) عك : قبيلة كهلانية عدنانية ، تنتسب إلى عك بن الديث بن عدنان بن أزد . وكانت القبيلة تسكن المناطق المحيطة بمدن زبيد والكوراء في تهامة اليمن . (ياقوت ، معجم البلدان ج ٢ ص ٧٣٥) .
 - (٤) الطبري : ج ٧ ص ١٦٨ .

ابراهيم بن المهدي الذي كان أهل بغداد قد بايعوه بالخلافة ، بعد أن ظل خليفة سنة وأحد عشر شهراً (١) . ثم كانت نهاية علي الرضا ، الامام العلوي وولي العهد ، وعودة المأمون الى اتخاذ السواد شعاراً بدلاً من الخضر (٢) ونجاح المأمون في الخلاص من كثير من أعدائه والخارجين على طاعته ، مما فصلنا الحديث عنه في الفصول السابقة .

ورأى المأمون ، وقد ضاق بتكرار حركات الشيعة ، أن يقف من هذه الحركة الشيعية الجديدة التي قامت في اليمن ، موقفاً حازماً حاسماً ، فبعث قائده دينار ابن عبدالله على رأس جيش كثيف ، وأعطاه أماناً للثائر العلوي . وخرج دينار قاصداً الى بلاد اليمن ، وراسل عبد الرحمن العلوي ، وعرض عليه الأمان وآثر الثائر العلوي أن يقبل هذا الأمان ، ويكف عن المقاومة . وخرج عبد الرحمن في صحبة دينار الى بغداد ، فوصلها في آخر ذي القعدة سنة ٢٠٧ هـ (٣) .

أدت هذه الحركة الشيعية التي قامت في اليمن ، الى تغيير كبير في معاملة المأمون للعلويين . فقد كان المأمون لا يزال يعامل الطالبين معاملة تناسب اعتقاده في فضل جداهم علي بن أبي طالب ، حتى خرج عليه عبد الرحمن العلوي في اليمن « فمنع المأمون عند ذلك الطالبين من الدخول عليه ، وأمر بأخذهم بلبس السواد » (٤) .

ثم بدأ المأمون يضع سياسة ثابتة جديدة لحكم بلاد اليمن ، ومنع أي حركة شيعية قد تقوم فيها . فرأى المأمون أن يختار والياً على اليمن يتصف بالقوة والحزم وأشار عليه وزيره الحسن بن سهل باختيار أحد أحفاد زياد بن

(١) اليعقوبي ، ج ٣ ص ١٧٩ - ١٨٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .

(٢) الفخري : ص ٢٠٠ ، طيفور : بغداد ج ٦ ص ٢ .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٦٩ .

أبيه (١) ، الوالي الأموي المعروف ، وهو محمد بن ابراهيم الزياتي . وولى
المأمون سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي وزيراً للزيادي (٢) . وهكذا
أصبح الوالي ووزيره ينتسبان الى الأمويين ، ونحن نعرفنا عداةهم الشديدة
للبيت العلوي .

ونجح الوالي الجديد ، محمد بن ابراهيم الزياتي ، في فتح تهامة ، واختط
مدينة زبيد واتخذها عاصمته (٣) وقضى على روح التمرد عند القبائل اليمنية ،
وتتبع أنصار العلويين وشيعتهم ، فقد كان كما وصفه ابن خلدون (٤) شديد
البغض لآل علي بن أبي طالب .

وازداد نفوذ محمد الزياتي ، ونجح في ارساء قواعد حكم بني زياد لليمن
الذي اتصف بأنه حكم ذاتي واستقلال داخلي ، مع استمرار الخطبة للخلفاء
العباسيين ، وحمل الخراج والهدايا اليهم (٥) . وحكم محمد الزياتي اليمن
طوال حياته ، وتوارث ابناؤه الحكم ، ثم تولى الحكم بعض مواليهم حتى سنة
٥٥٣ هـ ، ويطلق على هذه الدولة اسم الدولة الزياتية ، وهي أول الدول المستقلة

(١) كان زياد في أول حياته مشايحاً لعلي بن أبي طالب ، ويتولى حكم فارس ، وبعد قيام الدولة
الأموية رأى معاوية بن أبي سفيان الاستفادة من جهود زيادة ، فاستلحقه ونسبه إلى
أبيه أبي سفيان بن حرب ، فأصبح يطلق عليه (زياد بن أبي سفيان) ، وزياد واحد من
دهاة العرب الأربعة (الثلاثة الآخرون هم : معاوية وعشرو بن العاصي ، والمغيرة بن
شعبة) .

(٢) عمارة اليمن ، تاريخ اليمن ص ١٨٥ .

(٣) كان هناك وادي يسمى وادي زبيد ، بنى فيه محمد الزياتي مدينة جديدة فسمها (زبيد) نسبة
إلى هذا الوادي ، وتقع في تهامة اليمن ، ومعظم سكانها من الأشاعرة (عمارة اليمني :
تاريخ اليمن ص ٣٦٠ - ٣٣٧ ، العقيلي ، المخلاف السليماني ج ١٠ ص ١٠٧) .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد (مخطوط) ورقة ٤٥ .

التي شهدتها بلاد اليمن (١) ، وتوطد هذا الاستقلال مع ضعف الدولة العباسية .
وقد حكم محمد الزيادي بتفويض من المأمون ، وعن رغبة منه في تدعيم
سلطته ، فقد أمده المأمون بألف فارس كان من بينهم سبعمائة من الخراسانيين ،
واتسعت الدولة الزيادية ، فشملت حضرموت وديار كندة والشحر وبرباط
ولحج وعدن والتهائم (٢) .

وهذه السياسة التي اختطها المأمون في بلاد اليمن ، تشبه سياسة أبيه هارون
الرشيد حينما ولي إبراهيم بن الأغلب التميمي على أفريقية ومنحه من النفوذ
ما جعله يقيم دولة الأغالبة في هذه البلاد ، لتكون هذه الدولة حاجزاً بين
الخلافة العباسية وبين الأدارسة العلويين بالمغرب الأقصى . وتوارث الأغالبة
الحكم حتى سنة ٢٥٦هـ ، حتى قضت الدولة الفاطمية ، وهي دولة علوية
شيعية ، على دولة الأغالبة (٣) .

وما لبثت أن ضعفت الدولة الزيادية في بلاد اليمن ، وأصبح في بلاد اليمن
بعد سنة ٢٦٨هـ ثلاث امارات : الامارة الزيادية في زبيد ، وبنو يعفر في
صنعاء ، ودولة بني الرس (الزيدية) في صعدة (٤) . وقد لقي المذهب الزيدي
رواجاً وقبولاً في اليمن ، لما اتصف من به روح التسامح والقبول لكل الآراء ما دام
لها ملتمس من هدى النبي صلى الله عليه وسلم (٥) . وقد انتقل المذهب الزيدي
الى اليمن على يد الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم ، وهو من

(١) عمارة اليمني : تاريخ اليمن ص ٢٠٢ .

(٢) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ١٢ - ١٦ .

(٣) الخصري : تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ١٩١ .

(٤) حسين بن فيض الهمداني اليعبري : الصليحيون والحركة الفاطمية ص ٢٨ .

(٥) أبو زهرة : الامام زيد ص ٤٨٩ .

أحفاد الحسن بن علي ، وأقبل أهالي اليمن على بيعته سنة ٢٨٤ هـ (١) ، مما يخرج عن نطاق بحثنا. كما بدأ انتشار المذهب الاسماعيلي في اليمن على يد الداعيين علي بن فضل اليمني ، وابن حوشب في أواخر القرن الثالث الهجري مما يخرج أيضاً عن نطاق هذا البحث (٢) .

* * *

(١) انشأ الامام الهادي الامارة الزيدية سنة ٢٨٨ هـ (العقيلي : المخلاف السليماني ج ١ ص ٣٤٨) .

(٢) بدأ انتشار المذهب الاسماعيلي في عهد أبي الجيش اسحق بن ابراهيم الزيادي حوالي سنة ٢٩١ هـ (المعبري : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٢) .

٦- ثورة محمد بن القاسم

في عهد الخليفة المعتصم

تولى المعتصم (١) الخلافة العباسية في رجب سنة ٢١٨ هـ ، فأصبح ثامن الخلفاء العباسيين (٢) ، الذين واجهوا حركات الشيعة ونشاطهم ، ففي مطلع السنة التالية (٢١٩ هـ) قامت حركة شيعية تزعمها محمد بن القاسم بن عمر بن علي ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية .

فقد كانت فرقة الشيعة الزيدية أكثر فرق الشيعة نشاطاً وحركة وميلاً إلى الثورة ، فضلاً عن اتساع نطاق انتشار تعاليمها . وهذا يرجع إلى كثرة تلاميذ الامام زيد بن علي ، المنبئين في سائر الأمصار الاسلامية . إذ أن زيداً لم يلتزم المدينة في اقامته ، بل انتقل منها إلى البصرة ثم إلى مكة (٣) ، حيث تتلمذ

(١) وهو أبو اسحق محمد المعتصم ، وامه أم ولد تسمى (ماردة) ، وقد تولى حكم الشام ومصر في عهد أخيه المأمون ، وقد رأى المأمون توليته عهده ، بدلا من ابنه العباس . لما كان يتمتع به المعتصم من شجاعة وخلق حميد وخبرة وبصيرة (الطبري ج ٧ ص ٢٢٣) .

(٢) أطلق على المعتصم اسم المثنى فهو الثامن من ولد العباس ، والثامن من الخلفاء ، وتولى الخلافة في الثامنة عشرة من عمره ، وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وتوفي في الثامنة والاربعين من عمره وغزا ثماني غزوات ، وخلف ثمانية ملايين درهم (الفخري ص ٢٠٩) .

(٣) أبو زهرة : الامام زيد ص ٢٢٨ .

عليه كثير من الفقهاء والعلماء ، الذين أصبحوا معلمين لغيرهم (١) . كما أن زياداً - كما تذهب الشيعة الزيدية - كان أول من دون الفقه وصنّفه وبوبه رغم أن العصر الأموي ، كما نعلم ، ليس عصر تدوين العلوم (٢) .

الزعيم العلوي الجديد :

وصف الأصفهاني (٣) محمد بن القاسم بأنه « كان من أهل العام والفقه والدين والزهد وحسن المذهب » ، وقد كانت عامة الناس تلقبه الصوفي ، لأنه كان يدمن لبس الثياب من الصوف الأبيض ، ووصفه المسعودي (٤) بقوله : « وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف » .

وكان محمد بن القاسم يذهب الى القول بأراء المعتزلة في العدل والتوحيد ، وينادي بأراء الزيدية الجارودية ، التي تنسب الى ابي الجارود (٥) . وقد ذهبت هذه الفرقة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بن أبي طالب بالوصف دون التسمية ، وقد قصر الناس حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا

(١) أصبح أولاد زيد ، عيسى ومحمد وحسين ويحيى ، أساتذة أيضاً لكثير من الفقهاء ، وأصبح عيسى أستاذاً لسفيان الثوري ، ومن أشهر تلاميذ زيد منصور بن المعتمر الفقيه المحدث .

(٢) من أبرز كتب الامام زيد كتاب (الجموع من الفقه) وكتاب (المجموع في الحديث) وقد جمعها أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي في كتاب واحد وهو (شرح المجموع) ، ثم طبعه عن مخطوطة له في روما (أبو زهرة : الامام زيد ص ٢٣٢ - ٢٣٣) ، ويذكر الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ٥٩) أن الواسطي من أصحاب أبي الجارود .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٧٨ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٥٢ .

(٥) هو زياد بن أبي زياد كما يسميه الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٧) وزياد بن المنذر العبدي ما يسميه النوبختي ، ويسمى أيضاً سرحوب ، وكان ضريراً ، ومات سنة ١٥٠ هـ (النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨) .

الوصف وانما نصبوا أبا بكر اماماً ، فكفروا بذلك ، وآراء أبي الجارود هذه تخالف آراء الامام زيد بن علي (١) .

بدأ ظهور محمد بن القاسم في ناحية الرقة ، حيث التف حوله جماعة من وجوه الزيدية ونحن نفسر اتخاذ الرقة في أول أمر ظهوره ، بأن هذه المنطقة منذ فترة قصيرة تضطرم بنيران الثورة ، فقد اتخذها نصر بن سبث مكرراً لنشاطه الثوري ، وهو رجل عربي ثار ضد المأمون اذ أنكر عايه اعتماده التام على العناصر الفارسية ، وتعصب نصر للأمين ، وأصبح ، يمثل ثورة العناصر العربية الساخطة على العباسيين ، وقد حاول العلويون - كما رأينا - حثه على البيعة لامام علوي ، فرفض ذلك ، وحصر هدف ثورته في الدفاع عن العنصر العربي (٢) .

ومن الرقة ، بعث محمد بن القاسم الى المناطق المجاورة يستحث أهلها على الانضمام اليه ، فاستجاب لدعوته أربعون ألفاً ، فأخذ أنصاره البيعة له منهم ثم نزل محمد في قلعة حصينة في جبل حريز قرب مرو بخراسان ، ثم رحل بعد فترة الى الطالقان على بعد أربعين فرسخاً من مرو (٣) .

اتخذ محمد بن القاسم من الطالقان مركزاً لدعوته ، حتى أصبح يطلق عليه اسم «صاحب الطالقان» ، وأخذ يدعو الى الرضا من آل محمد «فاجتمع

(١) الشهرستاني : الملل والنحل - ج ١ ص ١٥٧ - ١٥٨ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢ - ٢٥ ، النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٢) قال نصر للعلويين : انما هو اي في بني العباس ، وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم (الطبري ج ٧ أحداث سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢١٠ هـ ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ١٠١ وما بعدها) .

(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٧٩ .

اليه بها ناس كثير (١) . وعلم عبدالله بن طاهر باستفحال نفوذ محمد بن القاسم ، فبعث قائد شرطته الحسين بن نوح على رأس بعض الجنود ، فلحققت بهم الهزيمة ، واستشاط ابن طاهر غضباً ، وبعث بجيش يقوده نوح ابن حيان بن جبلة ، كان نصيبه الهزيمة أيضاً ، فأمدّه ابن طاهر بقوات أخرى كثيرة ، نجحت في التغلب على قوات محمد بن القاسم الذي رأى الانسحاب إلى مدينة (نسا) (٢) ، حيث اختفى بها ، وتفرق أنصاره في المناطق المجاورة يدعون اليه .

وعلم عبدالله بن طاهر بمكان اختفاء محمد بن القاسم ، ورأى أن يبدأ جولة جديدة من الصراع ، فعهد بأمر الثائر العلوي إلى أحد قواده الكبار ، وهو ابراهيم بن غسان بن الفرخ العودي ، الذي نجح في إلحاق الهزيمة بمحمد بن القاسم وقبض عليه ، وزحل به حتى أسلمه إلى ابن طاهر في نيسابور (٣) .

أبقى القائد عبدالله بن طاهر الثائر العلوي إلى جانبه ثلاثة أشهر « يريد بذلك أن يعمي خبره على الناس كيلا يغلب عليه لكثرة ما بايعه بكور خراسان » (٤) . وكان ابن طاهر يوجه في كل ليلة بغالا عليها قباب ، تغادر نيسابور إلى جهات متفرقة ، حتى يوهم الناس أنها تحمل الأسير إلى الخليفة . وفي إحدى الليالي

(١) الطبري : ج ٧ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) نسا : مدينة بخراسان ، وكان تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما فتحوا خراسان قصدوها ، وهرب منها أهلها ، عدا النساء . حتى إذا دخلها المسلمون ولم يروا بها رجلا قالوا : هؤلاء نساء ، والنساء لا يقاتلن فنسئ أمرها الآن إلى أن يعود رجال من تركوها ومضوا ، فسموا بذلك (نسا) والنسبة إليها (نسائي) - (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٨ ص ٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٨٢ ، ويذكر الطبري (ج ٧ ص ٢٢٤) أن عامل نسا رشا أحد أنصلو محمد بن القاسم بعشرة آلاف درهم فدلّه على مكانه .

(٤) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٨٤ .

المظلمة أمر ابن طاهر قائده ابراهيم بن غسان بحمل محمد بن القاسم الى الخليفة المعتصم في بغداد (١) .

وأمر الخليفة المعتصم بأن تنزع القبة من فوق الدابة التي يمتطيها محمد بن القاسم ، كما أمر بأن يجرده من عمامته ، فيدخل بغداد حاسر الرأس ، تصغيراً من شأنه ، وقد تألم محمد بن القاسم لذلك أكثر مما تألم حينما قبض العباسيون عليه . ودخل محمد الى بغداد على هذا النحو في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ٢١٩ هـ (٢) .

تصادف يوم وصول محمد بن القاسم الى بغداد ، أن كان أهلها يحتفلون بعيد النيروز ، جرياً على عادة العباسيين في الاحتفال بالأعياد الفارسية (٣) ودخل ابن القاسم على الخليفة المعتصم في مجلسه الذي عقده للاحتفال بهذا العيد ، وكان بعض الراقصين يؤدي رقصاتهم ، وروى الاصفهاني أن الخليفة المعتصم كان يمرح ويضحك ، بينما بكى محمد بن القاسم ، وقال : اللهم انك تعلم اني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وانكاره .

أمر الخليفة المعتصم خادمه مسرور الكبير بحبس محمد بن القاسم ، فحبسه

(١) يذكر الاصفهاني (مقاتل الطالبين ص ٥٨٤) أن محمد بن القاسم حمل إلى بغداد بينما يذكر الطبري (ج ٧ ص ٢٢٤) أن الثائر العلوي «حبس فيا ذكر بسامرا» ونحن نشك في تلك الرواية ، إذ أن الطبري يذكر أن ابن القاسم قدم إلى المعتصم ، في ربيع الآخر سنة ٢١٩ هـ ، والمعروف أن المعتصم شرع في تخطيط سامرا في سنة ٢٢١ هـ (انظر مادة سامرا في معجم البلدان لياقوت) .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ٢٢٤ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٨٤ .

(٣) النيروز : عيد فارسي قديم ، أول السنة الفارسية ، ويقع عند الاعتدال الربيعي ودخول الشمس في برج الحمل ، أي عند أول فصل الربيع ، وكان الفرس يتبادلون فيه الهدايا واعتادوا أن يرش بعضهم بعضاً بالماء ، ويرجع الفرس ذلك العيد إلى عثور النبي سليمان على خاتمه بعد ضياعه منه مما أدى إلى عودة ملكه إليه (البيروني : الآثار الباقية ص ٢١٦ - ٢١٧) .

في محبس ضيق طوله ثلاث أذرع ، وعرضه ذراعان ، وبعد ثلاثة أيام نقلوه الى موضع أوسع من ذلك ، وأجرى عليه طعاماً ، ووكل به قوماً يحفظونه .
وفي ليلة عيد الفطر ، انتهز محمد بن القاسم فرصة انشغال القائميين على سجنه بالاحتفال بهذه الليلة ، للفرار من سجنه (١) . وأصيب مسرور الخادم بالذعر ، وبات يترقب عقاب الخليفة له ، وخرج اليه يحمل النبا ، فقال المعتصم له : لا بأس عليك ، ان كان ذهب فلن يفوت ، ان ظهر أخذناه ، وان آثرر السلامة واستتر تركناه (٢) .

واختلف المؤرخون حول مصير محمد بن القاسم ، فيذكر الطبري (٣) أنه اختفى « فلم يعرف له خبر » ، وروى الأصفهاني (٤) عدة روايات ، تذهب رواية منها الى أنه رجع الى الطالقان فمات بها ، وتذهب رواية أخرى الى أنه انحدر الى واسط حيث اشتد عليه المرض فمات ، وتذكر رواية ثالثة أن محمد ابن القاسم توارى أيام المعتصم والوائق ، ثم قبض عليه في عهد المتوكل ، حيث أمر بسجنه فمات في السجن .

وكانت حركة محمد بن القاسم هي خاتمة حركات الشيعة في العصر العباسي الأول ، فقد ركن العلويون الى الهدوء بقبية عهد المعتصم . وذهب أتباع محمد ابن القاسم الى : « أن محمداً لم يميت وأنه حي يرزق ، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جوراً ، وأنه مهدي هذه الأمة ، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان » (٥) .

-
- (١) روى الاصفهاني (مقاتل الطالبين ص ٥٨٦) أن محمد بن القاسم طلب مقراباً لقص أطفاله ، وقام بتقطيع الفراش على شكل سيور صنع منها سلماً ، استخدمه في الفرار من نافذة سجنه (انظر أيضاً تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٢٤) .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٨٦ - ٥٨٧ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ٢٢٤ . نادى منادي المعتصم في الطرقات يد كل من يدل على ابن القاسم بمائة ألف درهم .
(٤) مقاتل الطالبين ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .
(٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٥٣ .

عوامل الإخفاق :

وقد نتساءل عن عوامل اخفاق حركة محمد بن القاسم ، ورغم اتساع نطاقها وكثرة أنصارها ، في أول قيامها . ونرى أن الاخفاق يرجع الى عدة عوامل ، نذكر منها قوة الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتصم ، وقد وصف صاحب الفخري (١) المعتصم بأنه كان سديد الرأي ، شديد المنة ، موصوفاً بالشجاعة . ومن هذه العوامل أيضاً ، اعتماد المعتصم على القائد عبدالله بن طاهر الذي كان من أعظم القواد العباسيين وهو القائد الذي نجح في مواجهة جيش الخليفة الأمين مما انتهى بمصرعه وخلاص المأمون منه (٢) ، وهو الذي أحمد ثورة نصر بن شيث أيضاً رغم قوتها وعنفها (٣) ، وهو الذي أرسله المأمون الى مصر سنة ٢١٠ هـ لاختماد ثورة المصريين (٤) وقد وصف المعتصم ابن طاهر فقال عنه « فهو الرجل الذي لم ير مثله (٥) » .

ومن عوامل اخفاق محمد بن القاسم أيضاً ، مناداته بأراء الزيدية الجارودية التي لم تكن ترضى كثيراً عن الزيدية ، وخاصة زيدية الكوفة . ويقول النوبختي (٦) عن أبي الجارود ، رأس هذه الفرقة : « ولقيه سرحوب .. وكان أبر الجارود أعمى البصر ، أعمى القلب ... » . ويقول الشهرستاني (٧) عن اختلاف الجارودية في سوق الامامة : « واختلفت الجارودية في التوقف والسوق

(١) الفخري ص ٢٠٩ .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ١٠١ وما بعدها .

(٤) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٤٩٢ - قام عبد الله بن طاهر في مصر بعدة اصلاحات ، منها زيادته في جامع عمرو بن العاص .

(٥) الطبري : ج ٧ ص ٣١٤ . ذكر المعتصم هذا الوصف في عبارات طويلة عبر فيها عن ندمه على الاستعانة بالأتراك ، وقارن بين رجاله الأتراك ورجال أخيه المأمون ومنهم عبد الله ابن طاهر .

(٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٨ - ١٥٩ .

فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ، ثم الحسين ، ثم الى علي بن الحسين زين العابدين ، ثم الى ابنه زيد بن علي ، ثم منه الى الامام محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) والذين قالوا بامامة محمد بن عبدالله الامام ، اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حي ، وسيخرج فيما الأرض عدلا ، ومنهم من أقر بموته ، وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان ، ومنهم من قال بامامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة ، فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير ، وقتل في أيام المستعين .

وكانت الشيعة الامامية تبغض الشيعة الزيدية من أتباع أبي الجارود ، فقد لعنه الامام جعفر الصادق (١) . كما تبرأ منه من قبل الامام محمد الباقر (٢) .

ومن أبرز عوامل اخفاق حركة محمد بن القاسم ميله الى آراء المعتزلة اذ نادى بالعدل والتوحيد (٣) ، وهما من أبرز تعاليم جماعة المعتزلة ، مما يدفعنا الى تخصيص فصل في هذا الباب لدراسة الصلات العقائدية بين فرق الشيعة وجماعة المعتزلة . وخاصة أن الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق وافقوا المعتزلة فيما ذهبوا اليه من أن القرآن مخلوق (٤) .

الشيعة في عهد الواثق بالله :

كان الواثق بالله ، الخليفة العباسي التاسع ، وآخر خلفاء العصر العباسي الأول (٥) وقد تولى الخلافة سنة ٢٢٧ هـ بعد وفاة أبيه المعتصم ، ولم يشهد عصره حركات شيعة ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٢ .

(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٧٨ .

(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٩٥ - ١٩٧ .

(٥) وهو هارون الواثق بالله ، وأمه أم ولد رومية تسمى (قراطيس) .

كانت مدة خلافة الواثق قصيرة فهي أقل من ست سنوات ، واستمرت في عهده السياسة التي بدأها أبوه المعتصم ، وهي الاعتماد على العناصر التركية ، وهي بعيدة عن التشيع. وكان الواثق كما وصفه صاحب الفخري (١) «من أفاضل خلفائهم - أي العباسيين - وكان فاضلاً لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً ، وكان يشبهه بالمأمون في حركاته وسكناته » .

وكانت الشيعة الزيدية قد تلقت ضربة عنيفة في عهد المعتصم بعد اخماد ثورة محمد بن القاسم ، وجرت عادة الشيعة على أن يركنوا الى الهدوء بعد تلقيهم هذه الضربات ، ويضمّدوا فيها الجراح ، ويستعيدون نشاطهم .. وينتظرون ظهور زعماء جدد من العلويين يقودونهم على طريق النضال . فقد باتت الشيعة الزيدية ترقب زعيماً جديداً ، حتى وجدته في يحيى بن عمر الذي سيثور في عهد المستعين ، في العصر العباسي الثاني. أما الشيعة الامامية ، فقد فقدت امامها محمداً الجواد سنة ٢١٠هـ ، أي في السنة التالية لتولية المعتصم الخلافة ، وكان الجواد عند وفاته في الخامسة والعشرين من عمره . وكان بعض الشيعة قد أنكروا على محمد الجواد زواجه من أم الفضل ابنة الخليفة العباسي المأمون . ويتهم السعودي (٢) المعتصم بتحريض هذه الزوجة على قتل الامام الجواد بالسّم . وقد صلى الواثق - وهو ولي العهد - على جثمان الامام الجواد ، ودفنه في الجانب الغربي من بغداد بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وقد خلفه في الامامة ابنه الامام علي الهادي سنة ٢١٩هـ ، وكان صبيّاً ، ابن ست أو ثماني سنوات . وبذلك كان صغير السن في عهد الواثق ، مما لا يجعل له دوراً في السياسة أو نشاط الشيعة وسيصبح الامام الهادي موضع اضطهاد شديد من الخليفة المتوكل أول خلفاء العصر العباسي الثاني الذي يبدأ سنة ٢٣٢هـ . (٣)

- (١) الفخري : ص ٢١٥ - ويسميه السيوطي (تاريخ الخلفاء ص ٢٢٧) : « المأمون الا صغر »
(٢) السعدي : موج الذهب ج ٤ ص ٥٢ - يبرى الدكتور حسن ابراهيم (تاريخ الاسلام ج ١ ص ٧٠) أن الخليفة المعتصم قد يكون قد أوعز إلى أم الفضل بنت المأمون بقتل زوجها الامام محمد الجواد بالسّم ، ولكننا لم نجد في المصادر ما يؤيد ذلك الاتهام .
(٣) أنوار الاسلام في علم الامام (مخطوط) ص ٢ - ٣ .

كانت صفات الواثق الشخصية الفاضلة تدفعه أيضاً الى اتباع سياسة تسامح مع العلويين . وقد شهدناه بالأمس بصلّي علي جثمان الامام محمد الجواد ويهم بدفنه . بل ان الواثق ، حينما شعر بقرب منيته رفض أن يوصي بالخلافة لابنه فقال : « لا أتحمل أمركم حياً وميتاً » .

وأشار الاصفهاني (١) الى تسامح الواثق مع العلويين ، فقال : « وكان آل أبي طالب مجتمعين بسر من رأى في أيامه ، تدور الأرزاق عليهم ، حتى تفرقوا أيام المتوكل » . كما قال صاحب الفخري (٢) « ولما ولي - الواثق - الخلافة ، أحسن الى بني عمه الطالبين وبرهم » .

* * *

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٧٨ .

(٢) الفخري : ص ٢٧٥ .

خاتمة

عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور

خاتمة

عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور

وهكذا انسدل الستار على ثورات الشيعة في الشرق الاسلامي في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ). وقد انضح في أبواب وفصول هذا البحث أثر هذه الثورات في تاريخ ذلك العصر، فقد انتشر التشيع في معظم الأمصار الاسلامية، وأصبحت الشيعة تمثل جانباً كبيراً من المسلمين، وقوة من أبرز القوى التي تشكل التاريخ.

اختلفت حركات الشيعة طوال العصر العباسي الأول في طوابعها وظروفها ومدى فقها. وكانت هناك عدة عوامل تؤثر في أشكال هذه الثورات ومدى اتساعها، كما اختلفت عوامل اخفاق كل حركة. ويرجع هذا الخلاف الى شخصية الزعيم العلوي، والى طبيعة وظروف المكان الذي انطلقت منه الحركة الشيعية، والى شخصية الخليفة العباسي الذي قامت الحركة في عهده.

ولكن هذه الحركات الشيعية كلها تتفق في أنها قامت من أجل القضاء على الحكم العباسي، ونقل الخلافة الى أبناء البيت العلوي، بدواء أكانوا ينتسبون الى فرع الحسن بن علي أو فرع أخيه الحسين. وهذه الحركات كلها هسي التطبيق العملي الايجابي لآراء وتعاليم فرق الشيعة المختلفة، التي اتفقت في جوهر آرائها، واختلفت في التفاصيل وفي التطبيق.

ولم تكن نهاية أي حركة من هذه الحركات هي نهاية لحركات الشيعة ، فالشيعة جماعة اسلامية كبرى لها مبادئها وتعاليمها الراسخة ، وهناك كثير من أبناء البيت العلوي الذين يتطلعون الى الخلافة ، ويرون ضرورة اسرداد الحق الشرعي للعلويين والذي اغتصبه العباسيون . كما كان هناك ملايين من المسلمين قد اعتنقوا مذهب التشيع ، وينظرون الى أئمتهم العلويين نظرة تقديس وتقدير ، مما يدفعهم الى الكفاح والنضال والاستشهاد من أجلهم . ولذا أصبحت حركات الشيعة حلقات متصلة تنتظم كلها في سلسلة واحدة شهدها العصر العباسي الأول .

ويرجع استمرار حركات الشيعة في العصر العباسي ، الى عدة أسباب : منها تفرق الشيعة الى عدة فرق ، وانتشار هذه الفرق في عدة أمصار ، حتى اذا أخفقت حركة تقودها فرقة منها ، حملت الفرق الأخرى بعد ذلك لواء حركة أخرى ، وهكذا : وكان تعدد فرق الشيعة يمثل خطراً على الدولة العباسية ، فكان على الخلفاء تتبع نشاط الشيعة في كثير من الاقطار .

ومن عوامل استمرار حركات الشيعة أيضاً ، لجوء الأئمة العلويين الى التقية والكتمان (١) ، والى الدعوة السرية ، مما أتاح الفرصة لنمو الحركة الشيعية وهي لا تزال في المهد ، بعيدة عن أيدي الخلفاء العباسيين وولاتهم . ويرى (جويد تسيهر) (٢) أن عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التي يؤمن بها ، كان

(١) قال الامام جعفر الصادق : « التقية ديني ودين آبائي » ، وقال : « من لا تقية له لا دين له » . وقال المظفر عن التقية (عقائد الامامية ص ٨٤) : كانت التقية شعاراً لآل البيت عليهم السلام دفناً للضرر عنهم ، وعن اتباعهم وحقناً لدمائهم ، واستصلاحاً لحال المسلمين ، وجمعاً لكلمتهم . ومن المعلوم ان الامامية وائمتهم لاقوا من ضروب المحن في جميع العهود فاضطروا الى استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرهم وستر اعتقاداتهم عنهم ، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا .

(٢) العقيدة والشرعية في الاسلام ص ٢٠٢ .

مدرسة للسخط الذي يكنه الشيعة لخصومهم الاقوياء ، وهو سخط مبعثه عاطفة من الحقد والثورة .

ومن هذه العوامل أيضاً ، حب المسلمين لآل البيت بصفة عامة ، وللبيت العلوي منهم بصفة خاصة . فقد أصبح بيت علي ، في نظر كافة المسلمين ، مصدراً للعلم والأدب . وقد انحسر العلم عن بيوت كثير من أبناء الصحابة ، واتبعوا الدنيا ، أو انحسر العلم والفقہ كله في كثير من الاقاليم عن العرب الى الموالي . أما البيت العلوي ، فلم يكن فيه منحدر لينحسر منه العلم أو يفيض (١) وأصبح البيت العلوي في العصر العباسي الأول ، أكبر مصادر النور والعرفان ، وخاصة في المدينة المنورة ، فانه منذ مصرع أبي الشهداء الحسين في كربلاء ، انصرف آل البيت الى العلم النبوي يتدارسونه ، وفيهم ذكاء آبائهم ، وهداية جدهم ، والشرف الهاشمي . وقد بعدوا أحياناً عن السياسة ، لأنهم ذاقوا مرارتها ، وتوارثوا ذلك الاتجاه العلمي ، فورثوا الامامة فيه (٢) .

ورث الأئمة علم النبي وعلوم الانبياء (٣) ، والامام يتلقى المعارف والاحكام الالهية عن طريق النبي أو الامام الذي قبله ، واذا استجد شيء لا بد أن يعلمه عن طريق الالهام بالقوة القدسية ، فالامامة هي استمرار للنبوة ، والدليل الذي يوجب ارسال الرسل وبعث الانبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول (٤) . ولا شك أن هذه العقيدة دفعت الناس الى الالتفاف حول الأئمة والانضمام الى حركات الشيعة ، وجهاد الدولة العباسية .

ومن عوامل استمرار حركات الشيعة أيضاً ، فتح باب الاجتهاد ، اذ لم يعيش

(١) سيد الاهل : جعفر بن محمد ص ٤٧ .

(٢) أبو زهرة : الامام الصادق ص ٢٢ .

(٣) الكايني : أصول الكافي ص ٥٦ - ٥٨ .

(٤) المظفر : عقائد الامامية ص ٦٥ - ٦٦ .

الشيعة في قوقعة ، بل اتجهوا الى التطور والتطوير ، وكان الاجتهاد هو سبيل ذلك ، ولا بأس عندهم أن تنقسم الشيعة الى فرق ، وتجتهد كل فرقة . وهم يستندون في ذلك على آية النفر في سورة التوبة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١) .

علق أحد كتاب الشيعة الإمامية (٢) ، على هذه الآية الكريمة فقال : «وليس من المعقول أن يهمل القرآن أمراً مطابقاً لناмос الفطرة ، ولا سيما في أحكام الشريعة التي أريد لها الاستمرار والبقاء ومسايرة الزمن ومتابعة تطور الامم ، وما يستتبع ذلك من حوادث متجددة لا يمكن الاستظهار عليها ومعرفة حكمها الا بعملية الاجتهاد» .

ومن عوامل استمرار حركات الشيعة ، ظهورها في أماكن متفرقة من العالم الاسلامي وحاولت الحركات التكيف بالبيئات الجديدة ، والتأقلم بظروفها وأحوال سكانها . فكانت حركة يحيى بن عبدالله تعبر عن آلام وآمال الديلم (٣) كما كانت حركة إدريس بن عبدالله تتمشى مع أحوال البربر ، وحضارتهم ، وآلامهم (٤) كما كانت حركات الشيعة في الحجاز ، تتمشى مع طبائع أهل

(١) سورة التوبة : آية ١٢٣ .

(٢) الشيخ حسين معتوق : المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية ص ٢٠ .

(٣) كان الديلم يتطلعون دائماً الى الثورة ، فقال يحيى بن عبدالله : ان الديلم معنا خرجت فطمعت ان تكون معي « (الطبري ج ٦ ص ٤٥٠) .

(٤) كان البربر ساخطين على الحكم العباسي ، فضلا عن سخطهم على العناصر العربية وتطلع البربر الى الاستقلال ، ولم ينجح البربر في استيحاء الحضارة العربية الاسلامية - (ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٦٠ وما بعدها) ، (الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٤٩٠ وما بعدها) .

الحجاز ، الذين شهدوا عصر صدر الاسلام ، ودعت حركة الحسين بن علي الى تحرير عبيد مكة (١) .

ومن هذه العوامل أيضاً ، مجارة الشيعة لظروف العصر ، ومتابعتها الاحداث واتصالها بالفرق الأخرى من غير الشيعة ، مما أدى الى التطوير وتجديد الدماء .

* * *

(١) نادى الحسين بن علي : « أيما عبد أتانا فهو حر » (الطبري : ج ٦ ص ٤١٣) .

المصادر

أولا - المخطوطات

- الأصفهاني : محمود بن أبي القاسم .
- « تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد » .
مخطوط بمكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم ١٥٧٤٣ .
- ابن الجوزي : (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين بن المظفر بن فينو أوغلي ، المعروف بسبط ابن الجوزي .
- « مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » .
مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ تاريخ .
- بن الديق الشيباني : (ت ٩٤٤ هـ - ١٥٣٧ م) وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي .
- « قرة العيون في أخبار اليمن » .
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٤ تاريخ .
- « بغية المستفيد في أخبار زبيد » .
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥١٦ تاريخ .
- الرازي : (ت ٦٠٦ هـ) فخر الدين .
- « نهاية العقول في دارية الأصول » .
مخطوط بدار الكتب المصرية في مجلدين تحت رقم ٧٤٨ توحيد .
- ابن عنبه الحسيني : (ت ٨٠٨ هـ) جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن مهنة المعروف بابن عنبه الحسيني .
- « عمدة الطالب في أخبار ابن طالب » .
مخطوط بدار الكتب المصرية .

- عياض : (ت ٥٤٤ هـ) ابن موسى بن عياض .
- « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك » .
- مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٦٧٣ تاريخ .
- العيني : (ت ٨٥٥ هـ) بدر الدين أبو محمد بن محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي .
- « عقد الزمان في تاريخ أهل الزمان » .
- مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .
- أبو جعفر القمي : (ت ٣٨١ هـ) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي .
- « عيون أخبار الرضا » .
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢١٢ .
- الكايني : (ت ٣٢٨ هـ – ٩٣٩ م) محمد بن يعقوب .
- « الكافي في أصول الدين » .
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٢٦ ب .
- والكتاب مطبوع أيضاً في مجلدين في طهران سنة ١٨٨٩ م .
- مؤلف مجهول :
- « أنوار الاسلام في علم الامام » .
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٠٦ ب .
- ابن ناصر الدين : (ت ٨٤٢ هـ) محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد القيس .
- « تحاف المسالك برواة الموطأ عن الامام مالك » .
- مخطوط بمكتبة الازهر برقم ١٠٠٣ (مجاميع – مصطلح) .

- يحيى بن الحسين بن الامام القاسم بن محمد بن علي : (ت ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م)
- « أنباء الزمن في أخبار اليمن » .
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٧ .
(نشر الدكتور عبدالله ماضي الجزء الذي يضم تاريخ اليمن بين سنة
٢٨٠ هـ ، ٣٢٠ هـ في كتاب مطبوع في برلين سنة ١٩٣٦ م) .
- « غاية الأمان في أخبار القطر اليماني » المسمى عقيلة الدمن المختصر من
أنباء الزمن في أخبار اليمن .
مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ، عن ميكروفيلم بمعهد مخطوطات
جامعة الدول العربية بالقاهرة .
وقام الاستاذ الدكتور سعيد عاشور بتحقيق ونشر الكتاب في جزئين
بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م .

* * *

ثانياً - المصادر والمراجع العربية المطبوعة

- ابن الأثير : (+ ٦٣٠ هـ - ١٢٣٨ م) علي بن أحمد بن أبي الكرم ؛
- « الكامل في التاريخ » ، (القاهرة ١٣٠٢ هـ) .
- « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، (طبعة المعارف ١٢٨٦ هـ) .
أحمد أمين .
- « ضحى الاسلام » ، ٣ أجزاء ، (القاهرة ١٩٥٦) .
أحمد صبحي : الدكتور .
- « نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية » ، (دار المعارف بالقاهرة) .
أسد حيد .
- « الامام الصادق والمذاهب الأربعة » ، (طبعة دار النشر الاسلامي ،
بكر بلاء ، بالعراق) .
الاسفراييني : أبو المظفر عماد الدين .
- « التبصير في الدين » ، (مطبعة الانوار بالقاهرة ١٩٤٠) .
أحمد الشرباصي : الدكتور .
- « الأئمة الأربعة » ، (طبعة دار الهلال بالقاهرة) .
- « التصوف عند المستشرقين » ، (سلسلة الثقافة الاسلامية بالقاهرة
١٣٨٠ هـ) .
الاشعري : أبو الحسن علي .
- « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » تحقيق وتعليق محيي الدين
عبد الحميد ، جزآن ، (مطبعة النهضة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ) .

- الأصفهاني : (+ ٣٥٢ هـ - ٩٦٧ م) أبو الفرج .
 - « كتاب الاغاني » ٢١ جزءاً (مطبعة التقدم بالقاهرة - طبعة دي ساسي سنة ١٣٢٣ هـ) .
 - « مقاتل الطالبين » (طبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٤٩) .
 البير نصري نادر : الدكتور .
 - « فلسفة المعتزلة » ، جزءان (طبعة بيروت) .
 ابن بابوية : (الامام) القمي الصدوق .
 - « من لا يحضره الفقيه » (طبعة ايران ١٩٠٨) .
 - « كمال الدين » (طبعة طهران ١٨٨٣) .
 - « عيون أخبار الرضا » ، (طبعة ايران ١٩٥٨ م) .
 البروجردي : علي أصغر .
 - « نور الأنوار » ، (طبعة طهران ١٣٢٨ هـ) .
 البغدادي : (+ ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد
 - « الفرق بين الفرق » ، (القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م) .
 البلاذري : (+ ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر .
 - « فتوح البلدان » ، (مطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م) .
 - « أنساب الاشراف » ، الجزءان الرابع والخامس (فلسطين ١٩٣٨) .
 البلخي : (+ ٣٢٢ هـ - ٩٣٣ - ٩٣٤ م) أبو زيد بن سهل .
 - « كتاب البدء والتاريخ » وينسب الى مطهر بن طاهر المقدسي ٦ أجزاء
 (باريس ١٩٠٧ م) .
 البيروني : (+ ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) أبو الريحان محمد بن أحمد .
 - « الآثار الباقية من القرون الخالية » ، (ليزج ١٩٢٣) .

- البيهتي : (٤٥٨ هـ) .
- « المحاسن والمساوىء » جزءان (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٦ م) .
- الجاحظ : (٢٥٥ هـ — ٨٦٩ م) أبو عثمان عمرو بن بحر .
- « كتاب الحيوان » ، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م) .
- « كتاب التاج » ، (المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ — ١٩١٤ م) .
- « البيان والتبيين » ، (مطبعة الفتوح بالقاهرة ١٣٣٢ هـ) .
- « رسائل الجاحظ » ، ١١ رسالة (القاهرة ١٣٢٤ هـ) .
- « رسالة برأيه في معاوية والأمويين » (مطبعة الخانجي بالقاهرة) .
- الجهشياري : (٣٣١ هـ) أبو عبدالله محمد بن عبدوس .
- « كتاب الوزراء والكتاب » ، (مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م) .
- جورجي زيدان :
- « تاريخ التمدن الاسلامي » (طبعة دار الهلال — الطبعة الثانية) .
- الجومرد : الدكتور عبد الجبار .
- « داهية العرب أبو جعفر المنصور » ، (طبعة بيروت ١٩٦٣) .
- « هارون الرشيد » ، جزءان (طبعة بيروت ١٩٥٦) .
- حاجي خايفة : (١٠٦٧ هـ — ١٦٥٧ م) مصطفى كاتب شليبي .
- « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، (ليبسك ولندن ١٨٣٥ — ١٨٥٨ م) .
- ابن حجر العسقلاني : (٨٥٢ هـ — ١٤٤٩ م) شهاب الدين بن علي .
- « الاصابة في تمييز الصحابة » ، (القاهرة ١٩٢١) .

ابن أبي الحديد: (+ ٤٥٤ هـ - ١١١٣ م) الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسيني .

- « شرح نهج البلاغة » عشرون جزءاً (مطبعة الحلبي بالقاهرة) .

ابن حزم: (+ ٤٥٦ هـ - ١٥٦٤ م) أبو محمد علي بن أحمد .
- « الفصل في الملل والاهواء والنحل » ، خمسة أجزاء ، (المطبعة الأدبية بالقاهرة ١٣١٧ هـ) .

حسن ابراهيم حسن : الدكتور .

- « تاريخ الاسلام » الجزء الثاني (القاهرة ١٩٤٥) .

- « تاريخ الدولة الفاطمية » ، (القاهرة ، الطبعة الثانية) .

- « اليمن » ، (سلسلة اخترنا لك ، القاهرة) .

حسن واعظ كشفي .

- « جنات الخلود » ، (طبعة ايران ٩١٠ هـ) .

حسين بن فيض الهمداني البعبري الحرازي ، بالاشتراك مع الدكتور حسن سليمان .

- « الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن » ، (القاهرة ١٩٥٥) .

حسين معتوق :

- « المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية » ، (بيروت ١٣٩٠ هـ) .

. (١٩٧٠ م) .

الحلي : (ت ٦٧٦ هـ) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي .

- « المختصر النافع في فقه الامامية » ، (طبعة ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف المصرية) .

الخضري : محمد .

— « تاريخ الدولة العباسية » ، (القاهرة ١٩١٦ م) .

الخطيب البغدادي : (+ ٤٦٣ هـ) الحافظ ابو بكر أحمد بن علي .

— « تاريخ بغداد أو مدينة السلام » ، ١٤ جزءاً (القاهرة ١٣٤٩ هـ -

١٩٣١ م) .

ابن خلدون : (+ ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد .

— « مقدمة ابن خلدون » ، (المطبعة البهية المطرية ، القاهرة) .

— « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ٧ أجزاء (القاهرة ١٢٨٤ هـ) .

ابن خلكان : (+ ٦٨١ هـ - ٢٨١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن

ابراهيم بن أبي بكر الشافعي .

— « وفيات الاعيان » ، (طبعة مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٤٨) .

دائرة المعارف الاسلامية .

دائرة معارف البستاني .

الدوري : الدكتور عبد العزيز .

— « مقدمة في تاريخ صدر الاسلام » ، (مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٩ م) .

— « العصر العباسي الأول » ، (بغداد ١٩٤٢ م) .

— « الجذور التاريخية للشعبوية » ، (بيروت ١٩٦٢ م) .

— « النظم الاسلامية » ، (بغداد ، ١٩٥٠ م) .

— « العصور العباسية المتأخرة » ، (مطبعة العاني ، بغداد) .

الدينوري : (+ ٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م) أحمد بن داود أبو حنيفة .

— « الأخبار الطوال » ، (لندن ١٨٨٨ م) .

زكي مبارك : الدكتور .

— « التصوف الاسلامي » ، (القاهرة ، الطبعة الأولى) .

زكي محمد حسن : الدكتور .

— « دراسات في الموازنة بين المؤرخين في ديار الاسلام والمؤرخين الاوروبيين في العصور الوسطى » ، (بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم في بغداد ، الجزء الثاني يونيو ١٩٥٧ م) .

زهدي جار الله :

— « المعتزلة » ، (مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ م) .

الساعدي : (كاظم جواد) .

— « حياة الامام زين العابدين » ، النجف سنة (١٣٧٤ هـ) .

سيده اسماعيلي كاشف : الدكتورة .

— « مصر في عصر الولاة » ، سلسلة ألف كتاب بالقاهرة) .

— « مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه » ، (القاهرة ١٩٦٠) .

السيوطي : (+ ٩١١ هـ - ٦٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين .

— « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » ، (المطبعة التجارية

القاهرة ١٩٥٢ م) .

الشريف تاج الدين :

— « غاية الاختصار » ، (القاهرة ١٣١٠ هـ) .

شريف الدين علي اليزدي :

— « ظفر نامه » ، (كلكتا ١٨٨٧ هـ) .

الشريف الرضي :

- « خصائص أمير المؤمنين » ، (النجف ١٣٤٩ هـ) .
- الشهرستاني : (+ ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .
- « الملل والنحل » ، (القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م) .

الشيرازي :

- « آثار العجم » ، (طبعة ايران ١٣١٤ هـ) .
- ابن الصباغ : (٨٥٥ هـ) .
- « الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة » ، (مطبعة العدل ، النجف ١٩٥٠ م) .

- ابن طباطبا : (٧٠١ هـ) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي .
- « الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » ، (مطبعة الموسوعات القاهرة ١٣١٧ هـ) .

- الطبري : (+ ٣١٠ هـ - ١٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير .
- « تاريخ الأمم والملوك » ، ٨ أجزاء (المطبعة التجارية بالقاهرة ١٩٤٩) .
- طه حسين : الدكتور .

- « علي وبنوه » (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣) .
- « حديث الاربعاء » ، (دار المعارف بالقاهرة) .
- الطوسي : (+ ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) محمد بن الحسين .
- « فهرست كتب الشيعة » ، « كلكتا ١٨٥٥ » .
- « تهذيب الاحكام » ، (ايران ١٨٩٩) .
- « عدة الأصول » ، (طهران ١٣١٧ هـ) .

ابن طولون : شمس الدين .

— « الشذرات الذهبية في الأئمة الاثني عشرية » .

تحقيق الدكتور صلاح المنجد (طبعة سنة ١٣٨٠ هـ) .

ابن طيفور : (٢٨٠ هـ) ابو الفضل أحمد بن طاهر الكتاب .

— « بغداد » ، (طبعة مكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .

عارف تامر :

— « القرامطة » (طبعة بيروت) .

عبد الجواد الكلیدار : الدكتور .

— « تاريخ كربلاء وحائر الحسين » ، (مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٨ هـ) .

عبد الحلیم الجندي :

— « الامام أبو حنیفة » ، (طبعة المجلس الاعلی للشؤون الاسلامیة ١٩٦٨)

عبد الحمید العبادي :

— « صور من التاريخ الاسلامي » ، (مكتبة الآداب ، الاسكندرية ١٩٤٨)

العاملي : (ت ١١٠٤ هـ) محمد بن الحسن الحر العاملي .

— « وسائل الشيعة » ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) .

— « الفصول المهمة في أصول الأئمة » ، (طبعة سنة ١٣٠٤ هـ) .

العاملي : محمد حسين الزين .

— « الشيعة في التاريخ » ، (مطبعة العرفان ، صيدا سنة ١٩٣٨) :

ابن عبد ربه : (٤٣٩ هـ) أبو عمر أحمد بن محمد .

— « العقد الفريد » ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٨) .

- ابن العبري :
- « تاريخ مختصر الدول » ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠) .
 - ابن العربي : (٤٥٣ هـ) القاضي أبو بكر بن العربي .
 - « العواصم من القواصم » ، (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧١ هـ) .
 - ابن عربي : محيي الدين .
 - « الفتوحات المكية » ، (القاهرة ، الطبعة الأولى) .
 - عبد العزيز : جواهر كلام .
 - « الشيعة الامامية » ، (طبعة ١٩٢٩) .
 - عبد العزيز سيد الأهل :
 - « جعفر بن محمد - الامام الصادق » ، (طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٤) .
 - ابن عساكر : (٥٧١ هـ) ابو القاسم علي بن الحسين .
 - « تهذيب التاريخ الكبير » ، (دمشق ١٣٣٢ هـ) .
 - ابن عقيل : محمد بن عقيل .
 - « تقوية الامام برد تزكية ابن أبي سفيان » ، (ص ١٣٤٣ هـ) .
 - علي بن الحسين الهاشمي النجفي .
 - « محمد بن الحنفية » ، (طبعة طهران ١٣٦٨ هـ) .
 - علي حسيني الخربوطلي : الدكتور .
 - « تاريخ العرب في ظل الحكم الاموي » ، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩)
 - « الدولة العربية الاسلامية » ، (طبعة الحلبي بالقاهرة) .
 - « المختار الثقفي » ، (سلسلة اعلام العرب ١٩٦٣) .

- « عبدالله بن الزبير ، (سلسلة اعلام العرب ١٩٦٤) .
- « المهدي العباسي » ، (سلسلة اعلام العرب ١٩٦٨) .
- « الاسلام والخلافة » ، (طبعة بيروت ١٩٦٨) .
- « ١٠ ثورات في الاسلام » ، (طبعة بيروت ١٩٦٩) .

علي سامي النشار : الدكتور .

- « نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام » الجزء الثاني (دار المعارف ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩) .

علي مصطفى الغرابي :

- « تاريخ الفرق الاسلامية » ، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٨) .

ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٨٩ هـ) أبو الفلاح عبد الحلي .

- « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، (القاهرة ١٣٥٠ هـ) .

عمارة اليمن : (ت ٥٦٩ هـ) أبو الحسن نجم الدين عمارة اليمني الحكمي .

- « كتاب تاريخ اليمن » ، تحقيق وتعليق الدكتور حسن سليمان محمود . (مكتبة جامعة القاهرة) .

العمري : (٧٤٩ هـ) ابن فضل الله العمري .

- « مسالك الأبصار في الممالك والأمصار » .

الغزالي : (+ ٥٠٥ هـ - ١١١١ م) الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد .

- « المنقذ من الضلال » ، « دمشق ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م » .

- « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » ، (القاهرة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م)

- « إحياء علوم الدين » ، ٤ أجزاء (طبعة مكتبة الحسن التجارية بالقاهرة) .

فخر الدين الرازي : (٦٠٦ هـ) .
— « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨) .

أبو الفدا : (٧٣٢ هـ — ١٣٣١ م) اسماعيل بن علي عماد الدين .
— « المختصر في أخبار البشر » ، (المطبعة الحسينية ، القاهرة) .
ابن قتيبة : (+ ٢٧٦ هـ — ٨٨٩ م) أبو محمد عبدالله بن مسلم .
— « الامامة والسياسة » جزاء (الطبعة الثانية القاهرة ١٣٢٥ هـ) .
— « المعارف » ، (المطبعة الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٥ م) .
— « عيون الاخبار » ، ٤ أجزاء (مطبعة دار الكتب المصرية ١٤٣٢ هـ — ١٩٢٠ م) .

القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي .
— « أخبار الدول وآثار الأول » ، (بغداد ١٢٨٤ هـ) .
القلقشندي : (٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد .
— « صبح الأعشى في صناعة الانشا » ، (المطبعة الاميرية ١٣٢٣ هـ — ١٩١٤ م) .

ابن كثير : (٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل الدمشقي .
— « البداية والنهاية » ، (مطبعة السعادة ، القاهرة) .
كرد علي : محمد .
— « الاسلام والحضارة العربية » ، جزاء (مطبعة دار الكتاب المصرية سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م) .

الكندي : (ت ٣٥٠ هـ) أبو عمر يوسف بن محمد .

- «الولاية والقضاة» ، (طبعة بيروت ١٩٠٨ م) .
- الموردي : (+ ٤٥٠ هـ - ١٠٥٧ م) أبو الحسن علي محمد بن حبيب البغدادي البصري .
- « الاحكام السلطانية » ، (القاهرة ١٢٨٩ هـ) .
- المبرد : (٢٨٥ هـ) أبو العباس محمد بن زيد .
- « الكامل » جزاء (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م) .
- المجلسي : (٦٩٩ هـ) محمد باقر .
- « تذكرة الائمة » ، (طهران ١٩١٣ م) .
- « مشكاة الأنوار » ، (تبريز ١٨٦٣ م) .
- « تحفة الزائرين » ، (طهران ١٨٥٧ م) .
- « حلية المتقين » : (ايران ١٨٥٩ م) .
- « الحق اليقين » ، (طهران ١٨٢٥ م) .
- « حياة القلوب » ، ٣ مجلدات (ايران ١٩٠٩ م) .
- « بحار الأنوار » ، (طهران ١٩١٢ م) .
- مجهول :
- « العيون والحداثق في الاخبار والحقائق » ، (طبعة دي غويه ، لندن سنة ١٨٧٠ م) .
- أبو المحاسن : (٨٧٤ هـ) جمال الدين يوسف بن تغري بردى .
- « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، (طبعة دار الكتب المصرية)
- محسن الأمين الحسيني .
- « أعيان الشيعة » ٤ أجزاء (مطبعة ابن زيدون ، دمشق ١٩٣٥ م) .

محمد أبو زهرة : الاستاذ الشيخ .

- « الإمام زيد » ، (دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى) .
- « أبو حنيفة » ، (دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٠) .
- « الامام الصادق » ، (دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى) .
- « مالك » ، (مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٤٦) .

محمد تقي مستوفي كاشاني : (١٨٧٩ م) .

- « ناسخ التواريخ » ، (طهران ١٨٩٧ م) .

محمد جابر عبد العال الحيني : الدكتور .

- « حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والادبية لمدين العراق ابان العصر العباسي الأول » ، (دار المعرفة بالقاهرة ١٩٦٧ م) .

محمد جمال الدين سرور : الدكتور .

- « الحياة السياسية في الدولة العربية » ، (دار الفكر العربي ، القاهرة - ١٩٦٠) .

- « الحضارة الاسلامية في الشرق » ، (دار الفكر العربي ، القاهرة) .

محمد جواد مغنية :

- « مع الشيعة الامامية » ، (بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٥٦) .
- « الشيعة والحاكمون » ، (طبعة رابعة النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق) .
- « الشيعة والتشيع » ، (طبعة رابعة النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق) .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء :

- « أصل الشيعة وأصولها » ، (طبعة رابعة النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق) .

محمد عبد الغني حسن :

- « علم التاريخ عند العرب » ، (سلسلة مع العرب ١٩٦٠) .

محمد غلاب : الدكتور .

- « التنسك الاسلامي » ، (طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية) .

المسعودي ؛ (+ ٣٤٦ هـ - ٩٥٦ م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .

- « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، (مطبعة دار الرجاء بالقاهرة) .

- « التنبية والاشراف » ، (مكتبة الشرق الاسلامي ، القاهرة ١٩٣٨) .

- « اثبات الوصية للامام علي » ، (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٥٥) .

مسكويه :

- « تجارب الأمم » ، ٧ مجلدات (مطبعة التمدن بالقاهرة ١٩١٤) .

مصطفى كاملي الشيبلي : الدكتور .

- « الصلة بين التصوف والتشيع » ، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩) .

المظفر : محمد رضا .

- « عقائد الامامية » ، (طبعة دار النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق) .

المظفري : محمد الحسين .

- « تاريخ الشيعة » ، (النجف ١٣٥٢ هـ) .

- « الصادق » ، (النجف) .

المقريزي : (+ ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن علي .

- « النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم » (المطبعة الابراهيمية

بالقاهرة) .

- « المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار » ، (بولاق ، القاهرة)

– « اتعاط الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » ، الجزء الأول بتحقيق
المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال (طبعة المجلس الاعلى للشئون
الاسلامية ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م) .

المكي :

– « مناقب أبي حنيفة » ، جزآن (طبعة استانبول) .

الملطي : (٣٧٧ هـ) ابو حسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن .

– « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ، (مكتبة نشر الثقافة الاسلامية
القاهرة ١٣٦٩ هـ – ١٩٤٩ م) .

موسى جار الله :

– « الروشعة في عقائد الشيعة » ، (طبعة الخانجي بالقاهرة) .

ابن النديم : (+ ٣٨٣ هـ – ٩٩٣ م) محمد بن اسحاق النديم البغدادي .

– « الفهرست » جزآن (المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ) .

ابن نشوان الحميري : (٥٧٣ هـ) أبو سعيد نشوان بن سعد .

– « شرح رسالة الحور العين وتنبيه السامعين » ، (مطبعة السعادة بالقاهرة

١٩٤٨ م) .

النوبختي : (+ ٢٠٢ هـ – ٨١٧ م) أبو محمد الحسن بن موسى .

– « كتاب فرق الشيعة » ، (استانبول ١٩٣١) .

هاشم معروف :

– « عقيدة الشيعة الامامية » ، (بيروت ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م) .

ابن هشام : (٢١٨ هـ – ٨٣٣ م) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

الحميري .

– « السيرة النبوية » ، ٤ أجزاء (القاهرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م) .

- الهمداني : (ت ٣٣٤ هـ) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني .
 — « صفة جزيرة العرب » ، تحقيق مولر (ليدن ١٨٩١ م) .
- الواسعي اليماني : عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني .
 — « تاريخ اليماني ، المسمى فرجة المصوم والحزن في حوادث وتاريخ اليماني .
 (القاهرة ١٩٤٧) .
- الويسبي : حسين بن علي الويسبي .
 — « اليماني الكبرى » ، الجزء الأول ، (القاهرة ١٩٦٢) .
- ياقوت : (+ ٦٢٦ هـ — ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبدالله الحموي .
 — « معجم البلدان » ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٦ م) .
- أبو يعلى : (ت ٤٥٨ هـ) محمد بن الحسن الفراء الحنبلي .
 — « الاحكام السلطانية » ، (القاهرة ١٩٣٨) .
- اليقوبي : (٢٨٢ هـ — ٨٩٥ م) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن ذهب بن
 واضح .
 — « تاريخ اليعقوبي » ، ٣ أجزاء (النجف ١٣٥٨ هـ) .
 — « كتاب البلدان » ، (ليدن ١٩٠٦ م) .
- أبو يوسف : (+ ١٩٢ هـ — ٨٠٧ م — ٨٠٨ م) يعقوب بن إبراهيم .
 — « كتاب الخراج » ، (المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٠٢ هـ) .

* * *

ثالثاً - المصادر الأفرنجية المترجمة الى اللغة العربية

أرنولد : توماس و .

- « الدعوة الى الاسلام » ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي ، (طبعة مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٧) .
- « الخلافة » ترجمة جميل معلى ، (طبعة دار اليقظة العربية ١٩٤٦) .

وليري : دي ساسي .

- « الفكر العربي ومكانه في التاريخ » ، ترجمة دكتور تمام حسان (وزارة الثقافة بالقاهرة) .

بارتولد : ف .

- « تاريخ الحضارة الاسلامية » ترجمة حمزة طاهر (طبعة المعارف بالقاهرة ١٩٤٢) .

بروكلمان : كارل .

- « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البلعكي ، (بيروت ١٩٤٨) .

جوزي : بندلي .

- « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » ، (القدس ١٩٢٨) .

جولد تسيهر : اجناس .

- « العقيدة والشريعة في الاسلام » ترجمة علي حسن عبد القادر ومحمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحلق ، (دار الكاتب المصري بالقاهرة ١٩٤٦) .

- حي : الدكتور فيايب .
 - « تاريخ العرب » ترجمة مبروك نافع (القاهرة ١٩٥٣) .
- دوزي : ر. ب. أ .
 - « نظرات في الاسلام » ، ترجمة كامل كيلاني (طبعة الحلبي بالقاهرة
 ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م) .
- ديموبين : هوريس غودفروا .
 - « النظم الاسلامية » ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر .
 (مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٢) .
- روزنثان : فراهز .
 - « علم التاريخ عند المسلمين » ترجمة الدكتور صالح العلي (بغداد -
 ١٩٦٣) .
- ريسلي : جالك س .
 - « الحضارة العربية » ترجمة غنيم عبدون (الدار المصرية للتأليف والترجمة
 القاهرة) .
- رونلدسون : دوايت م .
 - « عقيدة الشيعة » ترجمة ع . م . (مطبعة السعادة ١٩٤٦) .
- سيد أمير علي .
 - « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » ترجمة رياض رأفت ،
 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٨) .
- فان فلوتن : ج .
 - « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية » ترجمة الدكتور
 حسن ابراهيم والشيخ محمد زكي ابراهيم (القاهرة ١٩٣٤ م) .

فلهوزن :

- « الدولة العربية » ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) .
- « الخوارج والشيعة » ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي (مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة) .
- كريمير : فون .
- « الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الاجنبية » ترجمة الدكتور طه بدر (طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة) .
- كوك : ريجارد .
- « بغداد مدينة السلام » (بغداد ، الطبعة الأولى) .
- لويس : برنارد .
- « أصول الاسماعيلية » ترجمة خليل جلو وجاسم الرجب ، (مكتبة المثني ببغداد ١٩٣٨) .

* * *

- Baille : A Digest of Muhammadan Law, 2 Vols. (London 1986).
- Blair : (Rev. John C.) The Sources of Islam (Madras, 1925).
- Blochot : (E.) Le Messianisme dans l'Heterodoxie Musulman (Paris, 1903).
- Browne : (Edward G.A.) Literary History of Persia, (London, 1909).
- Canon Sell: Ithna Ashariyya, or the Twelve Shi'ah Imams, (Madras, 1925).
- Chabrin : (Sir John) Travels in Persia (Argonout Press 1927) .
- De Boer : (T.J.) The history of Philosophy in Islam, Translated by E.R. Jones (London, 1903).
- Fraser : (James B.) Journey into Khouasan (1825).
- Galland : Essai Sur Les Motazelites, (Leiden, 1953).
- Gibb : (H..A.R.) Arabic Literature, (London, 1926).
- Guillaume : (W.) The Traditions of Islam. (Oxford, 1924).
- Huart : A History of Arabic Literature, (New York, 1903).
- Iqbal : (Shaikh Muhammad) (The Development of Metaphysics in Persia (London, 1908).
- Irving : (Washington) A Histrory of the Lives of the Successors of Mohammed, (Paris, 1850).
- Ivanow : A Guide to Ismaili Literature, (London, 1933).
- Kremer : (Alfred Von) The Orient Under the Caliphs, translated by Khuda Bushsch, (Calcutta, 1920).

- H. Lammes : (S.J.) L'Islam, Croyances oct Institutions, (Beyrouth, 1926).
 - Etudes Sur le Siccle des Omayyads, (Beyrouth, 1936).
 - Fatime et les filles de Mahomet, (Rome 1912).
- Lane-Poole: (Stanly) Studies in a Mosque, (London, 1893).
- Macdonald: (D.B.) The Religious Attitude and Life in Islam, (Chicigo, 1909).
 - Development of Muslim Theology (New York, 1926).
- Malcolm: (Sir John) - History of Persia, 2 Vols., (London, 1829).
- Muir : (William Temple) The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, (Edinburgh, 1924).
- Nicholson : (A. Raynold) The Mystics of Islam (London, 1914).
 - Studies in Islamic Mystics, (Cambridge 1921).
 - Literary History of the Arabs, (London, 1923) .
- Nicolas : (A.L.M.) Essai Sur le Cheikisme, (Paris 1910).
- Noldke : Sketches from Eastern History, (London, an Edin-burgh 1892).
- Ockly : (Simon) The History of the Saracens, (London 1847) .
- Palmer : Haroun el-Rashid, (London, 1881).
- Pelly : (Sir Lewis) The Miracle Play of Hasan and Husain., 2 Vols (London, 1921).
- Le Strange : (G.ay) The Lands of the Eastern Caliphate, (Cambridge, 1930).
- Sykes : (Percy) A History of Persia, 2 Vols, (London, 1921) .
- Wensinck : (A.J.) The Muslim Creed, (Cambridge 1932).

جهاد الشيعة

يميش في عالمنا الاسلامي المعاصر ملايين من المسلمين الشيعة ،
يمثلون ركناً هاماً من أركان المجتمع الاسلامي الكبير، ويساهمون
دنياً مساهمة ايجابية في تقدم الحضارة الاسلامية .

والشيعة تجمل الجهاد ركناً من أركان الاسلام ، وقد شهد
تاريخنا الاسلامي الطويل المجيد صوراً عديدة متوالية لهذا الجهاد
والجهاد عند الشيعة ، قد يكون جهاداً بالسيف ، او جهاداً
دينياً وفكرياً وقد يكون الجهاد لتصحيح أوضاع خاطئة قائمة ،
وقد يكون لتمهيد النفوس ، ولتدعيم الاخلاق ، ولصقل العقول
ويدرس هذا الكتاب تاريخ جهاد الشيعة منذ عصر الرسول
عليه الصلاة والسلام حتى نهاية العصر العباسي الاول سنة ٢٣٢ هـ
وصور الجهاد المختلفة التي يقدمها الكتاب هي تعبير حقيقي عن
حيوية الامة الاسلامية وحرصها على التمييز والتطوير والتقدم .